

المعهد الخلفي للأبحاث والمغربية
بيت المغرب

انها الناض في اجبا عك

١٨٤
٢٠٧٢
تأليف

شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ التلمساني

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية

ابراهيم الأبياري
المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٣٩ - ١٣٥٨ م



صورة صاحب السمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي العلوي خليفة جلالة ملك
المغرب الأقصى ، وباعت النهضة العلمية ، ومؤسس المعهد الخلفي بتطوان
وبيت المغرب بمصر ، ومن آثار سموه نشر هذا الكتاب

مقدمة الناشرين

كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» ، من خير ما ألف في أدب المغاربة ، نرجو أن ننشر بنشره آية فخار من مجد علماء الإسلام ، وأن نضيف إلى الأدب العربي الخالد ، صفحة مُشرقة من الأدب المغربي الزاهي الألوان ، وأن نضع بين يدي العلماء والنقاد خير الوثائق وأنفس المصادر التي يُعتمد عليها في تاريخ الآداب .

أما مؤلفه فهو حافظ عصره في علوم الدين ، وحُجة زمانه في علوم الدنيا ، وخاتمة أدباء المغرب ، الذي جمع الشعر والكتابة والخطابة ، والمحاضرة والمسامرة ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، صاحب «نفح الطيب» وغيره من الكتب الممتعة . تُوُفي سنة إحدى وأربعين وألف للهجرة بالقاهرة .
وأما المؤلف في ترجمته وسيرته فهو قاضي المغرب الأجل ، وحافظه الأكبر ، الإمام الطائر الصيد ، عياض بن موسى اليحصبي السبتي صاحب الشفاء ومشارك الأنوار وكثير من المصنفات الجليلة في الدين وعلوم اللغة والنحو والأنساب . تُوُفي سنة ٥٤٤ هـ بمراكش .

وكتاب أزهار الرياض في أخبار عياض ، هو كصنوه نفح الطيب ، في أخبار لسان الدين بن الخطيب ، كلاهما قد تضمن ترجمة واسعة خصبه النواحي ، لعلم مفرد من أفذاذ الرجال في المغرب والأندلس ، وقد استطاع مؤلفهما أبو العباس المقرئ أن يجعل كلا من صاحبي الترجمة مركزاً لدائرة معارف تاريخية وأدبية ، تحوى أخبار عصره ومصره ، لا ، بل تستوعب كثيراً من أخبار الأجيال التي تعاقبت في الأندلس والمغرب إلى زمان وجوده ، وهما لذلك جديران أن يُعدّا من أعظم الأركان التي يقوم عليها تاريخ تلك البلاد .

وبين الكتّابين وجوه من الشبه ، وتشابه في المزاج ، لا نريد إحصاءها في هذه المقدمة الموجزة ، وبحسبنا أن نذكر هنا المنهج الذي اتفردا به دون أكثر كتب التراجم العربية القديمة ، فإن مؤلفنا الشيخ المقرئ يرسم للترجمة خطة واضحة ، ويرتب عناصرها ترتيباً حسناً ، ويتغلغل في التفاصيل ويتعمق ، ويتتبع أخبار المترجم حتى قبل ولادته ، ويتجسس عن أوليته وأسرته ، ويبحث عن نشأته في صباه وشبابه وكهولته ، ثم يذكر شيوخه الذين أخذ العلم عنهم ، في كثير من التفصيل والعناية بذكر مؤلفاتهم ، ويخص بالعناية النتاج الأدبي للمترجم ، ويذكر تأليفه ، وتصرفه في الحياة ، وعمله في خدمة السلطان ، ووفاته ، وآراء الناس فيه .

منهج المؤلف في أزهار الرياض ونفح الطيب متأثر تأثراً ما بمنهج لسان الدين ابن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، فإن هذه الكتب تتشابه في العناصر التي تتألف منها الترجمة ، وفي أسلوب الإنشاء ، إلا أن لسان الدين كان أميل إلى مجانبية الاستطراد الذي فشا في تواليف المقرئ ، وطبعاً بهذا الطابع الخاص .

ألف المقرئ كتاب أزهار الرياض في مدينة فاس ، في المدة التي بين سنتي ١٠١٣ و ١٠٢٧ للهجرة ، إذ كان قد نزع عن وطنه لأسباب سياسية ، واتخذ فاس مقراً له ، وكان الباعث له على تأليفه رغبة أهالي بلده بلّسان في التعريف بالقاضي عياض ، عالم المغرب الأوسط وقاضيه الأشهر ، وقد ألمّ في هذه الترجمة بكثير من شئون بلاد الأندلس ، وذكر طائفة من أخبار لسان الدين بن الخطيب وأحوال المسلمين في عصر الجلاء عن الأندلس ، على سبيل الاستطراد ، ثم ألف كتاب نفح الطيب بعد سنة ١٠٢٨ في القاهرة ، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلمائها في التعريف بلسان الدين بن الخطيب ، فذكر كثيراً من شئون

الأندلس في تفصيل وترتيب عجيبين . ومن أجل هذا يظهر للمتأمل أن المؤلف كان مضطراً أن يكرر في نفح الطيب طائفة من الأخبار التي ذكرها من قبل في أزهار الرياض ، لبعد ما بين الأفقين اللذين ظهر فيهما الكتابان .

وقد يمتاز أزهار الرياض ، فوق لشماله على ترجمة القاضى عياض ، بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية ، التي لم ترد في نفح الطيب ولا في غيره من الكتب المطبوعة حتى الآن ، وإنما بادت أصولها ، أو هي لا تزال سرا مطويا في خزائن الكتب لم تنشره المطابع بعد . ولذلك يُعد نشر هذا الأثر الجليل اليوم ثروة جديدة تضاف إلى ما سبق نشره من آثار المغرب والأندلس في عالم الدراسات العربية .

وكان الفضل في إخراج هذا الكتاب الجليل ، على هذا الوضع الأنيق ، « لمكتب التبادل الثقافى » التابع للمعهد الخليفى بتطوان ، الذى أسسه سمو الخليفة المعظم مولوى الحسن بن المهرمى ، فقد اختط خطة موفقة في نشر الكتب النفيسة ، التى تحبى آثار السلف ، وكان هذا الكتاب با كورة أعماله ، وأول ثماره . ولما عهد إلينا فى تحقيق هذا الكتاب ، بالأسلوب العلمى الذى يجرى عليه علماء المشرقيات ، فتشنا عما يوجد من أصوله المخطوطة والمطبوعة فى دار الكتب المصرية ، فعثرنا منه على النسخ الآتية :

الأولى : النسخة المخطوطة المرموز لها فى حواشى هذه الطبعة بالحرف (ط) ، ورقمها فى دار الكتب المصرية (٢٠١٣ تاريخ) وهى فى ألف ومئة وسبعين صفحة ، من القطع المتوسط ، طول الجزء المكتوب فى كل منها عشرون سنفيمتراً وعرضه عشرة . وهى مخطوطة بخطوط مختلفة ، فالست والأربعون صفحة الأولى بخط مغربى جميل ، وما بعدها إلى صفحة ١٠٥٨ بخط نسخى معتاد ، ويتلو ذلك

الثالثة : النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية ، ورقمها (٧٩٤ تاريخ) ، وهي في أربعة أجزاء :

الجزء الأول منها هو المطبوع بتونس المقدم ذكره ، المرموز إليه في حواشي طبعتنا بالحرف (ت) .

والجزء الثاني مخطوط يحتوى على بقية الروضة الأولى ، وتبقى منها بقية تأتي في الجزء الثالث .

والجزء الثالث يتضمن بقية الروضة الأولى كلها وتنتهى في الصفحة ٤٣ ، والروضة الثانية كلها إلى الصفحة ١٠٥ ، ثم الروضة الرابعة جميعها إلى نهاية هذا الجزء في صفحة ٤٤٢ .

والجزء الرابع يحوى الروضة الرابعة من أوله إلى الصفحة ٣٠٥ ثم الخامسة إلى الصفحة ٤٥٠ .

وهذا الجزء ينتهى بآخر رحلة أبى عبد الله المقرئ . وفي نهايته بخط المرحوم أحمد تيمور باشا ما نصه :

« والروضة السادسة والسابعة والثامنة تأتي في جزء خامس » . وليس لهذه النسخة جزء خامس في الحقيقة ، وهي أجود خطأ من النسخة (ط) .

وجاء في آخرها أيضاً أنها نقلت من نسخة قديمة في مكتبة الملك الظاهر بدمشق ، وأن كاتبها هو محمد صادق فهمى المالح سنة ١٣٤٥ هـ .

والنسخ الثلاث من هذه الأصول متشابهة في كثرة ما بها من الخطأ والتحريف والكلمات الغامضة ، التى تصعب قراءتها أو تحار في فهمها العقول .

وقد جعلنا النسخة (ط) أساساً للطبع ، وعارضنا بها الجزء الأول المطبوع بتونس ، وأثبتنا ما وجدناه من خلاف بينهما بالزيادة والنقص ، وصححنا الأخطاء

اللغوية والنحوية والهجائية الكثيرة ، ولم نكتف بهذا ، بل كدنا نفتش عن كل خبر في مظانّه من الكتب المطبوعة ، مثل نفح الطيب المؤنّف ، والإحاطة لابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون ، والاستقصا للسلوى ، كما كنّا نلجّ في شرح الكلمات الأندلسية والمغربية التي لم ترد في المعجمات العربية ، إلى تكملة المعجمات العربية للعلامة دُوزي ، وجعلنا كل ملاحظتنا حواشي في أسفل صفحات الكتاب إشاراً لتعجيل الفائدة للقارئ . ولم نشرح من مفردات الألفاظ إلا ما ظننا أنه يغمض على القارئ المتوسط ، وما اعتقدنا أن معجته ليست في أيدي جميع الناس ، وتركنا بعد ذلك الفرصة لذهن القارئ ، لينشط إلى البحث عما يروم البحث عنه من معاني الأشعار ، ولم نشرح شيئاً من ذلك إلا ما كان ضرورياً لا بد منه .

وقد وضعنا في الهوامش الجانبية الخارجية عناوين للمعاني الجزئية ، لتجزئة الموضوع الواحد المطول ، إلى عناصره التي يتألف منها ، وفي ذلك إراحة للذهن ، وتفصيل لمجمل الموضوع ، وتنبيه على مواضع الانتقال : ووضعنا في الهوامش التي في الجهة الداخلية أرقام صفحات النسخة المخطوطة المرموز إليها بالحرف (ط) أمام السطر الذي تبدأ عنده الصفحة الجديدة من الأصل المخطوط ، لتسهيل المضاهاة على من أراد أن يتتبع ذلك الأصل ، ويعارض به طبعته هذه . وقد عملنا لهذا الجزء فهرس مُنَوَّعة ، تيسيراً للبحث والمراجعة .

والله نسأل أن يوفق المعهد الخليفي ويوفقنا إلى إخراج البقية من أجزاء هذا السفر الجليل ، إنه أكرم مسئول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ما

مصطفى السقا ابراهيم الربيارى عبد الحفيظ شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[مقدمة المؤلف]

[٢] الحمد لله الذى أَعْلَى مراتب العلماء الأعلام ، وزَكَّى منهم العقولَ الراجحة والأحلام ، وَمَنَحَهُمْ مَا تَرْتَقِصُ عَنْ جَمْعِهَا^(١) المجابرُ والأقلام ؛ وَمَفَاخِرَ طَارَت كلَّ مَطَارٍ . وجعل معاليهم زاهرة زاهية ، وأضواء فهمهم نامية سامية ، وأنواء^(٢) علومهم هامة هامية^(٣) ؛ يَوَاكِفُ الأمطار^(٤) ، وأَطْلَعَهُمْ عَلَى دَفَائِقِ الأسرار . وهَدَاهُمْ وَهَدَى بِهِمْ إِلَى تَرْتِيبِ المَدَارِكِ ، وتقريب المسالك ؛ وَجَلَّى بِمَشَارِقِ الأنوارِ مِنْ مَعَارِفِهِمْ وآدَابِهِمْ ، عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِهِمْ وَأَهْدَاهُمْ ، غِيَاهِبَ الجَهْلِ الحَوَالِكِ^(٥) ؛ فَأَضَاءَتْ الأقطار . وعَرَّفَهُمْ المقاصد الحِسَانَ ، والوسائل الْمُعْتَبَظَةَ والإِلماع^(٦) ، بِأَصُولِ الرِّوَايَةِ والسَّمَاعِ ؛ والإِعلامَ ، بِمُحَدِّدِ قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ ؛ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى التَّنْذِيهِاتِ المُسْتَنْبَظَةِ السَّامِيَةِ الأَخْطَارِ ؛ حَتَّى رَفَلُوا مِنْ حُلُلِ التَّحْقِيقِ السَّابِغَةِ ، فِي مَطَارِفِ^(٧) وَبُرُودِ ؛ وَوَرَدُوا مِنْ مَنَاهِلِ التَّوْفِيقِ السَّائِغَةِ ، كُلَّ عَذْبٍ

(١) فى ت : « عن فهمها » .

(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ظهورها ، فيقولون مثلاً : مطرنا بنوء الثريا .

(٣) هامة هامية : أى تسيل فى غزارة وانصباب .

(٤) واكف الأمطار : هاطلها .

(٥) غياهب الجهل : ظلماته . والحوالك : الشديدة السواد .

(٦) الإلماع : التنويه والإشارة .

(٧) المطارف : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كمنبر ومقعد .

برُود^(١) ؛ وتَسَمَّوا من حُجَج الحقِّ البالغه ، الروضِ المِعْطَار ؛ واجْتَنَوْا
 أَزَاهِر^(٢) ، أَضَحَّتْ مُنِيَّةُ الطَّالِبِ ، وَبُغِيَّةُ الرَّائِدِ^(٣) ؛ وَاجْتَلَوْا^(٤) جَوَاهِر^(٥) ، نُظِمَتْ
 مِنْهَا الدَّرَرُ وَالْفَرَائِدُ ؛ فِي أَجْيَادِ^(٦) الْأَسْطَار . فَإِنْ أَمَّهْمُ نَاقِصٌ عَدِيمٌ ، أَلْفَى لَدَيْهِمُ
 الْغَنِيَّةَ وَالْإِكْمَالَ ؛ أَوْ قَصَدَهُمْ عَلِيلٌ سَقِيمٌ ، وَجَدَ فِي يَدَيْهِمُ الشِّفَاءَ ، فَنَالَ غَايَةَ
 الْأَمَالِ ، وَظَفَرَ بِمُنْتَهَى الْأَوْطَارِ^(٧) . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
 أَفْضَلِ الْعَالَمِينَ بِإِطْلَاقٍ ، سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ ، وَكَتَرِ الْعَارِفِينَ ، الَّذِي لَا يُحْشَى
 مَعَهُ إِمْلَاقٌ ، تُعْمِدُنَا الْعُظْمَى ، وَوَسِيلَتُنَا الْكُبْرَى عِنْدَ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ ؛ صَاحِبِ
 الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، الَّتِي اهْتَدَى بِهَا ذَوُو الْأَفْكَارِ ، وَالْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ ، الَّتِي
 حَصَلَ بِهَا التَّمْيِيزُ^(٨) لَمَنْ لَهُ أُسْتَدْكَارٌ ؛ الْمُوَطَّأُ الْأَكْنَافُ^(٩) وَالْأَخْلَاقُ ، الْمُنتَقَى
 مِنْ أَعْظَمِ الذِّخَائِرِ ، وَأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ^(١٠) ، الْمُخْتَارُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ وَالْكَوْنِ

(١) البرود : البارد .

(٢) في ط : « أزهارا » .

(٣) الرائد : الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث .

(٤) اجتلى : نظر .

(٥) في ت : « بواهر » .

(٦) في ت : « بأجياد » .

(٧) الأوطار : جمع وطر « بالتحريك » ، وهو الحاجة .

(٨) في ت : « التمهيد » .

(٩) الموطأ الأكناف : الكريم الدمث الأخلاق .

(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء .

وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طائفة من الكتب ، للقاضي
 عياض وغيره ، وهي : « الروض المِعْطَار ، في أخبار الأقطار » لأبي عبد الله الحميري ؛
 و « منية الطالب ، لأعز المطالب » لم يعلم مؤلفه ؛ و « بغية الرائد ، لما تضمنه حديث
 أم زرع من الفوائد » ؛ و « الغنية » و « الإكمال لكتاب المعلم » ، في شرح صحيح
 مسلم ، وهذه الثلاثة للقاضي عياض ؛ و « سراج المریدین » لأبي بكر بن العربي .
 و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه ؛ و « الذخائر والأعلاق » ، في آداب النفوس
 ومكارم الأخلاق » لأبي عبد الله الباهلي الإشيلي ؛ و « الموطأ » للإمام مالك .
 و « المنتقى » اسم لعدة كتب .

لم تفتح له أغلاق ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين لنجومهم في
سماء الحق أنتلاق ؛ صلاةً وتسليماً دائرين ، ما أنشأت في ثنائه الأحدي ،
وأنشدت بفنائه الحمدي ، القصائد والأبيات والأشطار . وبعد ^(١) :

فيقولُ أحمدُ ذو القُصُو رِ المَقَرِّي إِذَا انتسب ^(٢)

جَبَرَ الْمُهِيمُنْ صَدْعُهُ وَوَقَاهُ سَيِّئُ مَا اكْتَسَبَ

وَحَبَّاهُ مِنْحَةً مُؤْمِنٍ مَحَضَ الْعِبَادَةَ وَأَحْتَسَبَ ^(٣)

وأسدى إليه من المواهب أسناها ، ومن العواقب حسناها :

إنه لما سبق القضاء وجرت الأقدار ، بارتحالي عن الوطن المَحْبُوب
والقَرَار ، بعد أن شِمت عَرَارُهُ ^(٤) النَّجْدِي ولا أشجان ولا أكدار ^(٥) ، في عَشِيَّة
لم يكن بعدها من عَرَار ؛ ونَزَحْتُ عن بلد ، به الوالد وما وَلَد ؛ محلَّ قَطْع
التَّمَام ^(٦) ، وفتَحَ الكلام ^(٧) ، سقى الله عَهْدَهُ ^(٨) صَوْبَ الغَائِمِ :
بَلَدٌ تَحْفَ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِدَارُهُ ^(٩)

(١) في ت : « أما بعد » .

(٢) القصود : العجز .

(٣) محض العبادة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .

(٤) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصمة القشيري :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشي من عرار

(٥) في ط : « بعد أن شمت حرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم
بها الكلام .

(٦) التمام : خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم .
يريد بقطع التمام : وقت أن شب وترعرع .

(٧) الكلام : أغظية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباه .

(٨) يريد « بالعهد » : جمع عهد ، وهو الزمان . وفي كتب اللغة أن العهد جمع العهد ،
وهو المطر بعد المطر . أما العهد للزمان فجمع عهود .

(٩) العدار : جانب اللحية . وهذا البيت والذي بعده لسان الدين بن الخطيب .

وكأنما واديه مِعْصَمٌ غَادِيَةٌ وَمِنْ الْجُسُورِ الْحَكَمَاتِ سِوَارُهُ
 وكانَ ذلكَ وَغُضْنَ النِّشَاطُ يَانِعٌ^(١)، وبُرُودَ الشَّبَابِ قَشِيبٌ؛ وَشَمِلَ النَّفْسَ
 مَجْتَمِعٌ دُونَ مَانِعٍ، وَكَأْسُ^(٢) الْأَنْسِ مُنْجِ بِتَسْنِيمِ الْقُرْبِ وَشَيْبِ^(٣)؛ وَفَوْدُ^(٤)
 الرَّأْسِ غَيْرُ خَاضِعٍ وَلَا خَانِعٍ، إِذْ^(٥) لَمْ تَطْرُقْ سَاحَتُهُ وَلَمْ تَجُسْ خِلَالَهُ جِيُوشُ
 الْمَشِيبِ؛ حَلَّتْ الْحَضْرَةُ الْفَاسِيَّةُ — حَاطَهَا اللَّهُ — حَيْثُ الْمَجَالِسُ غَاصَّةٌ، بِالْعَامَةِ
 وَالْخَاصَّةِ؛ وَالْمَسَاجِدُ آهَلَةٌ مَعْمُورَةٌ، وَالْمَشَاهِدُ بِالزُّوَارِ مَعْمُورَةٌ؛ وَحُلَّ الْمَعَارِفِ
 فَضْفَاضُهُ، وَالْعَوَارِفُ^(٦) الْجَلِيلَةُ مُفَاضُهُ؛ حَضْرَةُ دِيْبَاجِهَا رَبِيعِيٌّ، وَامْتِزَاجُهَا
 بِالنَّفُوسِ طَبِيعِيٌّ، وَلَمْ لَا، وَقَدْ نَظَمْتَ الْمَفَاخِرَ وَنَسَقْتَهَا، وَجَمَعْتَ الْمَآثِرَ وَوَسَقْتَهَا،
 جَادَتْهَا غُرُّ الشُّحُبِ^(٧) وَسَقَتْهَا:

بِلَادُهَا الْحَضْبَاءُ دُرٌّ وَتُرْبُهَا عَبِيرٌ وَأَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ شَمُولٌ^(٨)
 تَسْلَسِلُ مِنْهَا مَآوُهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَسِيمُ الرِّوْضِ وَهُوَ عَلِيلٌ
 فَالْتَقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيَارِ، وَقَاهَا اللَّهُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَغْيَارِ، وَأَقْتَفَيْتُ فِي
 ذَلِكَ سَنَنَ بَعْضِ سَلَفِي الْأَخْيَارِ؛ إِذْ كَانَ أَشْهَرَ أَسْلَافِنَا الشَّيْخِ الْإِمَامِ — صَاحِبِ
 التَّصَانِيفِ الشَّهِيرَةِ، الَّتِي اقْتَادَتِ الْمَحَاسِنُ بِزِمَامِ؛ الْقَاضِي الْأَشْهَرِ، الْعَلَّامَةِ

(١) الْأَصْلُ فِي الْبَنَعِ: نَضِجَ الثَّمَارُ.

(٢) فِي ط: «وَكَأْسٌ».

(٣) تَسْنِيمٌ: مَاءٌ فِي الْجَنَّةِ. وَشَيْبٌ: خَلَطٌ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِيهِمَا). وَلَعَلَّهُ رَاعَى الْمُضَافَ إِلَيْهِ فَذَكَرَ الْفَعْلَيْنِ.

(٤) الْفَوْدُ: مَعْظَمُ شَعْرِ الرَّأْسِ مِمَّا يَلِي الْأُذُنَ. وَيُرِيدُ بِخُضُوعِهِ وَخُنُوعِهِ: إِمَالَتَهُ مِنْ كِبَرٍ وَضَعْفٍ.

(٥) فِي ط: «إِذَا» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٦) الْعَوَارِفُ: جَمْعُ عَارِفَةٍ، وَهِيَ الْمَعْرُوفُ.

(٧) فِي ت: «السَّحَابُ».

(٨) الْعَبِيرُ: الزَّعْفَرَانُ، أَوْ هُوَ أَخْلَاطُ الطَّيِّبِ. وَالشَّمُولُ: الْحَجَرُ، أَوْ مَا يَبْرُدُ مِنْهَا.

الأظهر ، سيدي أبو عبد الله محمد [بن محمد^(١)] بن أحمد المقرئ القرشي ،
التلمساني النشأة والقبر ، أفاض الله سبحانه^(٢) الرحمة على منوى ذلك الحبر -
انتقل إليها أيام السلطان المرحوم أبي عنان فارس ، فولاه قضاء جماعتها ، وبني
له^(٣) المتوكلية أعظم المدارس ، حسبا ذكروه غير واحد من أهل الفهارس ،
وأشار إليه الوزير ابن الخطيب في كتاب « الإحاطة » التي أحييت من التاريخ
الرسم المدارس .

ولم تزل كتب الأقارب والإخوان ترد على ، وتثني عنان أعتنائها إلى ؛
وتكرر وتعدّد ، وتنتاب وتتردد ، وتنوع وتتجدد ؛ فأرتاح إليها ارتياح
الغصن عند هزته ، وأحن إليها حنين كثير إلى معاهد عزته :

[٤] يا مَنْ يُذَكِّرُنِي حَدِيثَ أَحَبَّتِي طابَ الحديثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ
أَعْدِ الحديثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَابَاتِهِ إِنَّ الحديثَ عن الحبيب حبيب^(٤)
وكثيراً ما يحرك ذلك مني كامن شوق ، شبّ عمره عن الطوق^(٥) ؛ وأجد
من لواعج الأوار^(٦) ، ما وجده الفرزدق عند^(٧) مَبَايِنَةِ النّوَارِ^(٨) :

(١) زيادة عن الإحاطة ونفع الطيب .

(٢) جمع سجل ، وهي الدلو الضخمة المملوءة بالماء .

(٣) في ت : « وبذله » وهو تحريف .

(٤) جناباته : نواحيه .

(٥) أي جاوز حد الاحتمال ؛ مأخوذ من المثل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله

جذيمة لعمر بن عدى ، ابن أخته رقاش ، حين رأى عليه طوقاً من ذهب كان له

في صغره ، وقد طوقته به أمه بعد غيبة غابها عنها ، في حديث طويل ، ذكره

الميداني في أمثاله وصاحب القاموس في مادة « طوق » .

(٦) لواعج الأوار ، أي حرق نار الشوق .

(٧) في ت : « من » .

(٨) يشير إلى ندم الفرزدق لما طلق امرأته النوار في قوله :

ندمت ندامة الكسبي لما غدت مني مطلقاً نوار

بَلَدُ الْجَزَائِرِ مَا أَمَرَ نَوَاهَا كَلِفَ الْفَوَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهَا كُنْ عَاذِرِي يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاوُهَا وَهَوَاهَا

والحنين إلى الوطن مجال لكل حُرٍّ ومِضْمَارٍ !

إِيهِ أَحَادِيثَ نَعْمَانٍ وَسَاكِنِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ
وَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ حَنِينُ النَّابِ ^(١) إِلَى عَطْنِهِ ^(٢) ، وَالْمَرْءُ إِلَى مَحَلِّ نَشَأَتِهِ وَوُطْنِهِ .
وَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَنِينِ سَيِّدِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ
إِلَى مَكَّةَ ، مَا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ عَنِ الْعُلُومِ بِمَعْزِلٍ . وَمِنَ الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةِ :
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ^(٣) وَحَنِينُ سِهْ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
وَرَبِّ ذِكْرِي أَثَارَتِ الْأَشْوَاقَ وَحَرَ كَتَمَهَا ، وَأَنْشَبَتِ النُّفُوسَ فِي حَبَائِلِ
الْبُيُوسِ وَتَرَكَتَهَا ؛ وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ بَكَى لِفَقْدِ الْمَشَاهِدِ ، وَأَهْتَمَّ لِبُعْدِ الْعَالَمِ
وَالْمَعَاهِدِ :

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَرَاتِعُ أُلَافِي وَعَهْدِ صِحَابِي
وَيَا سَرَّحَةَ الْحَيِّ أَنْعَمِي فَلَطَمَا سَكَبْتُ عَلَى مَثْوَاكِ مَاءَ شَبَابِي
فَلِلَّهِ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، مَا أَبْهَجَ مُحْيَاها ! وَحَاطَ ^(٤) بَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ تِلْكَ الْمَشَاهِدَ ،
مَا أَطْيَبَ ^(٥) رَيَاها ، حِينَ بَاكَرَهَا الْوَسْمَى ^(٦) وَحْيَاها :

(١) النَّابُ : النَّاقَةُ الْمُسْنَةُ ؛ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ . وَقَدْ أَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا مَذْكَرًا ، كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْأَصْلِ ، وَهُوَ النَّابُ مِنَ الْعَظْمِ ، فَهُوَ مَذْكَرٌ فِي الْأَشْهُرِ .

(٢) الْعَطْنُ : وَطْنُ الْإِبِلِ وَمَبْرَكُهَا حَوْلَ الْمَاءِ .

(٣) كَذَا فِي طَوْدِيَّانِ أَبِي تَمَامٍ . وَفِي ت : « كَمْ مِنْ مَنْزِلٍ كَانَ يَأْلَفُهُمَا الْفَتَى » .

(٤) فِي ت : « وَبَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ » .

(٥) فِي ت : « فَمَا أَطْيَبَ » .

(٦) الْوَسْمَى : مَطَرُ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ يَسْمُ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ . وَيَلْبِيهِ « الْوَلَى » وَهُوَ الْمَطَرُ الثَّانِي .

حَيًّا تَلْفِسَانِ الْحَيَّا فَرُبُّوعَهَا صَدَفٌ يَجُودُ بِدُرِّهِ الْمَكْنُونِ^(١)
 مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ إِنْ سَقَى أَرْوَى وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَعْنُونِ
 أَوْشِئْتَ مِنْ دِينٍ إِذَا قَدَحُ الْهَدَى أَوْزَى وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ بِالْذُّونِ^(٢)
 وَرَدَّ النَّسِيمُ لَهَا بَنْشَرَ حَدِيقَةٍ قَدْ أَزْهَرَتْ أَفْنَانُهَا بِفُنُونِ^(٣)
 وَإِذَا حَبِيبَةُ أُمِّ يَحْيَى أُنْجَبَتْ فَلَهَا الشُّفُوفُ عَلَى عُيُونِ الْعُونِ^(٤)
 طَالَمَا ذَكَرْتَ الْأُبْلَةَ وَشِعْبَ بَوَّانِ^(٥) ، وَأَنْسَتْ صُرُوفَ الزَّمَانِ الْخَوَّانِ ،
 وَأَنْبَتَ أَزْهَارَ أَنْسِ ذَاتِ أَلْوَانِ ، وَثِمَارَ نَخْلٍ مِنَ الْقُرْبِ^(٦) ، صِنَوَانٍ وَغَيْرِ
 صِنَوَانِ^(٧) ، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ بِالْجِيرَانِ^(٨) وَالْإِخْوَانِ ؛ وَالرَّوْضُ مَطْلُولُ
 النَّبَاتِ^(٩) ، مُحَضَّرُ الْعَذَابَاتِ^(١٠) ، مُحْضَلُّ الْجَنَابَاتِ^(١١) ، مُقَوِّفُ الْحَمَائِلِ^(١٢) ،

(١) الحيا : المطر . وهذه الأبيات للسان الدين بن الخطيب .

(٢) أورى : أنار وأضاء .

(٣) نشر الحديقة : ما ينتشر عنها من رائحة طيبة .

(٤) حبيبة أم يحيى : عين ماء بتامسان مأوها عذب . (عن هامش الأصل المخطوط) .
 والشفوف : الرقة . والعون : البقر الوحشى . أى أن ماءها أصفى وأرق من
 عيون العون .

(٥) الأبله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . وشعب بوان : بفارس ، وهو والأبله
 من متزهات الدنيا ، التى سار ذكرها .

(٦) فى ت : « من العزب » .

(٧) الصنوان : المجتمعة ، أو التى أصلها واحد .

(٨) فى ت : « بالأقارب » .

(٩) مطلول النبات : مندى بماء الطل .

(١٠) العذبات ، أى أطراف الأغصان .

(١١) محضل : مبتل . والجنابات : النواحي ؛ أى إنه غير جاف ولا متصوح .

(١٢) مقوف : فيه بياض . والحائل : جمع خيلة ، وهى الأرض ذات النبات ؛ يصف
 نبات هذه الحائل وقد ظهر عليه النور الأبيض .

مُتَضَوِّعُ الشَّامِلِ^(١)؛ مُنْسَابُ الْمَاءِ، مُنْجَابُ السَّمَاءِ^(٢)؛ وَالْغُصُونُ مُتَأَوِّدَةٌ
الْأَعْطَافُ^(٣)، دَانِيَةُ الْجَنَى وَالْقَطَافِ، وَالنَّسِيمُ يَغْبِقُ نَشْرًا، وَالْجَوُّ يَتَأَلَّقُ رَوْنَقًا
وَبَشْرًا؛ فَتَقْصُرُ عَنْهُ أَوْصَافُ ذَوَى^(٤) الْإِنْصَافِ:

وَالزَّهْرُ حَيَّانًا بِشَعْرِ بِاسِمٍ وَالنَّهْرُ قَابِلَنَا بِقَلْبٍ صَافِي
وَلَا لِي الْأَنْدَاءُ^(٥) فِي الْغَدِيرِ غَرْفِي، وَدَمُوعُ النَّهْرِ لَا تَرْفَعَا^(٦)؛ وَالزَّهْرُ
يَسْقُطُ، وَأَكْفَ الرِّيحِ تَكْتَبُ، وَالْغَامُ يُنْقِطُ:

كَأَنَّ أَكْفَ الرِّيحِ تَكْتَبُ أُسْطَرًّا عَلَى النَّهْرِ إِلَّا أَنَّ أَحْرَفَهَا زُرْقُ
فَتَحْنِي عَلَيْهِنَ الْغُصُونُ قُدُودَهَا لَتَقْرَأَهَا جَهْرًا مِنَ الْوَرَقِ الْوَرَقِ^(٧)
وَالْوَرَقَاءُ تَهْتَفُ لَفَقْدِ إِنْفِ نَازِحٍ، فَتَهْيِجُ شَجْوُ الْجَادِّ وَالْمَازِحِ:

[٥]

رُبَّ وَرَقَاءٍ هَتَوَفٍ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفًا وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ شَجْوًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فُبَكَائِي رَبِّمَا أَرْقَهَا وَبُكَاهَا رَبُّمَا أَرْقَنِي
فَإِذَا تَبَدَّدَنِي أَسْعَدَهَا وَإِذَا أَبْدَوْهَا تُسْعِدُنِي^(٨)
وَلَقَدْ تَبَكَّيَ فَمَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ أَبْكَيْتُ فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالشَّجَا أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالشَّجَا تَعْرِفُنِي

(١) التَضَوُّعُ: انْتِشَارُ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ. وَالشَّامِلُ: جَمْعُ شَمَالٍ وَهِيَ الرِّيحُ. أَيْ أَنَّ الرِّيحَ
تَنْبُثُ مَعْطَرَةً بِأَرْيَاحِ هَذَا الرُّوضِ.

(٢) كَذَا فِي ط. وَمَنْجَابُ السَّمَاءِ، أَيْ سَمَاوُهَا صَافِيَةٌ. وَفِي ت: «مَنْجَابٌ».

(٣) مُتَأَوِّدَةٌ: تَهْتَزُّ وَتَمِيلُ. وَالْأَعْطَافُ: جَمْعُ عَطْفٍ، وَهُوَ الْجَانِبُ.

(٤) فِي ت «ذِي».

(٥) كَذَا فِي ت. وَفِي ط: «الْأَنْوَاءُ». وَهِيَ النُّجُومُ، وَقَدْ يَرَادُ بِهَا الْمَطَرُ.

(٦) لَا تَرْفَعَا (بِالْهَمْزِ وَسَهْلٍ): لَا تَسْكُنُ.

(٧) الْوَرَقُ: الْحَمَامُ؛ الْوَاحِدَةُ: وَرَقَاءٌ.

(٨) أَسْعَدَهَا: أَعْيَنَهَا عَلَى الْبُكَاءِ.

فَأَكْرَمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ طَوْقٍ ، عَبَّرَتْ عَمَّا فِي ضَمِيرِهَا مِنْ جَوْىٍ وَشَوْقٍ ،
فساقت لواعج الأفكار أى سَوْقٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّبِّ فَرْقٌ ، عِنْدَ ذَوَى الذَّوْقِ :

وَتَرَنَّتْ ذَاتُ الْجَنَاحِ بِسُحْرَةٍ بِالْوَادِيَيْنِ فَهَيَّجَتْ أَشْوَاقِ
وَرَقًا تَعَلَّمَتِ الْبُسْكَاءُ الْبَثَّ مِنْ يَعْقُوبَ وَالْأَلْحَانَ مِنْ إِسْحَاقِ^(١)
أَنَّى تَضَاهِينِي هَوًى وَصَبَابَةً وَأَسَى وَفَرَطَ جَوْىٍ وَفَيْضَ مَا قَى^(٢)
وَأَنَا الَّذِى أُمِلِّى الْهَوَى مِنْ خَاطِرِي وَهِيَ الَّتِى تُنْمَلِي مِنَ الْأَوْرَاقِ

فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ تَمْزِيقِ ذَلِكَ الْإِهَابِ ، وَحُصُولِ شَمْلِهِ فِي يَدِ الْإِتِهَابِ ،
وإنشاد لسان حاله عند الذهاب :

أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ^(٣) يَكُرَّانِ مِنْ سَبَبَتْ عَلَيْكَ إِلَى سَبَبَتْ
فَقُلْ لَجْدِيدِ الْعَيْشِ لَا بُدَّ مِنْ بَلَى وَقُلْ لِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لَا بُدَّ مِنْ شَتٍّ^(٤)
وهكذا الدنيا إخلاء وإمرار ، وإقرار وإنكار^(٥) ، وإعلان وإسرار ؛
تَعَفَّى كُلُّ رَبْعٍ عَامِرٍ^(٦) ، وَتَبَدَّدَ شَمْلُ كُلِّ مَأْمُورٍ وَأَمْرٍ :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّاجِينَ إِلَى الصِّفَا أَنْيَسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ^(٧)
بعدما نَعِمْنَا بِرُءُوسِهِ مِنَ [الزَّمَانِ ، فِي ظِلَالِ^(٨)] الْأَمَانِ ؛ وَقَطَعْنَا نُبْذَةً مِنْ

(١) يعقوب : هو يعقوب النّبى والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وإسحاق : هو

ابن إبراهيم الموصلى ؛ من شيوخ المغنين فى الدولة العباسية .

(٢) تضاهينى : تشاكينى . والمآقى : مجارى الدموع من العيون .

(٣) فى ت : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ » .

(٤) شت : تفرق .

(٥) فى ط : « وَإِنْكَارٌ وَإِقْرَارٌ » .

(٦) تعفى : تطمس وتغير ، والرّبع : المنزل والدار .

(٧) الحجّون والصفا : جبلان بمكة . وهذا البيت لعمر بن الحارث بن مضا .

(٨) زيادة عن ت .

الشباب ، في مواطن الأحباب ؛ ما بين دراسة ودراسة ورواية ، وممارسة أمور
تُبعد عن طرق الغواية ؛ وتخبير طُروس ، وملازمة دروس ، ومثول بين يدي
أشياخ مجالستهم نامية الفُروس ؛ وخصوصاً شيخهم الذي [فضله ^(١)] لا يفتقر إلى
دلاله ، عَمَّنَا مُفْتِيهَا سِيدِي سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُقَرِّي ، شَكَرَ اللَّهُ خِلَالَهُ ، فهو شيخ
أولئك ^(٢) الأعلام الذين وَرِثُوا الْعِلْمَ عَنْ غَيْرِ كَلَالَةٍ ^(٣) ، وَعَمَرُوا رُبُوعَ الْمَجْدِ ،
وَتَقَيَّئُوا ظِلَالَهُ ، وَأَرْشَدُوا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى ، وَأَزَاخُوا عَنْ الضَّلَالَةِ ، وَعَمَّرَتْ
أَرْضُهُمْ بِكُلِّ مَجْدٍ وَجَلَالَةٍ ، وَإِنْ نَبَتْ ^(٤) بِي لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ ؛ فَأَهَّا عَلَى
ذَلِكَ الْعَصْرِ مَا أَبْهَاهُ وَأَجْلَهُ ! وَأَتَمَّهُ وَأَكَمَّهُ ؛ عَصْرِيكَادُ يُكَلِّمُنَا فِيهِ الْجَمَادُ ،
وَتَرَوْنَا الثَّمَادَ ^(٥) ؛ وَتُحْيِيْنَا الْعَشِيَّاتِ وَالْبُكْرَ ، وَلَا تَنْتَابُنَا التَّعَلَّاتِ وَلَا الْفِكْرَ ؛
فَإِنْ سَأَلْنَا فَعَمَّنْهُ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَإِنْ صَرَّحْنَا أَوْ كَنَيْنَا ، فَغَنَى حِمَاهُ وَعَقِيقَةُ :

نُسَائِلُ عَنْ ثُمَامَاتٍ بِحَزْوَى وَبَانَ الرَّمْلُ يَعْلَمُ مَا عَنَيْنَا ^(٦)
وَقَدْ كُشِفَ الْغِطَاءُ فَمَا نُبَالَى أَصَرَّحْنَا بِذِكْرِي أَمْ كَنَيْنَا
وَلَوْ أَنِّي أَنَادَيْتُ يَا سُلَيْمَى لَقَالُوا مَا أَرَدْتَ سِوَى لُبِّي
أَلَا لِلَّهِ طَيْفٌ كَانَ يَسْقِي بِكَاسَاتِ الْكَرَى زُورًا وَمَيْنَا
فَأَمْسِينَا كَأَنَّا مَا افْتَرَقْنَا وَأَصْبَحْنَا كَأَنَّا مَا التَّمَّيْنَا [٦]
وَكُنَّا نَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَدُورُ ، وَأَنَّ الْأَعْجَازَ صُدُورُ ، وَالْأَهْلَةَ بُدُورُ ؛

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « هؤلاء » .

(٣) عن غير كلاله : أي باستحقاق . وفي ت : « لا عن كلاله » .

(٤) في ت : « نفت » .

(٥) الثماد (ككتاب) : جمع ثمَد ، وهو الماء القليل .

(٦) الثمام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوى (بالضم) : جبل من جبال الدهناء .

والبان : الكتيب من الرمل .

حتى ضرب الدهرُ ضَرْبَانَهُ^(١) ، وبَدَّدَ الرَّفِيقُ مِنْ ذَلِكَ الْفَرِيقِ وَأَبَانَهُ ؛ فَلَمْ تَتَأَوَّدْ
قُدُودُ الْأَغْصَانِ ، وَلَمْ تَتَرَنَّحْ أَعْطَافُ الْبَنَانِ ؛ وَانْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ ، عَنْ مُوَاصَلَةِ
الْجِيرَانِ وَالْأَحْبَابِ ؛ الَّذِينَ :

جَرَى^(٢) بَعْضُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَبَعْضُهُمْ شِمَالاً وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ مُتَوَزِعٌ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى بَلِيلٌ وَقَدْ مَضَتْ مُحَوَّلُهُمْ أَيْ الْفَرِيقَيْنِ أَتُبَعُ ؟
وَهَآنَا الْآنَ أُحَاوِلُ إِطْفَاءَ لَهَبٍ بِالضُّلُوعِ وَقَدْ^(٣) ، وَأُعَالِجُ أَدْوَاءَ سُقْمٍ جَلٍّ
وَكَيْفَ لَا وَقَدْ :

رُوِّعَتْ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ بِهِ وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضْنُ بِهِ^(٤) إِلَّا رَمَاهُ بِفَقْدٍ أَوْ بِهِجْرَانٍ
وَفِي هَذَا التَّارِيخِ الْغَرِيبِ ، وَرَدَتْ كُتُبٌ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ حَرَكَتْ شَجْوُ
الْغَرِيبِ ؛ وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِمْ ، وَالتَّوَقُّعُ إِلَى مَا يَرِدُ مِنْ تِلْقَائِهِمْ ، يَقْتَادَانِ
الْقَلْبَ بِزِمَامٍ فَيَنْقَادُ ، وَيُوقِدَانِ نَارَ الْوَجْدِ بَيْنَ الضُّلُوعِ أَيْ إِيقَادُ :

هِيَ الدَّارُ لَا أَصْحُو بِهَا عَنْ عِلَاقَةٍ [لِأَمْرِ لَنَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضْمَرٍ
فَجَادَ عَلَى أَرْجَائِهَا الْغَيْثُ إِنَّهَا مَنَازِلُ جِيرَانِ كَرَامٍ وَمَعْشَرٍ^(٥)
وَكَانَ مِنْ مُجْلَمَةِ فُصُولِهَا ، وَفُرُوعِ أَصُولِهَا ؛ طَلَبُ التَّعْرِيفِ وَالْإِلْمَامِ ، بِيَعِضِ
أَحْوَالِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ ، قَاضِي الْأُتُمَةِ وَعِلْمِ الْأَعْلَامِ ، عُمْدَةُ أَرْبَابِ الْحَاوِزِ وَالْأَقْلَامِ ،
وَمَفْخَرِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ ، ذِي الْفَضَائِلِ الَّتِي اسْتَقَلَّتْ رِسْمُهَا^(٦) ، فَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى إِعْمَالِ

(١) ضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه .

(٢) في ت : « حذا » .

(٣) وقد : انقذ واشتعل .

(٤) في ت : « أظن » ، وهو تحريف .

(٥) ما بين القوسين ساقط في ت .

(٦) استقلت : علت فبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهي الآثار التي لا ظل لها .

الأعلام^(١) ؛ والمحاسن التي بهّرت أقماراً وشموساً ، سيّدى أبى الفضل عياض
ابن موسى ؛ الشهير الصّيت في كل قطر ، صبّ الله على مثواه من الرّحمات
شأيب القطر :

فهو الإمام الذي سارت مآثره في الشرق والغرب سير الشمس والقمر
وكم له من تأليف قد اشتهرت بكل قطر فسلّ تنبيك عن خبر
قلت : مالى بهذا الأمر يدان ، ولو أيدنى كل قاص ودان ؛ وماذا عسى
أن أصف من جلالته يتهلّل بشرها ، وجزّالة يتضوّع نشرها ؛ وبلاغة تبدّ بلاغة
سحبان ، وبراعة تقاعس عن رتبها^(٢) الشّيب والشبان ، وعلم أظهر غوامض
الحقائق وأبان ، وحلم أرسخ من رضوى وأبان^(٣) ؛ ومحاسن ، ماؤها غير آسن ،
وحلى ، حازت مراتب العلى ، ومصنّفات ، مقرّطات مُشَنَّفَات^(٤) ، أعلاقي
لا تعدّها الأئمان ، ولا تُشدّ على مثلها الأيمان^(٥) .

على أنى لست من رجال هذا المجال ، ولا من فرسان ميّدان الإحسان ؛
إذ الباع قصير ، والعقل بقواعد العلم^(٦) غير بصير ؛ والقلب حليف أشجان
وأوصاب ، والفكر أليف غصص تجرّع منها جنى حنظل أو صاب^(٧) ؛

(١) الأعلام : العلامات يهتدى بها في الطريق ؛ الواحد : علم .

(٢) في ت : « وثبتها » .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة . وأبان : جيلان ، الأبيض والأسود ، بينهما نحو فرسخ ،
الأبيض لبني جريد من فزارة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن نعلبة . (انظر
معجم ما استعجم للبكري) .

(٤) مقرّطات : ذات أقراط . ومشنّفات ذات شنوف ، وهي الأقراط توضع في
أعلى الآذان .

(٥) الأيمان : جمع يمين ، وهي اليد اليمنى .

(٦) في ت : « العلوم » .

(٧) الصاب : شجر مر .

لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر^(١) إلا في همٍّ أو هول ؛ إلى ما دهم من الفتن ،
التي تحت مبالدهر^(٢) من ازديان ؛ وطرق من الحن ، التي يُغنى عن خبرها العيان ؛
فتنوّعت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكثر الترداد ، من الخطوب ذات
الجموع والأفواج ؛ وتفاقم وازداد ، هول بحورها المتلاطمة الأمواج :

حللنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصابيا^(٣)
وعصر رجونا منه إبداء منحة فأبدي ولكن منحة ومصابيا^(٤)
وما حال من قرت^(٥) المصاب عيونه دموعا وجوانحه جوى ، ورمته
النوائب^(٦) عن قسي النوى ؛ نخلع على الكواكب كراه ، وبرج به الشوق
وبراه . وقطع ودج^(٧) صبره وفراه^(٨) ، واعتراه من دهره ما اعتراه ، وضاعف
ما به كذب حاسد^(٩) افتراه ؛ يأكل المحاسن ، ويجهل بمساويه أن يحاسن ؛
ويعيد الحق باطلا ، والحالي عاطلا ؛ ويقلب المنحة منحنه ، ويرى المصافاة
إحنه ؛ يختال مخاتلة الذيب ، ويكدر مناهل الخلوص والتهديب ، ويقابل الحق

(١) في ت : « ولا فكر » .

(٢) في ت : « إلى فادح من الفتن التي تحت هابا الدهر » . وهو تحريف .

(٣) الكسير : المكسور . والعصاب : جمع عصابة ، وهي ما يلف حول الجيرة ونحوها .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

وعصر رجونا أن يجود بمنحة وإدراك آمال فأسدى المصابيا

(٥) كذا في ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفي ت :

« وقرت » . ووقرت ، أي حملت (بالتضعيف) . والمعروف في هذا المعنى : أوقر .

(٦) في ط : « ورمته سهام النوائب » .

(٧) كذا في ط . والودج (محرّكة) : عرق في العنق . وفي ت : « وجد » .

(٨) فراه : قطعه .

(٩) في ت : « خاسر » .

الواضح بالتكذيب ؛ ويشغل بما لا يعنيه ، ويُعرض عما يقربه إلى ربه
ويُزلفه ويدنيه^(١) :

لى حيلة فيمن ينمّ وليس للكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو لُ خيلتي فيه قليله
إلى الله المشتكى من هذا وأضرابه ، ممن لم تصف موارد شرابه :
مضت أعمارنا ومضت سنونا ولم تظفر بذى ثنّة يدان
وجربنا الزمان فلم يُفدنا سوى التخويف من أهل الزمان
ولا غرو أن كان لأهل الزمان به اشتباه ، والله قول بعض أهل الذكاء
والتيقظ والاتباه :

والناس مثلُ زمانهم قدوا^(٢) الخداء على مثاله
ورجال دهرك مثل دهرك فى تقلبه وحاله
ولذا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجله
أستغفر الله ، هذه نفثة مَصْدُور ذى ألم ، أو هقوة مغمور ساعدها طغيان القلم :
نذمُ زماناً ما له من جناية ونشكوه لو تُغنى عن المرء شكواه
ولا ذنب فينا للزمان وإتما جدينا فعوقبنا بما قد جنيناه
هو القدر الجارى على الكره والرضا فصبراً وتسليماً لما قدر الله
ونفوسنا أولى باللوم ، لو سلكنا سبيل خيار القوم ؛ واقتفينا سنن التقوى ،
وتمسكنا بحبل التوفيق الأقوى :

(١) فى ت : « يقربه لربه زلفى ويدنيه » .

(٢) كذا ط ولعلها محرفة عن : « حذو » أو « قد » وكلاهما مصدر بمعنى قطع
الشيء على مثال شىء آخر .

وما دارنا إلا مَوَاتٌ لَوْ أَنَّنَا نُنْفَكُّرُ وَالْآخِرَى هِيَ الْحَيَوَانُ
 شَرِينَا^(١) بِهَا عَزًّا بِهُونٍ جِهَالَةً وَشَتَانٍ عَزٌّ لِلْفَقَى وَهَوَانُ
 وَحَقٌّ لِمَنْ عِلْمٌ تَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ ، أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمرِهِ
 فِيمَا يُوصِلُهُ إِلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ الْمُتَمِّمِ وَغُرُفَاتِهِ :
 لِلدَّهْرِ قَوْسٌ لَا تَزَالُ سِهَامُهَا تُضْمِي الْأَنَامَ أَصَاغِرًا وَأَكْبَرًا
 طُوبَى لِمَنْ هَجَرَ الْقَبِيحَ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ مُثَابِرًا
 جَعَلَنَا اللَّهُ تَمَنُّ ثَابِرًا عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ ، وَبَلَغَ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ غَايَةَ التَّامِيلِ .

[٨] وَحِينَ وَرَدَ عَلَيَّ هَذَا الْخِطَابُ الَّذِي تَقَدَّمَ ، وَأُلْفَى رُكْنُ الْإِصْطِبَارِ كَادَ يَتَهَدَّمُ
 أَوْ تَهَدَّمُ ؛ أَضْرَبْتُ عَنْ جَوَابِهِ حِينَئِذٍ مِنَ الدَّهْرِ ، وَمَا طَلْتُ مُقْتَضَى دِينِهِ مِنْ
 يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ ، وَمِنْ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ ؛ وَالْأَرْضُ تَمِيدُ اضْطِرَابًا وَاجْتِلَالًا ، وَالْأَحْوَالُ
 تَزِيدُ دَنَفًا وَاجْتِلَالًا ؛ وَأَنَا أَحُومُ عَلَى مَنَازِلِ الْجَوَابِ حَوْمًا ، وَأُرُومُ الْوُرُودِ فِي
 مَسَارِبِهَا الْعَذْبَةِ يَوْمًا فَيَوْمًا ؛ وَالْأَيَّامُ لَا تَسْمَحُ بِنَهْلِهِ ، وَلَا تَفْسَحُ^(٢) إِلَيْهَا فُسْحَةً ،
 وَلَا تَوْسِعُهَا مُهْلَةً ؛ ثُمَّ وَقَعَ الْعَزْمُ وَالتَّصَمُّيمُ عَلَى جَوَابِ هَذَا السَّائِلِ ، رَاجِيًا مِنْ
 اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ وَأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ ؛ وَدَخَلْتُ مِنْ هَذَا
 الْبَابِ بَعْدَ أَنْ قَرَعْتُ ، وَأَخَذْتُ فِي هَذَا الْغَرَضِ وَشَرَعْتُ ، وَشَرَبْتُ مِنْ مَاءِ
 التَّصْنِيفِ وَكَرَعْتُ ، وَبَذَرْتُ فِي أَرْضِ التَّأْلِيفِ وَزَرَعْتُ ، هَذَا^(٣) مَعَ أَنِّي
 مَا مَهَّرْتُ وَلَا بَرَعْتُ ؛ وَلَا أَتَقَنْتُ لِصِنَاعَةِ التَّأْلِيفِ عَمَلًا :

لَكِنْ قُدْرَةٌ مِثْلِي غَيْرُ خَافِيَةٍ وَالنَّمْلُ يُعْذَرُ فِي الْقَدْرِ الَّذِي حَمَلَهُ
 وَكَثِيرًا مَا خَرَجْتُ مِنَ الشَّيْءِ إِلَى مَا يَنَاسِبُهُ وَيَدَانِيهِ ؛ وَرَبَّمَا أَبْعَدْتُ

(١) شَرِينَا (هنا) : بَعْنَا .

(٢) فِي ت : « تَفْتَحُ » .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ « هَذَا » : سَاقِطَةٌ فِي ت .

النَّجْعَةُ^(١)، ثم وقعت الأوبة والرَّجْعَةُ ؛ على رَغَمِ أَنْفِ قَالِي ذَلِكَ وشانيه ،
 وقَرَّبَتْ بِذَلِكَ كُلَّهُ شاسِعاً ، كي تسهل مئُونته على مُعَانِيهِ ، وهَصَرَتْ أَفْنَانُ
 أَلْفَاظِهِ وَمُعَانِيهِ ؛ لِيَقْرُبَ اقْتِطَافُهُ لَجَانِيهِ ؛ وسميته^(٢) « بأزهار الرياض ، في أخبار
 عياض ، وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض » ؛ تسمية وافقت إن شاء الله
 مَعْنَاهُ ، وناسبت منزله وَمَعْنَاهُ ؛ لأنه جمع أزهار ذات ألوان ، من وَرْدٍ وَأُخْوَانٍ ؛
 وبَهَارٍ^(٣) ، عَرَفُهُ ذُو اتِّشَارٍ^(٤) ؛ وَمَنْشُورٍ ، روضه مَرِيْعٌ^(٥) مَمْطُورٌ ، ونِسْرَيْنِ^(٦) ،
 يَفُوقُ أَرْجَهُ مِسْكُ دَارِينِ^(٧) ؛ وآس^(٨) ، عاطر الأنفاس ؛ وشَتِيقٌ^(٩) ، خَلِيقٌ
 بِالْمَدْحِ حَتِيقٌ ؛ وَنِيلُوفَرٌ^(١٠) ، حاز من المحاسن النصيب الأوفر ؛ وأُجْرِيْتُ
 جداول أنهار ، من الحكايات لسَقَى هذه الأزهار ؛ فأينع النوار ، وتألقت الأنوار ،
 وتفنن الناظر بين أنجاد وأغوار ، ولم يَذِرْ وقد انتقل من أطوار إلى أطوار ،
 وتأمل صَرَحاً^(١١) بُنِيَ عَلَى غَيْرِ [شفا]^(١٢) [جُرْفٍ هَارٍ :

أَضِيَاءُ هَدَى أُمَ ضِيَاءِ نَهَارٍ وَشَذَا الْمَحَامِدِ أُمَ شَذَا الْأَزْهَارِ

- (١) النجعة (بضم النون) : الارتياح والطلب .
- (٢) كذا في ت وهو موافق للمصدر الذي بعده . وفي ط : « ووسمته » .
- (٣) الأقبحوان : نبت طيب الريح ، له نور أبيض كأنه نغر جارية حديثة السن ، وهو البابونج بالفارسية . والبهار : نبت جمع له فقاحة صفراء ، طيب الرائحة .
- (٤) في ت : « ذو اشتهار » .
- (٥) مريع : خصيب .
- (٦) النسرَيْن (بكسر النون) : ورد أبيض عطري الرائحة .
- (٧) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . (عن معجم البلدان) .
- (٨) الآس : الريحان .
- (٩) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود . وفي ط : « والشقيق » .
- (١٠) النيلوفر (بفتح النون المشددة وكسرها) : نبات مائي ، له ساق أملس ، فاذا ساوى سطح الماء أوردق وأزهر زهراً أبيض ، وسطه زعفراني اللون .
- (١١) في ت : « سرحا » بالسین .
- (١٢) زيادة عن ت .

وقد أفصح تَرْجُمان التراجم عن عدّها^(١) وسَرَّدها ، ولوَّح لُنُكْتة الاختتام بنيالوفرها والافتتاح بوَرَّدها .

وهي هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، في أولية هذا العالم الفرد .

الثانية : روضة الأخوان ؛ في ذكر حاله في المَنشأ والعُنْفوان .

الثالثة : روضة البهار ، في ذكر جملة من شيوخه الذين فضَّلهم أظهر من شمس النهار .

الرابعة : روضة المنثور ، في بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة النَّسرين ، في تصانيفه العديدة النظير والقرين .

السادسة : روضة الآس ، في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس أجرحه من آس .

[٩]

السابعة : روضة الشَّقِيق ، في جَمَل من [فوائده ، ولَمَع من^(٢)] فرائده ، المنظومة نظم الدرِّ والعقيق .

الثامنة : روضة النيوفر ، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي أعطر من المسك الأذفر .

فدونك أيها الناظر^(٣) روضاتِ أزهار ، وجناتٍ تجري من تحتها الأنهار ؛ أبوابها ثمانية ، وقُطوفها دانيه ؛ تعطر منها نسيم الصَّبَا بزهر الآداب ، وسما إلى

(١) في ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « أيها الأخ الناظر » .

مَحَاسِنُهَا مِنْ تَعَلَّقَ مِنَ التَّارِيخِ بِأَهْدَابِ^(١) ؛ لَمْ أُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهَا فِيمَا رَأَيْتُ ، وَإِنْ
بَعُدَتْ فِيهَا عَنِ الْمَهْمَعِ الْمَطْرُوقِ وَنَأَيْتُ ؛ وَالْإِنْسَانُ مُغْرَمٌ^(٢) بِبُنْيَانَاتِ أَفْكَارِهِ ،
وَإِنْ قُوبِلَ مَا صَدَرَ مِنْهُ بِإِنْكَارِهِ ؛ وَقَدْ أَشْدَّتْ بِلِسَانِهَا ، مَخَاطِبُهُ مِنْ رِضَى
بِإِنْتِسَابِهَا وَانْتِحَالِهَا :

سَرَّحْ جُفُونَكَ فِي الْحَدَا ثَقِ وَأَجْنِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ
مِنْ وَرْدٍ أَحْمَرَ أَوْ شَقَا ثَقِ أَوْ بِهَارٍ ذِي بَيَاضِ
وَأَشْرَبْ بِكَاسَاتِ الرَّقَا ثَقِ مِنْ عُيُونٍ أَوْ حَيَاضِ
وَانْظُرْ مَنَاقِبَ ذِي الْحَقَا ثَقِ عَالِمَ الدُّنْيَا عِيَاضِ

وَإِكَرْعْ بِنَاءَ التَّعْرِيفِ زُلَالَا ، وَأَدِرْ كَأْسَ التَّشْرِيفِ حَلَالَا ؛ وَأَرَوْ مِنْ هَذَا
النَّهْرِ ، وَاقْطِفْ مَا شَتَّتْ مِنْ أَصْنَافِ الزَّهْرِ ؛ وَأَخْطِرْ هَذِهِ الرُّوْضَةَ بِبَالِكَ ، وَأَدِرْ
إِلَيْهَا وَجَهَ قَبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ؛ فَمَوْلَفُهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِمُصِيبٍ ، وَلَا مِمَّنْ لَهُ فِي
الْإِجَادَةِ حَظٌّ وَافِرٌ وَلَا نَصِيبٌ^(٣) ، فَمَنْ أَلْفَتْ فِيهِ تَحَسُّنٌ بِإِحْسَانِهِ وَتَنَالُ^(٤)
الْمَرْعَى الْخَصِيبَ :

سَلَامٌ مِثْلُ عَرَفِ الْمِسْكِ طَيِّبَا وَحُسْنًا مِثْلُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ
عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ وَالْمَعَالَى إِمَامِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عِيَاضِ^(٥)
إِذَا مَا قَيْسٍ بِالْعَلَمَاءِ طُرَا غَدَا بِحَجْرًا وَأَخْضَا كَالْحَيَاضِ

(١) في ت : « قطعاً إلى محاسنها من تعلق من التاريخ بالأهداب » . وهي
ظاهرة التحريف .

(٢) في ت : « يقرع » وهو تحريف .

(٣) في ط : « وافر ونصيب » .

(٤) أشير في هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي : « وترعى » .

(٥) رواية الشطر الثاني من هذا البيت في ت : « ومعنى المجد والعليا عياض » .

وكنت حين شرعت في هذا المجموع السامى ، وأطلعت على بعضه صاحبنا
 الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرّحال ، أبا الحسن سيّدى على بن أحمد الخزرجيّ
 الشامى ، حفظ الله كماله ، وبلغه آماله ، خاطبني بقصيدة من نظمه ، أسماه الله ،
 ألم فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفُ خلاله ، وكرمُ جلاله ؛ وأشار فيها
 إلى نقض عزم الرّحلة التي نوّيت إذ ذاك ^(١) للمكان الشريف ، لا حرّما ^(٢) الله
 من ^(٣) مشاهدته عن قرب ، في حفظ وعافية ، بمَنه ويُمْنه . وهى هذه ، وأنشدنيها
 من لفظه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلى ، شكر الله صنيعة :

أَمْفَتَى الغرب أَبْدَعْتُمْ طَرَاظًا نَثَرْتُمْ فِيهِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ ^(٤)
 وَنَظَّمْتُمْ عُقُودًا مِنْ لَالٍ لِحَيْدِ حُلَى اللَّائِثِ مِنْ عِيَاضِ
 وَأَوْرَقْتُمْ غُصُونَهُ لَمَّا سَقَاهَا فِكْرُكُمْ سَقَى الْحِيَاضِ ^(٥)
 وَتَمَقَّتْ مَطَارِفُ مَا رَأَيْنَا كَطُرَّتْهَا سَوَادًا فِي بَيَاضِ ^(٦)
 وَنَادَيْتُمْ عَقَائِلَهُمَا فَذَلَّتْ شَوَاسِئُهَا إِلَيْكُمْ بَارِئِيَاضِ ^(٧)
 وَأَسْتَسْتَمُ مِنَ الْآثَارِ طُرًّا قَوَاعِدَ لَا تُسَاوِمُ ^(٨) بَانْتِقَاضِ
 لَكَ التَّبَرُّيزُ فِي الْعُلَيَاءِ فَاقْضِ عَلَى عُلَمَائِهَا مَا أَنْتَ قَاضِي

[١٠]

(١) فى ت : « ذلك » .

(٢) فى ت : « لا أحرّما » .

(٣) المسموع أن الفعلين (حرم ، وأحرم) يتعديان بنفسهما إلى مفعولين .

(٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .

(٥) جاء بالفعل « أورق » هنا متعديا ، وهو لازم .

(٦) الطرة : نقش فى الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .

(٧) العقائل : جمع عقيلة ، وهى النجيبية الكريمة ، والشوامس : جمع شامسة ، وهى المتنعة .

(٨) كذا فى ط . ولا تساوم بانتقاض ، أى لا يطمع فى نقضها ، من المساومة ، وهى المجاذبة بين البائع والمشتري . وفى ت : « لا تسام » ، إلا أن الوزن لا يستقيم بها .

تَبَدَّيْتُ بِهَا بَدْرًا وَخُرْتُمْ خِصَالِ سَبَاقِكُمْ^(١) دُونَ اعْتِرَاضِ
 نُعَيْتُمْ بِالْكَمَالِ بَغَيْرِ عَطْفٍ وَكُلُّهُمْ بِذَلِكَ التَّمَنَّتِ رَاضِي
 وَمَا وَفَّوْا بِحَقِّكُمْ وَلَكِنْ يُؤَدِّي الْبَعْضُ مِنْ بَعْضِ افْتِرَاضِ
 بِعِلْمِكُمْ شَفِيتُمْ أَرْضَ غَرْبٍ وَكَانَتْ ذَاتَ أَحْشَاءٍ مَرِاضِ
 وَلَمَّا أَنْ بَدَأَ مِنْكُمْ فِرَاقٌ تَوَقَّعْتَ أَنْ يَثُولَ إِلَى انْقِرَاضِ
 وَأَنَّ نَجُومَهَا بِالْبُعْدِ يُحْشَى عَلَيْهَا مِنْ سُقُوطٍ وَأُنْقِضَاضِ
 فَأَرْسَلَ شَافِعًا خِلًّا حَشَاءَ بِهَذَا الْبُعْدِ أُمِّتَ فِي انْقِضَاضِ
 يُذَكِّرُكُمْ لِيَالِي تَيَّارٍ بِأَنْسَكُمْ تُنِيرُ دُجَى الْمُضَاضِ^(٢)
 يَوَدُّ الطَّرْفُ يَجْعَلُهَا اكْتِحَالًا مَكَانَ سَوَادِهِ دُونَ اغْتِرَاضِ
 بِحَقِّ اللَّهِ لَا تَبْدِي دُجَاهَا بَغِيَّةً بَدْرُكُمْ بَعْدَ اتِّمَاضِ^(٣)
 وَلَا تَهْمِلْ شَفَاعَةَ مُسْتَهَامٍ صَدُوقِ الْوُدِّ فِي آتٍ وَمَاضِي
 وَدُمْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا إِمَامًا وَبَحْرَ هُدًى عُلُومِكُ فِي افْتِيَاضِ
 يَعْصِمُ الْأَرْضَ مَا لَاحَتْ^(٤) بُدُورُ وَمَا فَاحَتْ أَزَاهِرُ فِي رِيَاضِ
 يَكْرَعُ مِنْهُ الْمَمْلُوكُ عَلًّا وَنَهْلًا، وَيَضْرَعُ فِي الْجَوَابِ رِفْعًا لَا قَوْلًا؛ وَيُعِيدُ
 السَّلَامَ التَّامَّ، الزَّكَاةَ الْعَامَّةَ، عَلَى الْمَجْلِسِ الْعِلْمِيِّ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ .
 انْتَهَى مَا كَتَبَ بِهِ صَانَهُ اللَّهُ، وَأَضْفَى عَلَيْهِ حُلْمَ الْمَجْدِ .

(١) فِي ط : « سَبَاقِهِمْ » .

(٢) الْمُضَاضُ (بِالضَّم) : وَجَعٌ يَصِيبُ الْعَيْنَ (كَأَنَّ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ) ؛ وَيُرِيدُ بِدَجَى
 الْمُضَاضِ : مَا يَجِدُهُ الْمَرِيضُ بِعَيْنَيْهِ مِنْ سَوَادٍ خَالِكٍ .

(٣) اتِّمَاضُ : بَرِيقٌ وَلَعَانٌ ؛ وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنْ وَمَضَ . وَفِي ط « اتِّمَاضُ » ، وَالصَّوَابُ
 مَا أُثْبِتْنَاهُ .

(٤) فِي بَ : « مَا دَامَتْ » .

وقد ذُكرتُ في هذا الكتاب حكايات مختلفة ، وفنوناً مفيدة^(١) ، يَرْدَادُ
الناظر بها معرفة [حَسْباً^(٢)] جَرَتْ بِذَلِكَ عادة كثير من الأئمة في مُصَنَّفَاتِهِمْ ،
ومجالس دَرَسِهِمْ . وقد قال الماوردي ، أَقْضَى القُضَاة في كتاب آداب الدين
والدنيا^(٣) : القلوب تَرْتَاح إلى الفنون المختلفة ؛ وذَكَرَ أَنَّ المأمون كان ينتقل
في قَصْرِهِ من موضع إلى موضع ، ويُنشد قولَ أبي العتاهية :

[١١] لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ مُدْبِرَةً إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ^(٤)

وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العلماء أحبُّ إلى من كثير من الفقه ، لأنها
آداب القوم . وقال الشيخ سيّدنا أبو القاسم الجُنَيْد ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ونفعنا
ببركاتِهِ : الحكايات جُنْدٌ من جنود الله ، يُتَقَوَّى اللهُ بِهَا أَبْدَانُ التَّوَّابِينَ .
وقال الإمام المَوَاقِ^(٥) في كتابه المسمّى «سند المهتدين»^(٦) عن شيخه المَنْتَوَرِي ،
بسندِهِ إلى أبي العباس بن العريف ، قال : كنت في مجلس أستاذي أبي علي
الصَّدَقِ^(٧) أَقْرَأَ عَلَيْهِ الحديث ، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل

(١) في ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بديةة » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما في كتب الفهارس .

(٤) النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير في الأمور .

(٥) كذا في ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم خطيب

غرناطة . وفي ت : « المواق » وهو تحريف .

(٦) كذا في ط . وهو « سند المهتدين في مقامات الدين » . والكتاب محفوظ

بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفي ت : « سنن المهتدي »

وهو تحريف .

(٧) هو القاضي أبو علي حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصديقي السرقسطي ، يعرف

بأبن سكرة وبأبن الدراج . لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييد الحديث

وضبطه ، والعلو في روايته . توفي سنة ٥١٤ هـ . (راجع بغية المتلمس للضبي ،

ونفع الطيب للمؤلف ، والصلة لابن بشكوال) .

يُحْكِي حِكَايَاتٍ^(١) الصَّالِحِينَ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي : كَيْفَ يُجَيِّزُ الشَّيْخُ أَنْ يَقْطَعَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُحْكِي الْحِكَايَاتِ ؟ قَالَ : فَمَا تَمَّ لِي الْخَاطِرُ حَتَّى نَظُرَ إِلَى^(٢) الشَّيْخِ شَرْرًا ، وَقَالَ : يَا أَحْمَدُ ، الْحِكَايَاتُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ يَثْبُتُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَ الْعَارِفِينَ مِنْ عِبَادِهِ . قَالَ : فَمَا بَقِيَ فِي جَسَدِي شَعْرَةٌ إِلَّا قَطَرٌ مِنْهَا الْعَرَقُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ دَهْشَتَ ، قَالَ لِي : يَا أَحْمَدُ ، أَيْنَ مُضْدَاقُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : الشَّيْخُ أَعْلَمُ ؛ قَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الْآيَةُ . انْتَهَى .

وَهَذَا آوَانُ الشُّرُوعِ ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) كَذَا فِي تَوْسِنْدِ الْمُتَهْتِدِينَ . وَفِي ط : « حِكَايَةٌ » .

(٢) كَذَا فِي سِنْدِ الْمُتَهْتِدِينَ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « نَظَرْتُ » .

روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد^(١)

أقول ، وعلى الله أعتمد ، ومن بحر كرمه أستمد : نسب عياض

هذه ترجمة نذكر فيها أصله ومحتدّه ، وأوليته ومولده .

قال الشيخ الإمام الرّحال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى^(٢) ، الملقّب عند الوادى آشى بشمس الدين ، رحمه الله ورّضى عنه :

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمّرون بن عمّرون بن موسى بن عياض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي . هكذا ذكر نسبه الشيخ أبو القاسم الملاحي . وعمّرون ، ثبت عنده بنون بعد الواو .

ووقع في معجم أصحاب الصّدق ، للإمام الشهير القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى ، المعروف بابن الأبار : « عمرو » ، دون نون .

قلت : ونحوه لابن خاتمة^(٣) في الكتاب المسمّى بـ « مزيّة المريّة » ، على غيرها من البلاد الأندلسية .

وقال الشيخ أبو القاسم بن الملجوم : عند ابن الملجوم

إجتاز علينا القاضي عياض عند انصرافه من سبّعة قاصدا إلى الحضرة ، زائراً لأبي بداره^(٤) عشية يوم الاثنين الثامن لرجب ، سنة ثلاث وأربعين وخمس

(١) فيما سبق عند الكلام على تقسيم الروضات (ص ١٧ من هذا الجزء) : « العالم الفرد » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي الموارى ، من أهل المريّة ، كان كفيف البصر ، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب ، وصاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . وقد رحل إلى المشرق في طلب الحديث . والوادى آشى : نسبة إلى وادى آش (ويقال فيه : وادى الأشات) . وهي مدينة جبلية من أعمال غرناطة . (عن نفع الطيب) .

(٣) ابن خاتمة : هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصارى ، من أهل المريّة ، يكنى أبا جعفر . (راجع الإحاطة ونفع الطيب) .

(٤) في ت : « في داره » .

مئة ، وفي هذه العشية استجزته^(١) ، وسألته عن نسبه ؛ فقال لي : إنما أحفظ :
« عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض . وأحفظ أيضا
بعد ذلك : محمد^(٢) بن عبد الله^(٣) بن موسى بن عياض . ولا أعرف أن محمدا هذا
هو أبو عياض أو بينهما أحد » . انتهى كلام ابن الملقوم .

وقوله « اجتاز علينا » يعني بمدينة فاس ، وقوله « قاصدا إلى الحضرة » [١٢]
يعني مراكش .

وأفادني الشيخ العارف المتبتل ، الرباني البركة ، سيدي حسين الزرويلي
أبقى الله بركاته ، وأدام وجوده والنفع به :

نزوله بدار ابن
الغرديس

أن القاضي عياضا ، رضى الله عنه ، لما دخل الحضرة الفاسية ، حاطها الله ،
نزل بدار ابن الغرديس التعلبي^(٤) بزينة حجامه ، حسبا أشار إليه ابن الأحمر ،
ولم تزل هذه الدار إلى الآن بيد أولاد ابن الغرديس .

وقال نجل عياض الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عياض ، قاضي
دانية^(٥) ، على ما قال ابن خلكان ؛ وقاضي غرناطة ، على ما قال^(٦) ابن قنفذ
وغيره . ولعله تولى القضاء فيهما معا رحمه الله ، المتوفى سنة خمس وسبعين
وخمس مئة :

عند ولده محمد

- (١) استجزته : طلبت منه أن يجيزني ، أي يأذن لي بقراءة مؤلفاته ومروياته .
- (٢) كذا في ت ومعجم أصحاب الصدف لابن الأبار ، وفيا سيأتي في الأصلين . وفي ط
هنا : « أحمد » وهو تحريف .
- (٣) لم يذكر ابن الأبار « عبد الله » في أجداد القاضي عياض .
- (٤) هو محمد بن الغرديس قاضي فاس إذ ذاك . (انظر كتاب البستان لابن مريم
طبع الجزائر صفحة ٥٤) .
- (٥) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، على ضفة البحر شرقا . (عن معجم البلدان) .
- (٦) في ط : « ما قاله » .

« كان أبي يقول : لا أدري : هل محمد والد عياض ، أو بينهما رجل ؟ فهو جدّه » . انتهى .

وهو مثل ما حكى ابن الملجوم عن عياض ، كما سبق قريبا .
ورأيت في تاريخ الشمس ابن خلكان ، المسمى بـ « وفيات الأعيان » ،
في تعداد آباء القاضي عياض ، خلاف ما سبق ؛ ولا أدري : هل ذلك تحريف
من الناسخ أو وهم من المؤلف ؟ ونصه : « عياض بن موسى بن عياض بن
موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي » . انتهى .
فأنت تراه قد أسقط « عمرو^(١) » فيما بين عياض وموسى ، وأسقط أيضا
« عبد الله » فيما بين « محمد » و « موسى » .

وقد وافقه على إسقاط « عبد الله » الشيخ العلامة ابن خاتمة في « مزية
المرية » ، فإنه قال في باب العين ما نصه : « ومن الغرباء : عياض بن موسى
ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض
اليحصبي^(٢) » . انتهى .

على أن ابن خلكان وغيره من المشارقة ربما يقع لهم الغلط في تاريخ أهل
المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لا يخفى على من مارس علم التاريخ ؛ كما
أن كثيرا من المغاربة لا يحررون تاريخ المشارقة ، لما ذكرناه ؛ ولذا قال شيخ
الإسلام ابن حجر^(٣) في تأليفه المسمى بـ « إنباء الغمر ، بأنباء العمر » حين عرّف

نبي عن ابن
خلكان وابن
خلدون

(١) الذي في وفيات الأعيان لابن خلكان المطبوع يخالف ما ذكره المؤلف ، إذ فيه :
« عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن
عياض اليحصبي السبتي » بذكر « عمر » في مكان « عمرو » .

(٢) ووافقهما أيضا ابن الأبار في معجمه على إسقاط اسم « عبد الله » من نسب عياض .

(٣) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي ، الشهير بابن حجر العسقلاني ،
المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

بشيخه وليّ الدين بن خلدون الحضرميّ المغربيّ قاضي القضاة المالكية ،
بالديار المصرية ، وهو صاحب التاريخ الكبير المشهور ، الموسوم بـ «ديوان العبر» ،
وكتاب المبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصريهم من
ذوى السلطان الأكبر^(١) « ما نصه :

« وصنف التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ،
وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطالعا على الأخبار على جليتها ، ولا سيما
أخبار^(٢) المشرق ، وهذا^(٣) بين لمن نظر في كلامه » . انتهى .

وأيّن هذا الكلام وقول^(٤) الشيخ^(٥) شمس الدين البغدادى في الشيخ
وليّ الدين عبد الرحمن بن خلدون المذكور ، رحم الله الجميع :

قاضي القضاة ابن خلدون أتى عَجَبًا تاريخه مُخْبِرٌ عن سائر الدُّوَلِ
قالوا وَلَيْ قَلْنَا من كرامته وكشفه جاء مُنْبِئنا عن الأوّل^(٦) [١٣]
وليس بدعا ولا في الله مُمْتَنِعَا أن يجمع العالم الكُلّي في رجل^(٧)
وبالجملة فما ذكرنا أولاً في تعداد آباء القاضي عياض ، رحمه الله ، هو الذي

(١) اسم الكتاب على النسخة المطبوعة ، وفي كشف الظنون ، وفي نفع الطيب :
« كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ... » الخ .

(٢) كذا في ط وإنباء الغمر . وفي ت : « أخبار أهل المشرق » .

(٣) كذا في ط وأنباء الغمر المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ .
وفي ت : « وهو » .

(٤) في ت : « من قول » .

(٥) هذه الكلمة : « الشيخ » ساقطة في ت .

(٦) يشير بقوله : « ولي » إلى لقب ابن خلدون وهو : « ولي الدين » .

(٧) ينظر في هذا البيت إلى قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

عليه المعول ، وعليه أعتمد ولده ، وابن الملجوم ، وابن بشكوال^(١) ، وابن جابر ، وابن الخطيب في « الإحاطة » ، وغير واحد ؛ وكفى بهؤلاء حجة . وناهيك بولده وابن الملجوم ، الذي أخذ ذلك من لفظه ، حسبما سبق آنفا ؛ وهو الصواب الذي لا يُعدل عنه ، والله تعالى أعلم .

والْيَحْصِيّ ، بضم الصاد وكسرهما ، وزاد بعضهم فتحة^(٢) ، ونحوه لابن خلكان ؛ واقتصر بعضهم على الكسر قائلا : وهو الصواب ، بناء على أنها ، أعنى القبيلة ، يَحْصِب ، بكسر الصاد ، كتغلب . ولا أشك أن النسب إليه إن كان بكسر الصاد : يَحْصِيّ ، بالكسر كتغالي^(٣) ؛ وأما ضم الصاد في النسب ، فهو مبنى على أن « يَحْصِب » بضم الصاد^(٤) في الحى . قال ابن سيده في مُحْكَمه : وَيَحْصِب : قبيلة ، وإنما هي يَحْصِب ، يعنى بضم الصاد ، نُقِلَتْ من قولك : حَصَبَه بالخصى يَحْصِيه ؛ قال ابن جابر : وليس بالقوى^(٥) .

ويَحْصِب : من حمير ، وهو يَحْصِب بن مُدْرِك ، حسبما هو مذکور في كتب الأنساب .

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الفضل عياض :

محمد بن عياض
يخبر عن موطن
أجداده

- (١) لم يذكر ابن بشكوال في السلسلة غير : « عياض بن موسى بن عياض اليحصي » .
- (٢) زيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيكون مثلثا ، ونقل الثلاث الجعبرى في شرح الشاطبية ، وابن مالك في مثلثاته ، وغيرها » .
- (٣) يجوز في النسب إلى تغلب ونحوه كسر الثالث وفتحه . وزيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيه نظر يعلم من شرح الشفاء للشهاب . وفي كتب الصرف في التسهيل : الفتح ، وهو الجاري على قواعد النسب وإن كان بالكسر ، كأنه كنمر ونحوه » .
- (٤) في ط : « يعنى بضم الصاد » .
- (٥) أى أن جعل الفعل من باب نصر ليس بالقوى ، وإنما القوى فيه أنه من باب ضرب .

« استقر أجدادنا في القديم بجهة بَسْطَة ^(١) ، من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أدري أكان قبل استقرارهم بالأندلس أم بعده ؟ ولذلك يقول عبد الله بن حَكِيم :

وكانت لهم بالقيروان مآثر عليها لمحض الحق أوضح برهان
قال :

وكان « عمرو » والد جد أبي ، رحمه الله على جميعهم ، رجلاً خيراً صالحاً ، من أهل القرآن ، حجَّ إحدى عشرة حِجَّةً ، وغزا مع ابن أبي عامر ^(٢) غزوات كثيرة ، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سَبْتَة ، بعد دخول بني عُبيد ^(٣) المغرب ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه نباهةٌ بمدينة فاس ، فأخذ ابن أبي عامر رهنماً من أعيان مدينة فاس ، فأخذ فيهم أخوى « عمرو » : عيسى والقاسم ، فخرج عمرو إلى مدينة سَبْتَة . ليقرُب من أخبارها بمدينة قُرطُبة ، فاستحسن سُكنى مدينة سَبْتَة ، وكان مُوسِراً ، فاشترى [بها ^(٤)] أرضاً ، وهي المعروفة بالمنارة ، فبنى في بعضها مسجداً ، وفي بعضها داراً ، حبسها على المسجد ، وهو حتى الآن منسوب إليه ، وحبس باقي الأرض للدفن ، ولم يزل منقطعاً في ذلك المسجد إلى أن مات ، رحمه الله ، سنة سبع وتسعين وثلاث مئة . ووُلِدَ له [١٤] قبل وفاته بيسير ابنه عياض ، ثم وُلِدَ لعياض ابنه موسى ، ثم ولد لموسى ابنه

(١) بَسْطَة : من أعمال جيان . (عن تقويم البلدان) .

(٢) هو المنصور محمد بن أبي عامر المَعافري الوزير الحَاجب في دولة المؤيد هشام بن الحكم المستنصر الأموي . كان من أهل الفقه والحسنة والدهاء ، وأبلى في محاربة الإسبان أعظم البلاء .

(٣) يريد الفاطميين أولاد عبيد الله المهدي .

(٤) زيادة عن ت .

عياض ، أبى ، رحمهم الله أجمعين ؛ وذلك ، فيما رأيته بخطه ، فى النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربع مئة بسبته . انتهى .

والسبتي : نسبة إلى سبته ، مدينة بساحل بحر الزقاق ، مشهورة ، شىء عن سبته واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقليل لانقطاعها فى البحر ، من قولك : سبت النعل : إذا قطعها ^(١) ، وقيل لأن محتطها هو سبت بن سام بن نوح ، وإلى هذا الأخير ينظر قول لسان الدين الوزير الشهير ، العلامة أبو عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي ، رحمه الله ، من قصيدة :

حُيِّتَ يا مُحْتَطَّ سَبْتِ بنِ نوح بكل مُزْنٍ يَغْتَدِي أو يَرْوَحُ
مَعْنَى أبى الفضل عياض الذى أَضَحَّتْ بِرِيَّاهُ رِياضُ ^(٢) تنوح
وفيهما يقول الأديب أبو الحكم مالك بن المرحّل ، من قصيدة طويلة بديعة ^(٣) جداً ، مطلعها :

سَلامٌ على سَبْتَةِ المَغْرِبِ أُخِيَّةٍ مَكَّةَ أو يَثْرِبِ
وفى مَدْحِها يقول أيضاً رحمه الله :
إِخْطِرْ على سَبْتَةٍ وانْظُرْ إلى جَماها تَصْبُو إلى حُسْنِ
كَأَنَّها عُدُودٌ غِناءٌ وَقَدْ أُلْقِيَ فى البَحْرِ على بَطْنِ
وقال الجِجَارى فى المُسَهَّبِ :

« أول من سكن برّ العُدوة وبرّ الأندلس من ولد نوح بعد الطوفان ، سبت وأندلس ابنا ^(٤) يافت بن نوح ، فنزل سبت فى آخر المعمور من برّ العُدوة ،

(١) فى ط : « قطعته » . والمعروف أن النعل مؤنثة .

(٢) فى ت ونفع الطيب : « رياضا » .

(٣) هذه الكلمة « بديعة » ساقطة فى ت .

(٤) فى ط : « ابن » وهو تحريف .

وبنى له منزلاً في موضع سَبْتَة ، فدُعيت ^(١) باسمه ، وتناسَلت منه قبائل البربر ، واتسعت في برّ العُدوة إلى أن بلغت إلى فلسطين ، وكان مَلِكهم يسمى جالوت ، وكان مَجُوسِيّاً ، وهزَمه طالوت ، وقتله داودُ ، فانضَمّت البربر عن فلسطين ، وعن الديار المصرية ، واقتصرت من برّقة إلى آخر المعمور ؛ وسكن أخوه أندلس [مقابلاً له في ^(٢)] انتهاء المعمور ، فعرفت باسمه . انتهى .
وأكثر بلاد العُدوة في الإقليم الثالث ^(٣) ، وفيه حَضَرَتها مَرَاكش ، وما قارب منها الأندلس كسَبْتَة ^(٤) وما قرب منها في الإقليم الرابع .

قال ابن سعيد :

« ولا نُطالب في هذا البر بما صنعناه في الأندلس ^(٥) ، فأهل الأندلس إما عرب أو متعربون ^(٦) ، قد توارثوا قوام اللسان ^(٧) وحافظوا عليه ، وأهل برّ العُدوة إما برّبر أو مُتَبَرِّرون » . اهـ .

وفي وصفها يقول لسانُ الدين بن الخطيب في مَقامة وصف البلدان :
« قلت : فمدينة سَبْتَة ؟ قال : تلك عروس المَجْلَى ^(٨) ، وَثَنِيَّة الصَّباح الأَجَلَى ؛

وصف ابن
الخطيب لسبته

(١) في ت : « فعرفت » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هذا حسب التقسيم الجغرافي القديم . (انظر تقويم البلدان لأبى الفداء ، ومسالك الأبصار للعمرى ، ونزهة المشتاق للإدريسي) .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « وما قاربها منها الأندلس كسبته في الإقليم الرابع » .

(٥) في ت : « في هذا الفن عما صنعنا بالأندلس » .

(٦) كذا في نفح الطيب (ج ١ ص ٦٣ طبع مصر) . وفي الأصلين : « فكان أهل الأندلس إما عرب أو متعربون » .

(٧) كذا في نفح الطيب وفي ط : « أقوام الأندلس » . وفي ت : « قدام الأندلس » ولا يستقيم بهما الكلام .

(٨) في ط : « مجلى » .

تبرجت تبرج العقيلة ، ونظرت وجهها من البحر في المرأة الصقيلة ، واختص ميزان حسناتها بالأعمال الثقيلة ؛ وإذا قامت بيض أسوارها ^(١) ، وكان جبل بليونش ^(٢) شمامة أزهارها ^(٣) ، والمناثرة منارة أنوارها ؛ فكيف ^(٤) لا ترغب النفوس في جوارها ، وتهيم الخواطر بين أنجادها وأغوارها ؛ إلى الميناء الفلكية ، والمراقى الملكية ^(٥) . والزككية ^(٦) الزككية ، غير المنزورة ^(٧) ولا البكية ^(٨) . ذات ^(٩) الوقود الجزل ، المعد للأزل ^(١٠) ، والفُصور المقصورة على الجد والهزل ؛ والوجوه الزهر السحن ، المضمون بها عن المحن ؛ دار الناشبه ^(١١) ، والحامية المضرمة للحرب المناشبه ^(١٢) ؛ والأسطول المرهوب ، المحذور الألهب ^(١٣) ، والأسلاف ، والوسيطه ، لخامس أقاليم البسيطه ، فلا حظ لها في الانحراف ؛

[١٥]

- (١) في ت : « أسوارها » وهو تحريف .
- (٢) كذا في تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ، والمغرب ، في بلاد إفريقية والمغرب ، للبكري ، وفي نفع الطيب للمؤلف في بعض مواضع ، وفي الاستبصار ، في عجائب الأمصار ، عند الكلام على سبعة ، وفي الأصلين هنا وفيما سيأتى : « بليونش » .
- (٣) الشمامة : ما يتشم من الأرواح الطيبة . يريد أن جبل بليونش أعطر رياضها .
- (٤) في الأصلين ونفع الطيب : « كيف » .
- (٥) في ت : « الفلكية » .
- (٦) الركبة : البئر . ورواية هذه الكلمة في الأصلين « الذكية » وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . ويعين عليه قرينتا « المنزورة والبكية » بعده .
- (٧) المنزورة : القليلة الماء .
- (٨) البكية : القليلة الماء . ورواية هذه الكلمة في الأصلين : « المبكية » وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .
- (٩) يريد سبعة .
- (١٠) الأزل : الضيق والشدة .
- (١١) كذا في ت . والناشبة : القوم الذين يرمون بالنشاب ، أى النبل .
- (١٢) يقال : ناشبه الحرب ، أى نابذه .
- (١٣) الألهب (هنا) : السطو والبطش ، مأخوذ من ألهب الفرس ، وهو اضطرامه في عدوه .

بَصْرَةَ علوم اللسان ، وصَنَعَاءَ الحُللِ الحسان ، وثمرَة امتثال قوله : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » ، الأمانة على الأختزان ، القويمَة المَكِّيَّال والميزان ، محشَّر أنواع الحيتان ، ومحطَّ قوافل العَصِير والحريِر والسَكَّتَان ، وكفاها السكْنى بيليُونش في فصول الأزمان ، ووجود المساكن النبيهة بأرخص الأثمان ؛ والمدفن المرحوم غير المرحوم ، وخزانة كتب العلوم ^(١) ، والآثار المُنْبِثَة عن أصالة الحُلوم ؛ إلا أنها فاغرة الأفواه للجَنُوب ^(٢) ، للغيث المصْبُوب ، عُرْضَة للرياح ذات الهُبوب ، عَدِيمَة الحَرْث قَمِيرَة من الحُبُوب ، ثغر تَنْبُو فيه المضاجع بالجَنُوب ، وناهيك بِحَسَنَة تُعَدُّ من الذنوب ؛ فأحوال أهلها رقيقه ، وتكَلَّفهم ظاهرهما ظهرت وَلِيمة أو عَقِيقه ^(٣) ، واقتصادهم لا تلتبس منه طريقه ، وأنساب نفقاتهم في تقدير الأرزاق عريقه ؛ فهم يَمَصُّون البُلالة مصَّ الحَاجِم ^(٤) ، ويجعلون الخبز في الولائم بَعْدَ الجَاجِم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجِم ، بالبشِير المهاجِم ^(٥) ، وراعى الجَدِيد بالمطر الساجِم ^(٦) ؛ فلا يفضُّون على مدينتهم مدينه ، الشك عندى في مكة والمدينه . انتهى .

قلت : ولعله عرَّض بقوله : « الشك عندى في مكة والمدينه » ، بقول مالك بن المُرَحَّل : « أُخَيَّة مَكَّة أو يَثْرِب » . والله أعلم .

وكان لسان الدين بن الخطيب كثيراً ما ينزل في وجهاته المعفرية ، عند الشريف الشهير ، سيدى أبى العباس أحمد بن سيدى محمد ، ابن سيدى أحمد ،

الشريف أبو
العباس وحفاوته
بأبن الخطيب

(١) هذه العبارة : « وخزانة كتب العلوم » . ساقطه في ت .

(٢) في ت ونفج الطيب : « أفواه الجنوب » .

(٣) العقيقة : الطعام يدعى إليه الناس عند خلق شعر المولود .

(٤) المحاجم : جمع محجم ، أو محجمة ، وهى شبه الكأس يعص به الدم من الجسم .

(٥) في ت : « المهاجم » .

(٦) المطر الساجم : القليل .

ابن سيدى طاهر^(١) ، ابن سيدى رفيع ، ابن سيدى على المدعو بالمكين ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى على ، ابن سيدى أبى الطاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن [سيدى^(٢)] مؤهوب ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى محمد ، ابن سيدى طاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن مولانا على ، المدعو بالهادى ، ابن مولانا محمد ، المدعو بالجواد ، ابن مولانا على الرضا ، ابن مولانا موسى ، المدعو بالكاظم ، ابن مولانا جعفر الصادق ، ابن مولانا محمد الباقر بن زين العابدين ، ابن مولانا على ، ابن مولانا الحسين الشهيد^(٣) ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ونفعنا ببركة هؤلاء السادات ، الذين سرّدنا أسماهم تبرّكا بها . قال صاحب كتاب « السكواكب الوقادة » ، فى ذكر من دُفِنَ فى سَبْتَةِ^(٤) من العلماء والصلحاء القادة :

« كان هذا السيّد الشريف يُوسّع ابن الخطيب إكراما ، وكان من عادة الشريف المذكور أن يخرج إلى بساتينه فى المصيف بقرية بليُونش ، كمُنيّة العبا ، وجنّة الخافة ، ويجلس فى القبة السامية المُطَلّة على البحر بجنة الخافة ، ويجعل الطريقَ تحته ، فإذا رأى جماعة سائرين من أى صِنْف كانوا ، من التجار أو الغرباء أو البلديين ، يوجّه رجاله إليهم ، ويقدم لهم الطعام ، ويرتاح إلى ذلك ، ويُسرّ به ، ويؤنّس كُلاً بما يُناسبه ، من ذِكر عيون أخبار بلده^(٥) ، وخاصيّة قطره ، وما يجرّ إلى ذلك ويرجع إليه ، من بديع الحكايات ، ولطيف

(١) فى ت : « الطاهر » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ط : « الصهير » .

(٤) فى ت : « بسبّة » . واسم هذا الكتاب فى البستان لابن مريم (ص ٣١٤) :

« السكواكب الوقادة ، فيمن كان بسبّة من العلماء والصلّاحين القادة » .

(٥) فى ت : « بلاده » .

النوادر ؛ ثم يأمر بإدارته على تلك البساتين ، ورؤية ما بها من المصانع ^(١) ، ثم يبعث وراء آخرين ، ويُنزل كل واحد منزلته ؛ ويغيب ^(٢) عن يُجْجَله حضوره ؛ ويُغضّي عن مُداعبة إن وقعت ، ويتجاهل المفوة إن بدرت . وكان يُخرج الوزير ابن الخطيب — عند نزوله عنده — إلى هذه القرية البليونشية .

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :

شعر لابن الخطيب
في بليونش

بليونشُ أمني الأماكن رفعةً وأجلّ أرض الله طُرّاً شانا
هي جنة الدنيا التي من حلّها ^(٣) نال الرضا والروح والريحانا
قالوا القُرود بها فقلت فضيلة حيوانها قد قارب الإنسان ^(٤)
وفيها يقول القاضي عياض ^(٥) :

شعر لعياض
فيها أيضا

بليونش جنة ولكن طريقها يقطع الشياطين
كجنة الخلد لا يراها إلا الذي ^(٦) جاوز الصراطا

ونقلت من خط ابن حيان ^(٧) — بعد كلام في سبته — ما نصّه :

وصف ابن
حيان لها

« ومتنزهاتها أعظمها بليونش ، تحتوى على مياه عيون ، وأودية ، ومتنزهات ، وأبنية عظيمة ؛ وفيها من جميع الأشجار والثمار » .

(١) المصانع : جمع مصنع ، أو مصنعة (بفتح النون وضمها) ، وهي شبه الحوض يجمع فيها ماء المطر ؛ والمصانع (أيضا) : المباني من القصور ونحوها .

(٢) في ت : « وينيب » .

(٣) في ت : « من شأنها » . ولا يستقيم بها الكلام .

(٤) قال في الاستبصار : « وعلى قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه الفردة » . وسيعرض المؤلف لهذا بعد قليل .

(٥) نسب هذان البيتان في تقويم البلدان لابن عياض .

(٦) كذا في تقويم البلدان . وفي الأصلين : « إذا » ، وما أثبتناه أظهر .

(٧) في الأصلين : « أبي حيان » وهو تحريف .

شعر للمنصفي
فيها أيضا

وفيها يقول أبو الحجاج المنصفي^(١) :

بليونش شكلها بديع أفرغ في قالب الجمال^(٢)
فيها الذي ما رآته عيني يوما ولم يختطر ببالي^(٣)
طريقها كالصدود لكن تعقبه لذّة الوصال^(٤)

شعر الكميلي فيها

قال ابن رشيد :

وأنشدني القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكميلي^(٥) قاضي
أزمور^(٦) فيها :

بليونش كلها عذاب^(٧) فالمشي في سبيلها عقاب^(٨)
يكنفها شامخ منيف كأنه فوقها عقاب
وهذا الشامخ يعرف بجبل موسى . [وإليه أشار المنصفي في محمسة :

وطود موسى^(٩) لها تاج على الراس

وبهذا الجبل متعبد مبارك ، وبساحله مغطس المرجان ، ومن عجائب هذا
المتعبد أن من دخله من ليس له أهلا فإنه يجد في عنقه^(١٠) صفعا إلى أسفل الجبل ؛
وهو مسيرة ثلاثة أميال ، وهو من سبته على تسعة أميال ، وبهذا الجبل منشأ

(١) نسبة إلى « منصف » بفتح الميم والصاد ، من قرى بلنسية .

(٢) في ط : « في قالب كمال » .

(٣) لم ترد صيغة « اختطر » في القاموس وشرحه ولا في اللسان ولا في الأساس .

(٤) في ط : « من الصدود لكن » وهو تحريف .

(٥) في ت : « الأبي » .

(٦) أزمور (بفتح الهمزة والزاي المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهملة) : من مدن

بر العدو على ميلين من البحر . (عن تقويم البلدان) .

(٧) في ط : « عقاب » .

(٨) في ط : « عذاب » .

(٩) زيادة عن ت .

(١٠) في ط : « في شقه » .

الْقُرُود ، وهو مستشرف على بعض الأندلس . وبَسَبْتَة مدرسة بناها أبو الحسن الشاربي^(١) ، ووقف بها كتباً عظيمة .

و بموضع يقال له التوتة يوجد كثير من الياقوت الأحمر^(٢) دقيق^(٣) . ومن عجائبها أن البَلَّارِج^(٤) لا تَعْمَشُ فيها^(٥) ، ولَمَّا تَخَطَّرَ عليها . ويقال إنها^(٦) بناها سبت بن سام بن نوح ، وإنه دَعَا لها باليَمْن والبركة ، وروَوْا في ذلك حديثاً عن مالك عن نافع عن ابن عمر . قال عياض : وأبرأ أنا من عَهْدَتِهِ ، وقد خرَّجه في الغنية ، ولذلك قال بعض الشعراء :

فكل جَبَّار إذا ما طغى وكان في طُغْيَانِهِ يُسْرِفُ
أرسله الله إلى سَبْتَةٍ فكل جَبَّار بها يُقْصَفُ
أنشدها أبو عبد الله محمد بن حمادة [الْبَرْنُوسِي^(٧)] ، خال أبي لأمه^(٨) ، في كتابه المسمى بـ « المقتبس » ، في أخبار المغرب والأندلس .

شعر المنصفي فيها

ومن نظم المَنْصَفِي في بليونس من قصيدة :
انظُرْ إلى نَضْرَةِ زهر الرُّبَا كأنه وَشَى على كعابِ
ومَتَّعَ الطَّرْفَ بِبِلْيُونَسٍ وماءها المُنْبِعِثِ السَّاكِبِ
تَشَارَكَتْ والحسن في وصفها تَشَارَكَتْ العين مع الحاجبِ

- (١) في ت : « الشاوي » .
- (٢) في ت : « كسر من الياقوت السم » .
- (٣) كذا في ت : وقد وردت هذه الكلمة مطموسة في ط .
- (٤) البَلَّارِج : اللقالق . (عن تكملة المعجمات العربية لدوزي) .
- (٥) في ت : « بها » .
- (٦) في ت : « إنه » .
- (٧) زيادة عن ت . والبرنسي : نسبة إلى برنس (بوزن قنفذ) : قبيلة من البربر ، سميت بهم مساكنهم .
- (٨) في ت : « قال أبي لأمه » . وهو تحريف .

وقد أَرْتَنَا^(١) اليومَ من حُسْنِها ما لم يكن في زَمَنِ الحاجبِ
— والحاجب : أحد^(٢) ملوك سبته ؛ [وله عمل ابن مَرَّانَةَ^(٣) قصيدة في
الكوائن والحوادث^(٤)] —

فَعَالَةٌ بِالطَّبْعِ فِي أَهْلِهَا ما تَفْعَلُ الْقَهْوَةُ بِالشَّارِبِ
تُذَكِّرُ الشَّيْخَ زَمَانَ الصَّبَا وتُفْسِدُ^(٥) التَّوْبَةَ لِلتَّائِبِ
وله :

انظر إلى بَهْجَةِ بَلْيُونَشٍ وحُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ اللَّامِعِ
تَحْكِي الثَّرِيًّا عِنْدَمَا أُسْرِجَتْ بَلِيلَةُ الْخَتْمَةِ فِي الْجَامِعِ^(٦)

ولما قَفَلَ السلطان الأشهر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأفرح من المغرب ،
حين رجوعه إلى بلده^(٧) مع قاضي حَضْرَتِهِ غَرْناطَةَ ، أبي الحسن علي بن الحسن ،
المعروف بالنَّبَاهِيَّ شيخنا ، ووزيره أبي عبد الله بن الخطيب ، صنع له ضيافة
مُلُوكِيَّةً^(٨) بِالْمُنْمِيَّةِ ، من قرية بَلْيُونَشِ المشار إليها ، حيثُ القصر هنالك ، وعُنْصَرِ

(١) في ت : « رأينا » .

(٢) في ت : « آخر » .

(٣) كذا في معجم البلدان طبعة أوربة عند السكلام على سبته . وفي ت : « مرارة »
بالتاء المثناة الفوقية .

(٤) زيادة عن ت .

(٥) في ط : « وتكسر » .

(٦) في ت : « بالجامع » . ولعله يريد بليلة الختمة ما يفعله أهل المغرب من الاحتفاء
بِحُتْمِ حفظ القرآن أو تفسيره أو ختم صحيح البخاري في حفل عام بالمساجد تضاء له
الأنوار ، ويحضره الناس خاصتهم وعامتهم . وقد أفاض في شيء من ذلك ابن أبي دینار
في كتابه « المونس » ، في أخبار إفريقية وتونس .

(٧) في ت : « ملكه » .

(٨) كذا هنا وفيما سيأتي . والنسبة إلى الملوك : « ملكي » ، وشاع على أعلام بعض
الكتاب كالجاحظ : « ملوكي » .

مثل من كرم
الشریف
أبي العباس

الماء المختص بها . ومن هناك ركب البحر ليلا ، وذلك في جُمادى الآخرى^(١) من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وفي الحادى والعشرين من الشهر المذكور دخل دار ملكه حمراء غرناطة ، وأكل من فضل هذه الضيافة مُعظَمُ من كان بالقرية ، من قوئى وضعيف ، ورفيع ووضيع .

ثناء أبى الحسن
النباهى على
الشريف وشىء
عنه

وكان شيخنا القاضى أبو الحسن المذكور يُثْنِي عليه ، ويُعْظِمُه تعظيما يليق بمثله ، ويقول فى أثناء حديثه : فعل أبو العباس الشريف صاحب سبته كذا ، وصنع كذا . ولم تزل حالته هذه ، رحمة الله عليه ، إلى أن أُسِنَّ وأُقْعِدَ ، فلزم منزله ثلاث سنين ، من غير أن يَنْقُصَ ذلك من مَنْصِبِهِ شيئا ، ولا من انتفاع الناس به ؛ وكان أبيض اللون ، حسن الهيئة والملبس ، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ ؛ وَتَوَفَّى فى زَمَانَتِهِ وقد نَيْفَ على^(٢) الثمانين ، عام ستة وسبعين وسبع مئة ، وله الآن قرابة بمدينة فاس بَقِيْدُ الحياة .

انتهى كلام صاحب الكواكب الوقادة باختصار ، وبعضه بالمعنى . ومن نظم هذا الشريف ، مما أمر به أن يُنْقَشَ بالقبة المذكورة آنفاً فى معنى الاستعاذة :

شعر الشريف

وَتَيْقَتُ بِاللّهِ رَبِّى وَحَسْبِىَ اللّهُ حَسْبِى
وَاللّهُ كَافٍ وَوَاقٍ وَدَافِعٌ كُلَّ خَطْبٍ
وَلَسْتُ أَخْشَى إِذَا مَا وَتَيْقَتُ بِاللّهِ رَبِّى
بَلَّغْتُ فِيهَا مُرَادَى مُهَنَّاً مَعَ صَحْبِى
وَالْخَمْسُ تَفَقُّأً عَيْنًا لِكُلِّ حَاسِدٍ نَدْبٍ^(٣)

(١) فى ط : « الآخر » .

(٢) فى ط : « عن » وهو تحريف .

(٣) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف .

حفاوة أبي عنان
بالشريف أبي
العباس ومنزلته
في سبته

وكان السلطان المرحوم أبو عنان فارس ، ابن السلطان أبي الحسن الترميني
يُجلُّ هذا الشريف ، ويعترف له بالفضل ، ويعطيه العطاء الجزل ، وكان يستدعيه
كل سنة إلى حضرته فاس ، لحضور المولد السعيد ، الذي سنّه ببلاد المغرب
الشيخ أبو العباس العزفي ، وتلك السنة باقية إلى الآن بحسن نيته ، واعتنائه
بالجناب العالي^(١) ، نفعه الله بذلك ، ويحلّ عليه الخلع الملوكة ، ويُعَدُّ له ديناراً
مُسْكُوكاً يُصْنَعُ بمدينة مراكش ، زنته مئة دينار ذهباً ، يدفع له ذلك مع جائزته ،
إلى غير ذلك مما كان يُثخفه به ، رحمه الله ، ويصحبه في وجهته تلك من الضعفاء
والتجار ما لا يحصى كثرة ، ويتولى هو الإنفاق على الجميع من ماله ، ويرفع^(٢)
عنهم اللوازم المخزنية ، فكان التجار لأجل ذلك يرصدون وقت سفره وقفوله .
وقدّمه السلطان أبو عنان المذكور ناظراً على بلده سبته ، وأمر صاحب قصبتها
ألا يقطع أمراً إلا بمشورته ، فكان العمال يخافونه ويشاورونه ، فإذا رأى من
أحدهم خروجا عن العادة ، أو خيافاً على الرعية ، كتب إلى السلطان في شأنه ،
فيُعزله من قوره ، ويُعوّضه بغيره . وكان يقول للسلطان : لعلك تحسبني خديماً^(٣) ،
لست كذلك ، وإنما نحن معشر أهل البيت شفعاء في الدنيا ، وشفعاء في الآخرة .
فكان أهل سبته في أيامه في عيش هنيئ ، ونعمة شاملة ، بقي على هذه الحالة
المرضية مدة عشرين سنة . وله بسبته آثار تحكي الآثار العزفية^(٤) ، كالرياض^(٥)

[١٨]

(١) في ت : « العالي » .

(٢) في ت : « يدفع » .

(٣) يريد : « خادماً » . ولم تنقل المعاجم : « الخديم » بمعنى الخادم ، لكن شارح
القاموس ذكر هذه العبارة : « والخدمان (بالضم) : جمع خادم ، هكذا تقوله
العامة ، وكأنهم تصوروا فيه جمع خديم » .

(٤) في ت : « العربية » .

(٥) كذا في الأصلين هنا وفيما سيأتي ، يريد به القصر وما يحيط به من بساتين ، وقد
يجرى في لسان المغاربة حتى اليوم استعمال لفظ الرياض مفرداً مذكراً بهذا المعنى .

الأعظم ، الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأنق فى بُنيانه وأبدع صُنْعته ، وجلب إليه الماء بالدواليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ؛ وكالرياض الذى بالصفارين ، حيث كان قعوده مع خواص الناس وعامتهم .

قال صاحب الكواكب الوقادة :

« سمعت أحد كتّابه الخاصَّ به ، الملازمَ له ليلاً ونهاراً ، مع مرور الأيام والسنين ، يقول : ما أمرنى قطَّ سيدى ومولاي الشريف بكتّاب شيء مخالف للشرع ، بل فى رفع المظالم ، وإنهاء الشفاعات ، وتوجيه الأمانات ، وما فى معنى ذلك ، مما نَدَبَ إليه الشرعُ ، وحضَّ عليه ، ووعد بالثواب على فعله . وطالما سمعت الكتّاب المذكور يُقسم على ذلك ، نفعه الله [به] » ^(١) . انتهى .

وصف أحد
كتّاب
الشريف له

قلت : تذكرت بهذا الفعل الجميل ما كتب [به] ^(١) على دواة أمير المؤمنين أبى عَنان ، رحمه الله ، وهو :

دواة أبى عنان
وشعر مكتوب
عليها

أنا دواة فارس أبى عَنانَ المعتمد
حَلَفْتُ مَنْ يَكْتُبُ بى بالواحد الفرد الصمد
أَنْ لَا يَمُدَّ مَدَّةً فى قَطْعِ رِزْقِ لأحد

وقد رأيت فى هذه الأيام دواةً فى غاية ما يكون من الإتقان والصنعة والتذهيب ، وفيها مكتوب البيتان الأخيران ، وهى عند بعض أصحابنا الكتّاب بالحضرة الفاسية — حاطها الله — وأظنها هى الدواة التى كانت لأبى عنان ، والله أعلم .

(١) زيادة عن ت .

رجع إلى ذكر الشريف

وكان الشريف المذكور يصنع أنواع المطاعم الرفيعة ، ويتبسط في ألوانها ،
ويطعمها الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، ممن يحضر مجلسه أويأتي إليه ، وبالجملة
فهو قُطْبُ الجود الذي عليه المدار ، وإمام الأدب الذي لا يجاريه الرضِيُّ ولا مِهْيَارُ ؛
ومن نظمه ، وقد سائر قاضي الجماعة بحضرة غرناطة ، أبا البركات البُلْفَيْقِي^(١) الشهير
بابن الحاج الشَّامِي ، من ولد العباس بن مرْدَاس رضى الله عنه ، زمن الشيبية
في بعض أسفاره ببر الأندلس ، فلما انتهيا إلى قرية بَرْليانة^(٢) وأدركهما النصب ،
واشتد عليهما حرّ الحجير ، نزلا وأكلا من باكر التين الذي هنالك ، وشربا من
ذلك الماء العذب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ،
ثم التفت إلى الشريف وقال :

ماذا تقول ، فدَتَكَ النفس في حالى يفنى زمانى في حلٍّ وترحالٍ^(٣)
وأرتجّ عليه ؛ فقال لأبى العباس : أجز ؛ فقال بديها :

كذا^(٤) النفوس اللواتى العزُّ يَصْحَبُها لا ترتضى بمقام دون آمال [١٩]

(١) البُلْفَيْقِي : نسبة إلى بُلْفَيْق (بالفتح ، ويروى بتشديد اللام المكسورة مع كسر

الموحدة) : حصن بالمرية . (عن تاج العروس) .

(٢) كذا في معجم البلدان . و بَرْليانة (بكسر تين وسكون اللام) : بلدة قريبة من مالقة

بالأندلس . وفي ط ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٤٩ طبعة مصر) : « بَرْليانة » . وفي

ت : « بَرْليانة » .

(٣) في ت : « في حل وترحال » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « إن » .

أشراف سبته

دَعَهَا تَجُوبُ الْفَيَافِي وَالْقِفَارَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ السُّؤْلَ أَوْ تَفْنَى بِتَجَوَّالٍ^(١)
 وكان عطاء هذا السيد الشريف المرسوم له من بيت المال ، ثلاثين ديناراً من
 الذهب العين^(٢) في رأس كل شهر ، وهو خاتمة الشرفاء العظام بمدينة سبته .
 ولهؤلاء الشرفاء بمدينة سبته نحو الثلاثين قبراً ، في روضتهم المنسوبة إليهم ، بالجانب
 الشرقي من رابطة الفصال . وهؤلاء الشرفاء من ذرية أبي الطاهر الذي خرج
 من جزيرة صقلية ، وكانت لهم بسبته وجاهة^(٣) وسياده ، وجلالة ومجاده ؛ لمكان
 بيتهم الشريف ، ونسبهم العالي المنيف ؛ ما منهم واحد إلا غداه العلم بلبانه ،
 والأدب ببيانه . وولي منهم قضاء بلدهم سبته رجالان ، لم يطلّسع مثلهما المملوك ؛
 تقي وعلماً ، وأناة وحِلماً ؛ أولهما القاضى أبو الشرف^(٤) رفيع ، والثاني ابنه القاضى
 أبو الحسن على . وكَمَ نشأ عن هذا الأصل الطاهر من جهيدٍ نحرير ، وعالم ماهر ؛
 وسخى جواد ، له إلى الإيعطاء^(٥) ارتياح وإلى الكرم استناد^(٦) ؛ وناهيك
 بخاتمهم أبي العباس المذكور .

وكان فائد مَضْرِب^(٧) الميناء لهذا الشريف أبي العباس الحسيني ، دون
 أن يَشْرَكَه غيره ؛ وكان له بمَضْرِبِ أويات يوم يضرب فيه ، ويومان لبيت المال ،

دخل الشريف
 من مضرب الميناء
 وما كان ينفعه فيه

(١) رواية هذا البيت في نفح الطيب :

دعها تسر في الفيافي والقفار إلى أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال
 وزاد بعده :

الموت أهون من عيش لى زمن يعلى اللئيم ويدنى الأشرف العالى

(٢) في ت : « ذهباً » .

(٣) في ط : « وجهة » .

(٤) في ط : « الشريف » .

(٥) في ت : « العطا » .

(٦) في ط : « استناح » وهو تحريف .

(٧) المضرب (كما هو ظاهر من السياق هنا) : سوق يتخذها حاكم الميناء لبيع ما يستخرج
 من السمك ونحوه .

وكانت عادة عامل المضارب ، الناظر في فوائدها وما تحتاج إليه من نفقة وآلة ، أن يأمر رجاله وأعوانه ، حين يُقعد النَوَاتِيَّةُ السكيسَ ، بالوقوف إليه ، والدفاع عنه ، بعد أن يحضر الشهود ، خَفَرًا وضبطًا لما يحصلُ من فائد^(١) المضرب المالى فى يوميه^(٢) ؛ فإذا كان يوم [السَّيِّد^(٣)] الشريف يأمر رجاله وخدامه وأعالجه^(٤) الإسلاميين ، بإباحة المضرب للمساكين ، وتقريق الحوت على من لا يصل إليه ، ممن يحضر متنزها ، إما لحفظ صروءة ، وإما لغير ذلك . ولا يزال الناظر من قبله ، وهو القائد فارح أحد أعالجه ، واقفاً على حصانه ، وقد أحاطت به رجاله ، إلى أن يرضى كل من يحضر ، وما فضل عن ذلك فهو له . وأما السيد الشريف فلا يحضر ، إذ همته أرفع من ذلك ، وقدره أعظم ، ومكانته بسببته مكانته ، بحيث يأتى إليه فى الموضع الذى أعده لجلوسه برياضه الذى بالصقارين صبيحة كل يوم صاحب القصة ، كأننا من كان ، مسلماً^(٥) عليه ، ثم ينصرف ، ثم يأتى الوالى على قبض الجباية مسلماً ، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه ، ثم يأتى صاحب الشرطة ، وكذا جميع أمراء سببته ، إلا القاضى ، لمكان خطته ، فيعامل كلاً بما يستحق من إكرام وإهانة ، وإغلاظ ومجاملة ، فلا يتخلف أحد عن غرضه ، ولا يصدر إلا عن رأيه ونظره . وهذا كله مع النصيحة للمساكين ، وجلب المنفعة لهم بالقول والفعل ، وإطعام الطعام الذى لا يقدر عليه الأمير فمن دونه ، ورفع المظالم ، ومنح الجاه ، إلى غير ذلك ، نفعه الله . فكان من حكمة الله عز وجل وبركة أهل البيت ،

(١) فى ط : « فوائده » .

(٢) فى ت : « فى يومه » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) أعالجه : مواليه من غير العرب ؛ مفردة : عالج (بوزن ملح) .

(٥) العبارة من « عليه » إلى « مسلماً » : ساقطة فى ت .

وفضل الجود والكرم ومكارم الأخلاق ، وإيصال المنفعة للعباد ، أن يخرج في اليوم الذى له بالضرِب من الحوت ، أى نوع كان من الجارى ، أضعافُ ما يخرج في اليومين ، ويحصل له من الفائدة أكثر مما يحصل لمتولى النظر فيهما ، فيتصل^(١) بيده من فائد يومه خمس مئة دينار^(٢) وسبع المئة ، وربما يزيد وينقص ؛ وقد انتهى في بعض الأحيان إلى ألفى دينار في اليوم ، حسبما يُستَنيه^(٣) الله عز وجل ؛ هذا بعد العادة التى عوّدها نفسه النفيسة ، من الإيثار والبذل ، للسرى والنذل . ولم تكن له همّة ، رحمه الله ، فى احتكار المال وجمعه ، بل يصرف ذلك كله فى إطعام الطعام ، الخاصّ والعام ، وفى تشييد البُنْيَان ، والإنفاق على الفعلة والصنّاع والخدام ، وآثاره ومصانعه بداخل سبته وخارجها شاهدة بذلك مدى الأيام ؛ وكم فى أثناء هذا التصرف من مؤساة فقير ، وإعانة ضعيف ، وإغاثة ملهوف ، برفع^(٤) لازم أو وظيف^(٥) ، حسبما هو معلوم معروف منقول .

وكان ملوك بنى مرّين يعتنون به أتم اعتناء ، ويبادرون إلى موافقة أغراضه ، وقبول شفاعته ، وما كان يتلقاه حين وروده على حضرتهم فاس إلا الملك بنفسه ، إلى غير ذلك من مناقبه رضى الله عنه ، ونفعنا به ، وبسلفه الطاهر .

حفاوة ملوك
بنى مرّين به

قلت : وإنما ذكرت التعريف بهذا الشريف الفياض ، تفاؤلا بالابتداء [٢١] به بعد عياض ، لأننى اشتترط أنى أخرج من الشئ إلى ما يناسبه ، فبدأت

سبب تعريف
المؤلف بهذا
الشريف

(١) فى ت : « ويحصل » .

(٢) فى الأصلين : « الخمسمائة دينار ، والسبعائة » .

(٣) يستنيه الله : يسهله ويسره .

(٤) برفع : بحمل .

(٥) يريد : « الوظيفة » وهى الراتب الجارى من الأرزاق ونحوها .

في ذلك بهذا السيد الشريف ، الذي عظمت مجادته^(١) ، وكرمت مناصبه ، وزكت مآثره ، وعلت مناصبه^(٢) ؛ والأعمال بالنيات ، والله يُبلغنا في الدارين غاية الأمنيات .

استيلاء العدو
على سبته

و بعد أن بلغت سبته ما دكرناه من أحوالها ، وبقيت مدة آمنة من شرور الدنيا وأهوالها ؛ وأطلعت في سمائها نجومها ، كانت علومها^(٣) للمردة رجوما^(٤) ؛ كعياض المؤلف فيه هذا الكتاب ، وهؤلاء الشرفاء الذين لا يُمتري في فضلهم ولا يرتاب ؛ وبنى العز في لمشاهير ، الذين برزوا في ميدان السبق على الخاصة^(٥) والجمهير ؛ وحازوا رياسة الدين والدنيا ، وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا ؛ وغيرهم ممن لا يحصى كثره ، ممن كان لهم تقديم وأثره ؛ عدا عليها الدهر بُعدوانه ، وسقط شرفها من إيوانه ؛ واستولى عليها العدو الكافر ، في قضية يطول شرحها ، وعظم على أهل الإيمان قرحها ، وأعضل أطباء الملوك إلى الآن جرحها ، ولم يزل بنفوس المؤمنين شجوها وبرحها .

أخبرني الفقيه الطيب العدل الفرضي ، سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني رحمه الله : أنه لما دخل سبته ، حين وجهه أمير المؤمنين ، مولانا المنصور ، رحمه الله ، إليها ، في شأن فداء الكفار المأخوذين بالغزوة الشهيرة ، ذهب إلى المدرسة التي كان بناها أحد ملوك بني مرين رحمهم الله ، وأظنه أبا عنان^(٦) ،

(١) في ط : « مآثره » .

(٢) في ت : « وهدهد مناصبه » .

(٣) في ت : « علومهم » .

(٤) في ت : « نجومها » .

(٥) في ت : « الخواص » .

(٦) هذه العبارة : « وأظنه أبا عنان » ساقطة في ت .

وهي من أجل المدارس وأعظمها ، فرأى في محرابها ناقوساً وصليباً ، قال : فسألتني ذلك ، فرفعت بصرى فإذا كتابة بخط رائق ، في تلك النقوش فوق ذلك الناقوس ، فيها قوله تعالى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » . وكان ذلك الكتب قديماً فيها من جملة ما كتب المسلمون بها حين بنائها ، على ما جرت به عادة الملوك من كتب الآيات القرآنية في النقوش بالزليج^(١) والمرمر . قال لي رحمه الله : فتعجبت^(٢) من ذلك الاتفاق ، وسألني ذلك بعض التسلي ، وإلى الله ترجع الأمور .

وكان أخذ سبته ، أعادها الله ، سنة تسع عشرة وثمان مئة ، بعد ما استولى العدو الكافر على معظم بلاد الأندلس ، مثل قرطبة ، ومُرُسية ، وطليطلة ، وبلنسية ، وغيرها ، مما يطول تعداداه .

وقد قال بعض الشعراء حين أخذت طليطلة ، وكانت من أول ما أخذ من رثاء طليطلة

القواعد العظام ، يخاطب أهل الأندلس :

يأهل أندلس شُدُّوا رَحَالَكُمْ فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْعَاظِ
السَّلَكُ يُنْتَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى سَلَكَ الْجَزِيرَةِ مَنْثُورًا مِنَ الْوَسْطِ
من جاور الشرَّ لا يأمن بَوَائِقِهِ كيف الحياةُ مع الحَيَاتِ فِي سَفْطِ [٢٢]

(١) الزليج : نوع من الخزف الفاخر الأملس ، تبلط به الأرض أو يلصق على الجدران للزينة ، وهو ما يسمى في لسان العامة « الفاشاني » . (عن مجلة الجمع الملكي للغة العربية) . وقد وردت هذه الكلمة في نفح الطيب (ج ١ ص ٩٤) ، كما وردت في صبح الأعشى (ج ٥ ص ١٥٦) مشروحة بما لا يخرج عن هذا المعنى .
(٢) في ت : « فعجبت » .

ولله در الإمام العالم^(١) العلامة خاتمة أدباء الأندلس ، أبي الطيّب^(٢) صالح
ابن شريف الرندي [رحمه الله]^(٣) إذ قال يندب بلاد الأندلس ، ويبعث العزائم
ويحرّكها من أهل الإسلام لنصرة الدين ، وإنقاذ البلاد من يد الكافرين ،
ولسان الحال ينشده « لقد أسمعت لو ناديت حيا » :

لـكـل شـئ إذا ما تم نُقصانُ فلا يُغَرَّ بِطِيب العيش إنسانُ
هـي الأُمُورُ كما شاهدتْـمُـأدُولُ من سَرَّهَ زمن ساءتـه أزمانُ
وهـذه الدار لا تُبقي على أحدٍ ولا يَدُومُ على حالٍ لها^(٤) شانُ
يُعزِّقُ الدهرُ حتماً كلَّ سَابِغَةٍ إذا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتُ وَخِرْصَانِ^(٥)
وَيَنْتَضِي كلَّ سَـيْفٍ لِلْفَناءِ ولو كان ابنَ ذِي يَزَنٍ وَالْغَمْدُ عُجْدَانِ^(٦)
أين الملوكة ذوو التَّيجانِ من يَمَنٍ وأين منهم أكالييل وتيجانُ
وأين ما شاده شَدَّادٌ في إرمٍ وأين ما ساسه في الفُرسِ ساسانُ
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ وأين عادٌ وشَدَّادٌ وقَحْطانُ
أتى على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له حتى قَضَوْا فَكَّانُ القومِ ما كانوا
وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ كما حكي عن خيال الطَّيِّفِ وَسَنانِ
دارَ الزمانِ على دارا وقَاتَلَهُ وأمَّ كِسْرى فما آواه إيوانِ^(٧)

(١) في ت : « الأديب » .

(٢) في نفح الطيب : « أبي البقاء » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « قوم بها » .

(٥) السابقة : الدرع الكاملة . والمشرفيات : السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . والخرصان (بكسر الخاء) : الرماح ، الواحد : خرص .

(٦) سيف بن ذي يزن : من ملوك اليمن . وعجمان : قصره .

(٧) دارا : أحد ملوك الفرس .

كأنما الصَّعبُ لم يسهلْ له سَبَبُ يوماً ولا مَلَكٌ الدنْيَا سُلَيْمَانُ
 فَبَجَائِعُ الدهرِ أنواعٌ منوَّعة وللزمانِ مَسَرَّاتٌ وأحزانُ
 وللحوادثِ ^(١) سُلُوانٌ يُهَوِّسُهَا وما لما حَلَّ بالإسلامِ سُلُوانُ
 دَهَى الجزيرةِ أمرٌ لا عَزاءَ له هَوَى له أَحَدٌ وانهدَّ نَهْلَانُ ^(٢)
 أصابها العَيْنُ في الإسلامِ فَارْتُرَّتْ ^(٣) حتى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
 فَاسْأَلْ بِلَنَسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ وأين شَاطِئَةُ أُمِّ أَيْنِ جَيَّانُ
 وأين قُرْطُبَةُ دارِ العِلْمِ فكم من عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
 وأين خَمَصُ ^(٤) وما تَحْوِيهِ مِنْ نَزَرٍ ونهرها الْعَذْبُ فَيَبِاضُ وَمَلَانُ
 قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ [٢٣]
 تَبْكِي الْحَنِيْفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ كما بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَافِ هَيَّانُ
 عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْ ^(٥) وَلَهَا ^(٦) بِالْكَفْرِ عِمْرَانُ
 حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كِنَائِسَ مَا فِيهِمْ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
 حَتَّى الْحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى ^(٧) الْمَنَابِرُ تَرْتَنِي وَهِيَ عَيْدَانُ
 يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدهْرِ يَقْطَانُ
 وَمَا شَيْئًا مَرَحًا يُلْهِمُهُ مَوْطِنُهُ أَبْعَدَ خَمَصَ تَغَرُّ الْمَرْءِ أَوْطَانُ

(١) في ت : « وللمصائب » .

(٢) أَحَدٌ وَنَهْلَانُ : جيلان في بلاد العرب .

(٣) كَذَا فِي ت : وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ط : « فَاثْتَحَنَتْ » .

(٤) يَرِيدُ بِخَمَصٍ : « إِشْبِيلِيَّةٌ » لِأَنَّ الَّذِينَ سَكَنُوهَا عِنْدَ الْفَتْحِ كَانُوا مِنْ أَهْلِ خَمَصٍ بِالشَّامِ .

(٥) فِي نَفَحِ الطَّيْبِ : « أَقْفَرَتْ » .

(٦) فِي ط : « فَلَهَا » .

(٧) كَذَا فِي ط وَنَفَحِ الطَّيْبِ . وَفِي ت : « حَيْثُ » .

تلك المصيبة أنست ما تقدّمها وما لها مع طول الدهر نسيان
يا أيها الملك البيضاء رايتُ به أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا^(١)
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عِقبان
وحاملين سيوف الهند مُرهفة كأنها في ظلام النّقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عزّ وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم رُكبان
كم يستغيث بنو المستضعفين^(٢) وهم أسرى وقتلى فما يهتزّ إنسان
ما ذا التقاطع^(٣) في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها هم أما على الخير أنصار وأعوان
يا من^(٤) لذلة قوم بعد عزّهم أحال حالهم كفر^(٥) وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبّدان
فلو^(٦) تراهم خيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بُكاهم عند بيّهم لهالك الأمر واستهوتك أحزان
ياربّ أمّ وطفلٍ حبل بينهما كما تفرّق أرواح وأبدان

(١) هذا البيت ساقط من نفح الطيب .

(٢) في ت : « بنا المستضعفون » .

(٣) في ط : « التنافر » .

(٤) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « من ذا » .

(٥) في ت : « قهر » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « ولو » .

وطفلةٍ مارأتها الشمس إذ^(١) برزت كأنما هي يا قوتٌ ومَرَّجانٌ
يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مَكْرَهَةً والعين باكيةٌ والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان
انتهى^(٢).

[٢٤] وكان الشيخ [الإمام] ^(٣) العلامة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحيى بن عاصم
صاحب الشرح على تحفة أبيه، رحم الله الجميع، عند ما رأى اختلال أمر الجزيرة
— أعادها الله — وأخذ النصارى — دمرهم الله — لمعظمها، ولم يبق إذ ذاك بيد
المسلمين إلا غرناطة، وما يقرب منها، مع وقوع فتن بين ملوك بني نصر حينئذ،
ثم أفضى المُلْكُ إلى بعضهم، بعد تمحيص وأمر يطول بيانها، ألف كتاباً سماه:
«جَنَّةُ الرِّضَى، في التسليم لما قدر الله وقضى»، وهو كتاب عجيب جداً غريب،
رأيت بعضه بتلمسان، ونقلت منه ما نصه:

ابن عاصم وبعض
ما جاء في كتابه
عن انحلال أمر
الأندلس

«مَنْ استقرأ التواريخ المنصوصة، وأخبار الملوك المقصوصة، علم أن
النصارى — دمرهم الله — لم يدركوا في المسلمين ثارا، ولم يَرْحَضُوا^(٤) عن^(٥)
أنفسهم عارا، ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا، ولم يستولوا عليها بلادا
جامعة وأمصارا، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم في وقوع
الافتراق، بين المسلمين والاختلاف؛ وتَضَرُّيهم^(٦) بالمكر والخديعة بين ملوك

(١) في ت: «قد». ورواية هذا الشطر في نفح الطيب:

«طفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت»

(٢) أشار المؤلف في نفح الطيب بعد ذكر هذه القصيدة إلى أنها قد زيد عليها أبيات
آخر ليست منها، وأنه نقلها على هذه الصورة عن يوثق به وليس فيها تلك الزيادة.

(٣) زيادة عن ت.

(٤) كذا في نفح الطيب، ورحض: غسل. وفي الأصلين: «لم يدحضوا».

(٥) في ت: «على».

(٦) كذا في ت: ونفح الطيب. وفي ط: «وتصريفهم».

الجزيره ؛ وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حُحاتها في الفتن المُبيرة ؛ ومهما كانت الكلمة مؤتلفه ، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفه ، والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفه ؛ فالحرب إذ ذاك سِجال ، والله في إقامة الجهاد في سبيله رجال ، وللممانعة^(١) في غرض المدافعة^(٢) ميدان رحب ومجال ، وروية^(٣) وارتجال .

ثم قال : وتطاوت الأيام ما بين مهاذنة ومقاطعه ، ومضاربة ومقارعه ، ومُنازلة ومنازعه ، وموافقة وممانعه ، ومحاربة وموادعه ؛ ولا أمل للطاغية إلا في التمرُّس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ؛ وهو يظهر أنه ساع للوطن في العاقبة الحسنى ، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنى ؛ وأنه مُهْتَمٌّ بِمُرَاعَاةِ أُمُورِهِمْ ، وناظرُ بِنَظَرِ المصلحة لخاصتهم ومُجُورِهِمْ ؛ وهو يُسِرُّ حَسْوَاً في أرتغائه^(٤) ، ويُعْمِلُ الحيلة في التماس هُلك الوطن وأبتغائه . فتبّاً لعقول تقبل مثل^(٥) هذا الحِجَال ، وتُصدِّق هذا الكذب بوجه أو بحال^(٦) ؛ وليت العُور الذي يقبل هذا لو فكر في نفسه ، وعرض هذا المسموع على مُدركات حسّه ، وراجع^(٧) أوَّلِيَّات عقله وتجربيات^(٨) حدسه ، وقاس عدوّه الذي لا تُرجى مودته على أبناء جنسه ؛ فأنا أنشدته^(٩) الله ، هل بات قطُّ بمصالح النصارى وسلطانهم مُهْتَمّاً ، وأصبح من خَطْبِ طَرَقِهِمْ مُغْتَمّاً ؛ ونظر لهم نظرَ المفكر في العاقبة الحسنه ، أو قصد لهم قصد

[٢٥]

(١) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « وللمبالغة » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الموافقة » . وهو تحريف .

(٣) الحسو : شرب السائل شيئاً بعد شيء . والارتغاء : احتساء الرغوة . وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « تقبل هذا الحال » .

(٥) في ط : « حال » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « ورجع » .

(٧) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « تجربات » .

(٨) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « أنشدته » .

المُدبِّر في المعيشة^(١) المستحسنه ؛ أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القرية^(٢) أربابهم وصلبانهم ، أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحيارهم ورهبانهم ؛ فإن لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ، ولم يُشرب قلبه حُب التثليث ؛ ويكون صادق اللهجة ، مُنصفاً عند قيام الحجة ؛ فسيُعرف أن ذلك لم يخطر له قطُّ على خاطر ولا مرَّة له ببال ، وأنَّ عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبقوله ذا اهتبال^(٣) ، وإنَّ نُسب لذلك المعنى^(٤) ، فهو عليه أنقل من الجبال ، وأشدَّ على قلبه من وقع النبال ؛ هذا وعقده^(٥) التوحيد ، وصلاته التحميد ؛ وملته الغراء ، وشريعته البيضاء ؛ ودينه الحنيف القويم ، ونبية الرؤف الرحيم ، وكتابه القرآن الحكيم^(٦) ، ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم ؛ فكيف نعتقد هذه المزية الكبرى ، والمُنقبة الشهري ؛ لمن عقده التثليث ، ودينه المِلث^(٧) ؛ ومعبوده الصليب ، وتسميته التصليب ؛ وملته المنسوخة ، وقضيته المفسوخة ؛ وختانه التغطيس ، وغافر ذنبه القسيس ؛ وربُّه عيسى المسيح ، ونظره ليس البين^(٨) ولا الصحيح ، وأنَّ ذلك الربُّ قد ضُرَّج بالدماء ، وسُقِيَ الخل عَوْضَ الماء ؛ وأنَّ اليهود قد قتلته مصلوباً ، وأدركته مطلوباً^(٩) ، وقهرته^(١٠) ، وقهرته^(١١)

(١) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « العيشة » .

(٢) كذا في ت ونفح الطيب . والقرية : التقرب . وفي ط « القرية » .

(٣) الاهتبال : تحين الشيء واغتنامه .

(٤) كذا في نفح الطيب ، وفي ط : « وإنَّ نسب ذلك لا معنى » . وفي ت : « وإنَّ نسب ذلك المعنى » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « وعظه » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « العظيم » .

(٧) مِلث : مختلط أمره . يقال : رأس مِلث إذا اختلط شعره الأبيض بالأسود .

(٨) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « لا أبين » .

(٩) هذه الكلمة : « قد » ساقطة في ت ونفح الطيب .

(١٠) هذه العبارة « وأدركته مطلوباً » ساقطة في ت .

(١١) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « وقتلته » .

مغلوباً ؛ وأنه جَزِعَ من الموت وخاف ، إلى سِوَى^(١) ذلك مما يُناسب هذه الأقاويل السَّخَافَ ؛ فكيف يُرْجَى من هؤلاء الكفرة من الخير مثقال^(٢) الذرة ، أو يُطَمَع^(٣) منهم في جَلْبِ المنفعة أو دفع المضرة ؛ اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين . انتهى .

ومنه أيضاً ما نصه :

« كانت خزانة هذه الدار النصيرية^(٤) ، مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ، وقيمة من الجواهر ، وفريدة من الزُّمُرُود ، وقيمة من الفيرُّوزج ، وعلى كل واقٍ من الدُّروع ، وحامٍ من العُدَّة ، وماضٍ من الأسلحة ، وفاخر من الآلة ، ونادر من الأمتعة ، فمن عُقُود فِذَّة^(٥) ، وسلوك حَجَّة ، وأقراط تُفَضِّل على قُرْطَى مارية^(٦) ، نفاسة فائقة ، وحُسْنًا رائقًا ، ومن سيوفٍ شواذٍ في الإبداع ، غرائب في الإعجاب ، منسوبات^(٧) الصَّفائح في الطَّبع ، خالصة^(٨) الحَلَى من التُّبر ؛ ومن دُرُوع مُقَدَّرَة^(٩) السَّرْد ، متلاحمة النسيج ، واقية للبأس^(١٠) في يوم الحرب ، مشهورة النسبة إلى داود نبي الله ؛ ومن جِوَّاشِن^(١١) سابعة اللبسة ، ذهبية الحلية ،

(١) في ت : « غير » .

(٢) في نفح الطيب : « مقدار » .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « يطلب » . وهو تحريف .

(٤) النصيرية : نسبة إلى بني نصر ، وهم بنو الأحر أصحاب غرناطة .

(٥) في هامش نفح الطيب : « عدة » .

(٦) هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ، زوجة الحارث الأكبر الغساني ؛ وكان في قرطبتها لؤلؤتان عجيبتان ضربت العرب بنفاستهما المثل .

(٧) معروفة بصانعيها .

(٨) في ت ونفح الطيب : « خالصات » .

(٩) في ط : « المقدودة » ، وهو تحريف .

(١٠) في ط ونفح الطيب : « للناس » .

(١١) الجواشن : الدروع .

هندية الضرب ، ديباجية الثوب ؛ ومن بيضات عسجدية الطوق^(١) ، جوهريّة التنضيد^(٢) ، زبرجدية^(٣) التقسيم ، ياقوتية المركز ؛ ومن مناطق لجينية الصوغ ، عريضة^(٤) الشكل ، مزججة^(٥) الصفح ؛ ومن درق لمطية^(٦) ، مضمتة المسام ، لينّة المجسّسة ، معروفة المنعة ، صافية الأديم ؛ ومن قسي ناصعة الصبغة ، هلالية الخلقة ، منعطفة الجوانب ، زارية بالحواجب ، إلى آلات فاخرة ، من أوتار^(٧) نحاسيه ، ومناور^(٨) بلوريه ، وطيافير^(٩) دمشقيه ، وسُجّحات^(١٠) زجاجيه ، وصحاف صيدنيه ، وأكواب عراقيه ، وأقداح طباشيريّه^(١١) ، وسوى

(١) في نفح الطيب طبع مصر : « الطرق » .

(٢) في ط : « التنضيض » وهو تحريف .

(٣) كذا في ت : ونفح الطيب . وفي ط « مجردية » وهو تحريف .

(٤) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « عرضة » . وهو تحريف .

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « فرجية » وفي ط « برعمة » .

(٦) نسبة إلى لمطة مدينة من المغرب الأقصى ينسب إليها الدرق ، لأنهم يتقعون الجلود في الحليب سنة ، فيعملونها ، فينبو عنها السيف الفاطم .

(٧) كذا في ت . والأوتار : آنية يشرب فيها ، وأحدها تور . وفي نفح الطيب : « أوتار » . وفي ط : « أتواق » ولا معنى لهذه الأخيرة .

(٨) المناور : جمع منارة ، وتجمع على منائر ومناورات . وهي مايوضع عليه السراج . وقد ذكرها دوزي نقلا عن أبي إسحاق الشيرازي في عبارة نصها : « في آنية مختلفة الأعلى والأوسط والأسفل كالأباريق والأسطان الضيقة الرؤوس والمناورات (المنائر) » .

(٩) الطيافير : كلمة مولدة لم ترد في معاجم اللغة . وذكرها دوزي في كتابه تكملة المعاجم العربية : « وهي أطباق مستديرة عميقة ، قاعها مستو ، وحافاتها مرتفعة نحو ثلاث بوصات أو أربع ؛ الواحد : طيفور ، ويقال فيه « تيفور » وتجمع أيضا على طيافروطوافير » . وقد وردت أيضا ضمن عبارة في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٠٥) هذا نصها : « فيمد لهم السباط ثرائد في جفان حولها طوافير ، وهي الخافي ، فيها أطعمة ملونة متنوعة » . وظاهر من عبارة صبح الأعشى أنها آنية ذوات أغذية .

(١٠) كذا في الأصلين ونفح الطيب . والسبجات : جمع سبجة ، وهي خرزات تنظم في خيط للتسبيح ، وهي مولدة . وذكرها هنا بين أسماء آنية الطعام ووصفها بالزجاجية ، يشعر بأنها محرفة عن لفظ آخر .

(١١) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى في نفح الطيب : « طباشيرية » ، ولعل المراد بالطباشير هنا : مادة خزفية أو نحوها .

ذلك مما لا يُحيط به الوصف ، ولا يستوفيه القَد ؛ وكل ذلك أَلْهَبَهُ (١) شُواظُ (٢)
الْفِتْنَةِ ، والتقمه تيار الخلاف والفرقة ؛ فَرَزْتُ الدار منه بما يتعدّر إتيان الدهور
بمثله ، وتَقْصُر ديار الملوك المؤتلة النعمة عن بعضه فضلا عن كُله . انتهى .
وسنذكر من كلامه رحمه الله بعد هذا ، زيادة على ما جلبناه الآن ،
والله المستعان .

وكانت غرناطة منتهى الآمال ، ووُسْطَى قِلَادَةِ الأمصار ، ولم تزل محاسنها
مَجْلُوءَةً على مَنْصَةِ الدهور والأعصار . وقد استولى (٣) وصفها لسان الدين الوزير
أبو عبد الله بن الخطيب في كتاب الإحاطة ، ويرحم الله القائل :

غَرْنَاطَةُ ما لها نَظِير ما مِصْرُ ما الشَّامُ ما العراق ؟
ما هي إلا العروسُ تُجَلَّى والأرض من جُملة الصِّدَاقِ (٤)

قال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن [أحمد بن (٥)] الحدّاد الشهير
بالوادي آشي ، نزيل تلمسان :

تقريب لابن
عاصم على كتاب
الإحاطة

كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال ، الفائقة الكمال ، من الإحاطة ، في
تاريخ غرناطة ، المُحَبَّسَةِ على المدرسة اليوسُفِيَّة ، من الحضرة العليّة (٦) ، بخط
قاضى الجماعة ، ومنفَّذ الأحكام الشرعيّة المُطاعه ، صدر البلغاء ، وعلم العلماء ،
ووحيد الكبراء ، وأصيل الحُسبَاء ، الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى بن عاصم ،
رحمة الله عليه ، ما نصّه : [٢٧]

- (١) كذا في إحدى روايتي نفع الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى بنفع الطيب
« التهبه » . ولم يرد هذا الفعل متعديا في كتب اللغة . ولعله محرف عن « اتهمه » .
- (٢) الشواظ : لهب النار .
- (٣) يريد : « تولى » . ولم يرد في المعاجم « استولى » متعديا إلا بالحرف .
- (٤) رواية الشطر الثاني من البيت في نفع الطيب : « وتلك من جملة الصِّدَاقِ » .
- (٥) زيادة عن الإحاطة .
- (٦) في ط : « العالوية » .

« الحمد لله ، الاستدلال بالاثَر على المؤثر مما سَلَّمه الأعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ؛ وهو الحُجَّةُ الْمُعْتَمَدَةُ حين تنفاضل الألباب ، وتنقاصر الأفهام ، وبه الاستمساك إن طَرَقَت الشكوك ، أو عرضت الأوهام . وحسبك بما يُسَلَّم في هذا المقام المتعالى من الأدلة ، وما يُعتمد في هذا المجال المتضايق من البراهين المستَقْلَّة ؛ تحقيق أن يُتَلَقَّى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالقبول ، ويُستَقْبَل المُهْتَدَى لا استنباطه لما فيه من التبادر إلى الأفهام والتسابق للعقول ؛ وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلة سالك على سواء سبيل ، ومنتمٍ من صحة النظر إلى أكرم قبيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذي الوزارتين^(١) أبي عبد الله بن الخطيب رحمه الله ، من أثر هذه الدولة النضرية — أدامها الله — بكل اعتبار ، ومآثرها التي هي عبرة لأولى الألباب ، وذكرى لأولى الأبصار .

أما الأول فلأن الأنبياء التي أظهرت صحتها^(٢) ، وأوضحت حجتها ، وشرفت مقصدها ، وكرمت مصعدَها ، إنما هي مناقب ملوكها الكرام ، ومكارم خلفائها الأعلام ، وأخبار^(٣) من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور سحمة السيوف والأقلام ؛ وأفذاذ حفظة الدين والدنيا ، والشرف والعليا ، والملك والإسلام ؛ أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة الملك ، ويُنظَم^(٤) نظم الجُمان^(٥) في ذلك السِّلَك ، من حَصانة قَلْبِها ، وأصالة^(٦) منعتها ؛

(١) في ط : « ذي الوزارة » . وهو تحريف .

(٢) في ت : « ظهرت بهجتها » .

(٣) في ت : « أو أخبار » .

(٤) في ت : « ينظم » .

(٥) في ت : « المجال »

(٦) في ط : « وأصانة » . وهو تحريف .

وقدِّيم اختطاطها ، وكريم جهادها ورباطها ؛ وحُسن ترتيبها ووضعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهلُ ربُّعها ؛ وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قبيل القليل ، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ، ممن انتابها ^(١) من أهل الفضل الواضح والجد الأثيل .

وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة ^(٢) ، ومُبدع محاسنها المجلوة ، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة ، ونشأة ^(٣) من نشآت جودها الشامل النعمه ، الهامل الديممه ؛ فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف ^(٤) هذه المكارم النَّصْرِيَّة أَرْضَعَتْهُ ، وعنايتها الجميلة أَسْمَتْهُ ، فوق الكواكب ورفعتهُ ؛ وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، ومن كريم تشریفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره ، بل أُنْفَقَهُ ^(٥) الذي أشرق فيه بدره ؛ والتشريفات السلطانية هي التي فَتَقَتْ اللّٰهِي بِاللّٰهِي ^(٦) ، وأحلت من مراقى العزِّ فوق الشَّهَابِ ^(٧) ؛ وأمكنت الأيدي ^(٨) من الدَّخَائِر والأعلاق ، وطوقت المِيزَان كَالْقَلَائِدِ في الأعناق ؛ وقلدت الرياسة والأقلام أقلام ، وثنت الوزارة والأعلام أعلام ؛ فبهرت أنواع المحاسن ، وورد معين البلاغة غير المطروق ولا الآسن ؛ وبرَّعت التواليف ، في الفنون المتعددة ، واشتهرت التصانيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له

(١) كذا في ط . وانتابها : قصدها . وفي ت : « انتهى بها » .

(٢) في ط : « المتأصرة » . وهو تحريف .

(٣) النشأة : السجادة الناشئة .

(٤) الأخلاف : جمع خلف ، وهو من ذوات الحف بمنزلة الثدي للإنسان .

(٥) في ط : « بالفقه » وهو تحريف .

(٦) اللّٰهِي (بالفتح) : جمع لهة ، وهي اللحمة المشرفة على الخلق ، واللّٰهِي (بالضم) :

جمع لهية ، وهي العطية .

(٧) الشَّهَاب : كوكب خفي من نبات نعش ، ويضرب به المثل في العلو والارتفاع .

(٨) في ط : « الأيدي » .

من الأذمة المتأكده . وإذا ^(١) ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتبه الإجمال ، فلنفصح ^(٢) الآن بما قصد ، ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد ، وذلك أن لمولاي ^(٣) أمير المؤمنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، الغالب بالله ، المؤيد بنصره أبي عبد الله ، محمد بن الخلفاء النصريين — أيده الله ونصره ، وسنّى له الفتح المبين ويسره — ما أثر لم يسبق إليها ، ومكارم لم يجز أحد من وُسَم الكرم عليها ، لجلالة قدرها ، وضخامة أمرها ؛ من ذلك هذا القصد الذي أثر لها كالكتاب المذكور وسواه ، مما هو واحد وقد ^(٤) في معناه ؛ عقّد في جميعها التحبّيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العلية ^(٥) هنالك ، ليشمل به الإمتاع ، ويعم به الانتفاع ؛ والله ينفع بهذا القصد الكريم ، ويتولّى المثوبة على هذا العقد الجسيم .
وهذه النسخة في اثني عشر سِفراً ، متفقة الخط والعمل ، اكتُتِبَ هذا على ظهر الأول منها بتاريخ ^(٦) رجب الفرد ، عام تسعة وعشرين وثمان مئة ، عرف الله بركته بمَنه ، آمين ^(٧) . انتهى .

وقال الوزير أبو يحيى بن عاصم المذكور ، قدّس الله روحه الطيبة ، وسقى ^(٨) مشواه غيث رحمته الصيّبه ، في كتابه المسمى بـ «الروض الأريض» ^(٩) ، في ترجمة شمس العصر ، من ملوك بني نصر ، في اسم الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن نصر الخزرجي ، بعد كلام ما نصه :

نبذة من كتاب
الروض لابن عاصم
عن ابن يوسف

(١) في ط : « إذا » بدون واو .

(٢) في ت : « فالنصح » .

(٣) في ت : « لمولانا » .

(٤) في ت : « ... واحد في فنه وفي معناه » .

(٥) في ط : « العليا » .

(٦) في ط : « وبتاريخ » .

(٧) هذه الكلمة « آمين » ساقطة في ت .

(٨) في ط : « وسقاه غيث » .

(٩) بقية الاسم في نفح الطيب : « في تراجم ذوى السيوف والأفلام والفريش » .

« كان قد جرى عليه التخصيص الذي أزعجه عن وطنه ، إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مرين ، فأفادته الحُنْكَةُ والتجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها ، وانتهجوا واضح طريقتها ، وبلغتنا منقولة بالسنة صدقهم ، معبراً عنها في عرف التخاطب بالعادة ، فلم يكن الوزير الكيس ، والرئيس الجُهْدِيجريان من الاستقامة على قانون ، ولا يطرّدان من الصواب على أسلوب ، إلا بالحفاظة على ما رسم من التواعد ، والمطابقة لما ثبتت^(١) من العوائد ؛ وكان ذوو الثبل من هذه الطبقة ، وأولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية ، يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قعد ، ويرون المفسدة بالخروج^(٢) عنها ضربة لا زب^(٣) ، وأن الاستمرار على مراسمها آكد^(٤) واجب ؛ فيتحرّونها بالالتزام كما تُتحرّى السُنن ، ويتوخّونها بالإقامة كما تُتوخّى^(٥) الفرائض ، وسواء تبادر لهم معناها ففهموه ، أو خفي عليهم وجه رسمها فجملوه . »

مثل من حرر
ابن الخطيب علو
العوائد

حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسنى :

أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرّك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل ، مما يتوقف^(٦) عادة على إذن الوزير ، وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبي عبد الله . قال الشريف : فأمضاها كلّها له^(٧) ، ما عدا واحدة منها تضمّت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذو الوزارتين

(١) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « أثبت » .

(٢) في ط : « في الخروج » .

(٣) في ط : « لازم » .

(٤) في ط : « واكد » .

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « تقام » .

(٦) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « توقف » ،

(٧) هذه الكلمة : « له » ساقطة في ت .

[ابن الخطيب] ^(١) : لا والله يا رئيس أبا عبد الله ، لا آذن لك في هذا ، لأننا ما استقمنا في هذه الدار إلا بحفظ العوائد .

[ثم] ^(٢) قال صاحب الروض :

فلما تأذن الله [تعالى] ^(٣) للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهن بتمكن الأسباب ؛ عُذِلَ عن هذه القواعد ^(٤) الراسخة ، واستُخِفَّ بتلك القوانين ^(٥) الثابتة ؛ فنشأ من المفسد ما أعوز رَفْعُهُ ، وتعدّد وِترُهُ وشَفَعُهُ ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه ، وتعذّر فيه الدواء الذي يُرْجى نفعه ؛ وكان قد صَحِبَهُ من الجِدِّ ما سَنَى آمالَهُ ، وأنجَحَ — بإذن الله — أقواله وأعماله ؛ فكان يُجْرَى الأمر على رَسْمٍ من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ؛ ثم يَحْفَهُ ^(٦) من الجِدِّ سياج لا يفارقه ، إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروعه وأصوله .

انتهى كلام ابن عاصم ، وإنما أتيت به لغرابته .

وقال أبو عبيد البكري رحمه الله :

« الأندلس شامية في طبيها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين » ^(٧) .

اضطراب
أمر الأندلس
بالخروج على
القواعد

يصف البكري
للأندلس

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : تلك « العوائد » .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « القواعد » .

(٦) كذا في ت . وفي ط : « يحفه » .

(٧) لكلام أبي عبيد البكري بقية ذكرها المؤلف في نفح الطيب (ج ١ ص ٦٤ طبعة المطبعة الأزهرية) .

وصف
ابن الخطيب
للأندلس

وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب :

خص الله بلاد الأندلس من الرِّيع ، وَغَدَقَ السُّقْيَا ، وَلِذَاذَةُ الْأَقْوَات ، وَفِرَاهَةُ
الْحَيَوَان ، وَدُرُورُ الْفَوَاكِهِ ، وَكَثْرَةُ الْمِيَاهِ ، وَتَبَحُّرُ الْعِمْرَان ، وَجُودَةُ اللَّبَاسِ ،
وَشَرَفُ الْآنِيَةِ وَكَثْرَةُ السَّلَاحِ ، وَصِحَّةُ الْمَوَاءِ ، وَابْيَضَاضُ أَلْوَانِ الْإِنْسَانِ ^(١) ،
وَنَبْلُ الْأَذْهَانِ ، وَقَبُولُ الصَّنَائِعِ ، وَشَهَامَةُ الطَّبَاعِ ، وَنَقُوزُ الْإِدْرَاكِ ، وَإِحْكَامُ
الْتِمَدَنِ وَالْإِعْتِمَارِ ، بِمَا حَرَمَهُ ^(٢) الْكَثِيرُ مِنَ الْأَقْطَارِ ، مِمَّا سِوَاهَا .

ثم قَالَ : وَحَدِيثُ الْفَتْحِ ، وَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَنَحِ ، وَأَخْبَارُ
مَا أَفَاءَ اللَّهُ مِنْ خَيْرٍ ، عَلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، وَكَتَبَ مِنْ جِهَادٍ ، لَطَارِقُ بْنُ زِيَادٍ ،
كَمَلُولُ قُصَاصٍ وَأَوْرَاقٍ ، وَحَدِيثُ أَقُولُ وَإِشْرَاقٍ ، وَإِرْعَادُ وَإِبْرَاقٍ ؛ وَعَظَمُ ^(٣)
أَمْتَشَاشُ ^(٤) ، وَآلَةُ مُعَلَّقَةٍ فِي دُكَّانِ قَشَّاشٍ ^(٥) . اِتْمَهَى .

ولا خفاء بما كان لملوك المسلمين بالأندلس والعدوة على النصارى — دمرهم
الله — من الاستطالة والغلبة ، حتى وقع التخاذل والتدابير ، فانعكس الأمر . وقد
حكى غير واحد أن دُنْ جَانِجَه ^(٦) بن دُنْ الْفُتُشْ ، استنصر على أبيه بالسلطان
المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المَرِينِي ، ولأذبه ، ورهن عنده
تاجَه ^(٧) ذَخِيرَةَ النَّصَارَى ، ولقيته بصخرة عَبَادٍ ، من أخواز زُنْدَه ، فسلم عليه ،

(١) كَذَا فِي طَوْفِ الطَّيِّبِ . وَفِي ت : « الْأَسْنَان » .

(٢) فِي ت : « أَحْرَمَهُ » .

(٣) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي ط : « وَأَعْظَام » .

(٤) أَمْتَشَاشُ الْعِظَمِ : مَصْهُومٌ لَا يَسْتَخْرَجُ مَا فِيهِ . يَرِيدُ أَنَّ الْحَدِيثَ فِي هَذَا
مَفْرُوعٌ مِنْهُ كَالْعِظَمِ الَّذِي أَمْتَشَ ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ شَيْءٌ .

(٥) الْفَشَّاشُ : الَّذِي يَبِيعُ الْقَدِيمَ الْبَالِيَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ . (عَنْ دُوزِي)

(٦) كَذَا فِي ط . وَفِي الْأَسْتَفْصَا لِلْسَّلَاوِيِّ (ج ٢ ص ٢٧ طبع مصر) : « شَانِجَه »
وَفِي ت : « تَجَانِجَه » . ثُمَّ إِنَّ السَّلَاوِيَّ ذَكَرَ أَنَّ الْمُسْتَنْصَرَ هُوَ هَرَانْدَه أَبُو شَانِجَه .

عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا سَأَى الْمُؤَلِّفُ هُنَا .

(٧) فِي ط : « تَاج » .

ويقال إن أمير المسلمين^(١) لما فرغ من ذلك، طلب بلسان زَنَاتَه^(٢) الماء، ليغسل يده به من قُبْلَةِ الْفُنْشِ، أو مصاخته^(٣).

ابن الخطيب :

تعقيب لابن
الخطيب على
قصة أبي يوسف

« والشئ يذكّر بالشئ » ، فَأُثْبِتُ حكاية اتفقت لى بسبب ذلك ، أَسْتَدْعِي بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها ، وهى أن اليهودى الحكيم ابن زَرْزَار ، على عهد ملك النصارى ، حفيد هذا الْفُنْشِ المذكور ، وصل إلينا بَغْرَنَاطَة فى بعض حوائجها ، ودخل إلى بدار سكنائى ، مجاوراً لقصر السلطان بحمراء غرناطة ، وعندى القاضى اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة ، وبيده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبى^(٤) عبد الرحمن بن السلطان الكبير المولى أبى الحسن ، وكان محمد هذا قد فرّ إلى صاحب قَشْتَالَة ، واستُدْعِيَ مِنْ قِبَلِهِ إلى الْمُلْكِ ، فسَهَّلَ له ذلك ، وشرط عليه ما شاء ؛ وربما وصله خطابه بما لم يُقْنِعْهُ فى إطرائه ، فقال [لى^(٥)] : مولاي السلطان دُنْ بطره يُسَلِّمُ عليك ، ويقول لك : أنظر مخاطبة هذا الشخص ، وكان بالأمس كلباً من كلاب بابه ، حتى ترى خسارة الكرامة فيه . فأخذت الكتاب من يده ، وقرأته وقلت له : أباغه عني أن هذا الكلام ما جَرَّكَ إليه إلا خُلُوءُ بابك من الشيوخ ، الذين يُعَرِّفُونَكَ بالكلاب وبالأسود ، وبمن تُغَسِّلُ الأيدي منهم إذا قَبَّلُوها ، فتعلم من الكَلْبِ الذى تُغَسِّلُ اليد منه ، ومن لا ، وأنَّ جَدَّ هذا الولد هو الذى قَبَّلَ جَدُّكَ يده ،

(١) فى ط : « المؤمنين » .

(٢) فى ط : « الزنانية » .

(٣) فى ت : « ومصاخته » .

(٤) كذا فى ت والاستقصا . وفى ط : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ت .

واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضرة النصارى والمسلمين ؛ ونسبة الجد إلى الجد كنسبة الحفيد إلى الحفيد ؛ وكونه لجأ إلى بلادك ليس بعار عليه ، وأنت معرض إلى اللجأ إليه ، فيكافئك بأضعاف ما عاملته^(١) به . فقام ابن الحسن المستقصى يبكي ، ويُقبّل يدي ، ويصفني بولي الله ، وكذلك من حضرني . وتوجه إلى المغرب رسولاً ، فقصّ على بني مرين خبر ما شاهدته مني وسمعه ؛ وبالحضرة اليوم من تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه . انتهى .

ولما تقاصّ ظل^(٢) الإسلام بالجزيرة ، أعادها الله للإسلام ، واسترد التمار ، دمرهم الله ، أكثر أمصارها وقراها ، على وجه العنوة والصلاح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميات^(٣) ذوى البصائر والأبصار ، ويستنهضون عزّمتهم من كل الأمصار .

فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك رحمه الله لابن زمرك لما نزل المسلمون بأخر مرّج غرناطة ، متوجهين لفج خير :

« اعلّموا أنا نذركم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم ؛ إن هذا الجهاد ولّمة دعا الله عباده إليها ، وحضّهم عليها ؛ فالآيات في المصاحف مسطوره ، والأحاديث مشهوره ؛ لبيع النفوس فيها من الرحمن ، وبذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الدّيان ، ينزل الله فيها الملائكة المسوّمين . وتفرح الحُور العين ، وتسبح الرحمة من رب العالمين ، ويباهى الله ملائكته^(٤) بالمجاهدين ؛ وقد

(١) في ط : « ما عاملته » .

(٢) في ط : « ذيل » .

(٣) في ط : « حماة » .

(٤) في ت : « الملائكة » .

بعض ما كتب
في استنهاض
الهمم ضد
النصارى

تضافرت على ذلك النصوص ، وكفى شرفاً للفوز بمحبة الله في قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ؛ فينبغي فيه الاستغفار من سالف الذنوب ، وتطهير السرائر والقلوب ، واجتماع الأيدي [٣٢] والكلمة في مَرْضَاتِ عِلَامِ الْغُيُوبِ .

لابن الخطيب

وأبلغ منه ما كتب به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب في الحث على الجهاد ، والترغيب فيه ، وهو :

«أيها الناس ، رحمكم الله ، إخوانكم المسلمون قد دهم العدو — قصمه الله — ساحتهم ، ورام الكفر — قبضه الله — استباحتهم ؛ وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم ^(١) ، ومد الصليب ذراعيه إليهم ؛ وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ؛ وهو دينكم فانصروه ، وجواركم القريب فلا تخفروه ، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه . الجهاد الجهاد ، فقد تعين الجار الجار ، فقد قرر الشرع حقه ويين ؛ الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة محمد عليه السلام ؛ الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله [الله في ^(٢)] وطن الجهاد في سبيل الله ؛ قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ؛ أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله لكم ^(٣) جميل العوائد ؛ صلوا رحمكم الكلمة ، وآسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ؛ كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ) . ومما صح عنه قوله : « من اغترت قدماه في سبيل

(١) في ط : « إليهم » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ط : « إليكم » .

الله حَرَمَهما الله على النار . « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودُخان جهنم » (١) .
« ومن جَهَّزَ غَازِيَاً في سبيل الله فقد غُزَا » . أَذْرِكُوا رَمَقَ الدين قبل أن يفوت ،
بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت ؛ احفظوا وجوهكم مع الله يوم يسألكم
عن عبادته ، جاهدوا في الله بالألسن والأموال حق جهاده :

ما ذا يكون جوابكم لنبيكم وطريقُ هذا العُذرِ غيرُ مُمَهَّدٍ
إِنْ قَالَ لِمَ فَرَّطْتُمْ في أُمْتِي وتركتموهم للعدوِّ المُعْتَدِي
تالله لو أَنَّ العقوبةَ لم تُخَفْ لَكُنِيَ الْحَيَا (٢) من وجه ذاك السَّيِّدِ

[٣٣] اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بُثْ لَنَا الْحَمِيَّةَ في البلاد ، اللهم دافع
عن الحرِّم الضعيف والأولاد ؛ اللهم انصرنا على أعدائك بأحبائك وأوليائك
يا خير الناصرين ، اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وانصرنا على القوم
الكافرين . وصلى الله على سيدنا [ومولانا] (٣) محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم
تسليماً . انتهى .

سقوط غرناطة
في يد العدو
والخلاف في
تاريخ ذلك

واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مدة ، والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا
والعدوُّ تَكَالَبًا وشِدَّةً ؛ حتى استولى على الجزيرة بأسرها ، وشرَّح ذلك يطول .
وكان استيلاؤه على حمراء غرناطة ، ودخول جيشه [لها] (٤) [ثاني ربيع النبوي ،
من عام سبعة وتسعين وثمان مئة . هكذا رأيته في تأليف لبعض المتأخرين ، ضمَّنه
القضية ، وألفه بسببها ؛ على أني رأيته بخط الفقيه أبي عبد الله الوادي أشي
ما يخالف ذلك ، وهو (٤) أنه أورد رسالة لابن الخطيب يخاطب بها السلطان أباسالم

(١) تنمة الحديث كما في سنن النسائي : « في منخري مسلم أبدا » .

(٢) الحيا : مقصور من الحياء .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) في ت : « وذلك » .

المريفي، نصّ محل^(١) الحاجة منها :

« ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت غروة تأميلكم ، أو أعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه » . انتهى .

فكتب بطرّنه أبو عبد الله الوادي آشي المذكور^(٢) ما نصه :

« كذلك وقع آخر الأمر . وكان الاستيلاء على غرناطة آخر ما بقي من بلاد الأندلس للإسلام ، في محرّم [عام]^(٣) سبعة وتسعين وثمان مئة ، فرحم الله ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ، وغفر له برحمته » . انتهى كلام الوادي آشي .
على أنه قد يظهر من كلام بعضهم أن الصلح كان في محرّم ، ودخول الجيش القصبة الحمراء كان في ربيع ، فلا منافاة ، والله أعلم .

ورأيت بخط الإمام الوانشريشي^(٤) سيدي عبد الواحد رحمه الله ما نصه :
« استولى العدو على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمة^(٥) تاسع الحرم يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ؛ وفي عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى العدو على جميع [بلاد]^(٦) الأندلس ماعدا غرناطة وبشرتها^(٦) ، وكان قبله في عام اثنين وتسعين استولى على مالقة في رمضان منه ، وفي عام سبعة وتسعين استولى على غرناطة » . انتهى .

(١) هذه الكلمة « محل » ساقطة في ت :

(٢) هذه الكلمة : « المذكور » ساقطة في ت .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في نفح الطيب طبعة أوربة . والوانشريشي : نسبة إلى وانشريش (بالنون

وشينين معجمتين وراء ثم ياء) : جبل بين مليانة وتلمسان من نواحي المغرب .

وفي الأصلين وهامش نفح الطيب : « الوانشريسى » .

(٥) الحمة : من أعمال مرسية . (عن تكملة كتاب الصلة) .

(٦) كذا في نفح الطيب وفي سياقي الأصلين . وظاهر من سياق نفح الطيب أنها

ضواح لغرناطة أو مواضع بها . وفي الأصلين هنا : « وبشاراتها » .

خروج أمير
الحمراء ابن
أبي الحسن
إلى فاس

[٣٤] ولما دخل النصارى إلى الحمراء خرج أميرها أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن على النّصرى ، واشترط المسلمون على العدو الكافر شروطاً أظهر قبولها ، وبسط لهم جناح العدل ، حتى بلغت بزعمهم نفوسهم مأمولها ؛ وكان من جملة ما أن من شاء البقاء عنده أقام في ظل الأمان ^(١) مُكْرَماً ، ومن أراد الخروج إلى برّ العدو أنزل بأي بلاد شاء منها ، من غير أن يُعطى كِراء ولا مغرماً ؛ وأظهر للمسلمين العناية والاحترام ، حتى كان النصارى يحسدونهم في ذلك ، ويقولون لهم : أتم عند ملكنا أعز وأكرم منا ؛ ووضع عنهم الغارم ، حيلة منه وكيدا ، ليغفّرهم بذلك ، ويُبتطّهم عن الجواز . فوقع الطمع لكثير من الناس ، وظنوا أن ذلك البرق ليس بخُلْب ، فاشترى كثير من المقيمين الرباع العظيمة ، ممن أراد الذهاب للعدو ، بأرخص الأثمان ، وأمر — لعنه الله — بانتقال سلطان غرناطة أبي عبد الله إلى قرية أندرش ^(٢) ، من قرى البشارة ، فارتحل أبو عبد الله بعياله وحشمه ، وأقام بها ينتظر ما يؤمر به ، ثم ظهر للطاغية أن يجيزه إلى العدو ، فأمره بالجواز ، وأعد له العراك العظيمة ، وركب معه كثير من المسلمين ، ممن أراد الجواز ، حتى نزلوا بمليلة ^(٣) من ريف المغرب ، ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس — حرسها الله — وما زال أعقابه بها إلى الآن من جملة الضعفاء السُّؤال ، بعد الملك الطويل العريض ، فسبحان المعز المذل ، المانع المانع ، لا إله إلا هو .

(١) هذه العبارة : « في ظل الأمان » ساقطة في ت .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب وتقويم البلدان . وفي ت : « أندرس » بالسين المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) مليلة (بوزن سفينة) : مدينة قديمة مسورة على بحر الزقاق (انظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

وفاته وشيء عنه
وعن عقبه

وكان خلع أبيه أبي الحسن يوم الأحد ثالث جمادى الأخرى من عام تسعين
وثمان مئة، خلعه أخوه^(١)، ودخل أبو عبد الله المذكور، ابن أبي الحسن^(٢)، رِبَضَ
البَيَّازِينَ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالَ عام واحد وتسعين، وافتكَّ مُلْكَ أبيه من يد عمته،
وَتُوِّفِيَ رحمه الله بفاس عام أربعة وعشرين وتسع مئة، ودفن بإزاء المصلى،
خارج باب الشريعة، وخلف ولدين، اسم أحدهما يوسف، والآخر محمد^(٣)،
وعقبه الآن بها كما ذكرناه، والله وارث الأرض ومن عليها، والله خير الوارثين.

حال المسلمين
بعده بالأندلس

وكان من قَدَّرَ اللهُ تعالى أنهم لما وصلوا مدينة فاس أصاب الناس بها شدة
عظيمة، من الجوع والغلاء والطاعون، حتى فرَّ كثير منها بسبب ذلك، ورجع
بعض أهل الأندلس إلى بلادهم، فأخبروا بتلك الشدة، فتقاعس من أراد الجَوَّازَ،
وعزَمُوا على الإقامة والدَّجْنَ^(٤)، ولم يُجِزِ النَّصَارَى أحدا بعد ذلك إلا بالكِرَاءِ
والمُغْرَمِ وعُشْرِ المال، فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجَوَّازَ وعزَمُوا على
الاستيطان والمُقام في الوطن، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أولَ
مرة، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا، إلى أن نقض جميعها، وزالت حُرْمَةُ المسلمين،
وأدركهم الهوان والذلَّة، واستطال عليهم النصارى، وفُرِضَتْ عليهم المغارم الثقيلة،
وقُطِعَ عنهم الأذان في الصوامع، وأمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباض
والقُرى، نخرجوا أَذِلَّةَ صاغرين، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصُّر، وأكرههم
عليه، وذلك سنة أربع وتسع مئة، فدخلوا فيه كَرَهَا، وصارت الأندلس كلها

(١) في ط: « وكان أبوه أبو الحسن خلع سنة تسعين وثمان مئة، خلعه أخوه يوم
الأحد ثالث جمادى الأخرى من العام ».

(٢) هذه العبارة: « ابن أبي الحسن » : ساقطة في ت.

(٣) كذا في ت ونفح الطيب. وفي ط: « أحمد ».

(٤) الدجن: الإقامة.

دار كُفْر ، ولم يبق من يَجْهَر بكلمة التوحيد والأذان ، وجُعِلت في المساجد والمآذن النواقيسُ والصُّلْبَان ، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، لا رادَّ لما قضاه الله الملك الديَّان .

رسالة في ذكر
ما جرى للمسلمين
في الأندلس

وقد رأيت لبعضهم رسالة ببعض شرح ذلك ، ونصها :

« وتعرَّفنا من غير ما طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أن قُطِر الأندلس — نظر اللهُ إليه ، وعاد بنوره عليه — طَرَقَ أهله خَطْبٌ لم يَجْرُ في سالف الدهر ، وذلك أنهم أكرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطقُ بما يقتضى في الظاهر الكفر ، ولم يُقبَل منهم الأُسر ؛ وكان الابتداء في ذلك من أهل غرناطة — جدَّد الله رُسْمها ، وأعاد إلى بلاد المسلمين ^(١) اسمها — وخصوصاً أهل واسطتها ، لقلة الناس ، وكونهم من الرعية الدِّهَاء ، مع عدم العصبية ، بسبب اختلاف الأجناس ؛ وعلم النصارى — دمرهم الله — بأن من بقي بها ^(٢) من المسلمين إنما هم أسارى في أيديهم ، وعيال عليهم ؛ وبعد أن انتزعوا منهم ^(٣) الأسلحة والمعازل ، وعَتَوْا فيهم بالخروج والجلَاء ، فلم يبق من المسلمين طائِل ؛ ونقض اللعين طاغية النصارى عهوده ، ونشر بمحض الغدر بُنوده ؛ من غير مَعْدرة لَفَقَها ، ولا كَذْبة في مَعْرِض العذر نَمَقَها ، إلا أعجازا من الكفر ، وصدورا من الغيظ والمكر ، وخالص الغدر ، جَمَعها وفرَّقها ؛ وكان الطاغية إذ ذاك بِاشِدِيْلِيَّة — جبرها الله ، وجعل بها قبره ، ووقى المسلمين والإسلام شَرَّه — وبعد أن كان [قبل ^(٤)] قد انسلَّ إلى غرناطة انسلال

(١) في ت : « الإسلام » .

(٢) في ت « منها » .

(٣) في الأصلين : « لهم » .

(٤) زيادة عن ت .

الْقَطَا إِلَى الْمَاءِ ، وَطَلَعَ إِلَيْهَا طُلُوعُ الرَّقِيبِ عَلَى خُلُوتِ الْأَحْبَاءِ ؛ وَأَمَرَ بِإِخْلَاءِ
الْأَرْبَاضِ ، وَأُذِنَ فِي السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ لِلْأَبْعَاضِ ، وَلَمْ يُحْضَرِ مِنَ الْأَجْفَانِ ^(١) إِلَّا الْقَلِيلُ ،
وَمَا كَانَ قَصْدُهُ إِلَّا التَّفْرِيقَ وَالتَّهْوِيلَ ؛ عَلَى مَا عَاهَدَ مِنْ غَدْرِ النَّصَارَى وَطُغْيَانِهِمْ ،
وَفَعَلَهُمُ الذَّمِيمَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَتَوَرَّأَنَهُمْ ؛ وَالْإِعْلَانُ بِمُحَنَّتِهِمْ ؛ وَالْحَرْصُ عَلَى ارْتِدَادِهِمْ [٣٦]
وَفَتْنَتِهِمْ ؛ وَأَقَامَ بَعْدَ انْصِرَافِهِ عَنْهَا ، وَخُرُوجِهِ مِنْهَا ، بِإِسْبِيلِيَّةٍ مُدَيَّدَةٍ ، وَعَقَارٍ بِهِ
لَأَشْيَاعِهِ مِنَ النَّصَارَى بَغْرَانَاةٌ تَدِبُّ وَتَسْرِي ، وَنَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ بِالْعَابِ ^(٢) تَقْرِي ؛
ثُمَّ انْتَقَلَ عَنِ الْوَاسِطَةِ لِلْبَيْتَازِينَ ، حَيْثُ الْحَمِيَّةِ ، وَالنُّصْرَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ^(٣) ، مَعَ
السَّرَاجَةِ وَالنَّجِيهِ ^(٤) ، وَالْعَقْلِ الرَّصِينِ ، وَالِدَيْنِ الْمُتَيْنِ ؛ فَجَعَلَ صَعْبَهَا ذُلُولًا ،
وَأَعَادَ لِلْكَفْرِ كَرَهَا مِنْ كَانَ بِمُحَضَّرَتِهَا ، وَتَمَتَّعَ أَحْزَابُ الشَّيْطَانِ — قَصَمَهُمُ اللَّهُ —
بِنُضْرَتِهَا ، نَسَأَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ تَمَتُّعَهُمْ قَلِيلًا .

وزيادة ^(٥) الخبر :

تنكيل طاغية
قشتالة وأرغون
بالمسلمين

« أَنْ طَاغِيَةَ قَشْتَالَةَ وَأَرْغُونَ — قَصَمَهُ اللَّهُ — صَدَمَ غَرْنَاةَ صَدَمِهِ ،
وَأَكْرَهَ عَلَى الْكَفْرِ مَنْ بَقِيَ بِهَا مِنَ الْأُمَّةِ ؛ بَعْدَ أَنْ هَيَّضَ جَنَاحَهُمْ ^(٦) ، وَرَكَدَتْ
رِيَاحُهُمْ ؛ وَجَعَلَ بَعْدُ جَنْدُهُ الْخَاسِرَ عَلَى جَمِيعِ جِهَاتِ الْأَنْدَلُسِ يَنْثَالُ ، وَالطَّاغِيَةُ
يَزْدَهِي فِي الْكَفْرِ وَيَخْتَالُ ؛ وَدِينَ الْإِسْلَامِ تُنْثَرُ بِالْأَنْدَلُسِ نَجُومُهُ ، وَتُطْلَسُ
مَعَالِمُهُ وَرُسُومُهُ ؛ فَلَوْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ الْكَفَرُ بِالْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِيهِ ، لَكُنْ

(١) الْأَجْفَانُ : كَلِمَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ ، بِمَعْنَى السَّفِينِ . ذَكَرَهَا دَوْزِي فِي مَعْجَمِهِ .

(٢) كَذَا فِي ط . وَفِي ت : « بِالْعَارِ » .

(٣) فِي ط : « الْأَمَانِيَّةُ » .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي ت : « مَعَ السِّدَاجَةِ وَالْمُحِيَّةِ » وَلَا مَعْنَى لِلرَّوَايَتَيْنِ .

(٥) فِي ت : « وَزَيْدَةُ » .

(٦) فِي ت : « جَنَاحَهُمْ » .

كل مسلم يندبه ويبكيه ؛ فقد عبت البلاء برؤسومه ، وعفى على أقماره ونجومه ؛ ولو حضرتم من جبر بالقتل على الإسلام ، وتوعد بالنكال والمهلك العظام ؛ ومن^(١) كان يُعذب في الله بأنواع العذاب ، ويدخل به من الشدة في باب ويخرج من باب ؛ لأنساكم مَصْرَعُهُ ، وساءكم مَقْطَعُهُ ؛ وسيوف النصارى إذ ذاك على رؤوس الشرذمة القليلة من المسلمين مَسْلُولُهُ ، وأفواه الذاهلين محلوله ؛ وهم يقولون : ليس لأحد بالتنصر أن يُمَطَّلَ ، ولا يلبث حيناً ولا يمهل ؛ وهم يكابدون تلك الأهوال^(٢) ، ويطلبون لطف الله في كل حال . انتهى .

وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تلمسان ، منهم القاضى الشهير أبو عبد الله بن الأزرق ، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل ، وكتاب السياسة الملخص من مقدمة تاريخ ابن خلدون ، وفيه زيادات بديعات^(٣) ، وكتاب روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، وغير ذلك ، وارتحل من تلمسان إلى المشرق ، وسنم بذكره . ومنهم بنو داود المذكورون في فهرسة الشيخ ابن غازى ، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غرناطة^(٤) ؛ ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها ، وأنه أخذها لا محالة ، قوّضوا رحالهم عنها ، فنزلوا بتلمسان المحروسة ، وأخذت الحضرة الغرناطية^(٥) بعد ارتحالهم بقريب ، رحمهم الله . ومنهم الفقيه الأديب ، حائز قصب السبق في كثرة النسخ والكتابة ، أبو عبد الله محمد بن الحدّاد الشهير بالوادى آشى ، وسنذكره إن شاء الله ، رحم

[٢٧]

(١) في الأصلين : « وإن » .

(٢) في ط : « الأحوال » .

(٣) في ت : « زيادة بديعة » .

(٤) في ت : « أخذها » .

(٥) في ت : « وأخذت غرناطة » .

بعض من خرج
من علماء
الأندلس

الله الجميع^(١) . وممن خرج بفاس من العلماء ، الفقيه أبو العباس البقّاني^(٢) ، ثم رجع إلى غرناطة ، وقضيته معروفة .

كتاب ابن الأحمر
لصاحب فاس

ولا بأس أن نُورد كتاب السلطان أبي^(٣) عبد الله بن الأحمر المخلوع المذكور ، الذي بعث به لصاحب فاس^(٤) في ذلك العهد ، تمهيداً لمُذْره ، وتوطئة لمقصده ؛ وتطارُحاً على تلك الأبواب وتماثلاً ، وتمسّكاً بذلك الجناب وتعلّقاً ؛ وهو في الغاية^(٥) من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناظم ، النائر الكاتب ، المُجيد البارِع البليغ ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ رحمه الله ، وسماه بالروض العاطر^(٦) الأنفاس ، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح^(٧) :

« مَوْلَى الْمُلُوكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ رَعِيًّا لِمَا^(٨) مِثْلُهُ يُرْعَى مِنَ الذَّمِّ .
بك استجرتنا ونعم الجار أنت لمن جار الزمان عليه جورٌ مُنْتَقِمِ
حتى غدا مُلْكُهُ بِالرَّغْمِ مُسْتَلَبَا وَأَفْطَعُ الْخَطْبِ مَا يَأْتِي عَلَى الرَّغْمِ
حُكْمٌ مِنْ اللَّهِ حَتْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ وَهَلْ مَرَدُّ لِحُكْمٍ مِنْهُ مُنْحَتِمٌ^(٩) »

(١) في ت : « جميعهم » .

(٢) في ط : « الفقاني » .

(٣) في ط : « أبا » وهو تحريف .

(٤) هو الشيخ الوطاسي سلطان فاس .

(٥) في ت : « وفي الغاية » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « العطر » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « افتتاح » .

(٨) في نفع الطيب : « لمن » .

(٩) كذا في الأصلين وإحدى روايتي نفع الطيب ، ولم ترد صيغة « انحتم » في المعاجم التي بين أيدينا . وفي رواية أخرى لنفع الطيب : « منحتم » .

وَهِيَ اللَّيَالِي وَقَاكَ اللَّهُ صَوَّلَتْهَا تَصُولُ حَتَّى عَلَى الْآسَادِ فِي الْأَجَمِ
 كُنَّا مُلُوكًا لَنَا فِي أَرْضِنَا دُولُ نَمْنًا^(١) بِهَا تَحْتَ أَفْنَانٍ مِنَ النَّعَمِ
 فَأَيُّقُظُنَا سِهَامٌ لِلرَّدَى صُيْبُ يُرْمَى بِأَفْجَعِ حَتْفٍ مَنْ بَيْنَ رُمَى
 فَلَا تَمَّ تَحْتَ ظِلِّ الْمَلِكِ نَوَمَتْنَا وَأَيُّ مَلِكٍ بَظِلِّ الْمَلِكِ لَمْ يَنْمِ
 يَبْكِي عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ بِأَذْمُعٍ مُزِجَتْ أَمْوَاهُهَا بِدَمِ
 كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَمْ يَبْرَحْ كَمَا زَعَمُوا يُشِيمُ^(٢) بَوَّ الصَّغَارِ^(٣) الْأَنْفَ ذَا الشَّعْمِ^(٤)
 وَصِلْ أَوَامِرَ قَدْ كَانَتْ لَنَا اشْتَبَكْتُ فَالْمَلِكِ بَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ كَالرَّحِمِ
 وَابْسُطْ لَنَا الْخُلُقَ الْمَرْجُوَّ بَاسْطُهُ وَاعْطِفْ وَلَا تَنْحَرِفْ وَاعْذِرْ وَلَا تَلْمِ
 لَا تَأْخُذْنَا^(٥) بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ نُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ أَقْوَالُ ذِي الْوَحَمِ
 فَمَا أَطَقْنَا دِفَاعًا لِلْقَضَاءِ وَمَا^(٦) أَرَادَتْ أَنْفُسُنَا مَا حَلَّ مِنْ نِقَمِ
 وَلَا رُكُوبًا بِإِزْعَاجِ لِسَابِحَةِ فِي زَاخِرٍ بِأَكْفِ الْمَوْجِ مُلْتَطِمِ
 وَالْمَرَّةَ مَا لَمْ يُعْنِهِ اللَّهُ أَضْيَعُ مِنْ طِفْلِ تَشَكَّى بِفَقْدِ الْأُمِّ فِي الْيَتَمِ
 وَكُلُّ مَا^(٧) كَانَ غَيْرُ اللَّهِ يَحْرُسُهُ^(٨) فَإِنَّ مُحْرُوسَهُ لَحِمٌّ عَلَى وَضْمِ^(٩)

[٣٨]

(١) في ت « نَمْنًا » ، وهو تحريف .

(٢) البو : جلد الحوار يحمي تبنا ونحوه لتمعطف عليه أمه فتدر . والصغار : الذل .

(٣) في ط « ذو الشع » .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب طبعة أوربة . وفي ت ونفح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « لا تأخذونا » .

(٥) في ت : « ولا » .

(٦) كذا في ط : ونفح الطيب . وفي ت : « من » .

(٧) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « ما كان غير الله يحرسه فإن محروسه » ، وهو تحريف .

(٨) الوض : خوان القصاب ، وهو ما يقطم عليه اللحم ويبيته .

كُنْ كالسموئل إذ سار المهام له في جَحْفَلٍ كسواد اللَّيْلِ مُرْتِكِمٍ ^(١)
 فلم يُبِيحْ أَذْرُعَ الْكِندِيِّ وَهُوَ يَرَى ^(٢) أن ابنه البرَّ قد أَشْفَى عَلَى الرَّجَمِ ^(٣)
 أو كالمعلَى ^(٤) مع الضِّلِيلِ الْأَرْوَعِ إذ أجاره من أعاريبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
 وصار يشكره شكرًا يكافي ما أسدى إليه من الآلاءِ وَالنَّعَمِ
 ولا تعاتبْ على أشياء قد قُدِرَتْ وَخُطَّ مَسْطُورُهَا فِي اللُّوحِ بِالْقَلَمِ
 وعدَّ عما مضى إذ لا ارتجاع له ^(٥) وعدَّ أحرارنا في جُملة الخَدَمِ
 إليه حنانيك يا ابن الأكرمين على ضيفٍ أَلَمِ بفاسٍ غيرِ مُحْتَشِمٍ ^(٦)
 فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت بِنَا ^(٧) إليها خُطَا الْوَحَاةِ الرُّثُمِ ^(٨)
 رُحْمَاكَ يَا راحما يُنَمَى إلى رُحْمَا في النفس والأهل والأتباع والحَشَمِ
 فكم مواقفِ صِدْقٍ في الجهاد لنا والخيلُ عاكسةُ الأشداقِ لِلجُمِ
 والسيفُ يَخْضِبُ بِالْحَمَرِ من عَلَقٍ ما أبيض من سَبَلٍ واسودَّ من لَمِ ^(٩)
 ولا ترى صَدْرَ عَضْبٍ غيرِ مُنْقَصِفٍ ولا ترى مَتْنٍ ^(١٠) لَدُنْ غيرِ مُنْحَطِمٍ

(١) الجحفل : الجيش الجرار . ومرتكم : متراكم .

(٢) في ط : « فلا » .

(٣) الرجم : جمع رجمة ، وهي الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٤) المعلَى : هو أحد بني نيم ، وكان قد أجار امرأ القيس من المنذر بن ماء السماء .

(٥) إليه : أي حسبك .

(٦) كذا في ت ونفج الطيب . وفي ط : « منا » .

(٧) الوحادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

(٨) يريد بالسبل : شعر اللحية . واللمم : جمع لمة ، وهي شعر الرأس الذي يلم بالمنكبين .

(٩) في ت « مثل » .

حتى دُهينا بدهيا لا اقتدار بها^(١) سوى على الصّون للأطفال والحرم
 فقال من لم يشاهدها فرُبّتمّا يُحال جاعحها يُقتاد بالخطم
 هيهات لو زبنته الحرب كان بها أعيّا يدا من يد جالت على زلم^(٢)
 تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا ولا طوت صحّة منها على سقم
 لكنّ طلبنا من الأمر الذي طلبت ولأتنا^(٣) قبلنا في الأعصر الدّم
 فخاننا عنده الجدّ الخثون ومن تقعد به نكبات الدهر لم يقم
 فاسود ما خضر من عيش دَهته عدا بالأسمر اللذن أو بالأبيض الخدم^(٤)
 وشئت البين شملا كان منتظما والبين أقطع الموصول من جلم^(٥)
 فرُبّ مئنيّ شديد قد أناخ به ركب البلاء فقرّته أدمع الدّم^(٦)
 قنا لديه أصـ...ـيلانا نسائله أعيّا جوابا وما بالربع من أرم^(٧)
 وما ظننا بأن نبقى إلى زمن نرى به غرر الأحباب كالحم^(٨)
 لكن رصّا بالقضا الجارى وإن طويت منا الضلوع على برّح من الألم

[٣٩]

- (١) في ت . « بدهى لا اقتدار بنا » .
 (٢) كذا في ت . والزلم (بفتح تين ، أو بضم ففتح) : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . وفي ط ونفع الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفي نفع الطيب طبعة أوربة « رحم » . وما أثبتناه أوضح ، فهو يريد أن يد هذا اللأم أضعف من يد تحيل قذاح الميسر .
 (٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « ولاته » . وفي ط : « ولاية » .
 (٤) الأسمر اللذن : الرمح . والأبيض الخدم : السيف القاطع .
 (٥) الجلم : المقرض .
 (٦) الديم : جمع ديمة ، وهي السحابة يدوم مطرها أياما .
 (٧) أصيلانا : قرب الأصيل . وما بالربع من لرم : أى من أحد .
 (٨) الغرر : جمع غرة ، وهي بياض الجبين . والحم الفحم الأسود ، الواحدة حمة (بالضم) .

لَبَّيْكَ يَا مَنْ دَعَانَا نَحْوَ حَضْرَتِهِ دَعَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْحُجَّاجِ لِلْحَرَمِ
وَأَعْطِ الْأَمْنَ^(١) الَّذِي رُصِّتْ قَوَاعِدُهُ^(٢) عَلَى أَسَاسٍ وَفَاءٍ غَيْرِ مِنْهَدِمٍ
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَافَاكَ الْعَبِيدُ فَكُنْ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَطَوَّلٍ عِنْدَ ظَنِّهِمْ
وَبَيْنَ أَسْلَافِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ بِهِ مِنْ اعْتِقَادٍ بِحُكْمِ الْإِثْرِ مُقْتَسَمٍ
وَأَنْتَ مِنْهُمْ كَأَصْلِ مُطْلَعٍ غُضُنًا أَوْ كَالشَّرَاكِ الَّذِي قَدْ قُدَّ مِنْ أَدَمِ
وَقَدْ خَطَوْتَ خُطَاهُمْ فِي مَا تَرَاهُمْ فَلَمْ يُدْثُوا إِذْنُ فِيهَا وَلَمْ تُذَمَّ^(٣)
وَصِدَّتْ مَوْلَى الْوَرَى الشَّيْخَ الْإِمَامَ غَدَا فِي النَّاسِ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ
سُلَالَةِ الْأَمْرَاءِ، الْجِلَّةِ الْكِبَرَا ، الْعَلِيَّةِ الظُّهْرَاءِ، الْقَادَةِ الْبُهَمِ^(٤)
بَنُو مَرَيْنَ لِيُوثَ فِي عَمْرَيْنَ أَبَوَا رُؤْيَا قَرِينٍ لَهُمْ فِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ
النَّازِلِينَ مِنَ الْبَيْضَاءِ^(٥) وَسُطْحِي أَحْمَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّاحِي وَمِنْ إِرَامِ
وَالْجَائِسِينَ بِدُهُمِ الْخَيْلِ كُلِّ ذَرَى وَالِدَاعَسِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ كُلِّ كَمَى^(٦)
يَرِيكَ فَارْسُهُمْ إِنْ هَزَّ عَامِلَهُ^(٧) فِي مَازِقٍ^(٨) بِلَظَى الْهَيْجَاءِ مُضْطَرَمِ

(١) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « وَاعْطِ الْأَمَانَ » .

(٢) فِي ت : « رَسَتْ » .

(٣) لَمْ تُذَمَّ : لَمْ تَعْب . يُقَالُ : ذَامَهُ يَذِمُّهُ : إِذَا عَابَهُ .

(٤) الظُّهْرَاءُ : جَمْعُ ظَهِيرٍ ، وَهُوَ النَّصِيرُ . وَالْبُهَمُ : جَمْعُ بَهْمَةٍ (بِالضَّمِّ) وَهُوَ الْبَطْلُ الشَّجَاعُ .

(٥) الْبَيْضَاءُ : فَاسُ الْجَدِيدَةِ .

(٦) الْجَائِسِينَ : الَّذِينَ يَتَرَدَّدُونَ خِلَالَ الدُّوَرِ وَالْبُيُوتِ فِي الْغَارَةِ . وَكُلُّ ذَرَى : كُلُّ نَاحِيَةٍ .

وَالِدَاعَسِينَ : الطَّاعَنِينَ . وَسُمْرُ الْخَطِّ : الرَّمَاةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْخَطِّ ، وَهُوَ مَرْفَأُ الْبَحْرَيْنِ .

وَالْكَمَى : الْبَطْلُ الْمَتَسَتِّرُ فِي سِلَاحِهِ .

(٧) عَامِلُ الرَّمْحِ : صَدْرُهُ .

(٨) فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفْحِ الطَّيِّبِ : « مَارِقٌ » وَلَعَلَّهَا مَحْرُفَةٌ عَمَّا أَنْبَتَاهُ .

- لَيْثًا عَلَى أَجْدَلٍ عَارٍ مِنْ أَجْنَحَةٍ يَسْطُو بِأَرْقَمٍ لَدَاغٍ بَغِيرٍ فَمِ^(١)
 فِي اللَّامِ يُدْغِمُ مِنْ عَسَالِهِ أَلْفًا وَلَمْ نَجِدْ أَلْفًا أَصْلًا بِمَدَّغَمِ^(٢)
 أَهْلُ الْخَفِيفَةِ يَوْمَ الرَّوْعِ يَحْفَظُهُمْ مِنْ عَصْمَةِ اللَّهِ مَا يُرْبِي عَلَى الْعِصَمِ^(٣)
 بَأْسٌ^(٤) تَطِيرُ شَرَارُ مِنْهُ مَحْرَقَةٌ لِكُلِّ مَدَّرَعٍ بِالْحَزْمِ مُحْتَزِمِ
 هُمْ^(٥) بِطَائِفَةِ التَّمْلِيثِ قَدْ فَتَكُوا كَمَثَلِ مَا يَفْتَكُ السَّرْحَانُ بِالْغَنَمِ^(٦)
 وَإِنْ يُلْتَمِسُهُمْ يَوْمَ الْوَعَى رَهْجٌ أَنْسَوْكَ مَا ذَكَرُوهُ عَنْ ذَوَى اللَّثَمِ^(٧)
 تَضَى آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ إِضَاءَةُ الشَّرْجِ فِي دَاخٍ مِنَ الظُّلَمِ
 هَذَا وَلَوْ مِنْ حَيَاءٍ ذَابَ مُحْتَشِمٌ لَذَابَ مِنْهُمْ حَيَاءٌ كُلُّ مُحْتَشِمِ
 طَابَتْ مَدَائِحُهُمْ إِذْ طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فَاشْتَقَّتْ النَّسَمَاتُ أَسْمًا مِنَ النَّسَمِ
 لِلَّهِ دَرُّهُمْ وَالسُّحُبُ بَاخِلَةٌ بِدَرَّهِنَ عَلَى الْأَنْعَامِ وَالنَّعَمِ
 بِحَيْثُ الْإِفْقُ يَرَى مِنْ نَوْنٍ تُحْمَرْتُهُ كَالشَّيْبِ يُخْضَبُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ^(٨)

- (١) الأجدل : الصقر ، شبه به الحصان في سرعة انقضاضه . والأرقم : الثعبان ، شبه به الرمح .
 (٢) اللام : مسهلة عن اللأم ، جمع لأمة ، وهي الدرع . والعسال : الرمح اللدن ، وقد شبهه في استقامته بالألف . وفي البيت توريه .
 (٣) العصم : ما يعتصم به الناس في الحرب من معازل وشبهها . يريد أنهم محوطون من عناية الله وحياطته بما لا تقي بمثله المعازل والحصون .
 (٤) في ت ونفج الطيب : « يامن » .
 (٥) كذا في ت ونفج الطيب . وفي ت : « وهم » .
 (٦) السرحان : الذئب .
 (٧) كذا في ت ونفج الطيب . والرهج : الغبار تشبهه الحرب . وفي ط : « وهج » . وذوو اللثم : يريد الملتصمين ، قبائل من البربر عرفوا بالشجاعة .
 (٨) الكتم (كسب) : نبت يستعمل في خضاب الشعر . يصفههم في هذا البيت والذي قبله بالجوود في أزمان التفحط والشدّة .

- هناك تنهل أيديهم بصوب حيا
وإن بئى زياد طالما ذكرنا
«أحلام عاد وأجساد مطهرة»
يرون حقا عليهم حفظ جارهم
فروعه^(٤) بالدوامى لا يراع ولا
هم البحار سماحا غير أن بها
وليس يسلم من حثف محاربهم
كم فيهم من أمير أوحدي ندس
ولا كسببط أبي حسون من حسنت
هذاكم ابن أبي زكري^(٩) الهمام فقل
يحيى بالأحداث ما فيها من الرّم^(١)
إذا ألمت أحاديث بذكرهم^(٢)
من المعقصة والآفات والإثم^(٣)
فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
يغم منها بما يعرفون من الغم^(٥)
ما قد أناف على الأطواد^(٦) من هم
حتى يكون إليهم ملقى السلم
يقرطس الغرض المقصود بالفهم^(٧)
أمداحه حسن ما فيه من الشيم^(٨)
في أصله المنتقى من مجده العم^(١٠)

(١) تنهل : تفيض . وصوب الحيا : ماء المطر . والأحداث : القبور .

(٢) زياد : هو النابغة الذبياني .

(٣) المعقصة : العقوق . والإثم : جمع إثم ، وهي الإثم . وهذا البيت من مقطوعة للنابغة أبياتها أربعة في مدح الفساسنة ، وقبله :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم فضل على الناس في اللاواء والنعم
ولعل الناظم يعني هذين البيتين .

(٤) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « فروعه » .

(٥) الروع : موضع الفزع من القلب .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « الأظراء » .

(٧) الندس (كعضد وكتف وسهم) : الفطن الفهم . ويقرطس الغرض : يصيبه .

(٨) أبو حسون : هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحيى بن زياد الوطاسي ، يعرف بأبي حسون الباذسي ، بويج بفاس أول مرة سنة اثنين وثلاثين وتسع مئة . (انظر بقية أخباره في الاستقصا للسلوى) .

(٩) زكري : يريد زكرياء وفيه لغات ، منها زكري (كعربي) بتشديد الياء وتخفيفها ، وهذه الرواية الأخيرة جاء هنامع لإسكان الكاف ، ليستقيم الوزن .

(١٠) العم : التام .

خليفةُ الله حقاً في خلقه
 كمنائب ناب في حكم عن الحكم
 مهما تُنزلُ قسَماتٌ (١) منه نيرةٌ
 تُنزلُ بَنانٌ له ما جَلَّ من نِعَم (٢)
 فوجهه بُدِجِي وكفه بِجَدَا
 أبهى من الزَّهر أو أندى من الدِّيم (٣)
 وفضله وله الفضل المبينُ جرى
 كجری الأمثال في الأقطار والأُم
 وجوده المتوالى للبرية ما
 وجوده بينهما طرّاً بمنهدم
 إذا ابتغت نِعماً منه العفاة له
 لم يسمِعوا كلمة منه سوى نَعَم
 وإن يُعبَسَ زمانٌ في وجوههم
 لم يُبصروا غير وجهه منه مُبتسم
 وجهه تُبينُ سِماتُ المَكْرُمات به
 كما تبينُ سِماتُ الصِّدق في الكلام
 وراحةٌ لم تزل في كل آونةٍ
 في (٤) نيلها راحة الشاكي من العُدم
 لله ما التزمته من نوافله
 أيتام لا فَرَضَ مفروضٌ بملتزم
 أنسى الخلائفَ في حلم وفي شرف
 وفي سخاء وفي علم وفي فهم
 فجاز معتمداً منهم ومُعْتَصِداً
 وامتناز عن قائم منهم ومعتصم
 وناصر الدين في الإقبال فاق وفي
 محبة العلم أزرى بابنه الحكم
 أفعال أعدائه معتلة أبداً
 متى (٥) يَرُمُ جَزمها بالحدف تنجزم

(١) رواية هذا البيت في ط .

مهما انشم سِمات منه نيرة تنزل بنازله ما جل من نعم

(٢) قسَمات الوجه : ما أقبل منه ، أو محاسنه .

(٣) الجدا : العطاء . والديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم أياما .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « من » .

(٥) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « حتى » .

- فويل أهل الفلأمن حية ذكر^(١) [للمتلب^(٢)] اللهم العجر ملتقم^(٣) [٤١]
- راموا عداوة من إن شاء غادرهم مثل الأحاديث عن عادٍ وعن إرم
- فسوف يأكلهم من جيشه لَجِبُ بكل قرم إلى لَحْمَانِهِمْ قَرِمُ^(٤)
- وإن الأعراب إذ ساروا لغابته لسائرون إلى لَقَمٍ على لَقَمِ^(٥)
- وهم كما قاله ماض : أرى قدَمِي بسعيه نحو حَتَنِي قد أراق دَمِي^(٦)
- فقل إذن للمناوي النّاوي الآن الأذى ياغِرُ^(٧) غَرَك ما أبصرت في الحما
- له صوارم لو ناجتكَ السُّنْها لبشرك بعمر منك مُنْصَرِم
- وإن رُوْحَكَ عن قرب سيقبضه قبض المسلم ما قد حاز من ساء^(٨)
- فهو الذي ما له نَدَّ يشابههُ من كل مُتَّصِف بالدهي^(٩) مُتَّسِم
- يُدَبِّر الأمر تدبيراً يخلصهُ مما عسى أن يرى فيه من الوهم
- ويُبْصِر الغيب لحظُ الذهن منه إذا تعمى عن أدراكه ألحاظ كلِّ عم

(١) حية ذكر : شهم .

(٢) كذا في نفح الطيب ، ويريد بالمتلب : الجيش المتمد . وفي ت : « المتلب ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من ط .

(٣) اللهم والعجر : هما بمعنى الجيش العظيم .

(٤) اللجب الجيش الكثير ، والقرم : السيد . والاحمان . جمع لحم . وقرم (ككتف) : شديد الشهوة لأكل اللحم .

(٥) كذا في ت ونفح الطيب . واللقم : الأكل ، ويريد به الافتراس ، واللقم (بالتحريك) وسط الطريق . وفي ط : « ... نعم على لغم » .

(٦) يشير إلى قول أبي الفتح البستي :

إلى حتنى سمى قدَمِي أرى قدَمِي أراق دَمِي

(٧) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « يغر » .

(٨) المسلم : السلف ، الذي يعطى ذهباً أو فضة على سلعة معلومة إلى أجل معلوم . والسلم : البيع المبيع المؤجل قبضه .

(٩) الدهى والدهاء : الفكر وجودة الرأي .

- وَيُنْعِمُ^(١) النَّظَرَ الْمُفْضِي بِنَظَرِهِ لَصُوبٍ وَجِهٍ صَوَابٍ وَاضِحٍ اللَّقْمِ^(٢)
 ذُو مَنْطِقٍ لَمْ تَزَلْ تَجْلُو نَتَاجِجُهُ عَنْ مُبْطِلٍ بَخْصَامِ الْمُبْطِلِ الْخَصِمِ^(٣)
 وَمِسْمَعٍ لَيْسَ يُضْغَى لِلْوُشَاةِ فَلَمْ يَنْفُقْ لَدَيْهِ الَّذِي عَنْهُمْ إِلَيْهِ نُعْمِي^(٤)
 فَعَقَلَهُ لَا تَوَازِيهِ الْعُقُولُ وَهَلْ يَوَازِنُ الطُّودَ مَا قَدْ طَالَ مِنْ أَكْمٍ
 إِلَيْهِ جَمِيعُ الْوَرَى مِنْ بَدْوٍ أَوْ حَضَرٍ نِدَاءٍ مُرْتَبِطٍ بِالنَّصْحِ مُرْتَسِمٍ
 شَدُّوا وَجِدُّوا وَلَا تَعْنُوا وَلَا تَهِنُوا قَدْ أَقْفَاهُ اللَّيْلُ بِالسَّوَاقَةِ الْحُطَمِ^(٥)
 هَذَا الْأَمِيرُ^(٦) الْعَرِيضِيُّ السَّعِيدُ لَهُ سَعْدٌ يُؤَيِّدُهُ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
 قَدْ أَقْسَمْتُ أَنَّهُ الْمَنْصُورُ أَلْسِنَةُ مِنْ نُخْبَةِ الْأَوْلِيَا مَبْرُورَةُ الْقَسَمِ
 فَشَيْعُوهُ وَوَالُوهُ تَرَوُا عَجَبًا وَتَنْظُرُوا مَعَهُ بِالْأَجْرِ وَالْغَنَمِ^(٧)
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَبْقَى خِلَافَتَهُ كَهْمًا لَنَا مَنْ يُخَيِّمُ فِيهِ لَمْ يَرْمِ^(٨)
 حَرِزُ حَرِيرِزٍ وَغَرَّ قَائِمٌ وَنَدَى غَمْرٌ دِرَاكٌ بَلَا مَنْ وَلَا سَامٌ^(٩)

- (١) كذا في نفح الطيب . وإنعام النظر : تدقيقه . وفي الأصلين : يعمن . وهو يتعدى بحرف الجر . يقال : أضمن في الأمر ، أى أبعد فيه .
 (٢) اللقم (كسب) : وسط الطريق .
 (٣) الخصم (ككتف) : الجدل الشديد الخصومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة بيانه .
 (٤) ينفق : يروج . ونعمي إليه : وصل إليه .
 (٥) لا تعنوا : لا تخضعوا وتدلوا . ولا تهنوا : لا تضعفوا . ولفها : جمعها ، والضمير في الأصل للإبل ، والسواقة : السواق ، والناء للبالغة . والحطم : الشديد السوق ؛ وهذا مثل . يريد أن متولى أمرهم ، وهو المددوح ، رجل قوى شديد .
 (٦) في نفح الطيب : « الإمام » .
 (٧) شيعوه : ناصروه . والغنم (بالتحريك) : الغنم ، كالغنم (بالضم) .
 (٨) لم يرم : أى يعز على من يطلبه .
 (٩) غمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

دامت ودام لها سَعْد يساعدها في كل مُبتدأ منه ^(١) ومختَم
فأله — عز اسمه — قد زانها بحلّى من غرّ أمداحه كالذرّ في النّظم ^(٢)
الواهب الألف بعد الألف من ذهبٍ كالجَمَر يلمع في مُستوقد الضّرَم ^(٣) [٤٢]
والفاعلُ الفعل لم يَهْمُ به أحد
ذاكم هو الشيخ فاعجب إنه هَرَم ^(٤)
وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت
فما مُحالفه يوماً بمضطهد
ولا موافيه في جهد بمطرح
ولا مُحَيّا مُحَيّيه بمنكسف
وما ^(٧) تَكَرَّمه سِرّاً ^(٨) بمنكسف
وليس لامح مرآه بمكتتب
ولا مُقَبِّل يُمنّاه الكريمة في
وما وسيلتنا العظمى إليه سوى
وإنما هي وما أدراك ما هي من
وسيلة رُدّها أدهى من الرّضَم ^(١٠)

(١) في نفح الطيب طبعة أوربة : « منها » .

(٢) النظم : جمع نظام ، وهو الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه .

(٣) في ط : « الظلم » .

(٤) يريد أن المدوح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبي سلمى ، المزني .

(٥) في نفح الطيب طبعة أوربة : « الهرم » .

(٦) بمنخرم : أي بمنقطع .

(٧) في نفح الطيب (طبعتي أوربة ومصر) : « ولا » .

(٨) في ط : « يوما » .

(٩) يريد بالدست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .

(١٠) كذا في ط . والرضم : صخور عظام . وفي ت : « الوخم » .

نبينا المصطفى الهادي بخير هُدى محمد خير خلق الله كلهم
 داعي الوري من أولى خيم وأهل قرى إلى طريق رشاد لاجب أمم^(١)
 عليه منا صلاة الله ما ذكرت « أمين تذكر جيران بذي سلم »^(٢)
 وما تشفع فيها بالشفيع له دخيل حُرمته العلما في الحرم^(٣)
 « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .
 « أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين » . « ربنا عليك توكلنا
 وإليك أنبنا وإليك المصير » . « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين
 لا مولى لهم » . « نعم المولى ونعم النصير » .

أما بعد حمد الله الذي لا يُحمد على السرّاء والضّرّاء سواه ؛ والصلاة والسلام
 على سيدنا ومولانا محمد ، الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح ، يدعو إلى سبيل
 كل فلاح ، أولى قلوب غافلة ، ونفوس سواه ؛ والرّضا عن آله وأصحابه ، وعترته
 الأكرمين وأحزابه ، الذين تلقّوا بالقبول ما أوردده عليهم من أوامر ونواه ،
 وعزروه ونصروه في حالي قرّبه ونوّاه . [٤٣]

فيا مولانا ، الذي أولانا من النعم ما أولانا ؛ لاحطّ الله تعالى لكم من العزة
 رواقا^(٤) ، ولا أذوى لدوحة^(٥) دولتكم أغصانا ولا أوراقا ؛ ولا زالت مخضرة
 العود ، [مبتسمة^(٦)] عن زهرات البشائر مُتخفة بثمرات السُّعود ، ممطورة

(١) أهل خيم : أي ساكني الحيام . واللاحب : الواضح . والأُمم : البين . وقد ورد
 الشطر الأول من هذا البيت في ط هكذا :

« داعي الوري من أولى من أهل خيم قري »

(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة البردة المشهورة للبوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) الدخيل : اللاجئ . والحرمة : الزمة .

(٤) الرواق : الحيمة . يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .

(٥) الدوحة : الشجرة الواسعة الظلال . وأذوى : أذبل وأضعف .

(٦) زيادة عن ت ونفع الطيب .

بسحائب البركات المتداركات دون برُوق^(١) ولا رعود :

هذا مقام العائد بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المترجى لعواطف قلوبكم ،
وعوارف إنعامكم ، المقبل الأرض تحت أقدامكم ، المتلجلج^(٢) اللسان عند
محاولة^(٣) مفاتحة كلامكم ؛ وماذا الذى يقول مَنْ وجهه خجل ، وفؤاده وجل ،
وقضيته المفضية عن التنصل والاعتذار تحل ؛ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى ،
واجترأى عليه أكثر ، واجترأى^(٤) إليه أكبر : اللهم لا برى فأعذر ، ولا قوى
فأنتصر ، لكنتى مُستقيل^(٥) مُستنيل^(٦) مستعتب^(٧) مستغفر ؛ « وَمَا أُبْرِيْ
نَفْسِي ، إِنْ النَفْسَ لَأَمَارَةً بِالشَّوْءِ » . هذا على طريق التنزل والاتصاف ، بما
تقتضيه الحال ممن يتجهز إلى حيز الإنصاف ؛ وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته
الأم ابنة الصديق^(٨) : « وَاللّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّيْ إِنْ أَقْرَرْتُ بِمَا يَقُولُهُ النَّاسُ ، وَاللّهُ يَعْلَمُ
أَنَّيْ مِنْهُ بَرِيَّةٌ^(٩) ، لَأَقُولَنَّ^(١٠) مَا لَمْ يَكُنْ ، وَأَلَيَّنْ أَنْكَرْتُ مَا تَقُولُونَ لَا تَصْدُقُونَنِي ،
فَأَقُولُ مَا قَالَهُ أَبُو يُونُسَ^(١١) : صَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » .
على أنى لا أنكر عيوبى ، فأنا معدن العيوب ، ولا أجحد ذنوبى ، فأنا

(١) فى ت ونفع الطيب : « برق » .

(٢) فى ط : « والمتلجلج » .

(٣) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « عند مفاتحة » .

(٤) اجترأى : ذنبى .

(٥) مستقيل : طالب الإقالة من العثرة .

(٦) مستنيل : طالب النوال .

(٧) مستعتب : طالب العتي ، وهى الرضا .

(٨) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .

(٩) كذا فى نفع الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برى » .

(١٠) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفع الطيب وط : « لأقول » . وفى ت : « لأقول » .

(١١) يريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

جَبَل الذنوب ؛ إلى الله أشكو عُجْرِي وَبُجْرِي^(١) ، وَسَقَطَاتِي وَغَلَطَاتِي . نَعَمْ ،
 كُلُّ شَيْءٍ وَلَا مَا يَقُولُهُ الْمُتَقَوِّلُ ، الْمَشْنَعُ الْمَهْوَلُ ، النَاطِقُ بِفَمِ الشَّيْطَانِ الْمُسَوِّلِ .
 وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « سُبَّيْ وَأَصْدُق » ، وَلَا تَفْتَرِ وَلَا تَخْلُقْ ؛ فَمَثَلِي كَانَ يَفْعَلُ أَمْثَالَهَا ،
 وَيَحْمِلُ^(٢) مِنْ الْأَوْزَارِ الْمَضَاعَفَةِ أَحْمَالَهَا ، وَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَيُحْبِطُ أَعْمَالَهَا ؛ عِيَاذًا
 بِاللَّهِ مِنْ خُسْرَانِ الدِّينِ ، وَإِثَارِ الْجَاهِدِينَ وَالْمُعْتَدِينَ ، قَدْ ضَلَّاتِ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُهْتَدِينَ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ شَعْرَةً فِي فَوْدِي^(٣) تَمِيلُ إِلَى تِلْكَ الْجَهَةِ لَقَلَعْتُهَا ، بَلْ
 لَقَطَفْتُ^(٤) مَا تَحْتَ عِمَامَتِي مِنْ هَامَتِي وَقَطَعْتُهَا ؛ غَيْرَ أَنَّ الرَّعَاعَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانَ ،
 الْهَالِكِ أَعْدَاءَهُ وَعَلَيْهِ أَحْزَابُ وَأَعْوَانُ ، كَانَ أَحَقُّ وَأَجْهَلُ مِنْ ابْنِ ثُرْوَانَ^(٥) ،
 أَوْ أَعْقَلَ وَأَعْلَمُ مِنْ أَشَجِّ بْنِ مَرْوَانَ^(٦) ؛ وَرُبَّ مُتَّهَمٍ بَرٍّ ، وَمُسْرِبِلٍ بِسْرِبَالٍ [٤٤]
 وَهُوَ مِنْهُ عَرَى^(٧) ؛ وَفِي الْأَحَادِيثِ صَحِيحٌ وَسَقِيمٌ ، وَمِنْ التَّرَاكِيِبِ الْمُنْطَقِيَةِ مُنْتَجَجٌ
 وَعَقِيمٌ ، وَلَسْكَنَ ثَمَّ مِيزَانَ عَقْلٍ ، تُعْتَبَرُ بِهِ أَوْزَانُ النُّقْلِ ؛ وَعَلَى الرَّاجِحِ الْإِعْتِمَادُ^(٨) ،
 ثُمَّ إِشَاعَةُ الْإِحْمَادِ ، الْمُتَّصِلُ الْمُتِمَادُ ؛ وَلِلْمَرْجُوحِ الْإِطْرَاحُ ، ثُمَّ الذَّمُّ الصُّرَاحُ ،
 بَعْدَ النُّفُضِ^(٩) مِنَ الرَّاحِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا تَسْمَعُهُ الْكَذِبُ ، وَطَبِيعُ جُمْهُورِ الْخَلْقِ إِلَّا مِنَ

(١) العَجْرُ وَالْبَجْرُ (هنا) : العيوب والأحزان وما يبسدى المرء وما يخفى . والعَجْرُ
 (فِي الْأَصْلِ) : العروق المتعقدة النانئة . والبَجْرُ : ما تعقد منها على البطن خاصة .

(٢) فِي ط وَنَفَحِ الطَّيِّبِ : « وَيَحْتَمِلُ » .

(٣) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : مِنْ « فَوَادِي » .

(٤) كَذَا فِي ط . وَالْقَطْفُ : الْقَطْعُ . وَفِي ت : « بَلْ لَقَعْتُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) كَذَا فِي أَخْبَارِ الْحَقِّ وَالْمَغْفَلِينَ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَالْمُضَافُ وَالْمُنْسُوبُ لِلنُّعَالِيِّ . وَهُوَ
 هَبْنَةُ الْقَيْسِيِّ يَزِيدُ بْنُ ثُرْوَانَ ، الْمَعْرُوفُ بِذِي الْوَدَعَاتِ ، وَهُوَ مِثْلُ فِي الْحَقِّ وَالْجَهْلِ .

وَفِي ط : « مِنْ أَبِي ثُرْوَانَ » . وَفِي ت : « مِنْ أَبِي ثُرْوَانَ » . وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ .

(٦) أَشَجُّ بْنُ مَرْوَانَ : هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ بِهِ شَجَّةٌ .

(٧) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « وَمُسْرِبِلٌ بِسْرِبَالٍ عَارٍ وَهُوَ مِنْهُ عَرَى » .

(٨) كَذَا فِي ت وَنَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي ط : « وَعَلَى الرَّاجِحِ عَلَى الْإِعْتِمَادِ » .

(٩) فِي ت : « النَّفَاضُ » .

عصمه الله^(١) إليه منجذب ؛ ولقد قُذِفْنَا من الأباطيل بأحجار ، ورُمِينَا بما لا يُرْمَى^(٢) به الكُفَّار ، فضلا عن الفُجَّار ؛ وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ، ما لكم منه حفظ الجُبَّار^(٣) ؛ وإذا عظم الإنكاء^(٤) ، فعلى تُسْكَاة التجلُّد الأتْكَاء ؛ أَكْثَرَ المكثرون ، وجهَد^(٥) في تعشيرنا المتعشِّرون ؛ ورَمَوْنا عن قوس واحدة ، ونظْمونا في سلك الملاحِده ؛ أَكْفَرًا أيضًا كُفْرًا ! غَفَرًا اللَّهُمَّ غَفَرًا ؛ أَعِدْ نظراً يا عبدَ قيس ، فليس الأمر على ما خُيِّلَ^(٦) لك لئس ؛ وهل زِدْنَا على أَنْ طَلَبْنَا حَقَّنَا ، مِمَّنْ رام مَحَقَّتْهُ ومَحَقَّنَا ؟ فطارَدْنَا في سبيله عُدَاة كانوا لنا غائِظين ؛ فانفتق علينا فتقٌ ، لم يمكننا له رَتْقٌ ، وما كنا للغيب حافظين .

وبعد ، فاسأل أهل الحل والعقد ، والتميز والنقد ؛ فعند جهنمتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يُؤْتَمِنَا فيُؤَيِّقُنَا ، أَوْ يُبْرِئُنَا فيَقِينَا . إِيَّه يَأْمَنُ أَشْرَابٌ إلى مَلَامِنَا ، وَقَدَحٌ حَتَّى فِي إِسْلَامِنَا ؛ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، فقد وجدت قوة وأيدًا ؛ ويحك ، إنما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء إلينا ؛ لأن الزمان لنا مُضْغِرٌ ، ولك مُكْبِرٌ ، والأمر عليك مُقْبِلٌ ، وَعِنَّا^(٧) مُذْبِرٌ ، كما قاله كاتب الحجاج المدبِّر^(٨) .

(١) في ط : « إلا من عظم الله » .

(٢) في ت : « بما لم يرم » .

(٣) كذا في ت . ورواية هذه العبارة في ط : « وجرى ... وعمرو ما يريكم منه حفظ الجار » . وفي نفع الطيب : « وجرى ... وعمرو ما لديكم منه حفظ الجار » ، وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب . والإنكاء : شدة النيل من العدو . وفي ط : « وإذا علم الإنكار » .

(٥) في ط : « وجهر » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ما خيلت لك » .

(٧) في ت : « علينا » وهو تحريف .

(٨) كاتب الحجاج : هو يزيد بن أبي مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان ابن =

وعلى الجملة ، فهبنا صِرْنَا إلى تسليم مقالك جدلاً ، وزهبننا فأقرزنا بالخطأ
في كل وِرْدٍ وصَدَرَ ، فَلَله دَرُّ القائل :

إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ^(١)

وَكُنَّا^(٢) بِمَعْتَسِفٍ^(٣) إِذَا وَصَلَ إِلَى هُنَا ، وَعَدَمَ إِنْصَافِهِ يَعْلَمُهُ هُنَا^(٤) ؛
قَدْ أَزَوَّرَ مَتَجَانِفًا^(٥) ، ثُمَّ افْتَرَى مُتَهَانِفًا^(٦) ، وَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِهِمْ :
« إِذَا عَيَّرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قُدِّرَتْ »

وَبَقُولِهِمْ : « الْمَرْءُ يَعْبُزُ لَا مَحَالَةَ »^(٧) ؛ فَيُعَارِضُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَالْحَالِيَّ
بِالْعَاطِلِ ، وَيَنْزِعُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ : « رَبُّ^(٨) مُسْمِعٌ هَائِلٌ ، وَلَيْسَ تَحْتَهُ مِنْ
طَائِلٍ^(٩) » . وَقَدْ فَرَعْنَا أَوَّلَ أَمْسٍ^(١٠) مِنْ جَوَابِهِ ، وَتَرَكْنَا الضَّغْنَ يُلْصِقُ حَرَارَةَ

== عبد الملك حين دخل عليه فتنقصه سليمان وسب المجاج : « إنك رأيتني والأمر
عني مدبر ، ولو رأيتني والأمر على مقبل استعظمت من أمرى ما استصغرت » .
(انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ طبعة الفتوح سنة ١٣٣٢ هـ) .
(١) هذا عجز بيت لأبي العتاهية ، وصدره :
هي المقادير فلمنى أو فذر

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « وكان » .
(٣) في ت : « بمعتسف » .
(٤) يريد بالهنا : جمع هنة ، وهي العيب . والذي في كتب اللغة أنها تجمع على هنات
وهنوات .
(٥) ازور متجانفا : مال متباعدا .
(٦) كذا في ط ونفح الطيب . وافتري متهانفا : أى فتح فاه ضاحكا مستهزئا . وفي ت :
« متهانفا » وهو تصحيف .
(٧) في ط : « لا المحالة » .
(٨) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين « ذى » . وهو تحريف .
(٩) كذا في ط . وفي ت : « وليس من تحته من طائل » . وفي نفح الطيب :
« وليس تحته طائل » .
(١٠) أول أمس : أى بكرته ومبتدأه . والمسموع من العرب عند إرادة اليوم السابق
لأمسك « أول من أمس » .

الجَوَى به ؛ وَسَنَلِمُ^(١) الْآنَ بِمَا يُسْمِعُهُ تَسْكِينَتَا ، وَيَقْطَعُهُ تَبْكِينَتَا . فنقول له :
 ناشدناك الله تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وَعَرَضٌ ، خروج أمر ما على القصد منك
 فيه والغرض ؛ مع اجتهداك أثناءه في إصدارك وإيرادك ، في وقوعه على وفق
 اقتراحك ومُرادك ؟ أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك ؟ [٥ :
 أو كل ما تقصده وتنويه ، تُخْرِزُهُ كما تشاء وتحويه ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ اضطراراً ،
 بأن مطلوبه يَشِدُّ عنه مِراراً ؛ بل كثيراً ما يُفْلِتُ صيده من أَشْرَاكه ، ويطلبه
 فيعجز عن إدراكه ؛ فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النبيل ؛ ثم
 نسرُد له من الأحاديث النبوية ماشيناً ، مما يسايرنا في غرضنا منه ويماشينا ،
 كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » .
 وقوله أيضاً : « لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض على أن ينفعوك بشيء ،
 لم يَقْضِ اللهُ لك ، لم يَقْدِرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضِ
 اللهُ عليك ، لم يَقْدِرُوا عليه^(٢) » ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فَأَخْلَقَ به أن
 يلوذ بأكناف الإحجام ، وَيَرْمُ على نَفْثَةٍ فيه كأنما أُلْجِمَ بِالْجَام ؛ حينئذ نقول
 له ، والحق قد أبان وجهه وجَلَّاه ، وقهره بحجته وعَلَّاه : ليس لك من الأمر شيء
 قل إن الأمر كله لله . وفي محاجة آدم موسى^(٣) ما يقطع لسان الخصم ، وَيَرْحُضُ^(٤)
 عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَنِ الوَضْمِ ؛ وكيفما كانت الحال ،
 وإن أساء الرأي والانتحال ، ووقعنا في أوجال وأحوال ؛ فثُلَّ عَرَشُنَا ، وطويت
 فُرُشُنَا ، وَنُكِّسَ لَوَاؤُنَا ، وَمُلِّكَ مَشْوَانَا ، فنحن مثُلُ من سِوَانَا ؛ وفي الشر خيار ،

(١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ونسلم » ، وهو تحريف .

(٢) الذي في الأربعين النووية : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء »

لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك
 إلا بشيء قد كتبه الله عليك .

(٣) راجع صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى « فلا يخرجكما من الجنة فتشقى » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . ويرحض : يغسل . وفي ت : « يدحض » ، وهو تحريف .

ويد اللطائف تنكسر من صولة الأغيار^(١) ؛ فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى
لطفاً ، ولا عدِمنا^(٢) أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على مجلتنا المقطوعة جمل
النعم الموصولة عطفاً ؛ وإلا فتلك بغداد دار السلام ، ومتبوء الإسلام ، الخفوف
بفرسان السيوف والأقلام ؛ مثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى
السير الأويسية^(٣) ، والعقول الإياسية^(٤) ؛ وقد نُزِلت بالجيوش ونُزِلت ،
وزُورِلت بالزُحُوف^(٥) وزُزِلت ؛ وتَحَيَّف^(٦) جوانبها الحَيِّف ، ودخلها كفار التتار
[عَنوة]^(٧) بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ؛ أيام تجأت عروس المنية ،
كاشفة عن ساقها مُنْديّة ، وجرت الدماء في الشوارع والطرق [كالأنهار]^(٨)
والأودية ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضة بالعائم في رقابهم
والأردية ؛ وللنجيع^(٩) سيول ، تخوضها الخيول ؛ فتخضبها إلى أرساغها ، وتهم
ظاؤها بوردها ، فتتكل عن تجرُّعها ومساغها ؛ فطاح عاصمها ومستعصمها ،
وراح ولم يغد ظالمها ومتظالمها ؛ وخرّبت مساجدها وديارها ، واضطلم^(٩) بالحسام
أشرارها وخيارها ؛ فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف ، حسبا عرفت أو حسبا
تعرف ؛ فلا تكن مُتشككاً متوقفاً ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند

[٤٦]

(١) يريد بالأغيار : تقلبات الدهر وأحداثه .

(٢) في ت : « ولعدِمنا » وهو تحريف .

(٣) الأويسية : نسبة إلى أويس بن عامر القرني ، وهو من سادات التابعين زهدا وعبادة ،
وقد قتل بصفين .(٤) الإياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية ، قاضي البصرة في عهد عمر بن العزيز ، وكان
معروفاً بشدة زكاته ، وحسن قضاائه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه .

(٥) كذا في ط ونفح العليب . وفي ت : « بالزحاف » .

(٦) تحيفه : تنقصه .

(٧) زيادة عن ت ونفح العليب .

(٨) النجيع : الدم الأحمر .

(٩) اضطلم : استوصل .

المؤرخين من قفّا^(١)؛ فأين تلك الحجافل، والآراء المُدارة في المحافل؛ حين أراد الله تعالى بإدالة الكفر، لم تُجد ولا قلامة ظفر؛ إذن فمن سَلِمَتْ له نفسه التي هي رأس ماله، وعباله وأطفاله، اللذان هما من أعظم آماله؛ وكلُّ أو جُلُّ أو أقلُّ ريشه، وأسباب معاشه، الكفيلة باتباضه وانتعاشه؛ ثم وجد مع ذلك سبيلا إلى الخلاص، في حال مُياسرة ومساهلة، دون تصعب واعتياص^(٢)، بعد ما ظن كل الظن أن لا تحيد ولا مناص؛ فما أحقه حينئذ وأولاه، أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه؛ على ما أسداه إليه من رفده وخيره، ومعافاته مما ابتلي به كثير من غيره؛ ويرضى بكل إيراد وإصدار، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار، فالدهر غدار، والدنيا دار مشحونة بالأكدار؛ والقضاء لا يُردُّ، ولا يُصدد؛ ولا يغالب، ولا يطالب؛ والدوائر تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور؛ والعبد مطيع لا مُطاع، وليس يُطاع إلا المُستطاع، وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب، للأذهان عن مداه انقطاع؛ ومالى والتكاف لما لا أحتاج إليه من هذا القول، بين يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول؛ فله من العقل الأرجح، ومن الخلق الأسجح، ما لا تلتأط^(٣) معه تهمتي بصفره^(٤)، ولا تنفق عنده وشاية الواشى، لا عدَّ من نفره، ولا فاز قدحُه بظفره؛ والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجر براحتها إلى المتاعب؛ وقديما للأكياس من الناس خدعت، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت،

(١) يشير إلى المثل المضروب: «أشهر من قفا بك». وهي مطولة امرئ القيس المشهورة.

(٢) اعتناص الأمر عليه: اشتد والتأت، فلم يهتد للصواب.

(٣) تلتأط: تلصق.

(٤) الصفر (بالتحريك): اللب والعقل.

وفعلت بهم ما فعلت ، بيسار الكواعب التي جبت وجدعت^(١) ، ولئن
 رهصت وهصرت^(٢) ، فقد نهت وبصرت ، ولئن قرعت ومعضت^(٣) ،
 لقد أرشدت ووعظت ؛ ويا ويلنا من تنكرها لنا بمره ، ورميها لنا في غمرة
 أي غمره ؛ أيام^(٤) قلبت لنا ظهر المجن ، وغيم أفقها المصحى وأدجن^(٥) ؛
 فسرعان ما عاينا حبالها منبته ، ورأينا منها ما لم نحسب كما تقوم الساعة بفته ؛
 فمن استعاذ من شيء ، فليستعذ مما صرنا^(٦) إليه ، من الحور بعد الكور^(٧) ،
 والآنحطاط من التجرد إلى الغور :

فبيننا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة تنصف^(٨)
 فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرّف
 وأبيها لقد أرهقتنا إرهاقا ، وجرعتنا من صاب^(٩) الأوصاب كأسا دهاقا^(١٠) ؛
 ولم نفرع إلى غير بابكم المنيع الجناب ، المنفتح حين سدت الأبواب ، ولم نلبس
 غير لباس نهائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملوك من الأثواب ؛ وإلى أمه يلجأ الطفل
 لجأ اللّهفان ، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الأجفان^(١١) ، ووجه الله تعالى

(١) الحب والجدع : القطع . يشير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يسارا راود بنت مولاة

عن نفسها ، نجيت هذا كبره (انظر كتاب المضاف والمنسوب للثعالبي) .

(٢) الرهص والهصر : العصر والأخذ الشديد .

(٣) معضت : أغضبت .

(٤) في ط : « وإن قلبت » .

(٥) أدجن : أظلم .

(٦) في ت : « صرنا » .

(٧) الحور : النقص . والكور : الزيادة .

(٨) تنصف : نطلب النصفة ، وهي الإنصاف .

(٩) كذا في ط ونفع الطيب . والصاب : عصارة شجر مر . وفي ت : « كاس » .

(١٠) دهاقا : مملوءة .

(١١) في ط : « تمتاز السيوف في الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ،

وهو الظلام .

يبقى ، وكلٌّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا^(١) وكفان ؛ ولا ريب من اشتغال العلم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم ؛ من الأخذ باليد عند زلَّة القدم ، وقرع الأسنان وعض البنان من الندم ؛ دينا به تدينت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة اطردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عرّض علينا صاحب قسّالة مواضع معتبرة ، خير فيها وأعطى من أمانه ، المؤكّد فيه خطّه بأيمانه ؛ ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصّفر ، ولا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهرائى الكفر ؛ ما وجدنا على ذلك مندوحة ولو شاعه ، وأمنا من المطالب المشاغب حمّة شرّ لنا لاسعه ؛ وأدكرنا أى أدكار ، قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الإنكار : « ألم تكن أرض الله واسعة » ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام : « أنا برىء من مؤمن مع كافر لا تتراى ناراهما^(٢) » ؛ وقول الشاعر الحاثّ على حثّ المطيه ، المتثاقلة عن السير فى طريق منجاتها البطيّة :

[٤٨]

وَمَا أَنَا وَالتَّلْدُ نَحْوُ نَجْدٍ وَقَدْ غُصَّتْ تِهَامَةٌ بِالرَّجَالِ^(٣)

(١) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « الله » .

(٢) نص هذا الحديث فى النهاية لابن الأثير ولسان العربى (مادة رأى) : « أنا برىء من كل مسلم مع مشرك ؛ قيل : لم يارسول الله ؟ قال : لا تراى نارهما » . أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٣) التلد : التلفت . وفى الأصلين ونفع الطيب : « التلذذ » . وهو تصحيف .

ووصلت [أيضاً^(١)] إلينا ، من الشرق^(٢) كتب كريمة المقاصد لدينا ؛
تستدعي الانحياز إلى تلك الجنّيات^(٣) ، وتتضمن ما لا مزيد عليه من
الرغبات ؛ فلم نختَر إلا دارنا ، التي كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض
الانضواء إلا لمن بحبله وُصِّلَ حَبْلُنَا ، وبريش نبله ريش نبْلُنَا ؛ إدلالا على محلّ
إخاء متوارث لا عن كلاله ، وامثالا لوَصاةِ أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالةً
وجلاله ؛ إذ قد رَوَيْنَا عن سلف من أسلافنا ، في الإيضاء لمن يخلف بعدهم
من أخلافنا ؛ ألا يَبْتَغُوا إذا دَهَمَ دَاهِمٌ بالحضرة العرينية بدّلا ، ولا يجدوا
عن طريقها في التوجّه إلى فريقها مَعْدِلًا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة
الفجاج ، وركبنا إلى البحر الفُرات ظهر البحر الأجاج ؛ فلا غَرْو أن نرد منه
على ما يُقَرَّر العين ، ويشفي النفس الشاكية من ألم البَيْن ؛ ومن تَوَصَّل هذا
التوصُّل ، وتوسل بمثل ذلك التوسل ؛ تطارحنا على سُدّة أمير المؤمنين ، المحارب
المحاربين ، والمؤمن المستأمنين ؛ فهو الخليق الحقيق ، بأن يُسَوِّغَ أصفى
مشاربه ، ويُبَلِّغَ أوفى مآربه ؛ على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويَخْلُصَ
من الثُّبور إلى الحُبور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ؛ ولعلّ
شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قبول إقباله تسرى إلينا ؛ فتخامرنا أريجّة
تحمّلنا على أن نبادر ، لأنشاد قول الشريف الرضى في الخليفة القادر :

عَطْفًا أمير المؤمنين فإنّنا في دَوْحة العلياء لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ أبداً كلانا في المعالي مُعْرِقُ

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) في ط : « الشرق » .

(٣) في ط : « الجهات » .

إلا الخلافة مَيَّرَتْكَ فَإِنِّي أنا عاطل منها وأنت مَطْوَق
لا ، بل الأحرى بنا والأحجى ، والأنجح لسعيننا والأرجى ؛ أن نعدِل [٩،
عن هذا المنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف
المحتاج ، وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج^(١) :

الناس يَفْدُونكَ اضْطِرَّارًا منهم وأفديك باختيارِ
وبَعْضُهُمْ في جوارِ بعض وأنتَ حتى أُمُوتَ جَارِ
فِعْشُ لُخْبَزِي وعش لِمَسَائِي وعش لِدَارِي وأهلِ دَارِي

ونستوهِب من العَنَانِ الوَهَّابِ تعالى وجلت أسماؤه ، وتعاضمت نَمَاؤُهُ ؛ رَحْمَةً تجعل
في يد الهداية أَعْنَتَنَا ، وَعِصْمَةً تكون في مواقف المخاوف جُنَّتَنَا ؛ وَقَبُولًا يُعْطِفُ
علينا نَوَافِرَ القلوب ، وَصُنْعًا يُسَيِّئُ لنا كل مرغوب ومطلوب ؛ ونسأله ، وطالما
بَلَغَ السَّائِلُ سُؤْلًا ومأمولًا ، مَتَابًا صادقًا على موضوع النَّدَمِ محمولًا ، ثم عَزَاءً حسنًا
وصبرًا جميلًا ، عن أرض أورشها من شاء من عباده مُعَقِّبًا لهم ومُديلاً ، وسادلاً
عليهم من سُتُورِ الإِمْلاءِ^(٢) الطويلة سُدُولًا ، « سُنَّةَ اللَّهِ التي قد خَلَتْ من قبلُ
ولنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » . فليطِرْ طائرُ الوَسْوَاسِ المُرْفَرِفُ مَطِيرًا ،
كان ذلك في الكتاب مسطورًا ، ولم نستطع عن مورده صُدُورًا ، وكان أمرُ اللَّهِ
قَدَرًا مَقْدُورًا .

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب الشاعر . وهذه الأبيات
من أبيات خمسة قالها في أبي الفضل الشيرازي . (انظر يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ للعالي ، ووفيات
الأعيان لابن خلكان) .

(٢) الإِمْلاءُ : الإِمْهَالُ .

ألا ، وإن لله سبحانه في مقامكم العلى الذى أيده وأعانه ، سرًا من النصر ، يترجم عنه لسان من النّضل ، وترجع فروع البشائر الصادقة ، بالفتوحات المتلاحقة ، من قاعدته المتأصلة إلى أصل ؛ فيمثله يجب الأياد والعياذ ؛ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله تعالى واستخرناه ؛ ومنه جلّ جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ، ويؤوينّا^(١) من حمايته ووفايته إلى معقل منيع ، وجناب^(٢) [رفيع]^(٣) ، آمين ، آمين ، آمين .

نرجو أن يكون ربنا ، الذى هو فى جميع الأمور حسبنا ؛ قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا ، وساقنا توفيقه وحدانا ؛ إلى الاستجارة بملك حقّ ، كريم وقى ؛ أعزّ جارا من أبى دؤاد^(٤) ، وأسمى أنفا من الحارث بن عباد^(٥) ، يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضر والباد ؛ إن أغاث ملهوفا فما الأسود ابن قنّان^(٦) يذكر ، وإن أنعش حشاشة هالك فما كعب بن مامة على فغله وحده^(٧) يشكر ؛

[٥٠]

(١) فى ط : « وبوردنا » . وفى نفح الطيب : « ويثوب بنا » .

(٢) هذه الكلمة « وجناب » : ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) أبو دؤاد : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن الشرقى الإباضى . كان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فاجاره وأحسن إليه ، فضرب المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك فى الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبى دؤاد) .

(٥) يشير إلى حمية الحارث بن عباد البكرى فى الحرب بين بكر وتغلب حين بلغه قتل مهلهل بجيرا ابنه وقوله له : يؤ بشمع نعل كليب ، فنادى بالرحيل وقال قصيدته المعروفة :

« قربا مربط النعامه منى لفتحت حرب وائل عن حيالى »

(٦) لم نجد شيئا عن الأسود بن قنّان هذا فى المظان التى رجعنا إليها .

(٧) يشير إلى ما أثر عن كعب بن مامة الإباضى من أنه أثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى ، فمات عطشا ، وضرب به المثل فى الإيثار . (انظر الشعر والشعراء ص ١٢٠ طبعة أوربة ، والمضاف والمنسوب للتعالي) .

جلّيسه كجليس القعقاع بن شور^(١) ، ومذاكره كمذاكر سُفَيان^(٢) المنتسب من الرّباب^(٣) إلى نور ؛ إلى التحلى بأمّهات الفضائل ، التي أضدادها أمّهات الرذائل ؛ وهي الثلاث : الحكمة ، والعدل ، والعفة ، التي تشملها الثلاث : الأقوال ، والأفعال ، والشّمايل ؛ وينشأ منها ما شئت^(٤) من عزم وحزم ، وعلم وحلم ، وتيقظ وتحفظ ، واتقاء وارتقاء ، وصول وطول ، وسماح ونائل ؛ فبنور حلاه المشرق ، يفتخر المغرب على المشرق ؛ وبمحدثه^(٥) السامى خطره في الأخطار ، وبيته الذى ذكره في النباهة والنجابة قد طار ، يُباهى جميع ملوك الجهات والأقطار ، وكيف لا وهو الرفيع المُنتمى والنّجار ، الراضع من الطّهارة صفو ألبان^(٦) ، الناشئ من السّراوة وسط أحجار ؛ فى ضئضى^(٧) المجد ، ومُجروح السكرم ، وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرّم ، وذؤابة الشّرف التي مجاذبتها لم ترم ؛ من معشر أىّ معشر ، بخلوا إن وهبوا ما دون أعمارهم ، وجبّئوا إن لم يحمّوا سوى ذمارهم ، بنو^(٨) مرّين ، وما أدراك ما بنو مرّين :

(١) القعقاع بن شور : تابعى يضرب به المثل فى حسن المجاورة ؛ كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيبا من ماله ، وأعانه على عدوه ، وشفع له فى حوائجه . (انظر المضاف والمنسوب ، وشرح القاموس مادة قعقم) .

(٢) هو سفیان بن سعيد بن مسروق الثوري ، تابعى من كبار رجال الحديث .

(٣) الرباب (بالراء المشددة المكسورة) : الجماعات ، وتطلق على قبائل عوف وثور وأشيب وضبة عمهم ، سمو بذلك لتفرقهم .

(٤) كذا فى ت ونفع الطيب والاستقصا للسلوى . وفى ط : « ناشئة » .

(٥) فى نفع الطيب : « ومحدثه » .

(٦) فى ت : « اللبان » .

(٧) الضئضى : الأصل .

(٨) فى ط : « فبنو » .

سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزُرِ^(١)

الْقَازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

لَهُمْ مِنَ الْهَفَوَاتِ انْتِفَاءً ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ اكْتِفَاءً ؛ انْتَسَبُوا إِلَى
بَرِّ بْنِ قَيْسٍ^(٢) ، فَخَرَجُوا فِي الْبَرِّ عَنِ الْقَيْسِ^(٣) ؛ مَا لَهُمُ الْقَدِيمُ الْمَعْرُوفُ ، قَدْ نَقَدَ
فِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ ، وَحَدِيثُهُمُ الَّذِي نَقَلْتَهُ رِجَالُ الرُّحُوفِ^(٤) ، مِنْ طُرُقِ الْقَنَا
وَالسِّيُوفِ ، عَلَى الْحَسَنِ مِنَ الْمَقَاصِدِ مَوْقُوفِ^(٥) ؛ تَحَمَّدَ مِنْ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ ،
ذَابِلَهُمْ وَلَدَنَّهُمْ ، فَلِلَّهِ آيَاتُ أَنْجِبُوهُمْ ، وَأُمَمَاتُ وَلَدَنَّهُمْ :

سَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ^(٦)

إِلَيْهِمْ فِي الشَّدَائِدِ الْإِسْتِنَادُ ، وَعَلَيْهِمْ فِي الْأَزْمَاتِ الْمُعَوَّلُ ، وَلَهُمْ فِي الْوَفَاءِ
وَالصَّفَاءِ وَالِاحْتِفَاءِ ، وَالْعَنَاءِ^(٧) وَالْحِمَايَةِ وَالرَّعَايَةِ ، الْخَطُّوَالِوَاسِعُ ، وَالْبَاعِ الْأَطْوَلُ ،
كَأَنَّمَا عَنَاهُمْ بِقَوْلِهِ جَرَّوَلِ^(٨) :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبَيْتَ وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

(١) هذا عجز بيت ، وصدره : « لا يبعدن قومي الذين هم » . وهذا البيت والذي يليه من
قصيدة لخرنق بنت هفان ترى زوجها وابنها علقمة وأخويه . (راجع الأمالي ج ٢
ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

(٢) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينتسب البربر . (انظر شرح القاموس مادة بر) .

(٣) القيس : القياس والتقدير .

(٤) الرحوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بجمرة .

(٥) في ط : « موصوف » .

(٦) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الفلاسنة ، وصدره :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

(٧) هذه الكلمة : « العناية » ساقطة في ت .

(٨) جرول : اسم الخطيئة الشاعر الخضر المعروف .

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها^(١) وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعذلي أبناء^(٢) سعد عليهم^(٣) وما قلت إلا بالتي علمت سعد
وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه :

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَ^(٤)
يُرِيحُونَ عَنِ النَّزِيلِ كُلِّ نَازِحٍ قَاصِمٌ ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهم^(٥)
أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم^(٦) :

لَا يَفْطَنُونَ لَعِيبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحِفْظِ جَوَارِهِ فُطُنُ^(٧)
حَلَامٌ هَذِهِ الْغَرِيزَةُ الَّتِي لَيْسَتْ بِاسْتِكْرَاهٍ وَلَا جَعْلٍ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، دام
نصره ، قَسَمُهُمْ فِيهَا حَذَوُ^(٨) النُّعْلِ بِالنُّعْلِ ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم
بِالْأَوْصَافِ الْمُلُوكِيَةِ مُسْتَعْلٍ ؛ أَرْفَضَ مِنْهُمْ مَنْهُ عَنْ غِيثٍ مِلْثٍ يَمْحُو أَثَارَ
اللزبة^(٩) ، وَاشْتَقَّ غِيْلَهُمْ مِنْهُ عَنْ لَيْثٍ ضَارٍ مُنْقَبِضٍ عَلَى بَرَائِنِهِ لِلْوَيْبَةِ^(١٠) ، فَقُلْ

(١) رواية هذا الشطر في مختارات ابن الشجري : « وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها » .

(٢) في مختارات ابن الشجري : « أفناء » . والأفناء : الأخطا .

(٣) يروى : « وقد لامني أفناء سعد عليهم » .

(٤) العناج : عروة في أسفل الغرب من باطن ، تشد بوئاق إلى أعلى الكرب ، وهو
الحبل الذي تعلق فيه الدلو من عرقوتها ، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج الدلو
أن تقع في البئر . يريد أنهم إذا عقدوا عقدا لجارهم أحكموه .

(٥) كذا في ط . وفي ت ونفع الطيب والاستقصا للسلاوي : « فهو » .

(٦) بنو منقر : من تميم ، منهم قيس بن عاصم هذا .

(٧) هذا البيت من أبيات لقيس مطلقها :

إني امرؤ لا يعتري حسبي دنس يفنده ولا أفن

(٨) كذا في ت ونفع الطيب : وفي ط : « حذوك » .

(٩) اللزبة : الضيق والشدة .

(١٠) يشير إلى قول النابغة :

وقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائنه للوئبة الضاري

لِسكَّانِ الْغَلَا : لَا تَقْرُنْكُمْ أَعْدَادُكُمْ وَأَمْدَادُكُمْ ، فَلَا يُبَالِي السَّرْحَانِ التَّوَاشِي ،
سِوَاءَ مَشَى إِلَيْهَا النَّقَرَى أَوْ الْجَفَلَى ^(١) ؛ بَلْ يَصْدِمُهُمْ صَدْمَةٌ تَحْطِمُ مِنْهُمْ كُلَّ
عَرْنَيْنٍ ، ثُمَّ يَبْتَلَعُ بَعْدَ أَشْلَاءِهِمُ الْمَعْفَرَةَ ابْتِلَاعَ التَّنَّيْنِ ^(٢) ؛ فَهُوَ هُوَ كَمَا عَرَفُوهُ ،
وَعَهْدُهُ وَأَلْفُوهُ ؛ أَخُو ^(٣) الْمَنَايَا ، وَابْنُ جَلَا ^(٤) وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا ^(٥) ، مَجْتَمِعُ أَشْدُّهُ ،
قَدْ احْتَنَكْتُ سِتَّهُ ^(٦) وَبَانَ رُشْدُهُ ؛ جَادَ مَجْدٌ ؛ مُحْتَزَمٌ بِحِزَامٍ مِنَ الْحَزَمِ ، مُشَمَّرٌ
عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ ^(٧)
[٥٢] أَسَدَى الْقَلْبِ آدَمَى الرُّوَاءِ ، لَا بَسَ جِلْدَ النَّمْرِ لَذَوَى الْعِنَادِ وَالنَّوَاءِ ^(٨) :

وَلَيْسَ بِشَاوَى عَلَيْهِ دَمَامَةٌ إِذَا مَا سَعَى يَسْعَى بِقَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ^(٩)
وَلَسَكْنُهُ يَسْعَى عَلَيْهِ مُفَاضَةٌ ^(١٠) دِلَاصٍ كَأَعْيَانِ الْجَرَادِ الْمَنْظَمِ ^(١١)

(١) مشى إليها النقرى أو الجفلى . أى دهمها وحدها أو مع غيره .

(٢) التنين (بكسر أوله) : الحية العظيمة .

(٣) فى ط : « وأخو » .

(٤) يقال : هو ابن جلا : للسيد الشريف الذى لا يخفى مكانه .

(٥) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ؛ وطلّاع الثنايا : من يسمو لمعالى الأمور .

(٦) احتنكت سنه : قويت تجاربه .

(٧) القلب : البئر . وهذا البيت من قصيدة لأبى سعيد الخزومى . (انظر الأملال ج ١)

س ٢٥٩ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٨) الرواء : المناوأة ، وهى المعادة .

(٩) شاوى : صاحب شاء ، وهى الغنم . ورواية هذا البيت فى اللسان مادة (شوه) :

ولست بشاوى عليه دمامة إذا ما غدا يغدو بقوس وأسهم

وهو الذى بعده ليزيد بن عبد المدان .

(١٠) رواية هذا الشطر فى اللسان مادة (عين) : « ولسكنى أغدو على مفاضة » .

(١١) المفاضة : الدرع . والدلاص : اللينة البراقة المساء .

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين ، والوَحَاء الوَحَاء^(١) لاحقين به خاضعين ؛
 قبل أن تساقوا إليه مُتَقَرَّنِينَ في الأَصْفَاد ، ويعيا الفداء بنفائس النفوس والأموال
 على الفاد^(٢) ؛ حينئذ يَعَضُّ ذو الجهل والقدامه^(٣) ، على يديه حسرة وندامة ؛ إذا
 رأى أبطال الجنود ، تحت خوافق الرايات والبُنُود ، قد لَفَحَتْهُمْ نار ليست بذات
 سُخُود ، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وثمود ؛ زَعَمَات
 سَبَطَانَات^(٤) تَوْزَم^(٥) السكتائب أَرَا ، وهمزاً محققاً للخيل بعد المدّ المشبع للأعنة
 هَمَزَا ، وسلاً للهندية سَلَا وهزاً للخطية هَزَا ، حتى يقول النسر للذئب : هل
 تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزَا^(٦) . رثق خليفة الله بذلك ، في كل
 من رام أذى رعيتك أو أذاك^(٧) ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى في ذوى الشقاق
 والنفاق ، الذين يَشُقُّون عصا المسلمين ، ويقطعون طريق الوفاق^(٨) ؛ وينصّبون
 حَبَائِلَ البَغْيِ والفساد في جميع النَوَاحِي والآفاق ؛ فَلَنْ يَجْعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ
 الآمنين ، أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا ؟ وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ،
 ولا يهدى كيد الخائنين .

وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وجود صلوات التقديس والتعظيم ،
 بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بذر ثناء أبهى من دُرِّ العقد النظيم ؛ منتظمين

(١) كذا في الأصلين . والوَحَاء : السرعة . وفي نفح الطيب : « والوجل الوجل » .

(٢) الفاد : انفادى ، وهو من يفديهم بالمال .

(٣) الفدامة : المي عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٤) سبطانات : جمع سبطانة ، وهي آلة يرمى بها في الحرب ، (مولدة) .

(٥) تَوْزَم : تحركهم بشدة .

(٦) ركزا : صوتاً خفياً .

(٧) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « وأذاك » .

(٨) في ت ونفح الطيب : « الرفاق » .

في سلك أوليائكم^(١) ، متشرفين بخدمة عليائكم ؛ ولا فقد عزة ولا عدها ،
 من قصد مثابتنكم العزيزة وخدمها ؛ وإن المترامى على سنائكم ، لجدير بحرمتمكم
 واعتنائكم ؛ وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا ، عاش بقية عمره محروسا
 من الضيم مصونا ؛ وقد قيل في بعض الكلام : من قعدت به نكايه الأيام ،
 أقامتة إغاثة الكرام ؛ ومولانا أيده الله تعالى ولّى ما يزفّه إلينا من مكرمة بكر ،
 ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلّد في صحائف^(٢) حسن الذكر ، ويروى مضعن
 حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر ؛ وغيره
 من ينال عن ذلك فيوقظ ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ ؛ وما عهد منذ
 وجد إلا سريعا إلى داعي الندى والتكريم ، بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرّم ؛
 حافظا للجار الذي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بحفظه ، مستفرضا وسعه في
 رعيه المستمر ولحظه ، آخذا من حسن الثناء في جميع الأوقات والآناء بحظه :

فهو من دوحة السنا فرغ عزّ ليس يحتاج مجتنيه لهزّ
 كفه في الإجمال أغزر وبّل وذراه في الخوف أمتع حزر^(٣)
 حله يسفر اسمه لك عنده فتفهّم يا مدعى الفهم أغزى^(٤)
 لا تسله شيئا ولا تستنله نظرة منه فيك تُغني وتجزى
 فنداه هو الفرات الذي قد عام فيه الأنام عوم الإوز
 وحمّاه هو المنيع الذي تر جع عنه الخطوب مرجع عجز

(١) في ط : « ومنتظمين في سلك أولائكم » .

(٢) في ت : « الصحائف » .

(٣) ذراه : كنفه .

(٤) لعله يريد أن الحلم يلحظ في اسمه (الشيخ) ، لأن مع الشيخوخة الرزانة والهدوء .

فَدَعُوا ذَهَنَهُ يَزَاوِلُ قَوَلِيْ فَهُوَ أَدْرَى بِمَا تَضْمَنُ رَمْزِيْ
دَامَ يُحْيِيْ بِكُلِّ صُنْعٍ وَمَنْ وَيَعَا فِيْ مَنْ كُلِّ بؤْسٍ وَرَجَزٍ

وكاننا به قد عمل على شاكلة جلاله ، من مدّ ظلاله ، وتمهيد خلاله ، وتلقّى ورودنا بحسن تهلّله واستهلاله ، وتأنيسنا بجميل قبوله وإقباله ، وإيرادنا على حوض كونه المترع بزلاله . والله [سبحانه] ^(١) يسعد مقامه العليّ ، ويسعدنا به في حلّه وارتحالّه ، ومآله وحاله ؛ ويؤيد جنده المظفر ، ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوّه واستنزاله ، وهزّ الذوابل ^(٢) لإطفاء ذبّاله ؛ وهو سبحانه وتعالى المسئول أن يُريّه قرّة العين في نفسه وأهله وخُدّامه وأمواله ، وأنظّاره ^(٣) وأعماله ، وكافة شئونه وأحواله . وأحق ما نصل بالسّلام وأولى ، على المقام الجليل مقام الخليفة المولّى : أزكى الصلاة والسلام على خاتمة ^(٤) أنبياء الله وأرسله ^(٥) ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله ، صلاة وسلاما دائمين أبدا ، موصولين بدوام الأبد واتصاله ، ضامنين له جددٍها ومردّدٍها صلاح فاسد أعماله ، وبلوغ غاية آماله ، وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وإفضاله .

انتهى الكتاب ؛ وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار ، بما فعلته الدنيا مع الملوك الأعظم الكبار ، ولأن الكلام جر إليه ، والله تعالى الكفيل بخلاص من توكل عليه .

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) الذوابل : الرماح ، جمع ذابل .

(٣) كذا في ط ونفح الطيب . والأنظار : جمع نظر ، وهو مصدر ، يراد به ما ينوب النظر عليه من الأعمال . وفي ت : « أقطاره » .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « خاتم » .

(٥) يريد رسله ، والأرسال : غير مسموع في هذا المعنى .

أبو عبد الله
العربي وشي
من نظمه

وصاحب هذا الإنشاء وصفه الإمام ابن داود بقوله : « الفقيه الخطيب
الفاضل ، خاتمة الأدباء بالأندلس ^(١) ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح أبي محمد
عبد الله العقيلي المعروف بالعربي .

ومن بديع نظمه هذه الأبيات ^(٢) :

جُرْ بالبساتين والرياض فما أبهج مرثيها ^(٣) وأجلاه ^(٤)
واعجب بها للنبات ولتلك في أسفلها ناظرا وأعلاه
وقدس الله عند ذاك وقل سبحانه لا إله إلا هو

ورأيت بخط ابن داود المذكور أنه وقع بينه ، أعني ابن داود ، وبين الفقيه
المدرس أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن إبراهيم البسطي ، نزاع في مسألة نحوية ،
قال : وطال فيها الكلام ^(٥) بما تقيّد عني في غير هذا ، فقال الفقيه الخطيب
الأديب العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي يورّي بالقضية ، ويشير إلى
قصة نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام :

ندد البسطي في مسألة لابن داود وقد أحكمها
وقديما وقعت مفضلة وابن داود الذي فهمها ^(٦)

انتهى . [٥٥]

قصيدة الدقون
في نذب الجزيرة

ومن نظم الشيخ الفقيه ، الأستاذ المقرئ الخطيب ، الفذّ الأوحّد ، سيدي

(١) في ت : « أدباء الأندلس » .

(٢) في ت : « ومن بديع نظمه قوله » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « مرآها » .

(٤) في نفع الطيب : « وأحلاه » .

(٥) في ت : « القيام » .

(٦) يشير إلى قوله تعالى في قصة الغنم والحرث : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكماء وعلماء » .

أبى العباس أحمد الدقون^(١) رحمه الله ، قصيدة في نَدْب^(٢) الجزيرة ، تذكر النفوس
بشجوها ، فترسل العيون دموعها الغزيرة ، افتتحتها بنثر نصه :

الحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل .
أما بعد فيقول خديم^(٣) أهل الله تعالى ، عُبَيْدُ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ ، الشهير
بالدقون ، لطف الله به بمنه وكرمه :

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ، بأخذ الحمراء ؛ قرعتُ باب النُدْبِ ، لما
تقدم من الصحبه ؛ فقلت أبيانا صَدَرْتُ من قلب كئيب ، مُبْكِيَةً كُلَّ^(٤) لبيب
أريب ؛ وسميتها بالموعظة الغراء ، بأخذ الحمراء ، مبيحا لمن رغب فيها ، ولم يرغب
عنها ، أو استحسن شيئا منها ، أن يحدث بها غنى ؛ وذلك بعد إتيان لفظها
وحفظها ، وفهم وعظها ولحظها ؛ وإن كنت لا أحسن أن أقول ، وربما أغزى بها
إلى الفضول ؛ لكنني لا أعدم المشيل ، وفي مثل هذا قيل :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِمُهُ
وَاللَّهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي ، وهو مُتْقِلُ عَثَرَتِي . وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :
أَمِنْتَ مِنْ عَكْسِ آمَالٍ وَأَحْوَالٍ وَعَشْتَ مَا بَيْنَ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ
وَلَا ابْتُلَيْتَ بِمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ نَكْدٍ فَالْجَسْمُ مُشْتَغَلٌ مِنْ غَيْرِ أَشْغَالٍ
وَكَيْفَ لَا وَبِقَاعِ الدِّينِ خَالِيَةً مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسٍ مِنْ أَجْلِ أَهْوَالٍ

(١) هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المشهور بالدقون ، توفي مستهل شعبان
سنة إحدى وعشرين وتسع مئة . (انظر كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ،
لأحمد بابا التنبكي) .

(٢) في ت : « ندبة » .

(٣) انظر حاشية رقم ٣ صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

(٤) في ت : « لكل » .

عَمَّتْ فَعَمَّتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا لِّلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْدَاءِ وَأُنْكَالٍ
جَاشَتْ بِهَا مِنْ جَبُوشِ الْكُفْرِ مَا دَرَسَتْ بِهِمْ مَعَالِمُ أَخْيَارٍ وَأَقْيَالٍ^(١)
أَهْلُ الشَّجَاعَةِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَهْلُ تَقَى أَهْلُ النَّفَاسَةِ فِي قَوْلٍ وَأَفْعَالٍ
عَنْهُمْ وَفِيهِمْ أَحَادِيثُ النَّبِيِّ بَدَتْ وَهُمْ مَعَاقِلُ قَوْلِ اللَّهِ لِلتَّالِي
رُهْبَانِ لَيْلٍ وَفُرْسَانِ النَّهَارِ قَعَنْ يُلَمُّنَ بِسَاحَتِهِمْ يَظْفَرُونَ بِأَمَالٍ
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ الْمُضَافَ لَهُمْ يَسْلُو عَنْ أَهْلِ وَأَوْطَانٍ وَأُمُومَالٍ
فَهَلْ تَرَى بَعْدَ هَذَا النَّفْسَ سَائِلَةً وَكَيْفَ تَسْأَلُ عَنْ وَصْفٍ وَعَنْ حَالٍ
تَاللَّهِ لَا زَالَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ أَسْفٍ وَلَوْ أَكُونُ حَلِيفَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي
أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ فِي نَصْرِ يَمُنَّ بِهِ فَاللَّهُ بَاقٍ يَبْقَى مِنْ كُلِّ مُخْتَالٍ
قَدْ رَامَ إِطْفَاءَ نَوْرِ اللَّهِ مَجْتَهِدًا وَبِإِذْلَا كُلِّ مَا قَدْ حَازَ مِنْ مَالٍ
سَطَا بِجَيْشِ كَمُوجِ الْبَحْرِ فِي عُذْدٍ نَعَمْ ، وَفِي عَدَدٍ مِنْ رَهْطٍ أَبْطَالٍ
مُؤَيَّدًا بِاجْتِمَاعِ الْمَصْرِ يَتَّبِعُهُ شَرُّ الْخَلَائِقِ مَسْرُورًا بِإِقْبَالٍ
يَسْنِي الْمَسَامِعَ بِالْأَنْفَاضِ^(٢) مُشَبَّهَةً وَقَعَ الصَّوَاعِقُ فِي هَدْيٍ وَزَلْزَالٍ
يَبْنِي لِيَهْدِمَ مَا الْإِسْلَامُ شَيَّدَهُ وَالْوَصْفُ يُعْجِزُ مَنْ يُدْعَى بِقُلُقَالٍ^(٣)
فَهُوَ الْمُقَاتِلُ فِي الْأَبْرَاجِ مُنْتَقِلٌ إِلْفَ النُّجُوسِ وَتَغْيِيرُ^(٤) وَتَرْحَالٍ
فَاسْتَوْطِنَ الْمَرْجَ لَا يَنْوِي الرِّحِيلَ وَلَا يَخْشَى الْمَغِيثَ بَسْهَلٍ أَوْ بِأَجْبَالٍ
وَالْمَسَامُونَ مِنَ الْأَضْعَانِ قَدْ مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَبْوَاهُ تَسْتَدِيدُ أَخْلَالَ^(٥)

[٥٦]

(١) الأقيال : جمع قبيل ، وهو الملك دون الملك الأعظم .

(٢) كذا في الأصلين : ولعلها محرفة عن الأنفاط (بالطاء) ، يريد بها الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كالدافع . (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزي) .

(٣) يريد بالقلقال (هنا) : الفصيح اللسن ، كما هو شائع على ألسنة المغاربة حتى اليوم .

(٤) في ط : « النجوس » .

(٥) الأخلال : جمع خلل ، وهي الثغرة في الصفوف ونحوها .

والحقُّ مختلفٌ والحقُّ مؤتلفٌ	والكل منصرف عن نصر أبطالٍ
وهم لديه كطير وهو ينتفه	والطير يرجو البقا مع كيد قتالٍ
إذا تجرَّد ^(١) من ريش يطير به	أنحى يدافع عن رُوح بأوصال ^(٢)
سَدُّوا مسالكَ أرزاقٍ ومنفعة	كدودة القز في نسجٍ لسربالٍ
ثم استغاثوا : ألا فُرسانَ عاديةٍ	قال الصدى : لست ذا رمحٍ ونبالٍ
والصيف ضيعت ما أمّلت من ابنٍ	ففارِقِ الجبَّحَ من تدخينٍ نحالٍ ^(٣)
وارحل بنحلك ^(٤) نحو الغرب في كرمٍ	من قبل وضعك في قيدٍ وأغلالٍ
فاستمكن ^(٥) الرُّعبُ في الأكبَادِ وانفقت	بعد اختلافٍ على تأمينٍ أُرذالٍ
واحتل غرناطة الغراء قد ^(٦) عَدِمَت	حَبَّ الحصيد ونصرَ الله والآل
كانها الشمس في أفقِ العلى كُسِفَتْ	فهل على طَلَلٍ ترمى بأبطالٍ؟ ^(٧)
وهل تعود ليالٍ قد سَلَفْنَ بها	ونحن لا نشكِي تنكيدَ ضلّالٍ؟
وهل يعود لها الدين الذي أنسَتْ	به وقد أيسَتْ من فتحٍ أبدالٍ؟ ^(٨)
فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم	كمثل عادٍ وما عادُ بأشكالٍ
قد فُرّقُوا كسبًا في كل منزلة	وقد سبّا عدّه من أيدٍ أو عالٍ ^(٩)

(١) كذا في ط . وفي ت : « تجدد » وهو تحريف .

(٢) الأوصال : مجتمع العظام . يريد الأطراف .

(٣) الجبّح : خلية النحل . والنحال : القائم على خلايا النحل .

(٤) في ت : « بنحلك » .

(٥) في ت : « واستمكن » .

(٦) في ط : « مذ » .

(٧) كذا في ط . وفي ت : « تومي بأطلال » ولا معنى له .

(٨) يشير إلى ما هو معروف في الغرب من الاستنصار بالأولياء ، وهم الأبدال ، عند اشتداد الأزمات والخطوب .

(٩) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

فلا المساجد بالتوحيد عامرة
ولا المنابر للوعاظ بارزة
ولا المكاتب بالصبيان آمنة
آه على الدين والدنيا وما نفعت
إنّا إلى الله والرجعى له وبه [٤٧]
وكان ما كان والأنطاف شاملة
فلنكرم^(٢) الآن من ينزل بمنزلنا
وإذ ولا قدرة تدنى المنى فلهم
نلقاهم ولنسا بشر ومعدرة
ولا نذعن ورود الخوض وارده
إخوانكم رفعوا أيدي الضراعة مع
وقل لوال تلطف في مغارمهم
هذا النذير جهارا جاء يُنذِرنا
ونحن في غفلة عما يُراد بنا
يا أهل فاس أما في الغير موعظة
فقل تعالوا إلى نصيح وتذكرة
كيف الحياة إذ الحيات قد نفحت
ولا سبيل إلى الترياق غير نُقى
والأخذ بالجد في جمع القلوب على

إذ عمّروها بناقوس وتمثال
الأمر والنهي أو تذكير آجال
تتلو القرآن بأسحار وأصال
آه إذا صدرت من قلب بطال^(١)
تعلق القلب في تصحيح إلال
لاحت بنقلة نسوان وأطفال
فالدهر ذو دُول فاسمع لأمثال
حق الجوار ولا تُوصف^(٣) بإهمال
ورحمة يا حمة العم والخال
ولا ندع قول ذى نصيح وإجمال
كسر القلوب فلا يلتقوا بإهمال
يتلطف بك الله إذ تدعى لأحمال
والاذن في صمم عن قيل أو قال
نمشى على مَهلة من طول إهمال
إب السعيد لموعوظ بأمثال
فالأمر جدّ فلا تصحب ليكسال
على السواحل أو همت بإرسال
والحزم في سعة من قبل إجمال
بذل النصيحة أو إبراء أذخال

(١) في ط : « آها على الدين ... » * إلا إذا صدرت ... الخ .

(٢) في ت : « فنكرم » .

(٣) في ت : « فلا يوصف » .

والزُّهد في هذه الدنيا وزُخرفها والأمر بالعرف مع تحسينِ مقوالِ
ولا نَرُمُ في أمانِ الرومِ منزلةً خوفاً على الدين أو بعداً من أنْذالِ
فمن يَبْتَ في أمانِ الكلبِ منتصباً لسخطِ مَوْلى ولا عذرٌ بأنْقالِ
وارباً بنفسك عن أرضِ تهان بها فخيماً كنت لا تحشى من أقلالِ
فالموت عندى خير من حياة فتى قد اكتسى بعد عزِ ثوبِ إذلالِ
والهجرة الآن قد عادت كما سبقتُ فافهم تفاصيلِ أقوالِ وإجمالِ
واحتملْ بذهنك ولتسمع نصائحَ مَنْ قد طَبَّ مَنْ حَبَّ^(١) لم يُوصَفْ بمُحتالِ
في صدرِ سميعٍ على التسعين زائدة شمسُ الجزيرة غابت بعد إكمالِ
وبُلِّغَ الكلبُ ما قد شاء من أربٍ إذ لم يجدْ ذائداً عن ديننا العالِ
ليقتضى الله أمراً كان قَدَره والأمرُ لله في قولٍ وأفعالِ
وقد وعظتُ ولو أسمعْتُ لا تشرتُ سحائبُ الدمع لم تقلع عن انزالِ
فليشتغل كل مسكينٍ بمهجته والله يحفظنا من كل مهوَالِ
ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد والرضا عن آلٍ أو تآلى [٥٨]

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان
أبى يزيد^(٢) خان العثماني ، رحمه الله ، مانعه بعد سطر الافتتاح :

مما كتبه بعض
أهل الجزيرة
إلى بايزيد

الحضرة العلية ، وصل الله سعادتها ، وأعلى كلمتها : ومهد أقطارها ، وأعز
أنصارها ، وأذل عداتها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، السلطان الملك
الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قامع أعداء الله

(١) من أمثال العرب في التنويع في الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من طب لمن
حب . . . أى صنعة حاذق لمن يحبه .

(٢) في ط : « بايزيد » .

الكافرين ؛ كهف الإسلام ، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام ؛ محيي العدل ،
ومنصف المظلوم ممن ظلم^(١) ، ملك العرب والعجم ، والترك والدَّيْلَم ؛ ظلَّ الله في
أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ ملك البرِّين ، وسُلطان البحرين ؛ حامى الدِّمار ،
وقامع الكُفَّار ؛ مولانا وعُمدتنا ، وكهفنا وغياثنا^(٢) ، مولانا أبو يزيد ، لا زال
ملكه موفور الأنصار ، مقرونًا بالانتصار ، مُخلِّد المآثر والآثار ، مشهور المعالي
والفَخار ؛ مستأثرًا من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل ، في الدار الآخرة
والثناء الجميل ، والنصر في هذه الدار . ولا بَرَحَ عزَماته العلية مختصة بفضائل
الجهاد ، مُجَرِّدة على أعداء الدين من بأسها ، ما يُروى صدور الشمر والصفاح^(٣) ،
وَأَسِنَّة السَّلاح ، باذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخير مفارقة
الأرواح للأجساد^(٤) ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم
يقوم الأشهاد :

سلام كريم دائم متجدد	أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذى المجد والعلا	ومن ألبس الكفار ثوب المذلة
سلام على من وسع الله ملكه	وأيدته بالنصر في كل وجهة
سلام على مولاي من دار ملكه	قسطنطينية أكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه	بجند وأتراك من أهل الرعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم	وزادكم ملكا على كل ملة ^(٥)

(١) في ط : « من الظالم » .

(٢) في ط : « غوثنا » .

(٣) الصفاح : جوانب السيوف ، الواحد : صفح .

(٤) هذه العبارة ، من قوله : « باذلة نفائس » إلى قوله : « للأجساد » : ساقطة في ت .

(٥) رواية هذا الشطر في ط : « وزادكم ملكا في كل ملّة » وهو محرف .

سلام على القاضى ومن كان مثله
سلام على أهل الديانة والتقى
سلام عليكم من عبید تخلّفوا
أحاط بهم بحر من الرّوم زاخراً
سلام عليكم من عبید أصابهم
سلام عليكم من شيوخ تمزقت
سلام عليكم من وجوه تكشفت
سلام عليكم من بنات عوانق
سلام عليكم من عجائز أكرهت
نقبل نحن الكل أرض بساطكم
أدام الإله (٣) ملككم وحياتكم
وأيدكم بالنصر والظفر بالعدا
شكونا لكم مولاي ما قد أصابنا
غدرنا ونصّرنا وبذل ديننا
وكنّا على دين النبي محمد
ونلقى أموراً في الجهاد عظيمة
فجاءت علينا الروم من كل جانب
من العلماء الأكرمين الأجلّة
ومن كان ذارأي من أهل المشورة
بأندلس بالغرب (١) في أرض غربة
وبحر عميق ذو ظلام ولجة
مُصاب عظيم يالها من مُصيبة
شُيُوبهم بالنتف من بعد عزة
على جملة الأعلاج من بعد ستره
يسوقهم اللبّاط قهراً لخلوة (٢)
على أكل خنزير ولحم إجيّفة
وندعو لكم بالخير في كل ساعة
وعافاكم من كل سوء ومحنة
وأسكنكم دار الرضا والكرامة
من الضرّ والبلى وعظم الرزية
ظلمنا وعوملنا بكلّ قبيحة
نقاتل مُهمّال (٤) الصليب بنية
بقتل وأسرى ثم جوع وقلة
بسيل عظيم جملة بعد جملة

(١) في ط : « في الغرب » .

(٢) اللبّاط : من رجال الدين بالكنيسة ، كما في معجم دوزى . يشير إلى ما فعله نصارى الأسبان من إكراه المسلمين على ترك دينهم .

(٣) في ط : « إلهى » .

(٤) كذا في ت . وفي ط : « أعمال » . وفي رواية : « عباد » .

ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
فكنا بطول الدهر نلقى جموعهم
وفرسانهم تزداد في كل ساعة
فلمّا ضَعَفْنَا خَيْمُوا فِي بِلَادِنَا
وجاءوا بأنقاط^(٢) عظام كثيرة
وشدوا عليها في الحِصَار بقوة
فلمّا تَفَانَتْ خَيْلُنَا وَرَجَالُنَا
وَقَلَّتْ لَنَا الْأَقْوَات واشتدّ حالنا
وخوفًا على أبنائنا وبناتنا
على أن نكون مثل من كان قَبْلَنَا
وَنُبْقِيَ عَلَى آذَانِنَا وَصَلَاتِنَا
ومن شاء منا البحرَ جاز مُؤَمَّنًا
إلى غير ذاك من شروط كثيرة
فقال لنا سُلْطَانُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ
وَأَبْدَى لَنَا كُتُبًا بَعْدَ وَمَوْتِ
فكونوا على أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ
فلما دخلنا تحت عَقْدِ ذِمَّتِهِمْ
وخان عهودًا كان قد غَرَّنَا بِهَا
بِحَدٍّ وَعَزَمَ مِنْ خَيُْولٍ وَعُدَّةٍ
فَنَقَتُلُ فِيهَا فِرْقَةً بَعْدَ فِرْقَةٍ
وَفُرْسَانُنَا فِي حَالٍ^(١) نَقْصٍ وَقِلَّةٍ
ومالوا علينا بِلَدَةٍ بَعْدَ بِلَدَةٍ
تَهْدِمُ أَسْوَارَ الْبِلَادِ الْمُنِيْعَةِ
شَهْرًا وَأَيَّامًا بِحَدٍّ وَعَزْمَةٍ
وَلَمْ تَرِ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ إِغَاثَةٍ
أَطْعَمَاهُمْ بِالْكَرْهِ خَوْفَ الْفَضِيحَةِ
مِنْ أَنْ يُؤَسَّرُوا أَوْ يُقْتَلُوا شَرَقِيقَةً
مِنَ الدَّجَنِ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ الْقَدِيمَةِ
وَلَا نَتْرَكُنْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ
بِمَا شَاءَ مِنْ مَالٍ إِلَى أَرْضِ عُدُوِّهِ
تَزِيدُ عَلَى الْخَمْسِينَ شَرْطًا بِخَمْسَةِ
لَكُمْ مَا شَرَطْتُمْ كَامِلًا بِالزِّيَادَةِ
وَقَالَ لَنَا هَذَا أَمَانِي وَذِمَّتِي
كَأَنَّكُمْ مِنْ قَبْلِ دُونَ أَذِيَّةٍ
بَدَأَ غَدْرُهُمْ فِينَا بِنَقْضِ الْعَزِيمَةِ
وَنَصَرْنَا كَرَهَا^(٣) بَعُفٍّ وَسَطْوَةٍ

(١) في ط : « في كل » .

(٢) كذا في ط . ويريد بالأنقاط : الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كالدافع . وفي

ت : « بأنقاض » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ١٠٥ من هذا الجزء) ..

(٣) في ط : « قهرا » .

وأحرق ما كانت لنا من مصاحف
وكل كتاب كان في أمر ديننا
ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم
ومن صام أو صلى ويعلم حاله
ومن لم يجيء منّا لموضع كفرهم
ويلطم خذّيه ويأخذ ماله
وفي رمضان يفسدون صيامنا
وقد أمرونا أن نسب نبينا
وقد سمعوا قوماً يغنون باسمه
وعاقبهم حكّامهم وولاتهم
ومن جاءه الموت ولم يحضر الذي
ويترك في زبل طريقاً مجذلاً
إلى غير هذا من أمور كثيرة
وقد بدّلت أسماءنا وتحولت
فأها على تبديل دين محمد
وأها على أسمائنا حين بدّلت
وأها على أبنائنا وبناتنا
يعلمهم كفراً وزوراً وفريّة
وأها على تلك المساجد سوّرت
وأها على تلك الصوامع علّقت
وأها على تلك البلاد وحسّنها

وخاطبها بالزّيل أو بالنجاسة
ففي النار ألقوه بهزء وحقرة
ولا مصحفاً يخلّى به للقراءة
ففي النار يلقوه على كل حالة
يعاقبه اللّباط شرّ العقوبة
ويجعله في السجن في سوء حالة
بأكل وشرب مرة بعد مرة
ولا نذكرنه في رخاء وشدة
فأدركم منهم أليم المصرة
بضرب وتغريم وسجن وذلة
يدكرهم لم يذفوه بحيلة
كمثل حمّار ميت أو بهيمة
قباح وأفعال غزائر رديّة
بغير رضا منا وغـير إرادة
بدين كلاب الروم شرّ البرية
بأسماء أعلاج من أهل الغباوة
يروحون للباط في كل غدوة
ولا يقدرُوا أن يمنعوهم بحيلة
مزابل للكفار بعد الطهارة
نواقيسهم فيها نظير الشهادة
لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة

وصارت لِعَبَادِ الصَّلَيبِ مَعَاقِلًا وقد أَمِنُوا فِيهَا وَقُوعَ الْإِغَارَةِ
 وَصِرْنَا عَبِيدًا لَا أَسَارَى فَنُفْتَدَى وَلَا مُسْلِمِينَ نَطْقُهُمْ بِالشَّهَادَةِ
 فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا صَارَ حَالُنَا إِلَيْهِ لَجَدْتُ بِالْذُّمُوعِ الْغَزِيرَةَ
 فَيَا وَيْلَنَا ، يَا بُؤْسَ مَا قَدْ أَصَابَنَا مِنْ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى وَثُوبِ الْمَذَلَّةِ
 سَأَلْنَاكَ يَا مُوَلَايَ بِاللَّهِ رَبَّنَا وَبِالسَّادَةِ الْأَخْيَارِ آلِ مُحَمَّدٍ
 وَبِالسَّيِّدِ الْعَبَّاسِ عَمِّ نَبِيِّنَا وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ حِجَابَةِ
 وَبِالصَّالِحِينَ الْعَارِفِينَ بَرَبِهِمْ وَشَيْئَتِهِ الْبَيْضَاءِ أَفْضَلِ شَيْئَةٍ
 عَسَى تَنْظُرُوا فِينَا وَفِيمَا أَصَابَنَا وَكُلِّ وَلِيٍّ فَاضِلٍ ذِي كَرَامَةٍ
 فَقُولْكَ مَسْمُوعٍ وَأَمْرِكَ نَافِذٍ لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةٍ
 وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حَكْمِكُمْ وَمَا قَلْتُ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسُرْعَةٍ
 فَبِاللَّهِ يَا مُوَلَايَ مُنُّوا بِفَضْلِكُمْ وَمَنْ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ
 فَأَنْتُمْ أُولُو الْإِفْضَالِ وَالْجَدِّ وَالْعَلَا عَلَيْنَا بِرَأْيٍ أَوْ كَلَامٍ بِحُجَّةٍ
 فَسَلِّ بِأَبْنِهِمْ ^(١) أَعْنَى الْمُقِيمِ بِرُومَةٍ وَغَوْتُ عِبَادَ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ
 وَمَا لَهُمْ مَالُوا عَلَيْنَا بِغَدْرِهِمْ بِمَاذَا أَجَازُوا الْغَدْرَ بَعْدَ الْأَمَانَةِ ؟
 وَجَنَسَهُمُ الْمَغْلُوبُ فِي حِفْظِ دِينِنَا بَغِيرِ أَدَى مَنَا وَغَيْرِ جَرِيمَةٍ
 وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَأَمِنْ مُلُوكِ ذِي وَفَاءٍ أَجَلَةٍ
 وَمَنْ يُعْطِ عَهْدًا ثُمَّ يَغْدِرُ بَعْدَهُ ^(٢) وَلَا نَالَهُمْ غَدْرٌ وَلَا هَتَكَ حُرْمَةٍ
 وَلَا سِيَمًا عِنْدَ الْمُلُوكِ فَإِنَّهُ فَذَاكَ حَرَامُ الْفِعْلِ فِي كُلِّ مِلَّةٍ
 قَبِيحٍ شَنِيعٍ لَا يَجُوزُ بِوَجْهِهِ

(١) يريد البابا رئيس الدين المسيحي .

(٢) في ط : « ثُمَّ يَغْدِرُ بَعْدَهُ » .

وقد بَلَغَ المكتوب منكم إليهم وما زادهم إلا اعتداءً وجُرْأَةً وَقَدْ بَلَغَتْ أَرْسَالُ^(١) مَصْرَ إِلَيْهِمْ وقالوا لتلك الرُّسُلِ عَنَّا بَأْنُنَا وساقوا عقود الزور من أطاعهم لقد كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَلَكِنْ خَوْفَ الْقَتْلِ وَالْحَرْقِ رَدَّنَا وَدِينُ رَسُولِ اللَّهِ مَا زَالَ عِنْدَنَا وَوَاللَّهِ مَا نَرْضَى بِتَبْدِيلِ دِينِنَا وَإِنْ زَعَمُوا أَنَا رَضِينَا بِدِينِهِمْ^(٢) فَسَلُّوْهُمْ وَأَخْرَا عَنْ أَهْلِهَا كَيْفَ أَصْبَحُوا وَسَلُّوْهُمْ بَلَقِيْقًا عَنْ قَضِيَّةِ أَمْرِهَا وَمَنِيَاْفَةً^(٣) بِالسَّيْفِ مَزَقَ أَهْلَهَا وَأَنْدَرَشَ^(٤) بِالنَّارِ أَحْرَقَ أَهْلَهَا فَهَذَا نَحْنُ يَا مَوْلَايَ نَشْكُو إِلَيْكُمْ عَسَى دِينُنَا يَبْقَى لَنَا وَصَلَاتُنَا وَإِلَّا فَيُجْلَوْنَا جَمِيعًا مِنْ أَرْضِهِمْ فَاجْلَاؤُنَا خَيْرَ لَنَا مِنْ مُقَامِنَا فَهَذَا الَّذِي نَرْجُوهُ مِنْ عِزِّ جَاهِكُمْ

فَلَمْ يَعْمَلُوا مِنْهُ جَمِيعًا بِكَلِمَةٍ عَلَيْنَا وَإِقْدَامًا بِكُلِّ مَسَاءَةٍ وَمَا نَأْلُهُمْ غَدْرٌ وَلَا هَتَكُ حُرْمَةٍ رَضِينَا بِدِينِ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ قَهْرَةٍ وَوَاللَّهِ مَا نَرْضَى بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ عَلَيْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَكْبَرَ فِرْيَةٍ نَقُولُ كَمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ وَتَوْحِيدُنَا لِلَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَا بِالَّذِي قَالُوا مِنْ أَمْرِ الثَّلَاثَةِ بِغَيْرِ أَذَى مِنْهُمْ لَنَا وَمَسَاءَةٍ أُسَارَى وَقَتْلَى تَحْتَ ذُلٍّ وَمَهْنَةٍ لَقَدْ مَرَّقُوا بِالسَّيْفِ مِنْ بَعْدِ حَسْرَةٍ كَذَا فَعَلُوا أَيْضًا بِأَهْلِ الْبُشَيْرَةِ^(٣) بِجَمَاعَتِهِمْ صَارُوا جَمِيعًا كَفْحَمَةٍ فَهَذَا الَّذِي نَلْنَاهُ مِنْ شَرِّ فُرْقَةٍ كَمَا عَاهَدُونَا قَبْلَ نَقْضِ الْعَزِيْمَةِ بِأَمْوَالِنَا لِلْغَرْبِ دَارَ الْأَحْبَابَةِ عَلَى الْكُفْرِ فِي عِزٍّ عَلَى غَيْرِ مِلَّةٍ وَمِنْ عِنْدِكُمْ تُقْضَى لَنَا كُلُّ حَاجَةٍ

[٦٢]

(١) يريد بالأرسال (هنا) : جمع الرسول .

(٢) وحرا ، ومنيافة : اسما بلدين ، ولم نعثر عليهما في المعاجم .

(٣) البشيرة : جهة تنتظم قرى كثيرة نزهة قرب غرناطة .

(٤) أندرش (أندراش) : بلدة بالأندلس من كورة ألبيرة .

وَمِنْ عِنْدَكُمْ نَرْجُو زَوَالَ كُرُوبِنَا وَمَا نَالْنَا مِنْ سُوءِ حَالٍ وَذِلَّةٍ
فَأَتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ خَيْرَ مُلُوكِنَا وَعِزَّتُكُمْ تَعْلُو عَلَى كُلِّ عِزَّةٍ
فَنَسْأَلُ مَوْلَانَا دَوَامَ حَيَاتِكُمْ بِمُلْكٍ وَعِزٍّ فِي سُرُورٍ وَنَعْمَةٍ
وَتَهْدِينِ^(١) أَوْطَانٍ وَنَصْرٍ عَلَى الْعِدَا وَكَثْرَةِ أَجْنَادٍ وَمَالٍ وَثَرْوَةٍ
وَتُحْمٍ سَلَامٍ اللَّهُ تَقْلُوهُ رَحْمَةً عَلَيْكُمْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
انتهت الرسالة بحمد الله . وكتبتها وإن كانت ألقاها غير بليغة ، تكميلا
للفائدة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

بلاغه
أهل الأندلس

وكان أهل الأندلس في عُنفوان أمرهم في غاية البلاغة . حتى قال الرئيس
ابن الجيَّاب يفتخر^(٢) بذلك :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْيَدُ الْعُلْيَا لِأَنْدَلُسٍ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا ثُنْيَا^(٣)
وَأِنْ هِيَ عَضَّتْهَا نِيُوبُ نَوَائِبِ فَصَيَّرَتْ الشَّهْدَ الْمَشُورَ بِهَا شَرِيَا^(٤)
فَمَا عَدِمَتْ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْحِجَا يَقِيمُونَ فِيهَا الرِّسْمَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا
إِذَا خَطَبُوا قَامُوا بِكُلِّ بَلِيغَةٍ تَجَلَّى الْقُلُوبُ الْغُلْفُ وَالْأَعْيُنُ الْعُمْيَا
وَأِنْ شَعَرُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَخَالُ النَّجُومَ النَّيِّرَاتِ لَهَا حَلْيَا
فَنَسْأَلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ اللَّهِ سِتْرَةً عَلَيْنَا ، وَفِي الْآخِرَةِ إِذَا حَانَتِ اللَّقْيَا

[٦٣]

ولعمري ، لقد صدق قائل هذه الأبيات ، فإن البلاغة لم تزل شمسها
بالأندلس باهرة الإيالة^(٥) ، ظاهرة الآيات ، إلى أن استولى عليها العدو ، وعطل

(١) كذا في ت . والتهدين : التسكين وفي ط : « وتهذيب » .

(٢) في ط : « مفتخرا » .

(٣) ولا ثنيا : ولا استثناء .

(٤) الشرى : الحنظل .

(٥) في ت : « تحلى قلوب القلب » وهو تحريف .

(٦) إيالة الشمس : ضوءها .

من أهل الإسلام الرّواح إليها والغُدُو ، وفي أهلها بقية لسان وبراءة^(١) ،
وتصرف في فنون الإجابة وبراعة ، وقد قصصنا عليك آنفاً الرسالة التي كتبها
الملك^(٢) المخلوع لصاحب المغرب فيما سردناه ، واطلعت منها على ما يؤيد
ما [قلناه]^(٣) ، من الغرض الذي انتحينا وأوردناه : وقد كان ذلك الكاتب
وطبقته تلقفوا كُرّة البلاغة من يد طبقة أخرى حازت^(٤) مَعْلَى القِداح ، وتبرجت
لها من الفصاحة كل خَوْذَرَداح^(٥) ، كالفقيه الكاتب أبي عبد الله الشّرّان ، المبرز
في أدواته على الأنداد والأقران ، وكالأديب الشهير [الفقيه عمر ، الذي لم تزل
أخباره إلى الآن سَمَر ، وكفارس تلك الحلمة . الكاتب القاضي الرئيس ،
الوزير^(٦) | الفقيه ، أبي يحيى بن عاصم ، الذي حَلَيْتْ بعلمه اللَّبَّات والمعاصم ،
وغيرهم من الجهابذة الثّقاد ، والأعلام الذين تخضع لهم المحاسن وتنقاد ، إن جَدُّوا
وصلوا مقطوع الأسباب ، وإن هَزَلُوا ، على عادة الأفاضل في مثل هذا الباب ،
ملكوا النفوس ، وسحروا الألباب ؛ وقد سبق من كلام ابن عاصم ما يصحّح
ما ادعيناه ، ولنورد زيادةً إذا أبصرها المنصف المستفيد تَقَرَّ عيناه ، فنقول :

أما الفقيه عمر فهو أشهر من نار على عَلم ، وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند
العامة محفوظة ، وعند الخاصة مرفوضة ، إلا القليل الذي يُسمح في مثله لصاحب
القلم ، كمقامته^(٧) التي سماها بتسريح النّصال ، إلى مقاتل الفصّال ، ونصها :

مقامة الفقيه
عمر : تسريح
النصال إلى مقاتل
الفصّال

(١) البراعة : قصبة القلم . والمراد أنهم أهل فصاحة إذا تكلموا أو كتبوا .

(٢) في ط : « كتب ملكها » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) في ط : « جازت » .

(٥) الخوذ : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة ؛ والرداح : الثقلة الأوراك والمآكم .

(٦) زيادة عن ت .

(٧) في ط : « مقاماته » .

[٦٤]

يا عماد السالكين ، ومحط رحال^(١) المستفيدين والمتبركين ، وئمال الضعفاء
والمساكين والمتروكين ، في طريقتك يتنافس المتنافس ، وعلى أعطافك تُزهى
العباءات وتروق الدلافس^(٢) ؛ وبكتابك تحيا جوامد الأفهام ، وبمذبتك تُشرّد
ذباب الأوهام ؛ وفي زنبيلك^(٣) يدسّ التالد والطارف ، وبمصاك يهشّ على
بدائع المعارف ، الله الله في سالك ، ضاقت عليه المسالك ؛ وشاد ، رُمي بالبعاد^(٤) ،
أدركته متاعب الحرّفة^(٥) ، وأقيم من صفّ أهل الضفّة^(٦) ؛ فلا يجد نشاطاً
على ما يتعاطى ، ولا يلقى اغتباطاً ، وإن حل زاوية أو نزل رباطاً ؛ أقصى
عن أهل القرب والتخصيص ، وابتلى بمثل حالة برصيص^(٧) ؛ فأحيل عليك ،
وتوقفت إقالته على توبة بين يديك ؛ فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك
هداية ودعاء ؛ ليسير على ما سويت ، ويتحمل عنك أشتات مارّويت ؛ فيلقى
الأكفاء الظرفاء عزيزاً ، ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزاً ، فاصرف إلى
مُحمّا الرضا ، وأعد من إيناسك العهد الذى مضى ، ولا تلقى مُعرّضاً ولا مُعرّضاً ،
وأصغ إلى سمعك كما قدر الله وقضى :

تعال نجدّها طريقة ساسان^(٨) وعصّ عليها ما توالى الجديدان

(١) هذه الكلمة « رحال » : ساقطة في ت .

(٢) الدلافس : جمع دلفاس (ويقال فيه دلفاس أيضا) : نوع من اللباس خشن كالعباءة
إلا أنه قصير ، يلبسه الصوفية والفقراء (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .

(٣) في ط : « زنبيلك » وهي لغة في الزنبيل .

(٤) في ت : « بإبعاد » .

(٥) الحرّفة (بالضم والكسر) : الحرمان .

(٦) أهل الضفّة : فقراء صحابة رسول الله كانوا يبيتون في صفة مسجده صلى الله عليه
وسلم ، وهي موضع مظلل منه .

(٧) برصيص ، ويقال فيه برصيصا : كان من عباد بنى إسرائيل ، ثم فتنه الشيطان ، وقصته
مشهورة تذكر عند تفسير قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) .

(٨) يريد بطريقة ساسان علم الحيل الساسانية . قال حاجي خليفة في كشف الظنون : =

ونصرف إليها من مَثَارِ عَزَائِمٍ ونحلف عليها من مُؤَكَّدِ أَيْمَانٍ
ونعقدُ على حكمِ الوفاءِ هَوَاءَنَا لنا مَنَ مِنْ أَقْوَالِ زُورٍ وَبُهْتَانٍ
ونقسمُ على أَلَّا نَصْدَقَ وَاشْيَاءَ يروح ويغدو بين إِيْنَمٍ وَدُؤَانٍ
يطوف حوالمنا ليفسد بيننا بمنطق إنسان وخُدعة شيطان
على أننا من عالمِ كَلِمَا بَدَا نعوذ منه عالمِ الإنس والجان
وحاشاك أن تُلقَى عن الصلحِ مُعْرِضًا ^(١) إلى الصلحِ آلتِ حربِ عبس وذبيان
وإِنِّي أَهْمَّتَنِي شُئُونُ كَثِيرَةٍ وَصُلْحُكَ أَوْلَى مَا أَقْدَمَ مِنْ شَانِي
فَأَنْتَ إِمَامِي إِنْ كَلِفْتُ بِمَذْهَبٍ وَأَنْتَ دَلِيلِي إِنْ صَدَعْتُ بِبُرْهَانٍ
سَأْرَاكَ فِي أَهْلِ الْعِبَاءَاتِ كُلِّهَا ^(٢) رَأَيْتَكَ فِي أَهْلِ الطِّيَالِسِ تَرْعَانِي
وَيَا لَابِسِي تِلْكَ الْعِبَاءَاتِ إِنِّهَا لِبَاسِ إِمَامٍ فِي الطَّرِيقَةِ دِهْقَانٍ
تَفَرَّقَتِ الْأَلْوَانُ مِنْهَا إِشَارَةٌ ^(٣) بِأَنْكَ تَأْتِي مِنْ حِلَاكَ بِالْوَانِ
وَيَا بَابِي الْفَصَالُ شَيْخُ طَرِيقَةٍ خُلُوبٌ لِأَلْبَابِ لَعُوبٍ بِأَذْهَانٍ
إِذَا جَاءَ فِي الثَّوْبِ الْحَبْرُ خِلَّتَهُ ^(٤) زُنْبِيرَةٌ قَدْ مَدَّ مِنْهَا جَنَاحَانِ
فَمَا تَأْمَنُ الْأَبْدَانُ آفَةً لَسَعِمِهَا وَإِنْ أَقْبَلْتَ فِي سَابِقَاتِ وَأَبْدَانٍ ^(٥)

[٦٥]

« ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال : علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال ، والذي ياترها يتزيا في كل بلدة يرى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزي ، فتارة يختارون زي الفقهاء ، وتارة يختارون زي الوعاظ ، وتارة يختارون زي الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم لهم يتناولون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها . »

(١) كذا في ط . وفي ت : « على النصيح » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « كلها » .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « فإلك » .

(٤) زنبيرة : تصغير زنبورة ، وأصله زنبيرة ، وهي من الذباب اللسع .

(٥) السابقات والأبدان : الدروع .

سأدعوك في حالات كيدى وكيدتى^(١) بشيخى ساسانٍ وعمى هامان
 وإن كان في الأنساب من تباينٍ فما تنكر الآداب أنا نسيان
 ألا فادع لى في جنح ليلك دعوة لتنجح آمالى ويرجح ميزانى
 لك الطائر الميمون في كل وجهة سریت إليها غير نكسٍ ولا وانى^(٢)
 فكّم من فقير بأس قد^(٣) عرفته فرقت عليه نعمة ذات أفنان
 وكّم من رفيع الجاه واليت أنسه فعاش قرير العين مرتفع الشان
 فلو كنت للفتح بن خاقان صاحباً لما خانته المقدار في ليلة الخان^(٤)
 ولو كنت للصابى صديقاً ملاطفاً لما قبلت فيه مقالة بهتان^(٥)
 ولو كنت من عبد الحميد مقررّاً لما هزم السفاحُ أشياعَ مروان^(٦)
 ولو كنت قد أرسلتها دعوة على أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
 ولو كنت في يوم الغبيط مراسلاً لبسطام لم تهزم به آل شيبان^(٧)

(١) كذا في نفع الطب . والكيدية : شدة الدهر . وفي ت : « كيد وكيدة » .

وفي ط : « كيدى وكيدتى » .

(٢) النكس : الضيف الجبان . والوانى : المقصر .

(٣) في ت : « مذ » .

(٤) يشير إلى مقتل الفتح بن خاقان القيسى الأندلسى صاحب فلاند العقبان ومطمح الأنفس في الفندق الذى نزل به بمدينة مراکش سنة تسع وثلاثين وخمس مئة (انظر وفيات الأعيان) .

(٥) الصابى : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء في دولة بنى بويه . ويشير الشاعر إلى مانال الصابى من اضطهاد وإبعاد من عضد الدولة بن بويه ، لمقالة نقلت إليه عنه فأغضبه . (انظر وفيات الأعيان) .

(٦) يشير إلى مانال مروان بن محمد وعبد الحميد بن يحيى كاتبه من الهزيمة على يد السفاح

(٧) الغبيط : مكان بين الكوفة وفيد ، وبه كان يوم بنى تميم وشيبان ، غلبت فيه تميم شيبان ، وفيه أسر عتبية بن الحارث بن شهاب بسطام بن قيس ، فقضى نفسه بأربع مئة ناقة . (انظر العقد الفريد وشرح القاموس) . ومراسلا (هنا) : معاونا ، من المراسلة بمعنى المتابعة .

- ولو كنتَ في حرب الأمين لطاهر
ولو كنتَ في مغزى أبي يوسفٍ لَمَّا^(١)
ولو أنَّ كسرى يزْدَجَرْدَ عرفته
لما طاح مَقْتولا على يد طحَّانٍ^(٢)
ولو أنَّ لُذْرِيْقًا وطِئَتْ بساطه
لما أثَّرت فيه مَكيدة أليان^(٣)
وفيا مَضَى في فاسٍ أَوْضَحُ شاهد
غنيٍّ لدينا عن بَيَّانٍ وَتَبَيَّان
ولَمَّا اغتنى منك السعيدُ بكاتب
رأى ما ابتغى من عِزِّ ملكٍ وسُلْطان
فلا تنسني من أهلٍ وُدِّك إني
أخاف الليالي أن تطول فتنساني
ولا خير أن تجعل كِفَاءً قصيدتي
كِفاء ابنِ درَّاجٍ على مدحِ خَيْران^(٤)
فجُدْ بدنانيرٍ ولا تَكُنْ التي
ألمَّ بها الكنديُّ في شِعْبِ بَوَّان^(٥)

(١) يشير إلى الواقعة التي كانت بين طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، وعلى بن عيسى

ابن ماهان قائد جيش الأمين ، وقد انتهت بانتصار طاهر وقتل ابن ماهان .

(٢) لعله يريد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق المربني في غزوه نلمسان ،

وإقامته على حصارها مئة شهر . وقد قتله عبده « سعادة » في أثناء ذلك الحصار

المشهور ، في حديث فضله السلاوي في كتاب « الاستقصا ج ٢ ص ٤١ » .

(٣) يشير إلى هرب يزيد جرد آخر ملوك الفرس من أعدائه ، والتجأه إلى طاحونة لم يحسن

الطحان ستره فيها ، حتى أدركه طالبوه وقتلوه (انظر غرر أخبار ملوك الفرس

للشعالي صفحتي ٧٤٦ — ٧٤٧) .

(٤) يشير إلى تمكين أليان : (بليان ، جليان ، أمير المغرب من قبل لذريق ملك القوط

بالأندلس) العرب من دخول الأندلس انتقاما لشرفه من لذريق ، في حديث مفصل

في كتب التاريخ (انظر نفح الطيب وغيره) .

(٥) هو خيران الصقلي أمير المرية ، وهو من موالى المنصور بن أبي عامر ، وقد مدحه

ابن دراج القصطلقي بقصيدة نونية مطلعها :

« لك الخير قد أوفى بعهدك خيران » ولعل خيران لم يحسن جائزة الشاعر كما يفهم

من السياق هنا .

(٦) الكندي : هو أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المعروف ، ونسب إلى محلة كنده

بالكوفة . وشعب بوان : متزه بفارس . يشير الشاعر إلى قول المتنبي في القصيدة

التي مدح فيها عضد الدولة ووصف شعب بوان :

وألقى المرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان

- فجودك فينا الغيث في رَمْلٍ عالٍ (١) وفضلك فينا الخبزُ في دار عُثْمَانَ (٢)
وما زِلْتَ من قبل السؤال مقابلاً مُرادى بإحساب وقصدى بإحسان (٣)
ولا تنس أياماً تقضتْ كريمة بزواية المحروق أو دار هَمْدَانَ (٤)
وتألفنا فيها لقبض إتاوة وإغرام مسنون وقِسمة حُلُوان
وقد جلس الطَّرْقُون بالبعد مُطَرِّقاً يقول نصيبى أو أبوح بكتِّمان (٥)
عَرِيفٍ يَلْحَانِي إِذَا مَا أَتَيْتُهُ ولم أنصرف عنكم بواجب الحُنان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا أئمة حُسَاب (٦) وأعلام كُهَّان
إِذَا اسْتَنْزَلُوا الْأَرْوَاحَ بِاسْمِ تَبَادَرَتْ ظوائف ميمون وأشيماع برقان (٧)
وإن بَخَرُوا عِنْدَ الْحُلُولِ تَأَرْجَتْ مجامرهم عن زَعْفَرَانٍ وَلُوبَانَ (٨)
وإن فَتَحُوا الدَّارَاتِ فِي رَدِّ آبِقِ ثنت عزمه أو هام خوف وخِذْلَان (٩)

[٦٦]

- == يصف ضوء الشمس النافذ إليه من بين أوراق الأشجار ، في رسم على ثيابه أشباه الدنانير صفرة واستدارة ، إلا أن اليد لا تقدر عليها .
(١) عالٍ : موضع بالبادية يصل إلى الدهناء ، والدهناء فيما بين اليمامة والبصرة . يقول : نحن متعطشون إلى جودك كتمطش رمال عالٍ إلى الغيث ، محتاجون إلى فضلك احتياج المحصورين في دار عُثْمَانَ بن عفان إلى الطعام والشراب وقد حرموها .
(٢) بإحساب : أى بما يكفينى ويرضىنى .
(٣) زاوية المحروق : متعبد بفاس . ودار همدان بفاس أيضاً .
(٤) الطَّرْقُون (كلمة مغربية مولدة) : من يسده قبالة اللهو وقبض ضرائب الأعراس ونحوها ، مما تستعمل فيه الدفوف وآلات الملاهى (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .
(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . ويريد بالحساب : المشتغلين بحساب الطوالع للناس . وفى ط : « أحساب » .
(٦) ميمون وبرقان : من أسماء ملوك الجن التى تدور على ألسنة المشعبدن . (انظر كتاب الجواهر الباعة ، فى استحضار ملوك الجن فى الوقت والساعة) .
(٧) لوبان : لفظة مغربية محرفة عن « اللبان » وهو الكندر المعروف . (عن دوزى)
(٨) الدارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعبدن ومريدوهم عند استطلاع أمر خفى كالظهار مسروق ، وإرجاع آبق ، ونحو ذلك ، يقولون إذا سرق شيء : هلم نفتح الدارة .

فيحسب أن الأرض حيث ارتعت به ركائبه سرعانَ رجُل ورُكبان
وقد عاشرتنا أسرة كيموية^(١) أقامت لدينا في مكان وإمكان
فله من أعيان قوم تألفوا على عقد سحر أو على قلب أعيان
ونحن على ما يغفر الله إنما نروح ونغدو من رباط إلى حان^(٢)
مع الصُّبح نُصْفِيها عباءة صُفَّة وبالليل نُذْلِيها زنا نيرَ رُهْبَان^(٣)
أَتَذَكِّر في سفح العقاب مَبِيتَكُمْ ثمانين شخصاً من إناث وذُكْرَان^(٤)
لديكم من الألوان ما لم يحى به طُهورُ ابنِ ذُنُون ولا عُرْسُ بُورَان^(٥)
ثم ذكر خمسة أبيات أقذع فيها ، فلذا تركتها^(٦) ، ثم قال :

فأقسم بالأيمان لولا تعففى عن سوء لآحلت عقيدة إيماني
فعدُ للذي كنا عليه فإنَّ لي على الغير إن صاحبتَه حقدَ غيرانِ
فمن يومٍ إذ صيرت ودى جانباً وأعرضت عني ما تناطح عزنان
ولا روت الكتَّابُ بعدَ نِفارنا محاورةً من ثعلبانٍ لسرحان

(١) كذا في نفح الطيب : وفي ط : « كوية » وكلاهما يراد به النسب إلى الكيمياء ، وفي ت : « كهوية » ، وهو تحريف .

(٢) كذا في ت . وفي ط ونفح الطيب : « خان » .

(٣) كذا في ت عباءة صفة : يريد بها زى الفقراء النساك . انظر الحاشية رقم ٦ صفحة ١١٧ من هذا الجزء . والزنا نير جمع زنار ، وهو ما يشد به أراهم وسطه ؛ يريد أنه يعمل في الليل ما لا يعمل في النهار . وفي ط : « نلويها زنا نير ... الخ »

(٤) العقاب : موضع بالأندلس ، كانت به وقعة مشهورة بحص الله فيها المسلمين .

(٥) ابن ذنون (ابن ذنون) : هو المأمون أحد ملوك الطوائف في طليطلة ، من بني ذى النون ، وقد بلغوا في البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذي يقال له : « الإعذار الذنوني » ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق ، والمأمون هو صاحب ذلك . وبوران هي بنت الحسن بن سهل ، وقد زفت إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد في إعراس مشهور في كتب التاريخ .

(٦) ذكر المؤلف القصيدة كاملة من غير حذف في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٣ طبعة الأزهرية بمصر) .

وما هو قصدي منك إلا إجازةً تخولني التفضيل ما بين خلاني
 وإنك إن سخرت لي وأجزتني لنعم وليًا صان ودي وجازاني
 ولم لا ترويني وأنت أجل من سقاني من قبل الرحيق فرواني
 ألا فأجزني يا إمامي بكل ما رويت لمدغليس أو لابن قزمان^(١)
 ولا تنس الدبّاع نظام عرفته فإنكما في ذلك النظم سيّان
 ومزدوجات ينسبون نظامها إلى ابن شجاع في مديح ابن بطّان
 وألم بشيء من خرافات عنتر وألم ببعض من حكايات سوسان
 وإن كنت طالعت اليتيمة واسني بلاميّة في الفحش من نظم واساني^(٢)
 أجزني بكشف الذك^(٣) أرضي وسيلةً وخير جليس في بساط ودكان
 وناولني المصباح^(٤) فهو لغربي ميسّر أغراض رائد سلواني
 وألحق به شمس المعارف^(٥) إنني أسائل عن إسناده كل إنسان
 وقد كنت قبل اليوم عرفتني به ولكنني أنسيته بعد عرفان

[٦٧]

(١) أبو بكر بن قزمان ومدغليس من أوائل الرّجالين بالأندلس .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواساني . ويشير الشاعر إلى قصيدته اللامية التي هجا بها أبا الفضل يوسف بن علي ، وعرض فيه بابن القزّار ، ومطلعها :

يا أهل جيرون هل لسا مكرم إذا استقلت كواكب الجمل
 (انظر يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١ — ٢٧٤ طبعة دمشق) .

(٣) كذا في نفح الطيب . يريد كتاب : « كشف الذك » ، وإيضاح الشك « لأبي عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي ، وهو كتاب مشهور في الحيل والشعبذة . وفي الأصلين : « بكشف الديك » وهو تحريف .

(٤) في الفهارس كتب كثيرة في علوم مختلفة كل منها اسمه « المصباح » ، ولا ندري أيها يريد . ولعله في الروحانيات ، كما يفهم من السياق .

(٥) يريد كتاب : « شمس المعارف » ، ولطائف العوارف » للشيخ أحمد بن علي البوني ، المتوفى سنة ٦٢٢ ، وهو كتاب مشهور في التعاويذ ونحوها من الروحانيات .

ولا بُدَّ يا أستاذُ من أن تُجيزَنِي بيدء ابن سبعين وفصل ابن رضوان^(١)
وكُتِبَ ابن أخلي كيف كانت فإنها لوزن رقيق القول^(٢) أكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصَّبا^(٣) والصفاء لإخوان صدق في الصفاخير إخوان
وزهر رِياض^(٤) في صنوف أضاحك وجبذ كساء في مكاييد نسوان
كذلك فناولني كتاب حُبَّاحب وزدني تعريفًا بها وببرجان
ولي أمل في أن أروِّي رسالة مضمنة أخبار حي بن يقظان^(٥)
وحبس على الكاس والكوز والعصا فإنك مُثَر من عصي وكيزان
وصير لي الدلفاس^(٦) أرفع لبسة فقد جلَّ قدرى عن حرير وكَتان
وقد رقَّ طبعي واعترتني خشية يكاد بها رُوحى يفارق جُمانى
وخلَّ مفاتيح الطريقة في يدي وسوَّغ لهم فيها^(٧) مزيدى ونقصانى
فإني لم أخدمك إلا بنية وإني لم أتبعك إلا بإحسان
فكن لي بالأسرار أفصح مُعلن فإني قد أخلصتُ سرِّى وإعلاني

اتهمت المقامة . وأثبتها لأنها أخف ما رأيت من هزليات الفقيه عمر الملقى ،
رحمه الله وسامحه ، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل

(١) يريد بيدء ابن سبعين كتاب « بدء العارف » لأبي محمد عبد الحق بن إبراهيم الشهير
بإبن سبعين المرسى الأندلسي . وابن رضوان : هو عبد الله بن يوسف بن رضوان
النجاري من أهل ماهة .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « دقيق القوم » .

(٣) يريد ديوان الصبا لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى التلمساني الحنفي المتوفى
سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) في الفهارس كتب كثيرة بهذا الاسم .

(٥) يريد كتاب : « أسرار الحكمة المشرقية » لأبي بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل ،
وهو قصة خيالية فلسفية ، جمع فيها بين الفلسفة والشرعة .

(٦) الدلفاس (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء) .

(٧) في نفح الطيب : « حكى » .

الإحاض^(١) ، ولم يَعتنُوا بها غالباً إلا إظهارَ البلاغة والاعتدال ، كما فعل الحريري وغير واحد ، والأعمال بالنيات .

شيء من نظمه

ومن نظم الفقيه عمر المذكور قوله عفا الله عنه :

إلى الله ربي أشتكى سوء حالتي عسى فرجٌ يأتي بأفضل حالي
وما أسقى إلا للمالي أبيعه وخائن مالي يشتره بمالي

مقامة
في أمر الوباء

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوباء ، رأيت أن أثبتها لغرابة منزعها ، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب العلماء ، ونصها :

[٦٨]

إلى حمراء الملك وقلعته ، ومقرّ العز ومنعته ، ومطلع كل قمر نصري يُجبل
الأقمار بطلعته ، أبقاها الله على تعاقب الزمان ، منزل أمان ودار إيمان ، وأمتعها
بحياة المالك الخزرجي اليمان ، من موجهة إجلالها كما يجب ، المعترفة بفضلها
وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب ، والواقفة عند إشارتها وطاعتها ، فإن تأمر
أُمّثِل وإن تدعُ أَسْتَجِبْ ، مألقة ، المستمسكة بذمتها الوثيقة ، المتشوقة إلى
أخبارها تشوف المحبّة الشفيقة ، إلى ربحانة قلبها في الحقيقة ، وإلى هذا ياسيدي
ويا عُدتّي ، ويا ذخيرتي ويا عُمدتي ، أمتعنا الله وإياك بحياة مَنْ استنقذنا من
الورطات ، وردّنا إلى الصواب مما كان منا من الغلطات ، مولانا الغالب
بالله^(٢) وحده ، الموعود بميزان النصر وقريب الفتح والله ميسرّ وعده .

سلام عليك يتعطر بذكر مولانا أمير المسلمين قُوْحُه^(٣) ، وينشق

(١) الإحاض : الانتقال من حال إلى حال ؛ مأخوذ من إحاض الإبل ، وهو نقلها من رعي الحلة إذا سئمتها إلى رعي الحمض والحمض : ما ملح وأمر من النبات ، وهي كفاكهة الإبل ، والحلة : ما حلا ، وهي تحبزها . (عن القاموس) .

(٢) في ت : « الغالب بأمر الله » .

(٣) في ط : « بوجه » .

كالمسك^(١) الفتيت روحه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإني أحمد إليك الله الذي إذا استُكفي بعزته كفى ، وإذا استُشفي بكلمته شفى ، وإذا سئل بواسع رحمته عفا ؛ وأُصلي على رسوله محمد الكريم المصطفى ، وعلى آله وأصحابه ، أكرم من نصيح له وأخلص ووفى .
كتبته إليك يا سيدتى عن نفس قلقة ، ساهرة أرقّة ، حاذرة مشفقة ، مُلهبة بل محترقة ؛ وإني أقسم عليك بالرب الذي كرمك بالعز وشرفك ، وعرفك من لطائف الفرج بعد الشدة ما عرفك ، أن تسعدينى على تسكين لوعتى ، وتأمين روعتى ، وتراجع رقادى [بعد سُهادى ، وقضاء حاجة جأت فى فؤادى ، وتفهمى مراد إشارتى وإشارة سرادى]^(٢) . وتتركى هوى النفس الذى هو للحق معاند وللرشد معادى .

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم : « الشفيق مولع بسوء الظن » ، ومن منن الله على عبده الوقاية من المتناف جل الله العظيم المن ؛ وعلى قول المتنبي :
ربما ضر عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عقوقا^(٣)

والمثل الأول لى ، والآخر لك . والله يُيسّر فى حفظ مولانا أبلى وأملك . [٦٩]
وإني أتعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بتنزل ، هذا المرض به فاش ، وهذا الهواء الفاسد بين دياره جاء وماش ، وسمعت أن حديث السفر لمائة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش ؛ وأن الآراء فى ذلك اختلفت ، ولم يُرجع فيها إلى سنن تقدمت وعوائد سلفت ؛ والأوائل من المؤمنين رحمهم الله ماتركوا شيئاً سُدى ، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هدى ؛ وسمعت

(١) فى ت : « وينشق المسك » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) لم نجد هذا البيت فى نسخ ديوان المتنبي .

ياسيدتى أن القضية عُول فيها على المُقام والاستسلام ، وخولفت فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول فى مثلها عن سكنى دار السلام ، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام ؛ وقد سمتُ فى الأجوبة الظريفة ، ما صدر من قوله : أخشى أن أكون أول خليفة ؛ وقد كنتُ ياسيدتى أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع ، أو يحصل بدخول فصل^(١) البرد انتفاع ؛ فتركت السكتب منتظرة لذلك ، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك ، لا يمر الترحال بخاطرك ولا ببالك ؛ وأنا أقول : أما واجب التسليم ، لتقدير العزيز العليم ؛ فمتأ كد شرعاً ، لا يضيق به المؤمن ذرعاً ؛ نسكن ما يفعل المستسلم بالروح والجسد ، إذا قيل له اهرب من الأسد ؛ وقد أبصره مقبلاً إليه ، أو مُنقِضاً عليه ؛ أياخذ فى تحفظه واحتراسه ، أم يصبر لافتراسه ؟ ومن قيل له فى ظلم الليل : ارتفع عن هذا المكان تنج من السيل ؛ أينام فى مكانه ، أم يبادر إلى السلامة بجهد إمكانه ؟ ومن نودى : هذه الخيل قد طلعت مغيرة ، والرعاة بالجبال مستجيرة ؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح ، فالوقت فى انفساح ؛ أيتركها تسرح ، ولا يبرح ؛ أم يرفعها لتسلم ، مما تدرى وتعلم^(٢) ؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفاً ، وأصاب سهمهم^(٣) من أنخلق ألوفاً ؛ أبرجج الحق تباعداً أم وقوفاً ؟ وكذلك أيضاً المنازل ، التى تدوم بها الزلازل ؛ فأرضها فى كل يوم تميد ، ودَهَش القلوب بها حاضر عتيد ، والخسف بها فى يوم ينقص وفى يوم يزيد ؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار ، على ركن دار ؛ وانفكك الأركان ، على السكان ؛ وإخراج ميت ، من تحت بيت ؛ وسقوط سارية ، على جارية ؛ يُعزم على السكنى والاستيطان ، تحت هذه الحيطان ؛ أم يؤخذ فى الاحتيال ،

(١) فى ت : « وقت » .

(٢) فى ت : « مما تدرى وتعلم » .

(٣) فى ت : « بسهامهم » .

بالخروج بالأطفال والعيال؟ يا سيدتي الحمراء، سألتك فأخبريني، وإن تحيّر فهمي فاعذريني، ووصل إلى الكتاب الشريف، من جنان^(١) العريف؛ يذكر أن السلامة كانت [به]^(٢) مستصحبة لمولانا ولناسه، وأن العافية كانت بهم منتشقة مع أنفاس رنده وآسه، ما عرضت به إلى طبيب حاجه، ولا استدعى فيه المأور^(٣) للنظر في زجاجة؛ ولا لقول ولا عمل، ولا بلغ من الجساسة والقساوة أقل أمل؛ ولم ينتقص من الساكنين بهذا البستان، من عبید مولانا السلطان، غير فتى من الخصيان، لا يساوي عشرة دراهم في سوق الفتیان، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه، بطول أيام الإقامة؛ وعرفني أيضاً جنان العريف في وافد كتابه، ووارد خطابه، أن رغبته كانت في انتقال مولانا نصره الله من صحیح هوائه، وسلسبيل مأنه؛ ونفحة جنابه، وتلاعب النسيم العاطر بين قبابه. إلى مألقة حيث الجو الصقيل، والروض الذي يطيب به المقيّل، والراحة التي تمتزج بالأرواح كما قيل؛ حيث العرف الأرج، والوادي المنعرج، والساحل الذي ينشرح به الصدر الحرج، حيث البنفسج يدير كئوس النهار، والياسمين نجوم طالعة بالنهار؛ حيث يتمازج طيب الزهر، بعرف الأترج ونفحات السحر، حيث يشبه أنين السواني، حنين المتعشّقات من الغواني، إذا حمد الصباح، وانفلق الإصباح؛ وعمرت صفار القوارب، ونادت بحرية الشباك:

(١) جنان العريف، أو جنة العريف: بستان في خارج غرناطة، ذكره لسان الدين في الإحاطة، صفحة ٢٥ ج ١.

(٢) زيادة عن ت.

(٣) كذا في ط. ولعله يريد بالمأور، كما يظهر من السياق الذي يفحص عن قوارير بول المرضى ليقدر وزنه ونوعه، وهو من عاور الشيء إذا قدره، كما يؤخذ من اللسان مادة «عير». وفي ت «المأور».

[٧١]

إلى المضارب^(١)، وسالت أنوار المشارق على جوانب المغرب، ونادى محرك الجيش :
 ظهور الخيل، وصباح الخير، واستقبلوا الوادي الكبير لمصيد الأرنب والحوت
 والطير؛ شكر الله جنان العزيف على ما قصد ونوى، وعلى ما أظهر من اتباع حق
 ومخالفة هوى، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفظ ورَوَى . وقال لي
 يا سيدتي إنك وقفت مع الحديث المنصوص^(٢)، الوارد في مثل هذا المرض على
 الخصوص؛ وفيه النهي عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه، وعن
 القدوم على معتركاته ومصارعه؛ والحديث صحيح، والرشد فيه قول صريح؛
 ولكن العلماء فيه أقوال طويلة التفصيل، وقد لخصها وبينها الإمام ابن رشد
 في كتابه الجامع من البيان والتحصيل^(٣)؛ والاتفاق من الجميع أن النهي في هذا
 الحديث ليس بنهي تحريم، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم؛ فلا إنهم
 ولا حَرَج، على من أقام ولا على من خرج. وقال عمرو بن العاص: الأفضل
 الخروج لأهل الفطنة، اتقاء من اعتقاد يؤدي إلى فتنه؛ وكفى بعمرو بن العاص
 حُجَّة لمن أراد انتصاراً، والكلام كثير، ولكنني اختصرته اختصاراً؛ وإن
 نظراً قدمه كثير من الصحابة ورجحه، خلّيق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه!
 ياليت تفتي كلّه يكون من هذا القبيل، وجارياً على هذا السبيل، مستنداً إلى قول
 صحابي جليل، ومستنداً بأرشد علم ودليل، ولو كان على خلاف المشهور من قول

(١) المضارب (هنا): الحيام تضرب على ساحل البحار، ليناع فيها ما يصاد من السمك.

(٢) ورد الحديث المشار إليه في صحيح مسلم، ونصه في رواية أسامة: «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». وفيه روايات آخر تختلف ألفاظها، وتتفق معانيها؛ وقد علق عليه النووي، ونقل كلام القاضي عياض وغيره، فليُنظر ثمة (ج ١٤ ص ٢٠٤).

(٣) اسم الكتاب: جامع البيان والتحصيل، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل.

خليل^(١) . وهنا يقال : ما في هذه القلة غير هذا الإغريل^(٢) . يا سيدتي الحمراء ؛ أراك في هذه القضية تفقّمت وتوقفت فيما بينه عالم وذو علم ، ومنعت مما ليس فيه حرج ولا إثم ؛ ولو كنت حاضرة لكان لي معك حديث طويل ، واحتجاج ينصره نص وتأويل . وسمعت أنك أشفت من عظيم النّفقه ، وليس هذا موضع الشفقة ؛ فالأمن ليس بغال ، ولو يُشترى بكل ذخيرة وكل مال ؛ والأولى بالملاّمة ، من^(٣) يفضّل شيئاً على السلامه . القمح يأكله الشّوس ، والذهب تغنى عنه الفلوس^(٤) ، فكيف يُستعْظَمَان فيما تُؤمّن به النفوس . وبلغنى أنك [٧٢] قلت : مألقة ليس بها زرع ، وبقليل المُقام يضيق لها صَدْر وذَرع^(٥) ، وفلاحتها وحرثها ليس لها أصل ولا فرع ؛ وغزّ على هذا الكلام ، ولكننى سلّمت والسلام^(٦) ؛ فإن سِعرى عن سِعر^(٧) غرناطة منقط ، وفي لحظة بصر يضيق منى بالطعام فى كثير من الأيام ساحل وشطّ ، ولا يُعلم أنه دامت لى شدة قطّ . لى فى الاعتصام بالتوكل على الله ما يزيد على سبع مئة العام^(٨) ، ما أشغلت فيها فكراً ولا قلباً بادخار قوت ولا باحتكار طعام ؛ أثق فى اليوم والغد ، بالرزق الرّغْد ؛ تأتى به الرياح على الأعناق ، ويفيض سيله على جوانب الدواوين وأكناف الأسواق ، وتجلبه الأحاب والأعداء بإذن اللطيف الخبير الوهاب الرزاق .

(١) هو خليل بن إسحاق المالكي ، صاحب المختصر فى فقه المالكية .

(٢) كذا وردت هذه العبارة فى ط . وفى ت : « ما فى هذه القلة . . . الخ » .
والعبارة على الروايتين ظاهرة التحريف .

(٣) فى ت : « نص » . وهو تحريف .

(٤) فى ط : « النفوس » .

(٥) فى ت : « وضرع » .

(٦) فى ت : « والإسلام » .

(٧) فى ت : « أسعار » .

(٨) فى الأصلين : « السبع مئة عام » .

قالت النملة : افتخارى ، بادخارى ؛ قالت العصفورة : توسلى ، بتوكلى ؛
قالت النملة : أعتمد على الحَبِّ ؛ قالت العصفورة : أتَوَكَّل على الرَّبِّ . فلما جَنَّ
الليل ، أقبل السيل : فخرجت النملة بالعموم ، وبقيت الحبوب بين الدَّوم ؛ فنزلت
العصفورة وسجدت ، [والتقطت] ^(١) من مدَّخر النملة كل ما وجدت ؛ وقالت :
خسر المحتكر ، وربح طالب الرزق المبتكر ، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر .

وصح عندى أن الوزير أعزه الله ليس عنده في هذا كله كلام ولا قول ، وأن
الأمر عنده مفوض إلى الرب الذى له القوة والحول . وسمعتُ يا سيدتى أن هذا
السقم ، أعظمُ تأثيره إنما هو في قطع الأكبَاد ، من صغار الأولاد : الذين من فوق
السبع ودون العشر ، وهم في هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشْر ؛ وهذا
إلى كَتَبِي لك أعظم داء ، فإن الأولاد سوائهم والوالد راع ؛ والراعى لا يترك
غنمه في طريق سُبُع ضار ، ولا قريباً من حريق نار ؛ ونحن نشاهد الطير ينقل
أفراخه من وكر إلى وكر ، ويسترها بملثف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح ^(٢)
أو صاحب مَكْر ؛ فكيف لا نتقدى في تأمين رَوْعتنا بمن تقدّم من الأكابر ،
ونقف في حامل السيل ^(٣) بأولادنا الأصغر ؛ فما عندك في هذا كله من القول ومن
الجواب ؟ وما يظهر لك من وجه الرأى والصواب ؟ اكتبى بذلك كتاباً أعتمد
عليه ، وأستند إليه ؛ وقبلى عني يد مولانا تقبيلاً ، ويا ليتنى وجدت إلى ذلك
سبيلاً ؛ وأخبريه أنى [فى] ^(١) خدمته على نيتى الأولى ، عاكفةً على شكر
مِنْتِهِ الطوْلِ ؛ أدام الله حياة البلاد والنفوس بحفظه وحياطته ، وأسمعنى البشارة

(١) زيادة عن ت .

(٢) فى ت : « جائح » .

(٣) حامل السيل : السيل الجارف .

بقدمومه على مُحَدَّث مَالَّةٍ من حمراء غَرَنَاطَتِهِ ؛ ويحفظه في النفس والأولاد ،
والملك والبلاد ، بمنته وفضله .

وكتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة . انتهت المقامة .
وكلام المذكور كثير ، ومجمله من عذوبة المنطق أثير ؛ ونظمه أعلى طبقة
من نثره طريقة مَعْرِية ، حسبما يظهر ذلك بالتأمل لنفوس بالإنصاف حريه ؛
وله [عدة] ^(١) تآليف أكثرها هزليته ، ولذلك لم أجلب شيئاً منها سوى
ما تقدم ، مما يقتضى ما أصلناه من المزيه ، والفضيلة للبلاد الأندلسية ^(٢) .

ومن أحسن مقطوعاته ^(٣) التي تطارح بها على باب الكريم ، وتطفل بها
تطفل من لا يبرح عن باب سيده ولا يريم ؛ ويرجى له بها كل جميل ، والله
لا يختب ما أمله من تأميل ؛ قوله رحمه الله :

بعض مقطوعاته

عميدة دين الحق أن محمداً له الفضل إطلاقاً ^(٤) على كل مخلوق
وإن سبقت رُسُلُ بكاتب وبَعَثة فما هو في مجد وفضل بمسبوق
فهذا إذا ما عشتُ أولى عميدتي وهذا إذا ما متُ آخر منطوق
[وقوله :

جئتُك يا رب ولا عذر لي وهل لعبد السوء من معذرة ؟
أرجوك فيما أنت أهل له فأنت أهل العفو والمغفرة
وقوله في مرضه :

يا سامعين الكلام مُختلطاً نظماً ونثراً قلانداً ودُرُزاً
صلوا على المصطفى وسيلتنا محمدٍ وارحوا الفقيه عمر ^(٥)

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « من المزية للبلاد الأندلسية والفضلية » .

(٣) في ط : « منظوماته » .

(٤) في ط : « إجماعاً » .

(٥) ما بين القوسين المربعين زيادة عن ت .

وأما الكاتب الرئيس أبو عبد الله الشَّران^(١)، فهو الشيخ الفقيه الرئيس الصدر، العلامة العمَّاد، الذخر الأرفع، العلم الأوحَد، الأجد الأسرى، الذى لا يجارى فى الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً، وقولاً فصلاً، رئيس الكتبة بالحضرة العلية، أبو عبد الله، ابن الشيخ الفاضل الماجد الأعز الأرفع الأوجه أبى إسحاق، كان حيّاً سنة سبع وثلاثين وثمان مئة. هذا كلام بعض الأندلسيين فيه. [٧٤]

وقال التَّلصَّادى فى حقّه: هو الفقيه الوجيه اللبيب اليقظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرئيس النبيل الأرقى؛ وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأقرانه، أبو عبد الله محمد الشَّران الغرناطى، نعمة الله برحمته.

وذكر هذا الشيخ التَّلصَّادى فى طالعته شرحه لأرجوزة أبى عبد الله الشَّران المذكور، التى أولها:

بمحمد خير الوارثين أبدى وبالسراج النبوى أهدى
وهى أرجوزة عذبة النظم، سهلة المأخذ مختصرة فى علم الفرائض.
ومن بديع نظم الكاتب أبى عبد الله الشَّران رحمه الله تعالى قوله:
[فلا تمنع العين أنهما لا فإنه غرام شجر إسناد غير مهمل
أحاديث تروىها الجفون عن الحشا ويثبت منها مُرسَلٌ بمسلسل
وقوله يخاطب الفقيه الصالح سيمدى أحمد بن حرشون، وقد أهدى له
قُرْص زعفران:

أهلاً بقُرْصة زعفران أطلعت من حسنهما للقلب باعث أنسه
حيّاً الخُلوص به وغير عجيبة للبدر أن حيّاً بقُرصة شمس
يا نيراً للمجد أهدى نيرا كل اسرى إهداؤه من جنسه
وقوله [٢]:

(١) هو محمد بن إبراهيم. (انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج).
(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت.

لما اختفت شمسك عن ناظري أرسلتُ منه مطر الدمع
وأقبلت ظلمة ليل النوى فما ترى في رُخصة الجمع

وحكى الحافظ أبو عبد الله التَّنَسِّي رحمه الله ، أنه لما صُرف الفقيه أبو الفضل
ابن جماعة عن رياسة الكتابة بغرناطة ، إلى قضاء الجماعة ، وولى مكانه صاحب
الترجمة أبو عبد الله الشَّران ، لقي بعض رؤساء الدولة ابن جماعة يوماً ، فقال له :
يا سيدي ، إن السر الذي عهدناه في الحضرة غاب عنها بغيبتك . فقال له :
وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع^(١) وأخذتم الشر المكرر^(٢) !

طريقة لابن
جماعة وقد تولى
الشران مكانه

ثم إن ابن جماعة كان عنده إعذار^(٣) ، فدعا أعيان البلد إليه ولم يدع
الشَّران ، فكتب إليه الشران :

شعر للشران
بعاتب ابن جماعة
على إهمال دعوته
إلى إعذار

ماذا أعد المجد من أعذاره في ترك دعوتنا إلى إعذاره^(٣)
إن كان رسم دون محضرنا اكتفى لا بد أن يبقى على إعذاره^(٤)
ثم قال الشيخ التَّنَسِّي : والشران هذا ممن له باع مديد في الشعر ، وتصرف
حسن . انتهى .

ومن بديع نظم الشَّران المذكور قوله رحمه الله :

قصيدته اللامية

دوام حال من قضايا الحال واللفظ موجود على كل حال
والنصر بالصبر مُحَلَّى الطَّبِي والجَدُّ بِالْجَدِّ مَرِيشُ النَّبَالِ [٧٥]
وعادة الأيام معهودة حرب وسلم والليالي سِجَال
وما على الدهر انتقاد على حال فإن لحال ذات انتقال

(١) يشير إلى اسمه : « أبي الفضل بن جماعة » .

(٢) يشير إلى لقب أبي عبد الله : « الشران » . فكأنه تثنية : « شر » .

(٣) الإعذار : طعام الختان .

(٤) الإعذار (هنا) : التفسير .

مَنْ لِّلَّيَالِي بَائِتْلَافٍ وَكَمْ مِنْ اعْتِبَارٍ بِاخْتِلَافٍ^(١) اللَّيَالِ
أَخَذُ عَطَاءً ، مَحْنَةً مِّنْحَةً تَفَرُّقُ جَمْعٌ ، جَلَالُ جَمَالِ
حَالٍ^(٢) انتظامٍ وانتثارٍ معاً كأنما هَذِي اللَّيَالِي لآلِ
وهل سَنَى الصَّبْحِ وَجُنْحُ الدُّجَى لِحَلْقَةِ الْأَضْدَادِ إِلَّا مِثَالِ
وَالظُّلُمُ الْخُلُكُ عَلَى نَوْرِهَا نَدَلٌ وَالْعُسْرُ يَيْسِرُ يُدَالِ
وَالسَّيْفُ قَدْ يَصْدَأُ فِي غِمْدِهِ ثُمَّ يُجَلِّي صَفْحَتَيْهِ الصَّقَالِ
وَالشَّمْسُ بَعْدَ الْغَيْمِ تُجَلِّي كَمَا لِلغَيْثِ مِنْ بَعْدِ الْقَنُوطِ انْهَمَالِ
وَالْفَرَجُ الْمَوْهُوبُ تَجْرِي^(٣) بِهِ لَطَائِفُ لَمْ تَجْرِ يَوْمًا بِيَالِ
فَصَابِرِ الدَّهْرِ بِحَالِيهِ مِنْ حَلَوِ وَمرٍ وَاعْتِدَا وَاعْتِدَالِ
فَمَا لَهُ صَبْرٌ عَلَى حَالَةٍ وَإِنَّمَا الصَّبْرُ حُلِي الرِّجَالِ
وَلَا يَضِقُ صَدْرُكَ مِنْ أَزْمَةٍ ضَاقَتْ فَصَنَعَ اللَّهُ رَحْبُ الْمَجَالِ

إلى هنا توجد هذه القصيدة بأيدي الناس ؛ ورأيت بخط بعض الأخيار
بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك ، منسوبة لصاحب القصيدة ، وهي لا تبعد
من نفسه ، على أن فيها إبطاء^(٤) . وها أنا أيضاً أثبتتها بجملة لغرابتها وجزالتها ،
ولاشتمالها على مديح المصطفى المجتبي ، صلى الله عليه وسلم ، ونصها بعد قوله :
« رَحْبُ الْمَجَالِ » :

وَانْظُرْ بِلُطْفِ الْعَقْلِ كَمْ كُرْبَةٍ فَرَجَهَا لُطْفٌ كَحَلٍ^(٥) الْعِقَالِ
وَكُلُّهُ إِلَيْهِ كُلُّ حَاجٍ فَمَا [لَدَى]^(٦) حِجًّا إِلَّا عَلَيْهِ انْكَالِ

(١) في نيل الابتهاج : « في اختلاف » .

(٢) في ت : « حلمي » .

(٣) زيد في ط فوق هذه الكلمة : « تأتي به » .

(٤) كذا في ط . والإبطاء : تكرير القافية لفظاً ومعنى . وفي ت : « على أنه فيها وها أنا » .

(٥) في ط : « حل » .

(٦) زيادة عن ت .

وكل بدء فله غاية وغاية الخطب الشديد انحلال
 وكل عود فله آية وآية العقول اعتبار المال
 وفي مال الصبر عظمي الرضا من فرج يدي وأجر ينال
 عجت للعبد الضعيف القوى يُغزى^(١) بالرب الشديد المحال
 يهوى مع الآمال مسترسلاً طوع الهوى حيث أمالته مال
 تخدعه النفس بتخييلها وهل خيال النفس إلا خبال
 يخال أن الأمر جارٍ على تديره هيات مـا يخال
 الخلق والأمر لمن لم يزل في ملكه الملك وما إن يزال
 والفعل والتترك دليل على مراده والكل طوع انفعال
 يعطى فلا منع ويقضى فلا دفع ويمضي حكمه لا يسأل
 يدبر الأمر فعن أمره تقدير ما في الكون سُئل وعال
 يضل يهدي حكمة أنفذت فضلاً وعدلاً في هدى أو ضلال
 وحكمة الباري في حكمه ما لمجال العقل فيها مجال
 والرب لا يسأل عن فعله قد قضى الأمر فقيم السؤال
 فيأخا الفكر اشتغالا بما في غيره للفكر حق اشتغال
 سلم ففي التسليم من كل ما ينفذ تسليم وتنعيم بال
 وارض بما فاتك أو نلتك فعكسه ما لك فيه مجال
 وفوض الأمر إلى الحق لا تركن من الدنيا لحال محال
 فذو الحجا فيما اتقى وارتجى بالعدل حال ومن العدل خال
 يرضى بقسم الرب كل الرضا في كل حال ما عن العهد حال

(١) ذكرت هذه العبارة أمام هذا البيت في هامش ط : « يعترض الرب بدل يغزى » .

يرى خلال الشكر والصبر في ما سر أو ساء أبرّ الخلال
 فهو على الحائنين قد نال من مناه في الدارين أقصى منال
 ما أقصر الدنيا على مرّها كالظل ما أقصر مدّ الظلال !
 فافطن لها حزمًا في ظلها ما قال يوما حازم حيث قال
 ما يقظات العيش إلا كَرّى ولا مرّأى العين إلا خيال^(١)
 ياليت شعري والمُنى عبرة^(٢) والشعر قول قد يناني الفعّال
 هل يستحيل العهد من صَبوّتي فقد مضى عهد الصّبا واستحال
 والشيب هل يوقظني صبحه فالنوم في ليل من^(٣) اللهو طال
 وكسرتني من عُسرتي هل تقى وعُثرتني من^(٤) عبرتي هل تُقال
 هذا زمان في تولّ وفي عزمي توانٍ والهوى في توال
 حال من احتل بدار البَلا ولم يحدث نفسه بارتحال
 يا رَبِّ ما المخلص من زلّتي لا عملٌ لا حجة لا احتيال
 يا رَبِّ ما يلقاك مثلي به عن طاعة لم ألقها بامثال
 يا رَبِّ لا أحملُ حرّ الصّبا فكيف بالنار لضعفي احتمال
 أم كيف عذري وقد أعذرت لي^(٥) بأخذ حذري من دواعي النكال
 رحمتك اللهم فهي التي لها على العاصين مثلي انثيال
 ولا تعاملنا بأعمالنا لكن رجا آمالنا صلّ ووَال

[٧٧]

(١) يشير إلى قول أبي الحسن التهامي في مرثيته ابنه :
 فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى

(٢) في ت : « عدة » .

(٣) في ط : « وفي » .

(٤) في ت : « في » .

(٥) في ت : « في » .

وبامتداح المصطفى هب لنا
 فما سوى حبي المصطفى
 ذلك تجرى (٢) وعلى فضله
 فإن يفز قدحى بمدحى له
 ورائد الغر الغوالي (٣) على
 أعظم بأمداح نبي الهدى
 خير الورى من بادٍ أو حاضرٍ
 فادبهم من فتكات الردى
 حامهم بالعصب إذ لا حمى
 منيلهم إذ لا جدى يرتجى
 قريعهم في طبقات العلا
 مؤويهم من حوضه من صدى
 أطول من مال بسبب الندى
 من خصه الله بحصل المدى
 من باهر الحسن وفضل التقى
 حال من العلم بأسنى حلى
 نور ميبف صادق فارق
 أبيض يستقى الحيا باسمه

مأنم الفعل لبرّ المقال (١)
 وسيلة لى بغيرها اتصال
 طمعت فى الفضل بلا رأس مال
 فقد يجل النور قدر الدبال
 موثقة مما نوى من نوال
 حبل اعتلاق أو شفاء اعتلال
 أكرمهم من حافٍ أو ذى انتعال
 هادهم فى هلكات الضلال
 كالهم (٤) فى الخطب إذ ليس كال
 مقيلهم إذ لا عثار يُقال
 شفيهم فى عرصات السؤال
 مؤويهم من جاهه فى ظلال
 أصول من فى الحق بالسيف صال
 فى كل ماعم الهدى من خصال (٥)
 وحكمة النطق ومجد الفعل
 واف من الحلم بأزكى خلال
 مبشر هاد ختام كمال
 كهف الأياحى ، لليتامى ثمال

(١) فى ط : « الفعل » .

(٢) تجرى : تجارتى .

(٣) فى ت : « الغواذى » .

(٤) كالهم : كالهم ، أى حافظهم .

(٥) حصل المدى : إصابة الغاية .

الرحمة المهداة ضمن احتفاً
كم آية جلى لنا أو تلا
ذو العرش أسمى قدره فاسمه
وذكره رفع في ذكره
أعطاه دون الرسل خمسا كفت
لم يبعث الرسل اشتالا وفي
وقسمة الأنفال حلا وما
والأرض طهراً ومصلًى لأن
والنصر بالرب لشهر مدى
والنعمة الكبرى التي نالها
وليامة المعراج أسرى فما
جال وجبريل أنيس له
حتى انتهى من سيرة المنتهى
قال له الروح مقامي هنا
فقال : يا أنسي أفردتني
فقال : كلاً إنما الأنس ما
طأ حضرة القدس اتصالاً فما
فزججه في النور زجاً رأى
شاهد ما شاهد مما ارتقى
فقال قوم بفؤاد رأى

والنعمة السداة خلف احتفال
وغاية جلى بها دون تال^(١)
في العرش مقرون مع اسم الجلال
حداً ليتلو مدحه كل تال
يد امتنان في العطايا الجزال
بعثته للتقلين اشتمال
من قبل كانت لنبي حلال
كان له كون بها واحتلال
ينازل الأعداء قبل النزال
شفاعة الأخرى ونعم المنال
أسرى وأسنى شرفاً في الليال
من السماوات العلى حيث جال
إلى مقام لم ينله مقال
وأنت فاصعد لمقام الوصال
حيث دهنتي^(٢) مذهشات الجلال
أنت موالٍ ولك الله وال
أبيح منها إسواك اتصال
وراءه للحق نور الجلال
عن مبلغ العقل ووهم الخيال
وعالم بالعين والقلب قال

[٧٨]

(١) جلى بها : أتى فيها سابقاً .

(٢) في ط : « وهنتى » .

وليس ذا وهو مُحال على حيث تدلى قاب قوسين أو
وبعد ما في النجم يُتلى علّا
وباحتمال الجسم والروح في
وبانشقاق الصدر طفلا فقس
لنسبة بينهما في الهدى
فنور هذا كمّ جلا من دجى
كلا بل الأنوار حيث انجلت
ولانشقاق البدر من نوره
شَقَّ هلالين على صفحتي
والشطر منه لاستلام الثرى
بل أخجلَ البدر لنقصانه
هم سألوها آية أعرضوا
قالوا وقد جالوا^(١) بسحر أتى
بل عجبوا من نُكْتة الكون أن
وهجرة بل وضملة للرضا
ضفا لحجب السّتر دون العدا
إذ غار بالحكمة نور الهدى
وما اختفى من خيفة بل لأن

حَال مَقَام الحب مما يُحال
أدنى نجيا في ظلال الدلال
ثم أتى والنجم في الأفق عال
مَسْرَاه صَحَّ القول دون احتمال
له انشقاق البدر عند اكتمال
والحسن والقرب وبعد المنال
ونور هذا كمّ هدى من ضلال
حسّا ومعنى منه كلاً تُنال
أبدى انشقاقاً وهو تغيير حال
ظلمائه في كل شِقِّ هلال
بين يديه بالسّلام استمال
فأنحط مُنشقا لبدر الكمال
عنها وقد جاءت وفاق السؤال
فقلتُ هذا السحر سحر حلال
أعطاه ربُّ الكون ما منه سأل
وربما نيل^(٢) بهجرٍ وصال
في الدار والغار عليه انسداد
في الغار من غارة حزب الضلال
تظهر أسرارُ معاني المعال^(٣)

[٧٩]

(١) كذا في ت وفي ط « حالوا ». ولعل كليهما مصحف عن : « خالوا » .

(٢) في ت : « يبلى » .

(٣) المعال : أى المعال .

حيث ثنى بعدُ عِنانَ الرَّدى سُراقَةُ عما سَرى واستقال^(١)
 هيلَ كَثيبِ الطَّرَفِ حَسَفًا به عن كَتَبِ والصنع للطَّرَفِ هال^(٢)
 أهوى كما أهوت بيميلاده من قصر كسرى الشرفات العوال^(٣)
 نسبة حالٍ كان من سرِّها أن بسوارِته غدا وهو حال^(٤)
 هناك هامت بالحمائم العدا فحام حوليه حمام فحال^(٥)
 فاطرد الكسرى على جمعهم واطرد الفتح له صدق قال
 والعنكبوت اعتمدوا حُجَّة خالوا بها الغيل من الليث خال
 فاعجب لهم بالواهن استوثقوا ظنًا وللبرهاف هم في جدال
 ما أصدق الصديق في قوله عدل لنا في حُجج الصدق قال
 أشفق لا حرصًا على نفسه بل غار من علق نقيس يُذال
 يأبى الصديق بشراك لا تحزن^(٦) وشيم للنصر أمضى النصال
 فحكمة العظمة إحرازها ما بين أظفار الظبي والعوال
 لله ما أشرفها عزَّة ليس لغير الله منها ابتغال
 نبوة لاحت براهينها قطعية ترغم أنف الجدال

(١) سراقه : هو سراقه بن مالك الكنانى الذى تبع النبى صلى الله عليه وسلم عند الهجرة ، ليرده إلى قريش . (انظر خبره فى كتب السيرة) .

(٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما روى فى كتب السير من أن سراقه لما أراد اللحاق بالرسول ، وكاد يدركه ، غاصت قوائم فرسه فى الرمال ، وأفزعه ما رأى من مجزئه عن إدراك النبى أو إصابته بسوء ، حتى اضطر أن يعود من حيث أتى .

(٣) يريد أن فرس سراقه خر على الأرض كما سقطت شرفات قصر كسرى عند مولد النبى لإرهاصا لنبوته .

(٤) يشير إلى لبس سراقه لسوارى كسرى أيام عمر تصديقًا لقول النبى لسراقه لما خرج فى طلبه فى الهجرة : « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ! » . (انظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٤٨) .

(٥) يريد : أن أعداء النبى يوم الغار أرادوا قتله ، فحال الحمام دون غرضهم بتعشيشه فوقه .

(٦) فى ت : « تحزع » .

وهل جدال في عُلَى أَوْجَبَتْ وآدم في طِينِهِ ذُو انْجِدَالٍ
 وإِذْ بَدَتْ في وَجْهِهِ غُرَّةٌ خَرَتْ لَهُ الْأَمْلاكُ طَوْعَ امْتِثَالٍ
 وَنُوحٌ أَدْ نُجِّىَ في فُلْكَه كَانَتْ عَلَى أَنْوَارِ هَذَا اشْتِمَالٍ
 كَذَا خَلِيلُ اللَّهِ في نَارِهِ مِنْ نَوْرِهِ أَهْدَى هَدَى الْخِلَالِ
 إِذْ قَالَ جَبْرِيلُ لَهُ سَلْ تَنْقُلْ فَقَالَ عِلْمُ الْحَالِ حَسْبَ السُّؤَالِ
 وَنَالَ إِسْمَاعِيلُ مِنْهُ الْفِدَا بِالذَّبْحِ أَوْ إِسْحَاقُ إِنْ صَحَّ نَالَ
 وَهُودٌ أَسْتَجَلَى لَدَيْهِ الْهُدَى وَيُوسُفُ مِنْهَا تَحَلَّى الْجَمَالِ
 وَخِلْعَةٌ الْإِشْرَاقِ مِنْهَا اكْتَسَى بِالطُّورِ مُوسَى عِنْدَ خَلْعِ النِّعَالِ
 وَالرُّوحُ رُوحُ اللَّهِ لَاقَى بِهَا بُشْرَى تَلَقَّتْهَا صَدُورُ الرِّجَالِ
 فِيمَا لَهُ نَوْرَ انْتِقَاءٍ بَدَا فِي غَرْرِ الْأَبَاءِ مِنْهُ انْتِقَالِ
 وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مَعًا وَالضُّحَى وَالشَّهْبُ مِنْهُ أَشْرَقَتْ وَالْهِلَالِ
 وَنُورُهُ أَجْمَلَى ، وَبِرْهَانِهِ أَعْلَى ، وَكَيْ مِنْ دُونِهَا مِنْ مَعَالِ
 تَفَجَّرَتْ أَنْعُمُهُ بِالنَّادَى مَعْنَى وَبِالْحَسَنِ جَرَتْ بِالزُّلَالِ^(١)
 وَأَنْطَقَ الطَّيْرُ بِتَصَدِيقِهِ وَأَفْصَحَ الذَّنْبُ بِهِ وَالْعِزَالِ
 وَسَبَّحَتْ في رَاحَتِيهِ الْحَصَى وَانْهَزَمَ الْجَمْعُ لِحُشْوِ الرِّمَالِ
 وَالْجِدْعُ إِذْ عُوِّضَ مِنْ وَضْلِهِ بِفَصْلِهِ حَنَّ حَنِيفِ الْفِصَالِ
 وَهَلْ إِلَى آيَاتِهِ مُنْتَهَى وَعَنْ عُلَى غَايَاتِهِ النُّجْمُ آلِ^(٢)
 فَمَا بَلِيجٌ بِالْفَاءِ وَصَفُّهُ يَقْصُرُ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ الْمَقَالِ
 وَبَعْدَ مَبْدَأِ (نُونٍ) أَوْ مُنْتَهَى (بِرَاءَةٍ) مَاذَا عَسَى أَنْ يُقَالَ^(٣)

(١) في ط : « لا محال » . بدل : « بالزلال » .

(٢) آل : رجم عاجزا .

(٣) يشير إلى ثناء الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم في مفتتح سورة (نون) ومختتم سورة (براءة) .

يا سيد الكونين فضلا به
 يا سابق الرسل اصطفاء ويا
 يا ملجأ الخلق ومنجاهم
 يا من به نال الحب الرضا
 رُحماك فينا يا نبي الهدى
 رُحماك في أوطاننا راعها
 رُحماك في سلطاننا وآله
 رُحماك في غربتنا كن لها
 رُحماك في كُربتنا حلها
 رُحماك في عيلتنا أغنها
 رُحماك في قِلتنا زكها
 صالت علينا بالوفور العدا
 صالت بعدد واعتداد معاً
 حَآلتُ بَأنا لا غِيَاثُ لَنَا
 وبِالغنى اختالتُ وما إنْ لَنَا
 فأنْتَ للخلق مَلَاذِ الْوَرَى
 صلى عليك الله نور الهدى
 قد ساد في الأولى ويوم المآل
 خاتمهم جمعاً لمعنى الكمال
 إذا بهم ضاق انفساح المجال
 ويا شفيعاً في الذنوب الثقال
 فلم تزل رُحماك ذات انهمال
 من لحظك الأحمى بين ابتهاج
 من نصرك الأمضى بأرضى نوال
 أنسا فإن العهد بالأنس طال
 منك بسرٍ ففى رهن اعتقال
 إنا على رفدك طرّاً عيال
 زكاة تكثر لجاه ومال
 وهل على راجيك غوثاً يُصال
 وما على ذاك الحمى يُستطال
 حاشى غياث الخلق مما يُخال
 فى غير أفياء غناك اختيال
 والوزرُ الأحمى لدى ذى الجلال
 أزكى صلاةٍ قرنت^(١) باتصال

[٨١]

بعض شعر له

انتهت القصيدة . ومن ذلك قوله رحمه الله :

لك يا فقيه وضعتُ خدى فى الثرى
 فاجاب ذلك لا يجوز لأنه
 طمعاً بوصل منك غير مؤجل
 عندى رباً من باب ضع وتعجل

(١) فى ط : « قورنت » .

وقوله :

لِي سَيِّدُ زَارٍ وَمَا زَرْتُهُ فَنِّي النِّقْصُ وَمِنْهُ التَّامُ
إِنْ يَحْتَمِلُ سَهْوَى فَقَقَهُ مَضَى لِأَنِّي الْمَأْمُومُ وَهُوَ الْإِمَامُ
[وَطَالَمَا زَارَ الْغَامُ الثَّرَى وَلَمْ يَزِرْ قَطُّ الثَّرَى لِلْغَامِ]^(١)

وقوله رحمه الله ، وهو غاية في بابه :

بَعَثْتُ بِهَا ذِكْرِي عَلَى ثِقَةٍ إِلَى مُؤَمِّلٍ وَعَدَ مِنْ لِقَائِكَ^(٢) مَرْقُوبِ
فَمَا زِلْتُ فَذًّا فِي رِءُوسِ ذَوِي الْعُلَى وَمَا وَعَدَ رَأْسٌ مِثْلَ مَوْعِدِ عُرْقُوبِ
[وقوله :

عَابَ مِنِّي الْعُدَاةَ شِعْرًا وَثَغْرًا رُمِيَا فِي الصَّبَا بِشَيْبٍ وَشَيْنِ
قُلْتُ : لَا عَيْبَ فِيَّ مَا دَامَ فَضْلُ فِي النَّهْيِ وَاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ]^(١)
وقوله :

قُلْتُ لَمَّا جَبَزْتُ بِالْعَاجِ ثَغْرًا^(٣) وَلَقَدْ رُمْتُ بِالْمُحَالِ احْتِجَاجَا
صَاحٍ لَا بَأْسَ أَنْ يَعُوجَ شَبَابِي بِالتَّلَاقِ^(٤) أَمَّا تَرَى الثَّغْرَ عَاجَا
وقوله :

رَأَتْنِي أَحْوَطُ الثَّغْرَ رَبْطًا فَأُتَحَكَّتْ وَتَاهَتْ بِثَغْرِ الْجَفُونِ يُحَاطُ
فَقُلْتُ لَخُوفِ الْحَلِّ مِنْهُ^(٥) رَبَطْتُهُ أَيْنُكَرُ فِي الثَّغْرِ الْمَخُوفِ رِبَاطُ
وقوله :

إِلَهِي لَكَ الشُّكْوَى وَحَسْبِي رَحْمَةٌ نِدَاؤُكَ فِي شُكْوَى الْخُطُوبِ إِلَهِي

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وفائك » .

(٣) في ط : « ثغري » .

(٤) في ط : « بالتلاق » .

(٥) في ت : « منك » .

وَحَقَّقْ مَا لَّهٗو أَبَدَعْتَ خَلَقْتِ وَهَآ أَنَا فِى غَيِّ الْبَطَالَةِ^(١) لَاهِى
 بِنَفْسِى وَشَيْطَانِى وَدُنْيَاى وَالْهَوَى فَتُنْتُ وَلَكِنْ أَنْتَ حَسْبِى لَاهِى^(٢)
 وَلِنَخْتَمَ مَا أَرَدْنَا جَلْبِهِ مِنْ نَظْمِهِ الَّذِى هُوَ بِحَرْ لَّا سَاحِلَ لَهُ بِقَوْلِهِ :
 يَا رَبِّ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِى أَحْكَمْتَ : إِنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَا
 فَاخْتَمَ لِعَبْدِكَ بِالرَّضَا وَاحْكَمْ لَهُ بِالسِّرِّ فِى الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَى مَعَا

* * *

[٨٢] وأما الرئيس أبو يحيى بن عاصم فهو الإمام العلامة، الوزير الرئيس، الكاتب
 البليغ الجليل الخطيب الجامع الكامل، الشاعر الملقب النائر، الحجة، خاتمة
 رؤساء الأندلس بالاستحقاق، القاضى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
 عاصم القيسى الأندلسى الغرباطى، قاضى الجماعة بها، كان رحمه الله تعالى من
 أكابر^(٣) فقهائها وعلمائها، أخذ عن الإمام المحقق أبى الحسن بن سمعة^(٤)،
 والإمام القاضى أبى القاسم بن سراج، والشيخ الراوية أبى عبد الله المنتورى،
 والإمام أبى عبد الله البيانى وغيرهم، وذكر فى شرحه تحفة والده أنه وُلِّى القضاء
 عام ثمان وثمانين وثمان مئة، وله عدة تأليف منها شرحه العجيب على تحفة والده
 فى الأحكام، وهو كتاب نافع، فيه فقه متين، ونقل صحيح، وكانت بينه
 وبين عصره الإمام مفتى غرناطة أبى عبد الله السَّرْقَسُطِى، مراجعات
 ومنازعات فى مسائل فقهية. ومن تأليفه رحمه الله: كتاب جنة الرضى، فى التسليم
 لما قدر الله وقضى؛ وكتاب الرّوض الأريض، كأنه ذيل به إحاطة ابن الخطيب،

(١) فى ت: « البلاغة ».

(٢) لاهى: أى يا إلهى.

(٣) فى ط: « أكارم ».

(٤) كذا فى نفع الطيب. وفى الأصلين: « سمعت » وهو تحريف.

وله غير ذلك ، وسنذكر شيئاً من كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ومن أغرب ما صدر عنه ، رضى الله عنه ، قصيدة ، تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان ، إحداهما من المكتوب بالأحمر ، والأخرى من المكتوب بالأخضر ، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة ، كما ستراه ، وقد ألفيتها بخط بعض أعلام سبته ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج ، وجده محمد بن فرج هو الذى نأتى بجملة من نظمه فى النعل النبوية ، عند ما نتعرض لذلك إن شاء الله تعالى ، فى محل هو أنسب من هذا الموضع ، وقد سقط من هذه القصيدة نحو ثلاثة أبيات ، فعوضتها بغيرها على ذلك السّنن^(١) ، على أن بعض كلماتها لم تسقط إلى طرف^(٢) .

قصيدة له تلد
بنتين فموشحتين
فى مدح السلطان
أبى الحجاج

ونص ما كتبه السبتي المذكور من نظم السيد الأستاذ العلم الصدر المفتى القاضى رئيس الكتاب ، ومعدن السباحة ، ومنبع الآداب ، سيدى أبى يحيى [٨٣] ابن عاصم رحمه الله ، ورضى عنه ، يمدح السلطان العادل المقدس المزعى المرحوم المجاهد ، أبا الحجاج يوسف بن نصر ، قدس الله روحه ، ونضر ضريحه ، قال : ونقلتها من خط ناظمها رحمه الله . انتهى . وهذه هى القصيدة^(٣) :

أما والهوى « ما كنت » مذ بان عهدُهُ أهِيمُ بَلْقِيمًا من (تَنَاسَرُ)^(٥) وُدَّهُ
رعى الله من « لو أنصف » الصبِّ فى الهوى لما فاض منه (الدمعُ) مُذْ^(٦) بان صدّه

(١) فى ط : « النسق » .

(٢) يريد أن الأبيات الثلاثة الساقطة قد ظهر منها بعض كلمات .

(٣) وضعنا ما كتب بالمداد الأحمر فى الأصل بين هذين القوسين « ، وما كتب

بالأخضر بين هذين الهالين () اقتداء بما فى نسخة ت .

(٤) فى ت : « إمام الهدى » .

(٥) فى ط : « تَأَثَّر » .

(٦) فى ط : « إذ » .

ولو جاد من « بعد المطال » بزورة
 كما خان صبرى يوم أصبح و « اصرى
 لذلك أسال الدمع (كالدر) مدمعى
 حكي لؤلؤاً (من سلكه) متناثراً
 ذخرت (الثمين) القدر منه بمقلتي
 ولا عجب (مذاعوز) القرب أن غدا
 أيلحق باللقيا أو (الوصل) من يغو
 وصير جسمي للصبابة (والتلا
 أقطع أنفاسي « عليه ك » آبة
 فمن شعره « الليل البهيم » ومن سنى
 (ب) حكيم « الدلال » الجور حكم جوره
 له معطف « مستحسن النقد » ناعم
 رمى في فؤادى جمرًا أ « ذكى » هيبته
 فيعقب من نار الحيا عاطر « الشذا
 ويسدو بأفاق ال (جمال ه) لاله
 كأن الظبي في (مرتع) الطرف لحظه
 يروق (العيون) العطف منه فشبهت
 ويأرنه « م ورد الخد » لوجاز (٣) قطفه

لما شب أشواقى وقلبي زنده
 لظى « زاد ماء (من جفوني) وقده
 من « الوجده » فاستولى على الجفن سنده
 و « إلا ليم » قد تتابع مدده
 وما زلت من خوف « النكال » أعده
 و « كالقمر الزاهي » سناه وبعده
 ر « فى نوره » بدر السماء وجده
 ق (يقيم قاي إذ تمكّن وجده (١)
 والله (من بدر) أغيرى (٢) سنده
 مقبله ل (حذفت) نور ينده
 ومن شأنه أ (لا قرين) يرده
 به (علق في الحب) بلغم أسده
 به (فني أس) قد تاهب خده
 ك « أنى بذاك الخال قد نهم نده
 له « الليل فرعاو » الكواكب عقده
 كأن « القنا في » اللين والفعل قدده
 به قضب البان « اعتدال » لا وئله
 وطيب رحيق الثغر ل (وحل) وردده

(١) كذا فى ط . والشطر الثانى من هذا البيت غير مستقيم وزنًا . وروايته فى ت :

وصير جسمي للصبابة وايتلى يقيم قاي إذ تمكّن وجده

ولا تتفق ألفاظ هذه الرواية مع ألفاظ الموشحة التى تخرج من هذه القصيدة .

(٢) فى ت : « لعمري » .

(٣) فى ت : « حان » .

يجول به ريق « شهى » يحيلنى
ويحمى المحيّا و « اللهى » بلوا حظ
فله من ريم ضلوعى (كيناسه)
ويمنع منه المستهم (فما له)
وبالحسن منه (يستبيح) حمى الهوى
ويؤلى (دىنى) فى الهوى وهو مومر
أفى العدل أن (يحكم) بتحريم ريقه
تخيّلته لو نيل (بالنهب فى) السكرى
فأجنى كما شاء الوصال « رضابه »
ويشفي بذلك اللبسم « العذب » ريقه
وحلوا « الجنى » مرّ الجفأ بأمر الس
بدا « فى المثال » كالغزال محاسناً
وللحب يد « ولحظه الأوطف » الورى
تملك رقى طرفه « مع سقمه »
وأظهر مكنون الهوى منذ جار (فى الـ)
وقد كان تحت الكتم (عذرى) وجدّه
ويحسبه فى (الحكم) بالجور « ك » الورى
إذا (بالظنون) الكاذبات يناله

إليه اظى (فى القلب) قد شبّ وقده
(عن) الدنف الممرى به ^(١) فتصدّه
وروض يسقيه من الدمع عهدّه
و « فى لثمه » لو جاد بالثم قصده ^[٨٤]
و « كل المنى » واليمن يحويه برّده
له درّ ثغر « لو ينال » وعقدّه
لأن « كان للشهد » العلل وزده
« وما ذقنه » يشفى من السقم شهدّه
ويجنى على قاي هوأه وصده
(فؤادى إذ) يشفى بلشيمى خذه
(نى له نهب هـ) ذا القلب قسماً ^(٢) ورده
وتخشاه أبطال (العرين) وأسده ^(٣)
(أ) لا (هكذا) قلب المشوق أقده
و (الشرع) فى حكم الغرام يرده
معنى (لـ) ذى قد طال فى الحب جهده ^(٤)
ف « أسهر منه » ما اختفى قبل صده
وهل با « اسليم » القلب يحسب ضده
ينام فكم عم « الليال » سى سهدّه

(١) فى ط : « بها » .

(٢) فى ت : « سرا » .

(٣) هذا البيت ساقط فى ت .

(٤) فى ط : « ججده » .

يلد «وح سنه» ١ «ه» للمشوق وقربه
 وفي مجتلاه «الباهر» الحُسن والرؤا
 وأنعش بالإنصاف «مهما بدا» وإن
 ويديه نور الحسن وهما «لمقلتي»
 يميل على المشتاق (بالهجر) حكمة
 فيا هاجري (والصد) للصب قاتل
 أما (والفتون) البايلى وسحره
 ويامقولى (مالى سوا) لك مؤازر
 فصغ لؤلؤا من (مدحى ابن) ملوكنا
 من أورثه الملك المؤصل (نصر) ه
 لباب العلى «قطب المعالى و» تاجها
 به قد غدا ثغر «الهدى» وهو باسم
 «و» أضحى «الكمال طود» ه فإن اعتدى
 ومهما عفا عاد «الحجا» وهو قاتل
 وبالشَّم يُرْرى عقله «الأرجح» الذى
 فعنى الخلى تهديه للقلب ذاته
 ومن كفه (غيث الندى) وغمامه
 إذا انهل منه (الواكف ال) ثر للورى
 عليه حرام إذ (يجلل) بعده
 حياى ، وشبه (القتل) للنفس فقده
 أرى (منه ظلماً) عاود القلب وجده
 ويخفيه فرع فاحم الوصف جعده
 ف «منه» استعار الميل عنى قده
 وروض «نعيم» فى رضاك وخلده
 ليقتنعنى هزل «الوصال» وجده
 ف «خل الهوى وامدح» لمن حق حمده
 «إمام الورى» الباهى على الخلق رفده^(١)
 وأكسبه الجسد المؤئل سعده
 و(بدر الهدى) (وضاح فى الدهر)^(٢) سعده
 منير سناه (مشرق) الأفق سعده
 على البدر نقص ف (الجبين) يمدّه
 ك(ذا الحلم والصفح) الذى أستعده
 لنج (و)^(٣) المعالى والمجادة قصده
 و «سر العلى» يديه للعين مجده
 و «معنى السماح» المستراح ورغده
 فصفا «و الندى و» الجود قد لذ وزده^(٤)

(١) فى ط : « الباهى على الخلق قده » .

(٢) فى ت : « فى البحر » .

(٣) فى ت : « له والمعالى » .

(٤) هذا البيت ساقط فى ط .

تخال (هتُون) البذل منه زائلا
وكل « نوال هـ » امل من بنانه
وفيض نداه « يشرح » الحال إنه
(و) في غيظه التَّجَاج « للمعتنى » الغنى
والفضل والإحسان والبأس (سبة) هـ
وأفعاله عند استباق (المدا) شأت
له مشرقى (دائم ال) تقطع للطَّال
وبين (سكون) في الندى من الحجا
وزينه من (قصده الجمع) المعل
وحزم وعزم (بين بكر) وثيب
فيوم الندى الإسلام يسعد دهره
ومن بأسه « أضحى الحمام » تمتعا
وتمشى عداه « كالجم » شراهم
ويغدو (الموال) « في » سرور وغبطة
قد اعتاد « ترك الكافر » ين وشأنهم
فأبطالهم « رهن الفنا » هـ « و » ما لهم
ولم يبق إلا من حمى الحسن (لعطأ)
وأصبح في العليا (كالبحر) كفه
فصوب الحيا (في جوده) برقه الظُّبى

يُكَيِّفه برق « الجلال » ورعه^(١)
فأقصى صفات الجود (قد جاز) جوده
يعد الحيا (في السمع) إذ يستمده
إذا ب (الأيادى) منه يبدأ رِفده
ولملك والإسلام والعلم عَصْدُه
و « فعل ظباه با » لكُمة وجُرْدُه
فكل كمي ل « لعدا في » هـ فقده
(و) بين مضاء ب « القتال » يُعده
كما زين ا « لسيف » الصقيل فِرِنده
ب « المرهف » الماضى يُفَلِّل حَدُّه
و « يوم الوغى » الإشرأك يتعس جَدُّه
و (للفخر) منه صارم يستعده
وما شيدوا (في دهره) فيهده^(٢)
من البشر أبكار (وعون) تَوَدُّه
لهيب (وشأن هـ) ما مل الدمع ورَّده
إلى (البذل) عقباه وبالسيف رَدُّه
وشقَّع في أح (يا) نه^(٣) منه خدَّه
كما « قد غدا مثل ال » جواهر رِفده
يريك « هشيم » الكفر مما يتدَّه

(١) هذا البيت ساقط في ط .

(٢) في ت : « لم يهده » .

(٣) في ط : « أحياه » .

نَدَاهُ (الْمَعِين) الثَّرَّ قَدْ نَمَّ الْهَدَى
 وَأَحْكَمَ «مَرْفَع» الْمَلِكِ إِذْ نَصَبَ الْعَدَا
 أَيَا سَامِي «الْقَدْر» الَّذِي جَلَّ ذِكْرُهُ
 صِفَاتُكَ فِي الْعَالِيَا «عَزِيز» مَنَالُهَا
 فَسَائَتْهُ مِنْ عِزَّةِ الْجَارِ وَ«الْحَمَى»
 وَأَبْعَدَتْ فِي (وَصَفِ الْعَلَى) عَنْ مَسَابِقِ [٨٦]
 وَجُودِكَ (فِيهِ ذُو) الرِّجَا مَغْرَمٍ فَإِنْ
 وَكَمْ مِنْ (فَنُونٍ) يَسْتَمِدُّ بِهَا الضَّحَى
 وَكَمْ بَاتَ يَتَلَدُّ (وَسُور)ةَ الْفَتْحِ عِزُّهُ
 وَأَصْبَحَ بِاسْتِحْقَاقِهِ (الْحَمْدُ مِنْ) أَوْلَى الْأَ
 بَعْدِلٍ وَإِحْسَانٍ قَدَّ اخْتَلِيَهُمَا
 وَبَأْسٍ وَبَطْشٍ يَحْمِيَانِ «حَمَى الْهَدَى»
 وَحَلَمَ «وَجُودُهَا» تَرْ «ن» وَمَكَارِمَ
 وَكَيْفَ «يُنَالُ» الْمَدْحُ أَوْ صَافٍ مَا جَدَّ
 يَمُّ بَعْدُ «وُخْصَ بِالْ» ذَنْبِ نَطْقِهِ
 وَلِلسَّيْفِ نَصْرِيَا بِنِ «نَصَرَ عَلَى» الْعَدَا
 وَالْمُلُوكِ عِزُّهُ أَوْ كَسْبُ الذِّلِّ «مَنْ بَغَى»
 فَفِي ذِمَّةِ الْعُلِيَاءِ (تِلْكَ الْخَلَا) الْعُلَى
 أَنْزَلَتْ بِهَا مِنْ (فَاحِمْ) ظَلَمَ مَا دَجَا
 فَزَالَتْ (دَجُونُ) الْجَوْرِ عَنْ مَطْلَعِ الْهَدَى
 هُوَ «الْمَلِكُ» لَمْ تَغْبِطْهُ إِلَّا نَزَارُهُ

وَيَشْقَى بِهِ حَرْبُ «الضَّلَالِ» وَجَنْدُهُ
 عَلَى حَالِ ذَلِّ (نَالٍ مِنْ) ضَلِّ (١) جَهْدُهُ
 وَيَا مُحَرِّزَ (الْمَجْدِ) الَّذِي عِزُّ نَدَاهُ
 لَهَا (كُلَّ طَمَعٍ) أَحْرَزَ الْفَضْلَ فَرَدَهُ
 «وَقَدْ» رَسَمًا فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنَ مَجْدُهُ
 لَهَا وَ«تَدَانِي» مِنْ نَوَالِكِ رَغْدُهُ
 حَمَى «جُودُهُ» ذِمَّ الْمُهَلَّبِ أَزْدُهُ
 إِذَا مَا تَنَاءَى «لِلْعُنَالِ» مَدَّةُ
 وَيَحْكُمُ «مِثْلَ الْأَمْرِ» وَ«النَّهْيِ» وَجْدُهُ
 عَدَالَةٍ فِي «الْأَحْكَامِ» قَدْ «بَانَ» رَشْدُهُ
 (حِلَاةً) كَمَا أَخَى الْمُهَنْدِ غَدَّهُ
 فَخَتَّى (لَقَدْ تَرَى) لَمْنَى مَعَ السَّرْحِ أُسْدُهُ
 (أَلَا هُنَّ كُلُّ) الْوَصْفِ عَنْهَا وَجْهُهُ
 يُوَدُّ الْعِلَا (حِينَ) أَوْ حِينَا تَوَدُّهُ
 وَ«تَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» الْمُبِينِ أَلَدَّهُ
 فَسَاعَةً (إِذْ يَجْلِي) جَلَى الْكَفْرِ حَدَّهُ
 فَخَافَتْ بِهِ مِنْ مَوْئِلِ الْقَهْرِ نُكْدُهُ
 وَ«لَمَّا بَدَتْ» لِلدِّينِ أَنْجِزَ وَعْدُهُ
 فَجَلَّتْ «سَعُودُهُ» نَّ الْمَلِكِ عَضْدُهُ
 فَنُورَ سَنَاهُ «فِي اقْتِبَالِ» وَسَعْدُهُ
 بِمَا لَيْسَ فِي إِمَامِ (كَانَهَا) وَمَعْدُهُ

(١) فِي ط: «كُلَّ» .

وفي منتهاك «الأشرف» الأصل للورى
وَيَمْنَاكَ يَوْمَ الْجُودِ «تَرْبُ الْحَيَا» اغتدت
لَكَ الْمَرْهَفُ السِّفَاحُ بِالْفَتْحِ (مُتَنَّى)
وَجَمَعْتَ شَتَى الْجُودِ (فِي وَتَر) رَاحَةَ
فَكَمْ كَامِلٍ (الْأَوْصَافِ وَالْذَاتِ) مَا جِدِ
عَلَى (يَمِينِ قَلْبِ) تَهَا غَيْرِ حَانِثِ
فَقَدْ عَزَى فِي الدُّنْيَا (لَهُ الْمَثَلُ) فِي الْعَلَى
وَأَيْنَ الْمُسَامَى (وَالْمُضَاهَى) مَجَادَةِ
كَرِيمِ الْمَسَاعَى حَافِظِ الدِّينِ وَ«الْهُدَى
فِي الْفَخْرِ» أَخْبَى «الْفَضْلُ وَالْجِدُّ» طَبَعَهُ
وَمَحْتَدَهُ السَّامَى «الْكَرِيمِ» نِجَارُهُ
فَشَتَى «الْخِلَالِ» الْغَرَّ جُمِعْنَ عِنْدَهُ
وَدُونَكَ يَا مَوْلَايَ حَسَنَاءَ غَادَةً
مُرْنَجَّةَ الْأَعْطَافِ تَلْعَبُ بِالنَّهْيِ
هَدِيَّةَ عَبْدٍ مَخْلُصٍ لَكَ قَلْبُهُ
فَالْفَاطِمَا تَحْكِي جُحَانَ دُمُوعِهِ

دليل يَحُوزُ (الشَّفْعَ) فِي الْجِدِّ فَرْدُهُ
أَلَا (فَهِيَ) أَقْسَامُ السِّمَاحِ وَحْدُهُ
مَعَ الْعِلْمِ الْمَوْعُودِ بِالنَّصْرِ جُنْدُهُ
وَ«غَيْثُ الدُّدَى» مِنْهَا قَدْ أَنْهَلَ عَهْدَهُ
إِلَى ذَلِكَ «الْهَامِي الْعَمِيمِ» مَرْدُهُ
لِجُودِكَ تَنْظِيمِ «النُّوَالِ» وَنَضْدُهُ
فَمَا «يُوسُفُ» لَا الْحَيَا طَابَ وَرْدُهُ
«لِنَاصِرِ دِينِ» اللَّهُ وَالْجِدُّ مَجْدُهُ
ذُو «الْإِنْعَامِ وَالْفَضْلِ الْمُبْجَلِ» عَقْدُهُ
وَ(فِي الدَّهْرِ) أَمْسَى لَيْسَ يُوجَدُ نَدَّهُ
يَمَازِلُهُ (فِي رَفْعَةِ) الْقَدْرِ بَنْدُهُ
بِمَا حَازَ مِنْ عِلْمِ (وَدِينِ) يُبْدِيهِ
مَهْدَبَةً كَالدَّرِ نَظْمَ عِقْدِهِ
قَتَسَبَى الْحِجَا طَوْرًا وَطَوْرًا تَرُدُّهُ [٨٧]
وَفِي تَلَكُّمِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ وَدُّهُ
وَقَرَّطَاسَهَا يَحْكِيهِ فِي اللَّوْنِ خَدُّهُ

قال جامع هذا التصنيف : أشار الرئيس أبو يحيى بهذا الشطر الأخير إلى
الكاغد الأصفر الذي كانت فيه هذه القصيدة مكتوبة ، ثم قال :

وَأَنْقَاسَهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ غَرِيبِهَا وَتَرْتِيبَهَا مِنْ ذَاتِهِ يَسْتَعِدُّهَا
فَأَكْثَلُهَا مِنْ مَقَلَّتِي أَسْتَمِيحُهُ وَأَحْمَرُهَا مِنْ أَدْمَعِي أَسْتَمْتَدُّهَا

وأخضرها من طيب عيشى الذى مضى لديك وأرجو بالرضا تسترده^(١)
 وأعجب شئ أنها بكر فكرتى وما بلغت معشار شهر نعهده
 وقد ولدت بنتين ثنتين مثلها يروك من معناها ما توده
 وكتلتها قد جرّدت من نظامها موشحة كالسيف راق فرنده
 نخذها ففيها للتواظر مسرح ومن مدحك^(٢) الحسن الذى تستمده
 بقيت كما تهواه ما هبت الصبا فمالت بها بان العذيب وزنده
 انتهت القصيدة الفريدة ، وهأنا أذكر البنتين اللتين ولدت ، ثم أذكر
 ما ولدت كل واحدة منهما بحول الله وقوته .

فأما القصيدة الخارجة من المکتوب بالأخضر [فهذا نصها ، وتوشيحها
 ينتظم من المکتوب فيها بالأخضر]^(٣) وهى هذه :

(تنأثر الدمع) من جفونى (كالدر) من سلكه الثمين
 (مذ أعوز الوصل) والتسلاقي (من بدر) حسن بلا قرين
 (علقت فى الحب) ظبى أنس (جماله) مرتع العيون
 (وحل فى القلب) عن كناس (فقاله) يستبيح ديني
 (يحكم بالنهب) فى فؤادى (إذ ناله) نهبه العرين
 (أهكذا الشرع) فى المعنى (المذرى) والحكم بالظنون
 (يحلل القتل) منه ظاما (بالمجر) والصّد والفتون
 (مالى سوى مدحى) ابن نصر (بدر الهدى) المشرق الجبين
 (ذا الحلم والصفح) والمعالي (غيث الندى) الواكف الهتون

(١) فى ت : « نستمده » .

(٢) فى ط : « مدحها » .

(٣) زيادة عن ت .

(قد جاز في السمع) وَالْأَيَادِي (سبق المدي) دَائِمُ السَّكُونِ
 (وقصده الجمع) بَيْنَ بَكَر (للفخر) فِي دَهْرِهِ وَعُؤُنِ [٨٨]
 (وشأنه البذل) لِلْعَطَايَا (كالبجر) فِي جُودِهِ الْمَعِينِ
 (نال من المجد) كُلَّ طَبْعِ (وصف العلا) فِيهِ ذُو فَنُونِ
 (وسور الحميد) مِنْ حِلَاةِ (لقد تلا) هُنَّ كُلَّ حِينِ
 (تهدى إلى الرشد) إِذْ تُجَلَّى (تلك الحلي) فَاحْمَ الدُّجُونِ
 (كأنها الشفع) فِيهِ مَثْنَى (في وتر) الْأَوْصَافِ وَالْيَمِينِ
 (قل له المثل) وَالْمُضَاهِي (في الدهر) فِي رِفْعَةِ وَدِينِ

انتهت البنت الخضراء ، وهذا نص بتمامها الموشحة ، المستخرجة من الأخضر :

تَنَاسَرَ الدَّمْعُ ، كَالدَّرِّ مُذْ أَعْوَزَ الْوَصْلُ ، مِنْ بَدْرِ
 عَلِمْتُ فِي الْحُبِّ جَمَّـالَهُ
 وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ فَمَّـالَهُ
 يَحْكُمُ بِاتِّهَابِ إِذْ نَمَّـالَهُ
 أَهْكَذَا الشَّرْعُ ، الْعُذْرِي يُحْمِلُ الْقَتْلَ ، بِالْهَجْرِ
 مَا لِي سِوَى مَدْحِي بَدَرَ الْهُدَى
 ذَا الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ غَيْثَ النَّدَى
 قَدْ جَازَ فِي السَّمْعِ سَبَقَ الْمَدَى
 وَقَصْدُهُ الْجَمْعُ ، لِلْفَخْرِ وَشَأْنُهُ الْبَذْلُ ، كَالْبَحْرِ
 نَالَ مِنَ الْمَجْدِ وَصَفَ الْعِلَا
 وَسُورَ الْحَمْدِ لَقَدْ تَلَا
 تَهْدَى إِلَى الرُّشْدِ تِلْكَ الْحِلَى
 كَأَنَّهَا الشَّفْعُ ، فِي وَتْرِ قَلَّ لَهَا الْمِثْلُ ، فِي الدَّهْرِ

[انتهت .

ويمكن أن تستخرج باختصار هكذا] ^(١):

تنثر الدمع ، مُدُّ أعوز الوصل
عَلِمْتُ في الحبِّ ، وَحَلَّ بالقلبِ ، يحكم بالنهبِ
أهكذا الشرعُ ، يُحَلِّلُ القتلُ ؟
مالي سوى مدحى ، ذا الحلم والصفح ، قد حاز فى السَّمحِ
وقصدته الجمعُ ، وشأنه البذلُ
له من المجدِ ، وسُورِ الحمدِ ، تهدي إلى الرشِدِ
كأنها الشفعُ ، قلَّ لها المثلُ

[٨٩]

انتهت .

وأما البيت الحمراء فهى الخارجة من المکتوب بالأحمر ، وتوشيحها ينتظم من

البيت الثانية

المكتوب فيها بالأحمر ، وهذا نصها :

« ما كنتُ لو أنصف » بعد المطال	« أَصْلَى لَظَى الْوَجْدِ الْأَلِيمِ » النكال
« كالنمر الزاهى » فى نوره	« عليه كالليل البهيم » الدلال
« مستحسن القد » ذكى الشذا	« كالليل فرعا والقنا » فى اعتدال
« مُورِدُ الخد » شهيء اللهى	« فى نَمَمِهِ كلُّ المنى » لو ينال
« كَأَنَّ للشهد » وما ذقتنه	« رضا به العذب الجنى » فى المثال
« ولحظه الأوظف » مع سقمه	« أشهر منه كالسليم » الليال
« وحسنه الباهر » مهما بدا	« لمقتى منه نعيم » الوصال
« خَلَّ الهوى وامدح » إمام الورى	« قطب المعالى والهدى » والكمال

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت .

« طَوْدَ الحِجَا الأَرْجَحَ » سرَّ العلى
 « نَوَالُهُ يَشْرَحُ » للمعتنى
 « لَسِيْفُهُ المَرْهَفِ » يوم الوغى
 « فَيَتْرُكُ الكَافِرَ » رَهْنُ الفَنَا
 « مُرْفَعُ القَدْرِ » غَرِيْزُ الحِمَى
 « مُمَثِّلُ الأَمْرِ » والاحكام قد
 « وَخُصَّ بالنَصْرِ » على من بَغَى
 « المَلِكُ الأَشْرَفُ » تَرَبُّبُ الحَيَا
 « يَوْسُفُ النَاصِرُ » دِينَ الهُدَى
 « مَعْنَى السَّمَاحِ والنَّدَى » والجَلَالُ
 « فَعَلَ ظُبَاهُ بِالْعِدَا » فى القِتَالِ
 « أَضْحَى الحِمَامِ كَالْحَمِيمِ » المُوَالِ
 « وَقَدْ غَدَا مِثْلَ الهَشِيمِ » الضَّلَالِ
 « وَقَدْ تَدَانَى جُودُهُ » للمَنَالِ
 « حَمَى الهُدَى وَجُودُهُ » أَنْ يُنَالِ
 « لَمَّا بَدَتْ سَعُودُهُ » فى اقْتِبَالِ
 « غِيْثُ النَّدَى الهَامِى العَمِيمِ » التَّوَالِ
 « ذُو الفَضْلِ والمَجْدِ الكَرِيمِ » الخِلَالِ
 انتهت البنت الحمراء .

الموشعة الثانية

وهذا نص موشعتهما ، وهى بنتها ، الخارجة منها من المسكتوب بالأحمر :

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفُ أَصْلَى لَظَى الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
 كَالْتَمَسَ الزَاهِي عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ

مُسْتَحْسَنُ الْقَدِّ كَاللَّيْلِ فَرَعًا وَالْقَنَا
 مُورِدُ الْخَدِّ فِي لُتْمِهِ كُلِّ الْمُنَى
 كَأَنَّ لِلشَّهِيدِ رِضَابَهُ الْعَذْبَ الْجَنَى

[٩٠]

وَلَحَظَ الْأَوْطَفُ أَشْهَرُ مِنْهُ كَالسَّلِيمِ
 وَحَسَنُ الْبَاهِرِ لَمُتْلَقَى مِنْهُ نَعِيمِ

خَلَّ الهوى وَاَمْدَحَ قطب المعالى والهدى
طودَ الحِجَا الأَرْجَجِ معنى السَّاحِ والنَّدى
نواله يَشْرَحُ فعلَ ظُباه بالعدا

* * *

لسيفه المَرْهَفِ أضْحَى الحِمَامِ كالحَمِيمِ
فِيَتْرَكَ الكَافِرَ وقد غدا مثل الهَشِيمِ

* * *

مُرَفَّعُ القَدْرِ وقد تدانى جودُهُ
مُمَثِّلُ الأَمْرِ حَمَى الهُدَى وجودُهُ
وَحُصَّ بالنَّصْرِ لَمَّا بدتْ سَعُودُهُ

* * *

الملكُ الأشْرَفُ غيث الندى الهامى العَمِيمِ
يُوسَفُ النَّاَصِرُ ذو الفضل والمجد الكَرِيمِ

ويمكن اختصارها أيضاً هكذا :

ما كنتُ لو أنصفُ ، كالقمر الزاهرِ
مستحسنُ القَدِّ ، مورد الخد ، كأنَّ للشَّهَدِ
ولحظه الأوطف ، وحسنه الباهرِ
خل الهوى وَاَمْدَحَ ، طودَ الحِجَا الأَرْجَجِ ، نواله يَشْرَحُ
لسيفه المَرْهَفِ ، فَيَتْرَكَ الكَافِرَ
مُرَفَّعُ القَدْرِ ، مُمَثِّلُ الأَمْرِ ، وَحُصَّ بالنَّصْرِ
الملكُ الأشْرَفُ ، يُوسَفُ النَّاَصِرُ

قلت : وإنما لم أجزم بهذه المختصرة لأجل أن الناظم صرح بأن كل واحدة من البنيتين الحمراء والخضراء لم تلد إلا موشحة واحدة من البنيتين ، ولو ولدت موشحتين لصرح بذلك ، ولا شك أن الموشحة غير المختصرة أتم معنى ، وأكمل مساقاً ، فالأصوب الاقتصار عليها ، وإن كان يمكن استخراج أكثر منها لمن تأمل حق التأمل ، والله تعالى أعلم .

وعلى كل حال فقد أبدع هذا الرئيس في هذه القصيدة ، وإن كان فيها بعض تكلف ، وقصده أبدع من قصد صاحب عنوان الشرف الشامي^(١) . لأن هذا أخرج من الخارج شيئين^(٢) على ما لا يخفى ، غير أن صاحب عنوان الشرف أطال ، واستخرج أربعة علوم متباينة . من أول وهلة ، وكلاهما قد أبدع رحمه الله ؛ ولم أتحمق : هل وقف ابن عاصم على كتاب عنوان الشرف ، فاهتدى بأضوائه أم لا ؟ والله تعالى أعلم .

موازنة بين ابن
عاصم وصاحب
عنوان الشرف
الشامي

ومن كتاب جنة الرضى له رحمه الله ما نصه^(٣) :

مختار من كتابه
جنة الرضى

« الحمد لله الذى عَوَّضَ من الخلافِ وفاقاً ، وأعقب من الافتراق اجتماعاً واتفاقاً ، وهبياً لأسواق الائتلاف برفع الخلاف^(٤) نفاقاً ، ويسر لوطن الجهاد^(٥) من توثير المهاد أرفاقاً ، وزين بأنجم المسعود من النصر الموعود آفاقاً ، وعقد على جمع الكلمة من الأمة المسلمة إجماعاً وإصفاقاً . نحمدُه سبحانه وهو الحمد بجميع اللغات ،

(١) كذا في الأصلين . واسم الكتاب : « عنوان الشرف الوافي ، في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والفوافي » ، وهو لمعرف الدين بن المقرئ إسماعيل بن أبي بكر التيمي ، المتوفى سنة ٨٣٧ هـ . (انظر كشف الظنون) .

(٢) في ط : « أشياء أخر » .

(٣) العبارة « له رحمه الله ما نصه » : ساقطة في ت .

(٤) في ت : « الاختلاف » .

(٥) في ت : « الاجتهاد » .

ونشكره على ما سقى من آمال على وفق الأمنية مُبَلَّغات ، ونُثْنِي عليه بما أسدى من عوارف مُحَوَّلَات ، ومواهب مُسَوَّغَات ؛ حمدا نستكثر من دُرره النفيسة إنفاقاً ، وأمانته العظيمة فلا نأبى من حَمَلها إشفاقاً ؛ ونشهد أنه الله ^(١) لا إله إلا هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفْوَاً أحد ؛ شهادة ترفع لواءها المرتج ^(٢) العَذَابَات خَفَاقاً ، فلا لاقى بعد هذه الشهادة لمقاصد السعادة إخفاقاً ^(٣) ؛ ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، ونبيه المصطفى وخليفه ؛ نبى الرحمة ، ونور الظُّلُمه ، وشفيع الأُمَّه ، والمبعوث بالكتاب والحِكمه ، والمجموع له بين مزية السبق ومزية التتمة ؛ شهادة تستحفظ بقاع الأرض أرفاقاً ، فلا تخشى معها القلوب ، وقد حصل منها الغرض المطلوب ، [٩٢] شكاً ولا نفاقاً ؛ ونصلى على النبی السکریم ، المبعوث بالخلق العظيم ؛ صلاة نُحِل بها من عُقَلَة الذِّكْر وثاقاً ، ونؤكِّد بها القبول إذا عارض العمل المقبول مِيشاقاً ؛ ونَرْضَى عن آل محمد وصحبه ، وعشيرته وحزبه ، المختصين بقربه ، الفائزين بالرضا من ربه ؛ أكرم الناس أعرافاً ، وأعظمهم من خشية الله إطرافاً ، وأبهرهم فى مقامات الهداية إشراقاً ؛ ونستوهب منه التأييد والنصر ، والفتح الذى تقوت عجائبه الحضر ، والمنح الذى لا تعرف صِلَاةُ صَلَاتِهِ الْقَصْر ؛ لهذه الخِلافة العالمية ، التى أطبقت على الإغضاء أجداقاً ، وأظهرت من الحلم لما كان من مكنون العلم صَدَاقاً ؛ ونبتهل إلى الله فى دوام أيامها ، وإعلاء أعلامها ، وإمضاء ذابلها المَرهوب وحُسامها ؛ حتى يتنفس الإسلام خِناقاً ، وتسير بها الرِّفاق ، وقد تهادتها الآفاق ، وَخَدَّاءُ وإِعتاقاً ، وتخضع لها الجبابرة ، والملوك القياصرة ، رقباً وأعتاقاً ؛ ونمد إليه

(١) فى ط : « الذى » .

(٢) فى ط : « المترج » .

(٣) هذه العبارة ، من قوله : « فلا لاقى » إلى قوله : « إخفاقاً » ساقطة فى ت .

يَدَ الافتقار ، ونبسط كف الضراعة والاضطرار ؛ في كفّ التّن ، عن هذا الوطن ؛
وكف الكفار ، عن هذه الديار ؛ وتيسير الفرج القريب ، لهذا القطر الغريب ؛
وتسهيل الصعب العسير ، لهذا الصقع النائي عن الولي والنصير ؛ فيجمع بين^(١)
القلوب النافره ، والنفوس المتنافره ، افتراقا ؛ ويجعل دم العداة بسيوف الحماة
السكاة مُراقا ؛ ويُتخف بأنبائه المعجبه ، وأخباره المغربة المطربة ، شاما وعراقا .

أما بعد ، فإن الله على كل شيء قدير ، وإنه بعباده لخبير بصير ، وهو لمن
أهل نيته ، وأخلص طويّته ، نعم المولى ونعم النصير ؛ بيده الرفع والخفض ،
والبسّط والقبض ؛ والرشد والغي ، والنشر والطمى ؛ والمنح والمنع ، والضر والنفع ؛
والبطء والعجل ، والرزق والأجل ؛ والمسرّة والمساء ، والإحسان والإساءة ؛ [٩٣]
والإدراك والقوّة ، والحياة والموت ؛ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ،
فهو الفاعل في^(٢) الحقيقة ، وتعالى الله عما يقول الآفكون ، وهو الكفيل بأن
يُظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ؛ وإن في أحوال الوقت الداهية ،
لندكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعبرة لمن تفهم قوله تعالى :
إن الله يفعل ما يشاء ، وإن الله يحكم ما يريد ؛ فبينما الدُسُوت عامره ، والوُلاة
آمره ؛ والفئة مجموعته ، والدعوة مسموعه ؛ والإمرة مُطاعه ، والأجوبة سماعها
وطاعه ؛ إذا بالنعمة قد كُفرت ، والذمة قد خُفرت .

ثم قال رحمه الله :

« والسعيد من اتعظ بغيره ، ولا يزيد المؤمن عمره إلاّ خيراً ، جعلنا الله ممن
قضى بخيره ؛ وبينما الفرقة حاصله ، والقطيعة فاصله ، والمضرّة واصله ؛ والحبل

(١) في ت : « به من » .

(٢) في ط : « على » .

في انبتات ، والوطن في شتات ، والخلاف يمنع رَغَى مَتَات^(١) ، والقلوب شَتَى من قوم أَشْتَات ؛ والطاغية يَتَمَطَّى لقضم الوطن وقضمه ، ويلحظه لَحَظًا الخائف على هَضْمه والأخذ بكَظْمه ، ويتوقع الحسرة^(٢) « إن يأذن الله بجمع شمله ونظمه ، على رَغَم الشيطان ورغمه ؛ إذا بالقلوب قد ائتلفت ، والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ، والأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت ، والمتضرعة إلى الله قد ابتهت ، في إصلاح الحالة التي سلفت ؛ فألقت الحرب أوزارها ، وأذنت الفرقة النافرة مَزَارَها ، وجأت الألفة الدينية أنوارها ، وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ، ورَفَعَت الوحشة الناشئة أظفارها أعذارها ، وأرضت الخلافة الفلانية^(٣) أنصارها ، وغَضَّت الفِئَةُ المتعرضة^(٤) أبصارها ، وأصلح الله أسرارها ؛ فتجتمعت الأوطان بالطاعة ، والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة ، وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعة ، وألقت إلى الإمامة^(٥) الفلانية يد التسليم والضراعة ؛ فَتَقَبَّلَتْ فَيئَاتِهِمْ ، وَأَحْمَدَتْ جَيئَاتِهِمْ ؛ وَأَسْعَدَتْ آمَالَهُمْ ، وَارْتَضَيْتْ أَعْمَالَهُمْ ؛ وَكَمَلَتْ^(٦) [٩٤] مَطَالِبَهُمْ ، وَتَمَمَّتْ مَآرِبَهُمْ ؛ وَقَضِيَتْ حَاجَاتِهِمْ ، وَاسْتَمِعَتْ مَنَاجِيَتَهُمْ ؛ وَالسَّنَتُهُمْ بالدعاء قد انطلقت ، ووجهتهم في الخُلُوص قد صَدَقَتْ ، وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتَّفَقَتْ ، وَأَكْفَهُهُمْ بهذه الإمامة الفلانية قد اعتلقت ، وكانت الإدالة في الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرَّقت .

(١) الثبات (بفتح الميم) : ما يتوسل به من حرمة أو قرابة أو نحو ذلك .

(٢) في ت : « المسرة » .

(٣) يريد خلافة الغالب بالله صاحب غرناطة ، وقد سبق التصريح بذلك .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « المعترضة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأمانة » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وقلت » .

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

[وكَفَّتْ^(١) ، بقدرة ربه ، القدرة القاهرة^(٢) ، والعِزة الباهرة ، من عدوان الطاغية غوائل ، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل .
ومعلوم بالضرورة أن الله لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود ، وإن تُعدّوا نعمة الله لا تحصى دليل على ما سَوَّغَ الكرم والجود ؛ وإن من أعظم نعمه التي يُعْجَزُ عن أداء شكرها ، وإن طالت آماد الأعمار ، ويُتَنَاقَى في الثناء عليه في أمرها ، فلا يبلغون من ذلك معشار المعشار ، وتتجارى الألسنة والأقلام في تقرير وصفها ، فلا تصل من ذلك إلى حد يُقْنَع ولا إلى مقدار ؛ وفي مثلها قال الله تعالى]^(٣) : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار » . وما ذلك إلا مِنَّةٌ قدرها عظيم ، وخطرُها جسيم ، وصراط العدل بها مستقيم ، وبها أمتن الله في قوله : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » إلى : « حكيم » .
فهل يُستطاع شكرُ النعمة التي لا يكون إنفاق الأرض جميعا لها قيمة ، أو يختلف اثنان بوجه أو حال في كون هذه النعمة عظيمة ، أو يتماهى أحدٌ في كون جمع الكلمة في هذا الوطن الغريب مِنَّةً كبيرة ومنحة كريمة !

ومن استقرأ التواريخ المنصوصه ، وأخبار الملوك المقصوصه ؛ علم أن النصارى دمرهم الله لم يدركوا في المسلمين ثارا ، ولم يرفعوا^(٤) عن أنفسهم عارا .

(١) كفت : صرفت ومنعت .

(٢) في نفح الطيب : « وكفت القدرة القاهرة » .

(٣) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٤) فيما مر من هذا الجزء (ص ٥٠) : « ولم يرحضوا » .

قال جامع الموضوع وفقه الله :

قد قدّمتُ هذا من كلام الرئيس ابن عاصم ، وهو قوله : « ومن استقرأ التواريخ المنصوصة » فراجعها فيما سبق ، إلى قوله هناك : « وروية وارتجال » .

ثم قال هنا بآثره ما نصه :

« إلى أن استقلتُ هذه الدولة الفلانية على قواعدها ، واستقرت بأعلامها الراجحة ، وأعلامها الشاخحة ؛ واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطةً نشر الملكة عن الافتراق ، واستظهرت أبنائها الغرُّ من الوفاء بشيمٍ اعتلت بها أتم الاعتلاق ؛ فحفظ الله الدولة الفلانية إلا في النُدرة ، ووقاها من ذلك الأمر الصعب بوقاية من الاكتساب ووقاية من القدره ؛ وتناولت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعة » . [٩٥]

وقال جامع الموضوع وفقه الله : راجع تمام هذا الكلام فيما قدمناه إلى قوله هنالك : « اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين » .

وقال هنا بآثره ما نصه :

« وإنما النعمة التي لا يُقدَّر قدرُها ، ولا يُوفَّى شكرُها ؛ هي التي تكفّلت بتبيينها تكميفات [الأقدار ، وانجلت عن بيانها تديرات الفاعل المختار ؛ فجمع الله بها القلوب ، وهتياً ^(١) الغرض المطلوب ؛ وتتابع بيعات البلاد ، وتوافقت أهواء العباد ؛ وانتظم الملك جسماً واحداً له روح طاهر ، واستقل الإسلام رسماً ثابتاً حكمه نصّ وعدله ظاهر ؛ وهدى الله المسلمين مع جمع الكلمة إلى القصد الشرعي ، ووقفهم إلى القيام بحكمه المحتوم وحقه المرعي ؛ فاتخاذ السلطان في [مثل] ^(١)

(١) زيادة عن ت .

هذه الأوطان واجب قياسا وسماعا ، وتعدُّرُ الخلافة في مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا .
أيها الملأ المشتمل على الشرفاء الذين بتقديمهم [يُسْتَنْجَز من البركة
موعودها ، والعلماء الذين هم حَفَظَةُ الشريعة الحنيفية ^(١)] أن تُتَعَدَّى حدودها ؛
والأشياخ الذين بجهادهم استقرَّ واجبها ^(٢) ، واستقام واجبها ، واستند عمودها ،
والقواد الذين بحايتهم ^(٣) تقام أحكامها ، وتُحاط أعلامها ، وتُوَفَّى عهودها ؛
والفرسان الذين هم حُمَاتُهَا وَأُنْجَادُهَا ، وأنصارها وجنودها ؛ والخاصة الذين بهم
يرجع عملها ، وينجح أملها ، ويتم مقصودها :

تعلمون حقاً أن هذا الوطن القلاني كان قد تَعَيَّنَ للهلاك ، بسبب هذا الخلاف ،
وتوقعت القلوب المُشْفِقة حدوثَ الفارقة بسبب هذا الاختلاف ؛ وأن الشارع
صلواتُ الله وسلامه عليه يَمْنَعُ من كل ما يؤدِّي إلى المُفْرَقة بآتم الوجوه ، ويؤكد
الترغيب والترهيب بكل ما يخافُه المؤمن ويرجوه ؛ وأن الفقه ^(٥) المذهبي ، إذا [٩٦]
حصلت البيعة في الأعناق ، وتحلت بها تحلَّى الحَمَام بالأطواق ، معروف ومعلوم ؛
وأن اشتداده في سدِّ باب الافتراق ، على العموم والإطلاق ، لازم محتوم ؛
والأقدار الإلهية قد هيأت قصد الألفه ، بلا كلفه ؛ ويسرت سبب الاتفاق ،
بحكم الوفاق ؛ فأقبلوها نعمة مُسَدَّاه ، وتحفة مُهْدَاه ؛ وشدُّوا عليها أيدي الضَّئِنه ،
واعلموا ما فيها لله عليكم من المنَّة ؛ وتعاهدوا على ألا تُبْقُوا من الخلاف أثرا ،
واتفقوا على القصد الذي يخلصكم عند الله سمعاً ونظراً ؛ وفي هذا التيسير الذي
ساعدت به الألفافُ الخفيَّة ، وساعفت به من قبل الربِّ الصنائعُ الخفية ؛ ما يتأكد

(١) في ت : « حفظ الشريعة الحنيفة » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٢) استقر واجبها : سكن روعها بعد اضطراب .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) تعين ، أي تهلّل وتمزق ؛ مأخوذ من تعين السقاء ، وذلك إذا بلى ورق منه مواضع .

(٥) في ط : « العقد » .

به الاعتبار ، ويرشد إلى أنه أراد الله نفوذه ^(١) ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .
ومما يستكمل هذا القصد الذى أشرنا إليه ويستوفيه ، قول تاج الدين رحمه الله
عليه : ما ترك من الجهل شيئاً مَنْ أراد أن يُظهِرَ في الوجود غير ما أراد الله أن
يُظهِرَ فيه .

وفرض على كل إنسان في نفسه ما طلبه [به] ^(٢) الشارع ، وعذبت فيه
بالتفويض لحكم الله ^(٣) المَشارِع . فالواجب علينا أن نجتمع ونألف ، ونتفق ولا
نختلف ؛ ونعتمد صريح الفقه أخذاً وتركاً ، ونتبع صحيح النقل الذى لا يدع ريباً
ولا شكاً ؛ ونسأل من الله الهداية إلى سبيل السلف الذين سَبَقُوا ، ونعزم العزم على
أمر الله في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

وإن أولى الناس في ذلك بإرهاق العزيمة ، وتوخي السبيل المستقيمة ؛
والقيام بمضمون هذا الرسم المستقل ، والوفاء بتكميل قصد الكاتب فيه والمُمل ؛
[٩٧]
لخواص الدولة الفلانية الذين لحقهم التمحيص والاختبار ، وتخولتهم بأبلغ الموعظة
الأقضية والأقدار ؛ وهم الذين ربحت منهم في هذه السوق التجاره ، والمقصودون
بالخطاب من باب إياك أعنى واسمعى يا جاره ؛ وهم الممنون عليهم باسترجاع
المغصوب المُستحق ، والواقفون من انكسار القلوب ، والتنصل من الذنوب ،
موقف الأولى به والأحق ؛ والمُعْنِيُونَ بقوله : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » . ويختص منهم عماد الدولة ، وعميد الجُملة ،
بالخط الأوفر ، مما يتضمنه هذا التأنيب ؛ ويستمنح من الله عَقِبَ التذكرة ، بهذه
الموعظة : « وما يتذكر إلا من يُنِيب » .

(١) في ت : « إنفاذ نفوذه » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « لحكمه » .

فإنا إذا نظرنا إلى ما كان قد طرّق من الابتلاء ، وشاهدنا ما كان مُعَرَّضاً للوقوع من البلاء ؛ وراجعنا البصيرة في النعم التي كُنا عنها مَسْلُوبين ^(١) ، والثَّربَة ^(٢) التي كُنا عليها مغلوبين ، والأبواب التي كُنا عنها مُحْجُوبين ، والشَّرْذِمَة التي كُنا بها مَرْبُوبين ، [والأنفال] ^(٣) التي كُنا في عَدَدٍ مَن يُحْيِي رَسْمَهَا مُحْسُوبين ؛ وقد سَلَطَ اللهُ علينا كثيرا من الظَّلَمَة الذين أَعَنَّاهم ، فعند ذلك لَعَنَّاهم ، وأهاننا الذين كُنا أكرمناهم ، جزاء لما احترمتناهم ؛ فَنَسُونَا ، أحوَج ما كُنا إلى أن يذكرونا ، وخذلونا ، أفقر ما كُنا إلى أن ينصرونا ، وأسلمونا ، أشد ما كُنا فاقة إلى أن يُنجدونا ، وتركونا ، أعظم ما كُنا حاجةً إلى أن يُسعدونا ؛ وخانونا ، أظهر ما كُنا اضطرارا إلى وفائهم ، وظاهروا علينا ، أتم ما كُنا افتقارا إلى غنائهم ؛ فلا شك أن المؤاخذه كانت بسبب تلك الذنوب ، وأن الجناية هي التي أوجبت ما طَرَقَنا من الخطوب ؛ فأزف العذابُ ، وعاد من أعدى الأعدى الأحباب ، وتبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا وتقطعت بهم الأسباب ؛ وكادت العقوبة [٩٨] العظيمة أن تَلْحَقَ ، والأخذة الربانية أن تَمَحَقَ ؛ لولا أن الله تداركنا بالعفو ، وتجاوز عن الهَمِّ ؛ وأنالكم من الإدالة ما كنتم تؤمّلون ، واستخلفكم في الأرض لينظر كيف تعملون . فلنجعل ما وعظنا الله به من تلك الأزمات نُصَبُ الأعين ، ولننخذ حمده على ما منحنا من الإِنالة ^(٤) هَجِيرِ الألسُن ^(٥) ؛ ولنعلم أن ذلك التمهيص إنما كان تنبيهاً من الله على ما عَطَّلْنَا من حُدُوده ، وإيقاظاً من الغفلة عن القيام بحقوقه ، والوفاء بعهوده ؛ ولنتحقق أن ما مَنَّ اللهُ به من جَبَرِ الأحوال ، وخَلَفَ

(١) في ط : « مَسْلُوبين » .

(٢) في ط : « الرتبة » .

(٣) زيادة عن ت :

(٤) في ط : « الإقالة » .

(٥) هجير الألسن ، أى دأبها وشأنها .

الأموال ؛ واستقبال العز غصاً جديداً ، وصرف الهون وقد كان عذاباً شديداً ؛ إنما هو إبلاغ في الحجة علينا ، وإعذار بالموعظة إلينا ؛ وربما عاهدنا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، ولنزغن عما ارتكبناه من جرائم العاصين وجرائم الطالحين ؛ فالوفاء الوفاء حتماً [إن أردنا] ^(١) أن نكون من المفلحين . ولما ^(٢) أرف العذاب فرُفع إلا عمن كان من المصلحين ، « فلولاً كانت قرية آمنت » إلى قوله : « إلى حين » ؛ فلنقدّر [قدر] ^(٣) هذا التدارك ، الذي أخذ بأيدينا من مهاوى الانتقام ، ولنتأمل موقع هذا البلاء الذي أحلنا من تجديد النعمة بأسنى مقام ؛ ولنحذر نسيان ما ذكرنا به ، فلم نذكر تلك الشدائد بل نسيناها ، ولا نفرح بما أوتينا [فرح] ^(٤) المغرور الذي لا يتراجع ولا يتناهى ؛ فإن في ذلك أمل الشيطان وسؤله ، ولعن الله ومقتته ، قال الله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » إلى قوله : « بغته » .

اللهم هل بلغت ، وبالغت في النصيح وأبلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد .
[١٩] و « يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت » ، وإليه أبرأ من حولى وتقصيرى عما فيه قصرت ، وعما عنه نكلت » .

ثم قال رحمه الله :

« وإن مولانا السلطان الملك الفاضل التالى ذاكر ، العفيف الطاهر ، المسترجع الصابر ، المجاهد المصابر ، الم رابط المشاعر ^(٣) ؛ أمير المسلمين ابن نصر الخزرجي نسباً ، السعدى ^(٤) منشأ ، النصريّ جدا وأبا ؛ أيده الله على أعداء الدين ، وجعله

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وربما » .

(٣) المشاعر ، من الشغار ، وهو (هنا) : المعاونة في الحرب .

(٤) السعدى : نسبة إلى سعد بن عباد سيد الخزرج ، وإليه ينتهى نسب بني الأحمر ملوك غرناطة .

من الأئمة المهتدين ؛ ممن إذا جُنِيَ عليه غُفِر ، لَعَلَّنا به أنه حلِيم والله آخِذٌ بيده كلما عَثَرَ ؛ فأرشدنا بذلك إلى أنه كريم ؛ ومَن تطرَّقه الخطوب ، وهو بالألطف مصحوب ، وتُحَدِّقُ إليه النوايب وهو من نظرها الشَّرُّرُ محجوب ؛ ومَن جمع له الناس على أن يخشاهم فزاده إيماناً ، وقال : حسبى الله ونعم الوكيل ، فانقلب بفضل من الله ونعمه ، وممن صبر واسترجع في نقص الأموال والأنفس والثمرات ، [فَبَشِّرْ] ^(١) بصلوات من ربه ورحمه ؛ فتمالأت على أذيتِه أصناف من الناس في سرِّات متعدده ، وآناء من الدهر متجدده ؛ فأتعس الله جدودهم ، وأضرع إليه خدودهم ، وأرغم بحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ أنوفهم ، وردَّ عنه بسيف ^(٢) من الأقدار رماحهم وسيوفهم ، وأدنى لهم بأسباب مختلفة الأنواع حُتُوفهم : فَمِنْ آمَنَ أَخِذَ مِنْ مَّأْمَنِهِ الذى كان يستند إليه ، وَمِنْ خَافَ قَدْ أَدْهَشَهُ الرَّوْعُ فهو يحسب كل صيحة عليه ؛ فكان السنَّة الأقدار تنهائم عن منازعة الإرادة ، وكان واعظ الاعتبار يحذِّرهم من شقائهم الكفيل له بالسعادة ؛ وكان شاهد الحال يقول هذه إرادة الله قضاها ، وسنَّته السابقة أنفذها وأمضاها ؛ فَمِنْ المَنَازِعُ فيما حكم الله به وقضى ، وَمَنْ الساخط في الحل الذى يطلب فيه من الله الرضا ؟ ولو كان استيلاؤه على الملِك بقوة عصبِيَّة ، وإهلاك مناوئِهِ عن طبيعة غضبيَّة ؛ لارتاب في ذلك الناظر ، ووجد السبيل إلى الاحتجاج المُنَاطِر ؛ ولكنه طالما عُوِرض في الملِك فكُتِبَ معارضه لِفِيهِ ، وأُتيحت له النُّصْرَة من محلٍّ لم يحسبها فيه ؛ وشَدَّ ما احتال على نصرته غير واحد ، فانعكست عليه حيلته ؛ وتوسَّل إلى مكروهه ، فطاحت في قلب الانقلاب عليه وسيلته ؛ ويُغى عليه غير ما مرَّة فنصره الله على من بَغى عليه ،

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « بدفاع » .

(١) وابتغى بالسوء فردّه الله على من سعى به إليه ؛ ولعل ذلك لغيب عن العيان مكتوم ، وحكم من الحكيم العليم محتوم ؛ أو لأثر من الاختصاص قد علمه الله وليس لنا بمعلوم ، أو لأمر قد تقاصرت عنه مدارك العقول ، وكنت دونه رواجح الخُوم ؛ وهذه المعاني المقرّرة ، والمقاصد المحرّرة ، والمذاهب المفسّرة ، والفوائد المسطرّة ، وغرائب أحاديثها المشتهرة ، خصّ الملأ المقصود فيه بالتذكّره ، المعتمد منه بالإيقاظ والتبصرة ؛ من أعضاء الدولة ، وسيوف الصّولة ؛ وأولياء الخُلوص الزكي الشيمه ، وموالى النعمة الفلانية ، وهم الذين خولتهم موعظته الحسنه ، وأعجبتهم أغراضه المتعدده ، ومقاصده المستحسنه ؛ وعلموا أنه الحق ، فسألوا من الله التوفيق إليه ، والإرشاد إلى الاتصاف به والعمل عليه ، والهداية إلى التماس رضا الله لديه ؛ ووقفوا على ما هو لهم في هذا الكتاب منصوص ، وأن سلطانهم بمزية الدفاع عنه مخصوص ، وأنه قد تطابقت على إثارة نصوص ، واستوى (٢) في تسليم الطاعة له عموم وخصوص ؛ فجددوا له البيعة الوثيقة ، على ما أوجب في ذلك الحكم المشروع ، وأعطوه على ذلك العهد الأكيد حسبا اتفقت عليه أصول وفروع ؛ وعقدوا له مضمونها عقدا صحيحا ، وعهدوا (٣) على ما تقتضيه الشّنة صريحا ؛ وشهدوا له فيه على أنفسهم أنهم بالوفاء بها قائمون ، ولشروطها المرعية حافظون ، وعلى أحكامها الشرعية محافظون ؛ وعلى ما يُويع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، وإنحاض النصيحة جُهد الاستطاعة ؛ فأيديهم في السّلم والحرب مصروفة (٤) في مرضاته ، ونيتهم صادقة في مسنونات الوفاء ومفترضاته ؛ ولقد شاهدوا الفرقه وما جنته ، والفتنة وما فتنته ، والألفة وما سنّته ، والهدنة

(١) في ت : « وسمى » .

(٢) في ت : « واستولى في تسليم » . وفي ط : « واستوى في تسليم » . وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .

(٣) في ط : « وعهدا » .

(٤) في ت : « معروفة » .

وما قرّبت من إصلاح وأدّنته ؛ فليعتبطوا بها عهدا كريما ، وعقدا قد تضمن فضلا [عظيما بل] ^(١) عيما ، واستلزم إنعاما جسيما ، وليوفوا بها الوفاء الذي يؤليهم بها نعيما مقيما ، ويدفع عنهم عذابا أليما ، فإنه عز وجل يقول : « فمن نكث » إلى قوله : « عظيما » . وقد بسطوا أكنفهم إلى الله ضارعين ، وفي رحمته طامعين ، ولعظمته خاضعين ، ومن هيئته خاشعين ، ولخليفته طائعين ، وفي الخيرات مسارعين ؛ يذعنونه رغباً ورهباً مستنزلين لرحمته بالإخلاص والإجابة ، واقفين على قدم الرجاء بباب الذي أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ؛ ويسألونه خير ما قدره وقضاه ، والسلوك على ما فيه رضا .

اللهم بآبك قصّدا ، وقبولك أردنا ، وعلى فضلك اعتمدنا ، وإلى عزّتك استندنا ، وفي مرّضاتك اجتهدنا ، وبهدايتك استرشدنا ؛ فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأصلح لنا شأننا كله ؛ اللهم إنا بك مستنصرون ، وبعزّتك مستظهرون ، ولعناك مفتقرون ، ومن تقصيرنا مستعيذون ، ومن ذنوبنا مستغفرون ، ولشامل ^(٢) [١٠٢] عفوك منتظرون ، وفي خفيّ الطافك مستبصرون ، ولعظيم انتقامك مستحضرون ، واعيم صفحك مستشعرون ؛ فآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اللهم انصر من بايعناه سلطانا ، ومهد به بلاداً وأوطانا ، وأرغم بتوحيه للحق طاغية وشيطانا ، وآتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً . اللهم أغمر بالمسرة نادية ، وكاف ^(٣) عنا أياديه ، واكبت اللهم أعاديته ؛ وكن لنا ولياً ونصيراً ، فأنت نعم المولى ونعم النصير . وصلّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي ، القرشي الهاشمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، فأنت اللطيف وأنت الخبير .

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ت : « لشمول » .

(٣) الأصل : كاف . سهل الهمزة ، ثم عامل الفعل معاملة الناقص .

شئ من كلام
ابن عاصم عن
ابن فتوح

انتهى ما أردت نقله من جنة الرضا للرئيس أبي يحيى بن عاصم رحمه الله عليه .
ورأيت بخط الوادى آشى ناقلا من كتابه المسمى «بالروض الأريض» مانصه :
ابن فتوح إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي ، يكنى أبا إسحاق ، العالم
المتفطن ، صاحبنا ، محقق نظار ، وأستاذ فوائد تدريس لُجَيْن ونُصار ؛ كلاب
جواهر وواقيت ، ومناسك هُدَى لها من السعادة مواقيت ؛ فحسب الطالب
الموثوق بفهمه ، المصروف للتحصيل مطالع مواقع سهمه ^(١) ، أن يلازم حلقة تعليمه ،
وأن يشد يد الضنة بما يلقي من محصول تفهيمه ؛ فأكسير الإفادة ، إنما حصله
الوافدون ، من جابر ^(٢) صنعته ؛ وكيمياء السعادة ، إنما يلقاها ^(٣) الظافرون في نصرة
روضه المُخضَل ونَبْعته ؛ وقرض الشعر مما يمكن دخوله تحت فرع ، ويندرج
تحت قدرة تصرفه بجنسه ونوعه ؛ إلا أنه لَمَّا يَصْدُرُ منه عن قريحته كاتم ، وسالك
من البخل به على طرف النقيض مما سلكه حاتم .

فما علق بحفظى منه خطبة أرجوزة صنّفها في النجوم :

سبحان رافع السماء سَقفا ناصبها دلالة لا تخفى
مُبدعها فلا ترى فُرُوجا مُودعها الأفلاك والبروجا

[١٠٣]

انتهى . وإنما ذكرته لتعلم اصطلاحه في كتاب الروض الأريض . وقد
نقلت كلاماً آخر منه فيما سبق فراجعته ؛ ولو تتبعته ما حصل لدى من نظمه
ونثره لطال الكتاب جدا .

(١) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « المصروف للتحصيل مطامع... الخ » .
وكلتاها غامضة .

(٢) يورى باسم جابر بن حيان الصوفي من كبار الكيمائيين وتلميذ خالد بن يزيد بن
معاوية بن أبي سفيان .

(٣) في ط : « يتلفها » .

نشور سلطاني
ولي ابن عاصم
القضاء

وقد وقفت بقلعسان الحروسية^(١) على ظهير منشور سلطاني أصدر للرئيس
أبي يحيى بن عاصم المذكور ، بتقديمه للنظر في أمور القضاء وغيره ، ونصه :
هذا ظهير كريم إليه أنهيت^(٢) الظواهر ، شرفاً علياً ؛ وبه تقررت المآثر ،
برهاناً جلياً ؛ وراقت المفاخر ، قلانداً وحلياً ؛ وتميزت الأكابر ، الذين افتخرت
بهم الأقلام والمحابر ، اختصاصاً مولولياً^(٣) . فهو وإن تكاثرت المرسومات
وتعددت ، وتواتت المنشورات وتجددت ، أكبر مرسوم تتم في الاعتقاد نظراً
خطيراً ، وأحكم في التفويض أمراً كبيراً ، وأبرم في الاستخلاص^(٤) عزماً
أبياً ؛ اعتمد بمسطوره العزيز ، واختص بمنشوره الذي تلقاه اليمين بالتعزير ، من
لم يزل بالتعظيم حقيقاً ، وبالإجلال حرياً ؛ فهو شهير لم يزل
في الشهرة سابقاً ، هادي لم يزل بالهدى ناطقاً ، بليغ لم يزل بالبلاغة درياً ؛ عظيم
لم يزل في النفوس معظماً ، علم^(٥) لم يزل في الأعلام مقدماً ، كريم لم يزل في
الكرام سنياً ؛ اشتملت منه محافل الملك على [العقد]^(٦) الثمين ، وحلت به
المشورة في الكنف المحوط والحرَم الأمين ، فكان في مشكاة الأمور هادياً ،
وفي ميدان المآثر^(٧) جرياً ؛ فإلى مقاماته تبايع مقامات الإخلاص ، وإلى مرتبته
تنتهي مراتب الاختصاص ؛ فيمن حاز فضلاً ، وزين فعلاً^(٨) ، وشرف ندياً ؛
واستكمل هما ، واستعمل قلماً ، واستخدم مشرفياً ؛ فله ! ما أعلى قدر هذا
الشرف ، الجامع بين المُتَلَد والمُطَرَف ، السابق في الفضل أمداً قصياً ؛ الحال من [١٠٤]

(١) الكلام من ابتداء هذه الكلمة إلى آخر نص الظهير ساقط من ت .

(٢) في نفع الطيب (ج ٣ ص ٨٩ ؛ طبعة الأزهرية) : « انتهت » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « قولاً » .

(٤) في نفع الطيب : « الاختصاص » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « عالم » .

(٦) زيادة عن نفع الطيب .

(٧) في نفع الطيب : « المرشد » .

(٨) في نفع الطيب : « حاز خصبلاً ، وزين حفلاً » .

الاصطفاء مظهرًا ، الفارع من العلاء منبرًا ، الصاعد من العز كرسيًا ؛ حاز
الفضل إرثًا وتعصيبًا ، واستوفى السكال حظًا ونصيبًا ؛ ثناء أَرْجُهُ كالروض لو لم
يكن الروض ذابلًا ، وهدية نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ، ومجدًا علوه
كالشها لو لم يكن الشها خفيا ؛ فما أشرف الملك الذي اصطفاه ، وكمل له حق
التقريب ووفاه ، وأحلّه قرارة التمكن ، ومنّ باختصاصه بالمكان المكين ،
فسبق في ميدان التفويض وسمًا ، ورأى من الأنظار الحميدة ما رأى ، صاعدًا
بالحق إمامًا علمًا ، موضحًا من الدين نهجًا أممًا ، هاديًا من الواجب صراطًا سويًا ؛
بانيًا للمجد صرحًا مُشِيدًا ، مشهرًا للعدل قولًا مؤيدًا ، مُبرمًا للخير سببًا قويًا ؛
فألله تعالى يصل لمقام هذا ^(١) الملك الذي أطلع في سمائه بدرًا دونه البدر ، وصدرًا
تلوذ به الصدور ، سعدًا لا تماطله ^(٢) الأيام في تقاضيه ، ونصرًا يمضي به نصل
الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مَبْنِيًا ؛ ويُؤالي له عزًا يزود عن حرم الدين ،
ويمنحه تأييدًا يُصبح في أعناق الكفر حديث سيفه قَطْعِيًا ؛ أمر به مرسومًا
عزيرًا لا تبلغ الرسومات إلى مداه ، ولا تُبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ،
عبدُ الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله ، ابن الأمير المقدس فلان أيد الله تعالى
مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسر مرامه ؛ لإمام الأئمة ، وعلم
الأعلام ، وعماد ذوى العقول والأحلام ، وبركة حملة السيوف والأقلام ، وقُدوة
رجال الدين وعلماء الإسلام ؛ الشيخ الفقيه أبي يحيى ابن كبير العلماء ، شهير
العظماء ؛ حجة الأكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ؛ قاضى القضاة
وإمامهم ، أُوحد الجِلَّة وطُود شمامهم ، الشيخ الفقيه أبي بكر بن عاصم ، أبقاه الله
تعالى ؛ ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ، ومواهب الملك به معهودة الإحسان ،

(١) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « يصل لهذا » .

(٢) في نفح الطيب : « لا تماطله » .

وقلائد الأيادي منه مُقلَّدة^(١) بحيد كل إنسان ؛ قد تقرر والمفاخر لا تنسب إلا
لبنيها ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيد أركانها وينبها ؛ والسكال لا يصفى [١٠٥]
شربه ، إلا لمن يؤمن شربه ؛ وإن هذا العلم الكبير . الذي لا يفي بوصفه
التعبير ؛ علم بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ؛ وبإشارته يستشهد ، وبإرادته
يسترشد ؛ إذ لا أمد علو إلا وقد تحطاه ، ولا مرّ كب فضل إلا وقد تمطّاه ؛
ولا شارقة هذى إلا وقد جلاها ، ولا لبّة نحر إلا وقد حلاها ؛ ولا نعمة إلا
وقد أسداها ، ولا سُومة^(٢) إلا وقد أبداها ؛ لما له في دار الملك من الخصوصية
العظمى ، والمكانة التي تسوغ النعمى ؛ والرتب التي تسمو العيون إلى مرتقاها ،
وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ؛ حيث سر الملك مكتوم ، وقِرطاسه مختم ،
وأمره محتوم ؛ والأقلام قد رَوّضت الطروس وهي ذاويه ، وقسمت الأرزاق
وهي طاويه ؛ شقت ألسنتها فنطقت ، وقطت أرجلها فسبقت ؛ ويست فأنمرت
إنعاما ، ونكّست فأظهرت قواما ؛ وخطت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومُشّقت
فدَفّقت^(٣) ، وأبرّمت فأنعمت ؛ فكم يسّرت الجبر ، وعقرت المزبر ؛ وشنّقت
المسامع ، وكيّفت المطامع ؛ وأقلّت فيما ارتفع من المواضع ، وأحلت لما امتنع
من المراضع ؛ فهي تنجز النعم ، وتحجز النقم ؛ وتبث المذاهب ، وتحث المواهب ؛
وتروض المرّاد ، وتنهض المؤاد^(٤) ؛ وتحرس الأكفاف ، وتغرس الأشراف ؛
مُصَيّخة لنداء هذا العباد الأعلى ، طامحة لمكانه الذي سما واستعلى ؛ فيما يملئ عليها
من البیان ، الذي يقر له بالفضيل ، الملك الضليل^(٥) ؛ ويشهد له بالإحسان ،

(١) في نفح الطيب : « متقلّدة » .

(٢) كذا في نفح الطيب . والسومة (في الأصل) : العلامة . وفي الأصلين : « حرفة » .

(٣) في نفح الطيب : « فرقت » .

(٤) في ط ونفح الطيب : « المراد » . ولعلها محرفة عما أُمّنه .

(٥) الملك الضليل : لقب امرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر المعروف .

لسان حسان ؛ ويحكم له يترى القوس ، حبيب بن أوس ؛ ويهيم بما من الأساليب
عنده ، شاعر كنده ^(١) ؛ ويستمطر سحبه الثَّره ، فصيح المعرة ^(٢) ؛ إلى منشور
تزيل الفقر فقره ، وتدرّ الرزق درره ؛ لو انهى إلى قس إباد لشكر في الصنيعة
أياديته ، واستمطر سحبه وغواديه ؛ أو بلغ إلى سحبان لسخره ، وما فارقه عشيته
ولا سخره ؛ ولوراه الصابي لأبدى إليه من صبوته ما أبدى ؛ أو سمعه ابن عباد ، [١٠٦]
لكان له عبدا ؛ أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه ، واستنزر بضائعه ؛ أو أتحف
به البسقي لا تحذه بستانا ، أو عرض على عبد الحميد لأحمد من صوبه هتانا ؛ فأعظم
به من عال لا ترقى نديته ، ولا تحاز مزيته ؛ ولا يرجم أفعه ، ولا يكتم حقه ؛
ولا ينام له عن ^(٣) اكتساب الحمد ناظر ، ولا ينقاس به في الفضل مناظر ؛ وهل
تقاس الأجادل بالبغاث ، أو الحقائق بالأضغاث ؛ ألا وإن بيته هو البيت الذي
طلع في أفعه كل كوكب وقاد ، بمن رسخ ^(٤) به للعلوم اتقاء وانتقاد ، وتراعى ^(٥)
به للمدارك ذكاء وانتقاد ؛ فأعظم بهم أعلاما وصدورا ، وأهله وبدورا ؛ خلدت
ذكرهم الدواوين المسطره ، وسرت في محامدهم الأنفاس المعطره ، إلى أن نشأ
في سمانهم هذا الأوحد ، الذي شهرة فضله لا تجحد ؛ فكان قمرهم الأزهر ، ونيرهم
الأظهر ؛ ووسيلة عقدهم الأنفس ، ونتيجة مجدهم الأقدس ؛ فأبعد في المناقب
آماده ، ورفع الفخر وأقام عِماده ؛ وبني ^(٦) على تلك الأساس المشيده ، وجرى
لإدراك تلك الغايات البعيدة ؛ فسبق وجلّى ، وشنف بذكره المسامع وجلّى ؛ ورفع

(١) شاعر كنده : أبو الطيب أحمد بن الحسين المتني لأنه ولد بجملة كنده بالكوفة .

(٢) فصيح المعرة : أبو العلاء المعري .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « على » .

(٤) في نفح الطيب : « وشيخ » .

(٥) في نفح الطيب : « وتراعى » .

(٦) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « وبناء » .

المشكل ببيانه ، وحرّر الملتبس ببرهانه ؛ إلى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفعه الأصعد ، وبوأه عزيز ذلك المقعد ؛ فشرّف الخطّه ، وأخذ على الأيدي المشتطه ؛ لا يراقب إلا ربه ، ولا يضرر إلا العدل وحيه ؛ والمجلس السلطاني أعلاه^(١) الله تعالى يختصه بنفسه ، ويفرغ عليه من حُلل الاصطفاء ولبسه ؛ ويستمطر فوائده ، ويجرى^(٢) بأنظاره حقوق الملك وعوائده ؛ فكان بين يديه حكماً مُقسّطاً ، ومقتباً لحظوظ الإنعام مقسّطاً ، إلى أن خصّه بالكتابة المولوية ، ورأى له في ذلك حق الأولوية ؛ إذ كان والدّه المقدّس نعم الله تراه ، ومنحه السعادة في أخراه ؛ مُشرّف ذلك الديوان ، ومُعَلّي ذلك الإيوان ؛ يُخبّر رقايع^(٣) المُلُك فتروق ، وتلوح كالشمس عند الشروق ؛ خلّ ابنه هذا الكبيرُ شرفاً ، الشهير سلفاً ؛ مرتبته التي سمّت ، وافترت به عن السعد وابتسمت ؛ فسحبت به للشرف مطارف ، وأحرزت به من الفخر التالذ والطارف ؛ فهو اليوم في وجهها غرّه ، وفي غنيها قرّه ؛ والله هو في مُلاحظة الحقائق ورعيها ، وسمّع الحجج ووعنيها ؛ فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص ، وسبقهم في تبين ما يشكل منه وما يعتاص ؛ إذ المشكلة معه جليّة الأغراض ، والآراء لديه آمنة من مأخذ الاعتراض ؛ فكم رتبة عمرها بذويها ، فأكسبها تشريفاً وتنويهاً^(٤) ؛ وعلى ذلك فأعلام قضاة الوطن ، ومن عبّر منهم وقطن ؛ مع أقدارهم الساميه ، ومعاليهم التي هي للزهر مُساميه ؛ إنما رقتهم^(٥) وساطته التي أحسنت ، وزينت بهم المجالس وحسنت ؛ فبه أمضوا

(١) في نفح الطيب : « أسماء » .

(٢) في نفح الطيب : « يجرب » .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « وقائع » .

(٤) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « راقتهم » .

أَحْكَامَهُمْ ، وَأَعْمَلُوا فِي الْأَبَاطِيلِ احْتِكَامَهُمْ ؛ وَكَتَبُوا الرُّسُومَ ، وَكَبَتُوا الْخُصُومَ ؛ وَحَلَّوْا دَسْتِ الْقَضَاءِ ، وَسَلَّوْا سَيْفَ الْمَضَاءِ ؛ وَفِي زَمَانِهِ تَخَرَّجُوا ، وَفِي بُسْتَانِهِ تَأَرَّجُوا ؛ وَمَنْ خُلِقَ أَكْتَسَبُوا ، وَإِلَى طُرُقِهِ انْتَسَبُوا ؛ وَعَلَى مَوَارِدِهِ حَامُوا ، وَحَوْلَ فَرَائِدِهِ ^(١) قَامُوا ؛ وَبَتَّعْرِيفِهِ عُرِفُوا ، وَبَتَشْرِيفِهِ شَرُفُوا ^(٢) ؛ وَبِصِفَاتِهِ كَلَفُوا ، وَبِعِرْفَانِهِ وَقَفُوا ؛ فَأَمِنُوا مَعَ انْسِكَابِ سُحُبِ إِفَادَتِهِ مِنَ الْجَذْبِ ، وَقَامُوا بِذَلِكَ الْغَرَضِ بِسَبَبِ ذَلِكَ النَّدْبِ ؛ وَهَلِ الْعُلَمَاءُ وَإِنْ عَمَّتْ فَوَائِدُهُمْ ، وَانْتَضَمَتْ بِجِيَادِ الْأُذْهَانِ فَرَائِدُهُمْ ؛ إِلَّا مِنْ أَنْوَارِهِ مُسْتَمِدُّونَ ، وَإِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ أَنْظَارِهِ مِمْتَدُّونَ ، وَبِبَرَكَاتِهِ مَعْتَدُّونَ ، وَبِأَسْبَابِهِ مُشْتَمِدُّونَ ؛ فِيهِ اجْتُنِيتْ مِنْ أَفْنَانِ الْمُنَابِرِ ثِمَرَاتُهُمْ ، وَتَأَرَّجَتْ فِي رَوْضَاتِ الْمَعَارِفِ زَهْرَاتُهُمْ ؛ وَبِهِ عَمَّرُوا الْحَلِيقَ ، وَانْتَلَقَ مِنْ أَنْوَارِهِ مَا انْتَلَقَ ؛ إِذْ كُلٌّ مِنْ اصْطِنَاعِهِ مُحْسُوبٌ ، وَإِلَى بَرَكَتِهِ مَنْسُوبٌ ؛ فَهُوَ بَدْرُهُمُ الْأَهْدَى ، وَغَيْثُهُمُ الْأَجْدَى ؛ وَعَقْدُهُمُ الْمُقْتَنَى ، وَرَوْضُهُمُ الْمُجْتَنَى ؛ وَبَدْرُ مَنْزِلِهِمْ ، وَصَدْرُ مَحَافِلِهِمْ ؛ وَعَلَى مَا أَعْلَى الْمَقَامِ الْمَوْلَى مِنْ مَكَانِهِ ، وَقَضَى بِهِ مِنْ اسْتِمْكَانِهِ ؛ وَاعْتَمَدَ مِنْ إِبْرَامِهِ ، وَأَبْرَمَ مِنْ اعْتِمَادِهِ ، وَمَهَّدَ مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَأَكْرَمَ مِنْ مَهَادِهِ ؛ وَاخْتَصَّ مِنْ عُلَاهِ ، وَأَعْلَى مِنْ اخْتِصَاصِهِ ، وَاسْتَخْلَصَ مِنْ حُلَاهِ ، وَحَلَّى مِنْ اسْتَخْلَاصِهِ ؛ وَوَفَّى مِنْ تَكَرُّمِهِ ، وَكَرَّمَ مِنْ وَفَائِهِ ، وَاصْطَفَى مِنْ تَجَدُّدِهِ ، وَتَجَدَّدَ مِنْ اصْطِفَائِهِ ؛ وَقَدَّمَ مِنْ بَرَاعَتِهِ ، وَحَكَّمَ مِنْ يَرَاعَتِهِ ^(٣) ؛ وَشَقَّقَ ^(٤) مِنْ كِتَابَتِهِ ، وَأَنْطَقَ مِنْ خُطَابَتِهِ ؛ وَسَجَّلَ مِنْ أَنْظَارِهِ ، وَعَدَّلَ ^(٥) مِنْ اخْتِيَارِهِ ؛ فَذَكَازْ كَرُّهُ ،

(١) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « فَوَائِدُهُ » .

(٢) فِي ط : « أَلْفُوا » .

(٣) فِي ط : « بَدَاعَتِهِ » .

(٤) شَقَّقَ ، يَرِيدُ : افْتَنَ . مَأْخُوذٌ مِنْ شَقَقَ الرَّجُلُ الْكَلَامَ ، وَذَلِكَ إِذَا أَخْرَجَهُ أَحْسَنَ مَخْرَجٍ .

(٥) فِي ط : « عَجَّلَ » .

وسطا سَطَرُهُ ؛ وأمعن مَعْنَاهُ ، وأغنى مَعْنَاهُ . أشار أَيْدَهُ اللهُ تعالى باستئناف
 خُصُوصِيَّتِهِ وتَجْدِيدِهَا ، وإثبات مقاماته وتَجْدِيدِهَا ؛ لَتُعَرَفَ تلك الحدود فلا
 تُتَخَطَّى ، وتُكَبَّرَ تلك المراتب فلا تُسْتَعطَى ؛ فأصدر له — شكر الله تعالى إصداره ،
 وعمر بالنصر داره — هذا المنشور الذي تَأَرَّجَ بحامده نشره ، وتضمَّن من مناقبه
 البديع فَرَّاقَ طِيَّه ونَشْرَه ؛ وغدا وفرائد المآثر لديه مُوجدة مَكُونَه ، وأصبح
 للمفاخر مالكا لما أتى به مُدَوَّنَه ؛ وخصه فيه بالنظر المُطلق الشروط ، الملائم
 للتفويض ملازمة الشرط للشروط ؛ المستكمل القروع والأصول ، المُستوفى
 الأجناس والفصول ؛ في الأمور التي تختص بأعلام القضاة الأكابر ، وكتاب
 القضاة ذوى الأقلام والمحابر ، وشيوخ العلم وخطباء المنابر ، وسائر أرباب الأقلام
 القاطن منهم والغابر ؛ بالحضرة العلية ، وجميع البلاد النصيرية ؛ تولى الله جميع
 ذلك بمعهود سَتْرِهِ ، ووَصَلَ له ^(١) ما تعود من شَفْع اللطف ووِتره ؛ يحوط مراتبهم
 التي قُطِفَتْ من روضاتها ثمرات الحكم وجُنَيْت ، ويراعى أمورهم التي أقيمت
 على القواعد ^(٢) وُبْنِيَتْ ، وحقوقهم التي حُفِظَتْ لهم في المجالس السلطانية
 ورُعِيَتْ ؛ ويُحَلَّ كل واحد منهم في منزلته التي تليق ، ومَرْتَبَتِهِ التي هو بها خَلِيق ؛
 على مُقْتَضَى ما يعلم من أدواتهم ، وَيَخْبُرُ من تباين ذواتهم ؛ ويرُشَّح كل واحد
 إلى ما استحقَّه ، ويُؤْتَى كل ذى حق حَقُّه ، اعتمادا على أغراضه التي عدَّت ،
 وصَدَحَتْ على أفنانها من الأفواه طيورُ الشكر وهَدَلَتْ ؛ واستناداً في ذلك إلى
 آرائه ، وتقويضاً له في هذا الشأن بين خُلَصَاء الملك وظُهرائه ؛ وذلك لمُقْتَضَى
 ما كان عليه أعلامُ الرياسة الذين سبقوا ، واتَّهَضُوا بِهِمَّهم واستَبَقُوا ؛ كالشيخ

(١) في نفح الطيب : « لديه » .

(٢) في نفح الطيب : « العوائد » .

الرئيس الصالح أبي الحسن بن الجيّاب ، والشيخ ذى اليزارتين أبي عبد الله بن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

[١٠٩] فليقم — أبقاه الله تعالى — بهذه الأعمال التي سمت واعتزت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزت ؛ وسار بها الخير حيث سرى ^(١) ، وصار بها الحق مشدود العرى ؛ وعلى جميع القضاة الأصفياء ، والعلماء الأرضياء ، والخطباء الأولياء ، والمقرئين الأذكياء ، وحملة الأقلام الأخطياء ؛ أن يعتمدوا على هذا الولي العماد في كل ما يرجع إلى عوائدهم ، ويختص في دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم ؛ وما يتعلق بولاياتهم [وأمنياتهم] ^(٢) ، ويليق بمقاصدهم ونياتهم ^(٣) ؛ فهو الذي يسوغيهم المشارب ، ويبلغهم المآرب ؛ ويستقبل العلى بالعلی ، والعاطل بالخلی ، والمشكل بالجلي ؛ والمفرق بالتاج ، والمقدمة بالإنتاج ؛ وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولايتهم ^(٤) وأبقاهم ، ولقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم ؛ فليجروا على ما هم بسبيله ، وليبتدوا برؤس ^(٥) هذا الاعتناء ودليله .

وكتب في صفر عام سبعة وخمسين وثمان مئة . انتهى .

وإنما كتبته برؤيته لتعلم به مصداق ما قدمناه من تمكن ابن عاصم المذكور من مراتب الاصطفاء والاحتفاء ^(٦) .

ولنختم ترجمته ، رحمه الله ، بتخميس عجيب من نظمه :

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ الْأَنْوَارَ وَاحْتَجَبَنَا وَكَلَّ حَمْدَ وَتَمْجِيدَ لَهُ وَجَبًا

تخميس
لابن عاصم

(١) في نفح الطيب : « ... الخبر حيث السرى » .

(٢) زيادة عن نفح الطيب .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « وأفضياتهم » .

(٤) في نفح الطيب : « ولاياتهم » .

(٥) في نفح الطيب : « برشد » .

(٦) إلى هنا ينتهي الساقط من نسخة ت .

إذا ابتغى العقل في إدراكه سبباً جاء الحجاب فالتقى دونه الحجباً
حتى إذا ما تلاشى عندها ظهراً

سُبْحان مَنْ كان والأَكوانُ لم تكن في غير أين ولا وقت ولا زمن^(٢)
حتى أتى الجود بالإيجاد والمسنن وكان ما^(١) قد رَسَمناه بما ومن^(٣)

وأظهر الشمس ذات النور والقمر

سُبْحان مَنْ حَجَبَ الأبصارَ فاحتجبت وكَم أراد مُريدُ نيلها فأبَت
مَنْ حَدَّثته أمانيه فقد كَذَبَتْ حَقِيقَةُ ذاتها عن ذاتها وَجَبَتْ

لا يُدرك العقل من أخبارها خبراً

سُبْحان مَنْ شأنه في شأنه عَجْبٌ يَخْفَى فيظهر أو يبدو فيحتجب [١١٠]
يأيها العاكفون السادة النجب هل فيكم مَنْ سعى سعيًا كما يجب
فجاز بالعرض المطلوب أو ظفراً

سُبْحان مَنْ لم يزل بالعلم مُنفرداً ومن تعالى عن الأشباه فاتَّحداً
سبحانه وتعالى واحداً صمداً تبارك الله لم يولد ولم يلد^(٤)

تنزه الله عما يلحق البشر

سبحان مَنْ أخرج الموجودَ من عَدَمٍ رَسْمًا برى كَوْنَه في غير مُرْتسمٍ
فلا محل سوى كُنْهِ من الكَلَمِ ولم يَزَلْ هو في دَيْمومة القِدَمِ

مؤثراً يخلق التأثير والأثر

سبحان مَنْ خلق الأشياء أجمعها فمن رآها رأى أفعاله معها

(١) الأبن : الإعياء .

(٢) في ط : « من » .

(٣) بما ومن : يريد ما خلق الله مما لا يعقل ومن يعقل .

(٤) في ط : « وما ولدا » .

وكان أَتْقَنَهَا صُنْعًا وَأَبْدَعَهَا نَفْسٌ إِلَى الْعَالَمِ الْعُلُوى رَفَعَهَا
وخصَّها من معاليه بما بهرًا

سُبْحان من عَمَّ بالإِنعام ما خَلَقًا وَشَفَّعَ الْعَدْلَ بِالإِحسان فَاتَّقَا
وزاد بالدِّكر في قلب التَّقَى تَمَى فاستكمل الدينَ والإيمانَ والخُلُقَا
وكان مدرُّهُ الصديقَ أو عَمَرَا

سُبْحان من سَبَّحْتَهُ كُلُّ ساجِدَةٍ وكلُّ عائِمَةٍ في الماءِ سائِمَةٍ
وكلُّ غاديةٍ تَغْدُو ورأحِمَةٍ وسَبَّحْتَهُ خَفايا كُلِّ جانِحَةٍ
لم تعرف السرَّ حتى جاورت صُورَا

سُبْحان من حمدته ألسُنُ البَشَرِ في السرِّ والجَهْرِ والآصالِ والبُكَرِ
وفي دُجى تَشْدُو نصفَ الليلِ والسَّحَرِ بالشُّكرِ والدِّكرِ والآياتِ والشُّورِ
تُؤَلِّيه حَمْدًا وتتلو بعده سُورَا

سُبْحان من نَزَّهَتَهُ ألسُنُ عَزَفَتِ عَنْ كُلِّ ما يُؤْهِمُ التَّشْبِيهَ إِذْ وَصَفَتْ
صَفًا لها مَوْردِ التحقيقِ حينَ صَفَتْ فلمْ تَقَارِقْهُ حتى أَثْبَتَتْ وَنَفَتْ
ولم تَدَعِ شُبُهَةً تُؤْذِي ولا ضَرَرَا

سُبْحان مَنْ شُكْرُهُ في الدينِ مُفْتَرَضٌ وليس يُشْبِهُه جِسْمٌ ولا عَرَضٌ
يَنْهَى وَيَأْمُرُ ما في ذا وَذا غَرَضٌ فَادْكُرْ لِنُعْمائِهِ ذِكْرًا لَيْسَ يَنْقَرِضُ
فمن تَحَدَّثَ بِالنُّعْمَى فَقَدْ شَكَرَا

[١١١] سُبْحان من خضع السَّبْعُ الطَّباقُ لَهُ وَأَعْظَمَتَهُ قُلُوبُ حَشَشِ وَها وَلَهُ
تريد أن تعلمَ الأَبْقَى وتَعْقِلَهُ طُوبَى لِمَنْ أَمَلَ الأَبْقَى وَأَمَّ لَهُ (١)
واستكثر الزادَ لَمَّا آتَسَ السَّفَرَا

(١) ورد هذا البيت محرفا هكذا في ت :

تريد تعلم ما تقى وتعمله طوبى لمن أمل الأتقى وأم له

سُبْحَانَ مَنْ زَيَّنَ الْأَفْلَاكَ بِالشُّهُبِ وَبَيَّنَ الدِّينَ بِالْآيَاتِ^(١) وَالْكِتَابِ
وَلَمْ يَدْعُنَا لَدَى لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ^(٢) لَكِنْ نَهَانَا وَآتَانَا عَلَى الرُّتَبِ
حَتَّى اتَّهَيْنَا وَأَذَعْنَا لِمَا أَمَرَا
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ فَتَارَةً تَتَنَاءَى ثُمَّ تَأْتِلُفُ
هَذَا الظَّلامُ بِنُورِ^(٣) الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ كَمَا الضَّلَالُ لِنُورِ الْعِلْمِ لَا يَقِفُ
فَسَلَّهُ نُورًا يُبَيِّرُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَخْلَاقَ وَالْخَلْقَ وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَ وَالظُّلُمَاءَ وَالنَّسَقَ
يَرْوِقُكَ الْكُلُّ مَجْمُوعًا وَمُفْتَرَقًا وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاسْلُكْ نَحْوَهُ طُرُقًا
فَأَسْعِدُ النَّاسَ مَنْ فِي نَفْسِهِ نَظَرًا
سُبْحَانَ مَنْزِلِ مَاءِ الْمُرْنِ فِي الْمَطَرِ يُرْوِي النَّبَاتَ وَيَسْقِي يَارِيعَ الشَّعِيرِ
كَأَنَّمَا الزُّهْرُ تُهْدِيهِ إِلَى الزُّهْرِ إِذَا رَأَيْتَ تَلَاقِيهَا عَلَى قَدَرٍ
رَأَيْتَ صُنْعَ قَدِيرٍ أَحْكَمَ الْقَدَرَا
سُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ الْأَقْوَاتَ وَالْأَجَلَا وَتَابَعَ الْوَحْيَ وَاسْتَتَلَى بِهِ الرُّسُلَا
فَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ الْفَوْقِ قِيلَ غَلَا وَمَنْ تَجَوَّزَ مُنْحَطًا فَقَدْ سَفَلَا
وَمَنْ تَخَطَّى خُطُوطَ الْمُنتَهَى كَفَرَا
سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ فَانْفَجَرَتْ وَقَدَّرَ الْخَيْرَ فِي إِجْرَائِهَا فَجَرَتْ
فَزِينَةُ الْأَرْضِ بِالْأَزْهَارِ قَدْ ظَهَرَتْ وَلِلْبَصِيرَةِ عَيْنٌ كُلَّمَا نَظَرَتْ^(٤)
رَأَتْ جَمَالًا وَإِجْمَالًا وَمُعْتَبَرًا

(١) في ط : « في الآيات » .

(٢) في ت : « ولا لعب » .

(٣) في ت : « بضوء » .

(٤) في ت : « بصرت » .

سبحان من خلق الإنسان من علقٍ وأعقب الليلة الليلاء بالقسقِ
 يا بهجة الشمس دوني عُدْتُ^(١) من فلقٍ وياسناً البدر عارض ثمرة الشفقِ
 حتى تُعيد لنا من ليلنا سحرًا

سُبحان من علم الإنسان بالقلم وسلطَ لهم والبُلوى على الهممِ
 فقاومتها جنودُ الصبر والكرمِ ثم ابتلى قلبَ غير العارف الفهمِ
 فما أطاق ولا أوفى ولا صبرًا

[١١٢] سبحان من خلق الإنسان من عجلٍ فليس يمشى إلى شيءٍ على مهلٍ
 ولا يقول سوى هذا وذلك لي مُقسَّم الحال بين الحرص والحيلِ
 فليس تلقاه إلا ضارعًا حذرًا

سبحان من زانه بالعلم والأدب وبالفضائل والإيمان والطلبِ
 فلا يزال حليفَ الفكر والتعبِ رامَ الكمال فلم يَبْلُغ ولم يَحِبِ
 ولم يَرِدْ بعدُ في رِيٍّ ولا صدرا

سبحان من شأنه بالكبر والأشرِ يُمشي ويصبح في غَيٍّ وفي بَطَرِ
 مُردَّد العزم بين الجبن والخورِ لا يستفيق من الشكوى إلى البشرِ
 ولا يُرْخِز عن ظلمٍ إذا قدرًا

سبحان مُحرقه في وقْدَةِ الحسدِ فلا يزال أخا غِيظٍ وفي نكدِ
 كالبحر يرمى إلى العينين بالزبدِ إذا رأى أثرَ الثُغْمى على أحدِ
 يودَّ لو كان أعمى لا يرى ضجرًا

(١) في ت : « النفس » .

(٢) في ت : « عدت » بالفتح المهملة .

سُبْحَانَ مَنْ أَمَرَ الْأَرْوَاحَ فَأَتَمَّرَتْ نِمَّ اسْتُدِّمَتْ فَلَمْ تَنْهَضْ بِمَا أُمِرَتْ
وَكُلُّ نَفْسٍ إِذَا سَامَحَتْهَا فَجَرَتْ فَلَا تَصِلُهَا إِذَا خَانَتْكَ أَوْ غَدَرَتْ
وَاقْطَعْ عِلَاقَ مَنْ قَدْ خَانَ أَوْ غَدَرَ

سُبْحَانَ مَنْ بَسَطَ التَّعْلِيمَ نِمَّ طَوَى فَأَعْقَبَ الْقَلْبَ وَجَدًا دَائِمًا وَهُوَ
وَذَابَ^(١) فِي مُلْتَضَى أَشْوَاقِهِ وَذَوَى وَكَانَ أَرْمَعُ وَاسْتَوْفَى الْمُنَى وَنَوَى
حَبَّجًا فَلَمَّا أَتَى مِيقَاتَهُ حُصِرَا

سُبْحَانَ مَنْ فِي بَسَاطَةِ الْعَدْلِ أَجْلَسَنَا وَبِاغْتِفَارِ عَظِيمِ الذَّنْبِ آنَسَنَا
وَزَانَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا فَكَانَ أَعْظَمُنَا قَدْرًا وَأَنْفَسَنَا
مَنْ أَتَمَّى أَوْ نَهَى أَوْ خَافَ فَازْدَجَرَ

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ بِالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا وَخَافَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ أَنْفُسَنَا
لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ^(٢) وَالْحَسَنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا لِسَانًا نَاطِقًا لَسِنَا
وَلَا دَرَيْنَا : أَبَاحَ الشَّرْعُ أَوْ حَظَرَ

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ وَالْحَشَرَ وَالنَّشَرَ مَنَاجَاً مِنَ الضَّرَرِ
فَلَا خُلُودَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي سَقَرٍ وَلَا وُصُولَ إِلَى أَمْنٍ بِلَا حَذَرٍ
حَتَّى تَكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرَا

سُبْحَانَ مَنْ إِنْ يَشَاءُ أَعْطَاكَ أَوْ مَنَعَا وَمَنْ إِذَا شَاءَ أَمَرَ حَادِثًا وَقَعَا [١١٣]
وَتَارَةً يَخْفِضُ الْأَمْرَ الَّذِي رَفَعَا يَوْمًا يَفَرِّقُ لِلْإِنْسَانِ مَا جَمَعَا
وَلَا يُبَالِي بِمَنْ أَتَى وَمَنْ خَسِرَا

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ يَوْمَ الْفَصْلِ يَجْمَعُنَا وَلِلنَّعِيمِ بِفَضْلٍ مِنْهُ يَرْفَعُنَا

(١) في ط : « وزاد » .

(٢) في ت : « المسنون » .

مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا أَهْوَالٍ تُرَوِّعُنَا يُرَى لَهَا وَالَهَا هَيَّانَ أَوْرَعُنَا
 حَيْرَانَ عُرْيَانَ يُبْدِي كُلَّ مَا سُتِرَا
 سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ فِي الدُّنْيَا سَعَادَتَنَا بِطَاعَةٍ أَحْسَنَتْ مِنَّا إِرَادَتَنَا
 وَيَبْتَلِينَا وَيَسْتَحِلِّي عِبَادَتَنَا حَتَّى إِذَا شَاءَ فِي الْآخِرَى إِعَادَتَنَا
 أَعَادَنَا مِثْلَ مَا كُنَّا كَمَا ذَكَرْنَا
 سُبْحَانَ مَنْ يَحْشُرُ الْإِنْسَانَ مُكْتَتِبًا خَوْفَ الْجَزَاءِ وَيَجْزِيهِ بِمَا كَسَبَا
 وَيَحْكُمُ الْحُكْمَ يُخْصِيهِ كَمَا وَجَبَا فَالْقَاسِطُونَ إِلَى نِيرَانِهِ عُصَبَا^(١)
 وَالْمُقْسِطُونَ إِلَى جَنَّاتِهِ زُمَرَا
 سُبْحَانَ مَنْ فَضَّلَ الْإِسْلَامَ فِي الْأُمَمِ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرِ الْمُبْعُوثِ فِي الْحَرَمِ
 مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ إِذَا عَدَدَتْ بِيُوتَ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
 فَفَنَّهُ حَتَّى إِلَى عَدْنَانَ أَوْ مُضَرَ
 سُبْحَانَ مَنْ خَتَمَ الْأَدْيَانَ فِي الْأَزَلِ بِالْمِلَّةِ السَّمْحَةِ الْبَيِّضَاءِ فِي الْمِلَلِ
 أَتَى بِهَا خَيْرُ مَأْمُورٍ وَمُمْتَثِلِ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ السَّادَاتِ وَالرُّسُلِ
 وَخَيْرُ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ
 إِذَا وَصَفْنَا فَبِالْتَقْصِيرِ تَعْتَرِفُ فَكُلُّ لَفْظٍ بَلِيغٍ دُونَهُ يَقِفُ
 هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي فِي ذِكْرِهِ شَرَفُ فَإِنْ طَلَبْتَ رِضَاهُ بِالَّذِي تَصِفُ
 فَكُنْ عَلَى وَصْفِهِ فِي الذِّكْرِ مُقْتَصِرَا
 صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِ مَا بَدَأَ قَرُ وَمَا سَرَتْ فِي الدِّيَاجِي أَنْجَمُ زُهْرُ
 وَمَا تَبَايَنْتِ الْأَشْكَالُ وَالصُّورُ وَمَا تُدَوِّرُ سَتِ الْآيَاتِ وَالشُّورُ
 وَمَا قَضَى مُؤْمِنٌ مِنْ حَاجَةٍ وَطَرَا

وبالجملة فابنُ عاصم أبو يحيى كان يسميه أهلُ زمانه ابنَ الخطيب الثاني ،
حسبما قاله الوادى آشئ وغيره .

ولا بد أن نلّم ببذمة من أخبار ابن الخطيب [السّلماني الوزير]^(١) : إذ هو [١١٤]
لسان الدين ، ونفخ الإسلام بالأندلس في عصره ، فنقول : هو محمد بن عبد الله
ابن سعيد [بن عبد الله بن سعيد]^(٢) بن علي بن أحمد السّلماني ، قرطبي الأصل ،
ثم لَوْشِيَّة^(٣) ، يُكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرفة بلسان الدين ،
الوزير الشهير ، الطائر الصيت ، المثل المصروب في الكتابة والشعر والمعرفة
بالعلوم على اختلاف أنواعها ، رحمه الله .

تعريف
بابن الخطيب

أوليته :

أوليته ونسبه

قال ابن الأحرر^(٣) في نثر فرائد الجُمان في حقه ما نصه : « ذو الوزارتين الفقيه
الكاتب ، أبو عبد الله محمد ، ابن الرئيس الفقيه الكاتب المُفتي^(٤) ببلدة لَوْشَة ،
عبد الله ، ابن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح
ولي الله الخطيب سَعِيد السّلماني اللَّوْشِيّ ، المعروف بابن الخطيب » . انتهى .
وقال غيره : إن بيتهم يُعرَف في القديم ببني الوزير^(٥) ، ثم في الحديث

(١) زيادة عن ت ونفخ الطيب .

(٢) لَوْشِيَّة : نسبة إلى لَوْشَة (بفتح فسكون) : مدينة بالأندلس غربي ألبيرة قبل قرطبة ،
منحرفة يسيرا ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، بينها وبين غرناطة عشرة
فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٣) ابن الأحرر : هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد
ابن الأحرر .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « المعتزى » . يريد المنتسب إلى بلدة لَوْشَة . إلا أن هذا
الفعل يتعدى بإلى . وفي نفخ الطيب المطبوع والمخطوط : « المنتزى » .

(٥) كذا في نفخ الطيب . وفي ط : « وزير » . وفي ت : « وزيد » .

ببني الخطيب . وسعيدٌ جدُّه الأعلى أول من تلقَّب بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ، وكذلك سعيد جدُّه الأقرب كان على خلال حميدة ، من خَطِّ ، وتلاوة ، وفقه ، وحساب ، وأدب ، خيرًا ، صَدْرًا ، تُؤمِّي عام ثلاثة وثمانين وست مئة ؛ وأبوه عبدُ الله كان من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي جعفر بن الوزير ^(١) ، وغيرها ^(٢) ، وأجازه طائفة من أهل المشرق ، وتُؤمِّي بطريف عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام مفقوداً ^(٣) ثابت الجأش ، شكر الله فعله . قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة : أنشدتُ والدي أبياتاً من شعري ، فسرَّ وتهلَّل ، وارتجل رحمه الله تعالى :

الطبُّ والشَّعرُ والكَتَّابُ سِمَاتُنَا فِي بَنِي النَّجَابِ
هِيَ ^(٤) ثَلَاثُ مُبَلِّغَاتٍ مَرَاتِبًا بَعْضُهَا الْحِجَابِ

[١١٥]

اتهى .

نَسَائِمُ :

نشأته وشيوخه

ونشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سنن أسلافه ، فقرأ القرآن على المكتَّب ، الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولى العَوَّاد ، تَكْتِبًا ، ثم حفظًا ، ثم تجويدًا ؛ ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ؛ وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جَزَى ؛

(١) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « زبير » .

(٢) كذا في ت ونفح الطيب . والذي في ط : « وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي

إسحاق بن زروال ، » وغيرها » .

(٣) كذا في الأصلين ونفح الطيب .

(٤) في نفح الطيب : « هن » .

ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيري ، شيخ النحويين لعهدده ؛ وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر ؛ وتآدب بالرئيس أبي الحسن بن الجيّاب ؛ وروى عن كثير من الأعيان ، كالحديث شمس الدين بن جابر ، وأخيه أبي جعفر ، والقاضي أبي البركات بن الحاج ، والشيخ أبي محمد بن سلمون ، وأخيه أبي القاسم بن سلمون ، وأبي عمرو بن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وله رواية عالية ، والأستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيش^(١) ؛ والحديث الكاتب أبي الحسن التلمساني المسين ، والقائد الكاتب أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم ، والقاضي الحديث أبي بكر ابن شيرين^(٢) ، والشيخ أبي عبد الله ابن الفقيه القاضي أبي عبد الله بن عبد الملك ، والخطيب أبي جعفر الطنجالي ، والقاضي أبي بكر بن منظور ، والرواية أبي عبد الله بن حزب الله ، وعن أشهر أسلافنا المتأخرين القاضي أبي عبد الله محمد المقرئ القرشي ، التلمساني المولد والمنشأ والمقبر ، قاضي الجماعة بفاس ، وعن [١١٦] الشريف أبي علي حسن بن يوسف ، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبي عبد الله ابن مرزوق ، وعن الحديث الفاضل الحسيب أبي العباس بن يربوع السبتي ، والرئيس الكاتب أبي محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي ، والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب المالقي ، آخر الرواة عن^(٣) ابن أبي الأحوص ، وعن أبي عثمان ابن ليون من أهل المريّة ، وعن القاضي أبي الحجاج المنتشافي^(٤) ، من أهل رُنْدَة ، إلى غيرهم ممن يطول ذكره من أهل الأندلس ، والعدوة الغربية ،

(١) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « بيش » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « بقرين » .

(٣) في ت : « علي » .

(٤) كذا في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٩٥ طبعة بلاق) . وفي ط : « المشتافي » .

وفي ت : « المنتشافي » .

والمشرق وإفريقية بالإجازة ؛ وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام
أبي زكريا يحيى بن هذيل ، ولازمه .

تأليفه :

مؤلفاته

قال ابن الأحرار رحمه الله : « [لابن الخطيب ^(١)] الأوضاع المصنفات ، التي
آذانُ إحسانها هي المقرّطات المشنّفات ، منها في التصوف الذي أكثر أهل
الحقائق إليه نظر التشوّف : روضة التعريف بالحب الشريف . انتهى .

ثم سرد غيرها من كتبه ، ومنها : الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، في خمسة
عشر سِفرًا ؛ واللّوحة البدرية في الدولة النّصيرية ؛ والحُلل المرقومة ؛ ومُثلى
الطريقة ، في ذم الوثيقة ؛ والسحر والشعر ^(٢) ؛ وريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب ،
في أسفار ؛ والصّيّب والجهام ، والماضى والكهام ، في مجموع شعره ؛ ومِقيار
الاختيار ^(٣) ؛ ومفاضلة مائة وسلا ؛ ورسالة الطاعون ؛ والمسائل الطبية ، في سفر ؛
والرّجَز في عمل التّرياق ؛ واليوسُفي في الطب ، في سفرين ؛ والتّاج الحليّ في
مَساجلة القُدَح المَعَلّى ؛ والكتيبة الكامنة ، في أدباء ^(٤) المئة الثامنة ؛ ونفاضة
الجِراب ، في أربعة أسفار ، وهي من أحسن تأليفه ، ولم أزل أكثر البحث
في هذا التاريخ عنها ، فلم أقف منها على عين ولا أثر ، إلا عدة أوراق متفرقة ،
وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها . والبيّزرة ، في سفر ؛ والبيطرة ، في سفر
جامع ، لما يرجع إليه من محاسن الخيل وغيره ؛ ورسالة تسكّون الجنين ؛ والوصول
لحفظ الصحة في الفصول ؛ ورجز الطب ؛ ورجز الأغذية ؛ ورجز السياسة ؛

(١) زيادة عن نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٢) .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٤) . وفي ت : « والشعر » .

(٣) في نفح الطيب : « الأخبار » .

(٤) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « في شعراء » . وفي ط : « في آداب » .

وكتاب الوزارة ؛ ومقامة السياسة ؛ والغيرة على أهل الحيرة ؛ وحمل الجمهور على [١١٧] السّنن المشهور ؛ والزبدة المعخوضة ؛ والرد على أهل الإباحة ؛ وسد الذريعة ؛ في تفضيل الشريعة ؛ وخطرة الطيف ؛ ورحلة الشتاء والصيف ؛ وطرفة العصر في دولة بني نصر ، في ثلاثة أسفار ؛ وتقرير الشبه ؛ وتحرير الشبه ؛ واستنزال اللطف الموجود في سر الوجود ؛ وبستان الدول ، وهو غريب في معناه ، في فنون السياسة ، في ثلاثين جزءاً ، ولم يكمل ؛ وأبيات الأبيات ، فيما اختاره رحمه الله من مطالع ماله من الشعر ؛ ورّقم الحُلل في نظم الدول ، في غاية من الخلاوة والعدوبة والجزالة ؛ وفتات الخوان ، ولقط الصوان ، في سفر يتضمن المقطوعات ؛ وعائد^(١) الصلة ، في سفرين ، وصل به صلة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ؛ وتخليص^(٢) الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات ؛ وجيش التوشيح ؛ ورجز في أصول الفقه ، شرحه ولي الدين بن خلدون ، صاحب التواريخ المشهور ؛ والإكليل الزاهر^(٣) ؛ وكُناسة الدُّكان بعد انتقال الشكان ؛ وعمل مَنْ طَب لمن حَب ؛ والدرر^(٤) الفاخره ، واللّجج الزاخره ، جمع فيه نظم بن صفوان ؛ والمباخر الطيّبه في المفاخر الخطيبية ؛ وخلع الرّسن في أمر القاضي ابن الحسن ؛ وأعمال الأعلام ، فيمن^(٥) بويغ من ملوك الإسلام ، قبل الاحتلام^(٦) . وألف أيضاً في الوسيق ، ومصنفاته زادت على الخمسين ، وقد ذكرنا نحو الخمسين^(٧) .

(١) في ط : « غاية » .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « تلخيص الذهب ... الخ » .

(٣) اسم الكتاب كاملاً كما في نفح الطيب : « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » .

(٤) كذا في نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٥) . وفي الأصلين : « والدره » .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « بمن » .

(٦) اسم الكتاب كما في نفح الطيب : « أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يجر ذلك من شجون الكلام » .

(٧) تختلف مؤلفات ابن الخطيب المذكورة في نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٣ — ٦٥٥) عنها هاهنا زيادة ونقصانا .

رأى ابن الأحمر
فيه

ماله :

قال ابن الأحمر :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والثنيا ؛ وكاتب الأرض ، إلى يوم
العرض ؛ لا يدافع مدحه في الكتب ، ولا يُجَنِّحُ فيه إلى العتب ؛ آخر من
تقدّم في الماضي ، وسيف مقولة ليس بالكهام إذ هو الماضي ؛ وإلا فانظر [١١٨]
كلام الكتاب الأول من العُصْبَة ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصة ؛
للبراعه ، بالبراعه ؛ وبه أسكت صائلهم ، وما مُحدث بُكرهم وأصائلهم ؛
المشوبة ^(١) بالحلاوه ، المُمكنة من مفاصل الطلاوه ؛ وهو نفيس العُذوتين ،
ورئيس الدولتين ؛ بالاطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم النقليه ؛ لكنَّ
صلِّ لسانه في الهجاء لَسَع ، ونجاد نِظَاقه في ذلك اتسع ؛ حتى صَدَمَنِي ، وعلى
القول فيه أقدمني ؛ بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصّقع الأندلسي ، سلطان
ذلك الوطن في النفر الجنسي ، المعظم في الملوك بالقول الجئي والإنسي ؛ ثم صفحت
عنه صفحة القادر ، الوارد من مياه الظفر غير الصادر ؛ لأن مثلي لا يليق به إظهار
العورات ، ولا يجمل به تتبّع العثرات ؛ اتباعاً للشرع في تحريم الغيبه ، وضرباً
عن الكريهة ، وإثباتاً لحظوظ النقيبة الرغيبه ؛ فما ضرّه لو اشتغل بذنوبه ،
وتأسف على ما شرب من ماء الهجو بذنوبه . وقد قال بعض الناس : من تعرض
للأعراض ، أرسى عِرْضه هدفاً لسهام الأغراض » . انتهى كلام ابن الأحمر .

وقال غيره :

تقليد ^(٢) الكتابة أيام السلطان أبي الحجاج ، في أخريات دولته ، بعد

(١) في ت : « المشربة » .

(٢) أبو الحجاج : هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الأنصاري
الحزرجي ، من أمراء المسلمين بالأندلس .

توليه الكتابة

شيخه ابن الجيّاب .

قال ابن الصباغ العقيلي : « كان أبو الحسن بن الجيّاب رئيسَ كتاب الأندلس ، وهم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصاً تاماً ، وأورثه رتبته من بعده ، وعهد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الحجاج عند حضور^(١) عمره . وتدرّب بذلك ، حتى استحق أزمتته ، فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ، ونال التي لا فوقها من الحظوة ، وبُعد الصيت ، وسعادة البخت .

كلام لابن الصباغ
عنه وعن قوة
بديته

اتفق له يوماً بعد ما عزم النصراني على ورود البلاد^(٢) ، وضائق به الصدور ، [١١٩]
فأنشد ابن الجيّاب بديهاً بمحضر الكتاب :

هذا العدو قد طغى وقد تعدّى وبغى
[وقال لابن الخطيب : أجز أبا عبد الله ، فأنشده بديهاً]^(٣) :
وأظهر السلم وقد أسرَّ حسواً في أرتغاً
فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى^(٤)
ورده ردّ ثمود والفصيل قد رغا
حتى يرى وليمة لكل مرهوب الثغاة^(٥)

(١) في ت : « ظهور » .

(٢) في ت : « البلد » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

فأبلغ الرمح بسيف النصر فيه ما ابتغى

(٥) الثغاء (ممدودا وقصر للشعر) : صوت الشاء والمزوما شاكلها ، ويريد به صوت المقترن من الحيوان ، أو صوت الرماح والسيوف .

فقال ابن الجيّاب : هكذا وإلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة .
انتهى كلام ابن الصباغ .

أيام ابن الخطيب
مع السلطان
أبي عبد الله

ولما توفي أبو الحجاج ازدادت^(١) منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله ،
إلى أن كانت عليه الدائرة ، فقبض على ابن الخطيب وعلى أملاكه ، ثم تخلص
منها نكبة مصحفية^(٢) بشفاعة السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم ابن السلطان
الشهير الكبير أبي الحسن المريني ، صاحب المغرب ، وكان^(٣) تحريك عزائم
السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب
الرحال أبي عبد الله بن مرزوق . ولما تخلص ابن الخطيب من هذه الأنشطة
لحق بسلطانه أبي عبد الله ، كما نذكره قريبا ، وورد صُحْبَتَهُ المغرب ، واستقر
أبو عبد الله بن الخطيب بسلا تحت الجراية التامة ، متكلفا خدمة ضريح الملوك
من بني مرين ، لِيَمُتَ بذلك إلى صاحب الملوك من بينهم ، كما يقضى له ما بقي
من مآربه^(٤) بالأندلس ، بشفاعة غير مردودة ؛ وفي أثناء هذه المدة كان
يتطوف ببلاد المغرب مثل مراکش وأنظارها^(٥) . ثم لما رجع مخدومه لغرناطة
عاد هو في محبة أولاده ، فألقى إليه مقاليد رياسته ، وأزمة سياسته ، ورقاه إلى الذروة

(١) في ت : « زادت » .

(٢) مصحفية : نسبة إلى المصحف جعفر بن عثمان الحاجب . ويشير إلى نكبة على يد ابن
أبي عامر التي انتهت بسجنه في المطبق ثم موته . وإلى هذه النكبة يشير ابن
الخطيب بيته :

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقداني المنصور من آل عامر

(انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٥٩ — ٦٤ طبعة أوروبا ، ج ٣ ص ٤٢ طبعة بلاط)

(٣) نص هذه العبارة في ت : « وكان من تحريك السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية
الغالب على دولة أبي سالم الحاجب .. الخ » .

(٤) في ط : « أغراضه » .

(٥) هذه العبارة من قوله « وفي أثناء » إلى قوله « وأنظارها » ساقطة في ت .

(١٣ — أزهار الرياض)

التي لا فوقها ؛ ثم سَمَّ الخدمة ، وتسَخَط النِّعمة ، وأضمر الفرار عند ما سمع بأن [١٢٠] المَلِك استوثق للسلطان أبي فارس بن أبي الحسن المَرِينِي ، وأنه مَلَك تِلْمِسَان ، فأظهر الذهاب إلى تَقَدُّ أحوال بعض الثغور ، فكان آخرَ عهد الأندلس به ، وخرج بتِلْمِسَان ، واهتزت دولة السلطان أبي فارس لِقُدومه ، ثم كان من أمره ما سَنَد كره .

ولنورد بعض تفصيل لما سبق الإلمام به ، وما لم يسبق ، فنقول :
قال في كتابه المسمى باللمحة البدرية ، في الدولة النصرية ، عند ذكره حلع السلطان أبي عبد الله ، وقيام الأمير إسماعيل عليه ، وذلك في شهر رمضان الأعظم من عام ستين وسبع مئة ، ما نصه :

تفصيل لشكبة
السلطان أبي عبد
الله وذهابه إلى
فاس

« وكان السلطان أبو عبد الله عند تَصَيُّر الأمر إليه قد ألزم أخاه إسماعيل قسراً من قصور أبيه بجوار داره ، مَرْفُها ^(١) عليه ، متممةً وظائفه له ، وأسكن معه أمه وأخواته منها ، وقد أستاذت يومَ وفاة والده بمال جمٍّ من خزائنه الكائنة في بيتها ، فوجدت السبيل إلى السعي لولدها ، فجعلت تُواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي ^(٢) إمليد ، ابن الرئيس أبي عبد الله المبيع له بأندرش ، ابن الرئيس أبي السعيد جَدِّهم الذي تجمعهم جُرثومتهم ، وشَمَر الصَّهْر المذكور عن ساعد عزِّمه وجَدِّه ، وهو [على] ^(٣) ما هو من الإقدام ومُدَاخلة ذُوْبَان الرجال ، وأستعان بمن آسفته ^(٤) الدولة ، وهَفَّت به الأطماع ، فتألف منهم زهاء مئة قَصَدُوا جهة

(١) كذا في ط ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٥) . وفي ت : « صرفها » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « ابن » .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) آسفته : أغضبه .

من جهات القلعة مُتَسَنِّمِينَ شَفًّا صَعَبَ المُرْتَقَى ، واتخذوا آلة تُدْرِك ذروته
 لصعود^(١) [بِنْيَة] ^(٢) كانت به عن التمام ، وكبسوا حَرَسِيًّا بأعلاه بما اقتضى
 صُمَاتِهِ ^(٣) ، فاستَوَوْا به ، ونزلوا إلى القلعة سَحَر ^(٤) الليلة الثامنة والعشرين من شهر
 رمضان عام ستين وسبع مئة ، فاستظهروا بالمشاعل والضرارح ، وعالجوا دار
 الحاجب رضوان ، ففَضُّوا أغلاقها ودخلوها ، فقتلوه بين أهله وولده ، واتهبوا
 ما اشتملت عليه داره ، وأسمرت طائفة مع الرئيس ، فاستخرجت الأمير المَعْتَقَل
 إسماعيل وأركبته ، وقرعت الطبول ، ونُودِيَ بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان
 مُتَحَوِّلاً بولده إلى سُكْنَى الجَنَّة المنسوبة للعريف ، لصُق داره ، وهى المثل
 المضروب فى الظل الممدود ، والماء المسكوب ، والنسيم البليل ، يفصل بينها وبين
 مَعْقَل الملك السُّور المنيع ، والخندق المصنوع ؛ فما راعه إلا النداء والعجيج ،
 وأصوات الطبول ، وهَبَ ^(٥) إلى الدخول إلى القلعة . فألقاها قد أخذت دونه
 شِعَامُهَا كُلَّهَا ونَقَابُهَا . وقذفته الحِرَاب ، ورشقه السَّهَام ، فرجَع أدرجَه ،
 وسدَّه الله فى محل الحَيِّرة ، ودسَّ له عِرْق الفحول من قومه ، فامتطى صَهْوَة
 فرس كان مرتبطاً عنده ، وصار لوجهه فأعيا المتبع ، وصَبَّح مدينة وادى آش ،
 ولم يشعر حافظ قصبتها إلا به ، وقد تَوَلَّجَ عليها ، فالتفت به أهلها ، وأعطوه
 صَفَقَتَهُم بالذَّب عنه ، فكان أملكَ بها ؛ وتجهزت الحشود إلى منازلته ، وقد جدَّد

(١) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب (المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣١٠ تاريخ). وفى ط والنسخة المطبوعة فى بلاق من نفح الطيب : « لعمود » . وفى ت : « لعمود » .

(٢) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٣) الصمات (بالضم) : الصمت والسكرت . ولعله يريد : موته .

(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « سحور » .

(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وذهب » .

أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة ، باحتياجه إلى سلم المسلمين ،
لجراً فتنه بينه وبين البرجلونيين من أمته ؛ واغتنب به أهل المدينة ، فذبوا
عنه ، ورضوا بهلاك نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام
التاريخ ، ووصله رسول صاحب المغرب ^(١) [مستنزلاً منها ^(٢)] ، ومستدعياً إلى حضرته
لما عجز عن إمساكها . وراسل ^(٣) ملك الروم ^(٤) فلم يجد عنده من مَعْوَل ،
فانصرف ثانياً يوم عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلاً
ورجلاً إلى مَرَبلة من ساحل إجازته . وكان وصوله إلى مدينة فاس ، مُضْجَباً من
البر والكرامة بما لا مزيد عليه ، في السادس من شهر محرم ، فاتح عام واحد
وستين وسبع مئة ، وركب السلطان للقائه ، ونزل إليه عند ما سلم عليه ، وبالغ [١٢٢]
في الحفاية به .

وكننت قد لحقت به مُفْلِتاً من شَرَك النكبة التي استأصلت المال ، وأوهمت
سوء الحال ، بشفاعة السلطان أبي سالم قدس الله روحه ، فقامت بين يديه
في المحفل المشهود حينئذ ، وأنشدته :

قصيدة
ابن الخطيب بين
يدى السلطان أبي
سالم يستصرخه
لمولاه

سَلَا هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مُحَبَّرَةٍ ذِكْرُ وهل أعشب الوادي ونَمَّ به الزَّهْرُ
وهل باكر الوسمي داراً على اللوى عَفَتْ آيُهَا إِلَّا التَّوَهُمُ وَالذَّكْرُ
بلادي التي عاطيتُ مشمولةً الهوى بأكنافها والعيشُ فينانُ نُخْضَرُ
وجوئى الذئ، رَبِّي جَنَاحِي وَكُرُهُ فها أنا ذا مالى جَنَاحَ وَلَا وَكُرُ

- (١) هو السلطان المولى أبو سالم ، كما سيأتى قريباً .
(٢) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب . وفي ت والنسخة المطبوعة : « عنها » .
يريد : من وادى آش ، أو عن وادى آش .
(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « وأرسل » .
(٤) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفع الطيب .

نَبَتْ بِي لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ وَلَا نَسَخَ الْوَصْلِ الْهَنَىٰ بِهَا هَجْرُ
 وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا قَلِيلٌ مَتَاعُهَا وَلَذَاتُهَا دَأْبًا تَزُورُ وَتَزُورُ
 فَمَنْ لِي بِقُرْبِ الْعَهْدِ مِنْهَا وَدُونِهَا مَدَى طَالِ حَتَّى يَوْمُهُ عِنْدَنَا شَهْرُ
 وَلِلَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأَانَا وَلِلْأَسَى ضِرَامٌ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ جَمْرُ
 وَقَدْ بَدَّدَتْ دُرَّ الدَّمُوعِ يَدُ النُّوَى ^(١) وَلِلشُّوقِ أَشْجَانٌ يَضِيقُ لَهَا الصَّدْرُ
 بَكَيْنًا عَلَى النَّهْرِ الشَّرُوبِ عَشِيَّةً فَعَادَ أَجَايَا بَعْدَنَا ذَلِكَ النَّهْرُ
 أَقُولُ لِأُظْلَعَانِي وَقَدْ غَالَهَا الشَّرَى وَأَنَسَهَا الْحَادِي وَأَوْحَشَهَا الزَّجْرُ
 رَوَيْدُكَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرَأَنَّ أَبْشِرِي بِإِنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ قَدْ ذَهَبَ الْعُسْرُ
 وَلِلَّهِ فِينَا سِرٌّ غَيْبٌ وَرُبَّمَا أَتَى النَّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدُ بِهَا الضَّرُّ
 وَإِنْ تَخُنَ الْأَيَّامُ لَمْ تَخُنِ النَّهْيُ وَإِنْ يَخْذُلِ الْأَقْوَامُ لَمْ يَخْذُلِ الصَّبْرُ
 وَإِنْ عَرَكَتْ مَنَى الْحُظُوبُ مَجْرَبًا نِقَابًا تَسَاوَى عِنْدَهُ الْحُلُوفُ وَالْمُرُّ ^(٢)
 فَقَدْ عَجَمَتْ عَوْدًا صَلِيلًا عَلَى الرَّدَى ^(٣) وَعَزْمًا ^(٤) كَمَا تَمْضِي الْمَهْنَدَةُ الْبُتْرُ
 إِذَا أَنْتَ بِالْبَيْضَاءِ قَرَّرْتَ ^(٥) مَنَزَلِي فَلَا الْإِخْمَ حِلٌّ مَا حَيَّيْتُ وَلَا الظَّهْرُ
 زَجَرْنَا بِإِبْرَاهِيمَ بُرْءً ^(٦) مُهُومِنَا فَلَمَّا رَأَيْنَا وَجْهَهُ صَدَقَ الزَّجْرُ
 بِمُنْتَخَبٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ كُلَّمَا دَجَا الْخَطْبُ لَمْ يَكْذِبْ لِعَزْمَتِهِ فَجْرُ
 تَنَاوَلَتْ الرُّكْبَانُ طَيْبَ حَدِيثِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ صَدَّقَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ
 نَدَى لَوْ حَوَاهِ الْبَحْرُ لَذَّ مَذَاقُهُ وَلَمْ يَتَعَقَّبْ مَدَّةً أَبَدًا جَزْرُ

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الهوى » .

(٢) النقباب : الفطن العالم بالأشياء .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « النوى » . وفي ت : « الندى » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وعرفا » .

(٥) كذا في النسخة الخطية والمطبوعة من نفع الطيب . وفي الأصلين : « قدرت » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « جل » .

وبأسٌ غدا يرتاع من خَوْفه الرّدى
أطاعته حتى العُصم في قُنن الرُّبا
قصدناك يا خيرَ الملوك على النَّوى
كفّفنا بك الأيام عن غُلّوائها
وعُدنا بذاك المجد فانصرم الرّدى
ولما أتينا البحرَ يُرهبُ مَوْجُهه
خِلافَتك العُظمى ومن لم يدن بها
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه
دعتك قلوبُ المؤمنين وأخلصتْ
ومدّت إلى الله الأكف ضراعةً
وألْبَسها النُّعمى بِنَيْعَتِكَ الّتى
فأصبح ثغرُ الثَّغر يَبْسِم ضاحكا
وأمنتَ بالسَّلم البلادَ وأهلها
وقد كان مولانا أبوك مُصرّحا^(٢) [
وكنْتَ خَلِيقًا بالإمارة بعده
وأوحشتَ من دار الخِلافة هالّة
فردّ عليك الله حقّك إذ قضى
وقاد إليك المُلكَ رفقًا بخلقه

وترَفُل في أثوابه الفَتكة البكرُ
وهشّت إلى تأمّيله الأنجم الزُّهر
لتنصّفنا مما جنى عبدك الدهر
وقد رابنا منها التعسّف والكبر
ولُذنا بذاك العِزّ [فانهزم الذُّعر
ذكرنا نَدَاكَ الغمّر^(١)] فاحتقر البحر
فإيمانُه لغوّ وعِرفانه نُكْر
إذا ضلّ في أوصافٍ من دُونك الشَّعر
وقد طاب منها السرُّ لله والجهر
فقال نهْن الله قدّ قضى الأمر
لها الطائرُ الميمونُ والمحتد الحرّ
| وقد كان مما نابّه ليس يفتّر
فلا ظُبة تعرّى ولا روعة تعرّو
بأنك في أبنائه الولد البرّ
على القور لكن كلُّ شىء له قدّر
أقامت زمانًا لا يلوحُ بها^(٣) البدر
بأن أشمل النُّعمى وينسدل السّتر
وقد عديموا ركن الإمامة واضطروا

(١) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٣ ص ٤٧ طبعة بلاق) . وفي ت : « لها » .

وزادك بالتَّمحيص عِزًّا ورفعَةً
وأنت الذي تُدعى إذا دَهِم الرَّدَى
وأنت إذا جار الزمان مُحْكَمٌ
وهذا ابنُ نصرٍ قد أتى وجَنَاحُهُ
غريب يُرَجَّى منك ما أنتَ أهْلُهُ
فَقُزْ يا أميرَ المسلمين ^(٢) بِنِيعَةٍ ^(٣)
ومثلك مَنْ يَرعى الدَّخيلَ ومن دَعَا
وَحُذْ يا إمامَ الحقِّ ^(٤) بالحقِّ ثَأْرَهُ
وأنت لَهَا يا ناصرَ الحقِّ فلتَقُمْ
فإن قيلَ مالُ مالِكِ الدهرَ وافِرٌ
يُكفُّ بِكَ العادي وَيَحْيَا بِكَ الهُدَى
أَعِدْهُ إلى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوبَ الناس فيه بجَبرِها
وهم يرقبون الفعل منك وصفقةً
مَرَامُكَ سَهْلٌ لا تُؤوِّدُكَ كُلفَةٌ
وما العُمُرُ إلا زينةٌ مُستعارَةٌ
ومَنْ باعَ ما يَفْنَى بيباقٍ مَخْلَدٌ
وأَجْرًا ولولا السَّبْكُ ما عُرِفَ ^(١) التَّبَرُّ
وأنت الذي تُرَجَّى إذا أَخْلَفَ القَطَرُ
لك النقضُ والإبرامُ والنهْيُ والأمرُ
مَهِيضٌ وَمِنْ عُلْيَاكَ يُلْتَمَسُ الجَبَرُ
فإن كنتَ تَبْغِي الفخرَ قد جاءَكَ الفَخْرُ
مُوثَّقةٌ قد حلَّ عُرْوَتُهَا العِندَرُ
بِيا لَمَرَيْنِ جاءَهُ العِزُّ والنَّصْرُ
ففي ضِمْنِ ما تَأْتِي به العِزُّ والأَجْرُ
بحقِّ فما زِيدُ يُرَجَّى ولا عَمْرُو
وإن قيلَ جيشٌ عندَكَ العَسْكَرُ المَجْرُ
ويَبْنِي بِكَ الإسلامَ ما هَدَمَ الكُفْرُ
وطَوَّقَهُ نِعْمَاكَ التي ما لَهَا حَصْرُ
فقد صَدَّهم عنه التغلُّبُ والقَهْرُ
تُحاولُها يَمْنَاكَ ما بَعْدَها خُسْرُ
سِوَى عَرَضٍ ما إنْ لَه في العُلا خَطَرُ
تُرَدُّ وَلَكِنَّ الثَنَاءُ هو العُمُرُ
فقد أَنجَحَ المَسْعَى وقد رَجَحَ التَّجَرُّ

[١٢٤]

(١) كذا في ط ونجح الطيب . وفي ت : « لم يعرف » .

(٢) في ط : « المؤمنين » .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « لبيعه » .

(٤) كذا في ت ونجح الطيب . وفي ط : « الخلق » .

وَمِنْ دُونَ مَا تَبَغَّيْهِ يَا مَلِكَ الْهُدَى
وَرَادُّ شُقُرٍ وَاضْحَاتِ شَيَاتِهَا
وَشُهْبٌ إِذَا مَا ضُمَّتْ يَوْمَ غَارَةٍ
وَأَسَدٌ رَجَالٍ مِنْ مَرَيْنٍ خُفِيَةٍ
عَلَيْهَا مِنَ الْمَاضِي كُلِّ مُفَاضَةٍ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ هَبُّوا لَكَشَفَ مُلَمَّةٍ
إِذَا سُئِلُوا أَعْطَوْا وَإِنْ نُوزِعُوا سَطَوْا
وَإِنْ مُدِحُوا اهْتَزُّوا ارْتِيَا حَأْكَائِهِمْ
وَإِنْ سَمِعُوا الْعَوَاءَ فَرُّوا بِأَنْفُسٍ
وَتَبَسُّمٍ مَا بَيْنَ الْوَشِيحِ ثَغُورِهِمْ
أَمْوَالِي غَاضَتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ
وَلَوْلَا حَنَانٌ مِنْكَ دَارَكْتَنِي بِهِ
فَأَوْجَدْتَ مِنِّي فَائِئَةً أَيْ فَائِتَ
بَدَأْتَ بِفَضْلٍ لَمْ أَكُنْ لِعَظِيمِهِ
وَطَوَّقْتَنِي النُّعْمَى الْمُضَاعَفَةَ الَّتِي
وَأَنْتَ بَتَّنَمِيمِ الصَّنَاعِ كَافِلٌ
جَزَاكَ الَّذِي أَسْنَى مَقَامَكَ عِصْمَةً
إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِمِدْحَةٍ
وَلَكِنَّا نَأْتِي بِمَا نَسْتَطِيعُهُ

جِيَادُ الْمَذَاكِي وَالْمُحَجَّلَةُ الْغُرُ
فَأَجْسَامُهَا تَبْرُ وَأَرْجُلُهَا دُرُ
مَطَهَّمَةٌ غَارَتْ بِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
عَمَامُهَا بَيْضٌ وَأَسَالُهَا سُمُرُ
تَدَافِعُ فِي أَعْطَافِهَا اللَّجْجُ الْخُضْرُ
فَلَا الْمُلْتَقَى صَعْبٌ وَلَا الْمُرْتَقَى وَغَرُ
وَإِنْ وَاعِدُوا وَقَّوْا وَإِنْ عَاهَدُوا بَرُّوا
نَشَاوَى تَمَشَّتْ فِي مَعَاطِفِهِمْ خَرُ
حَرَامٌ عَلَى هِمَامَتِهَا فِي الْوَعَى الْغَرُ (١)
وَمَا بَيْنَ قُضْبِ الدَّوْحِ يَتَسِيمُ الزُّهْرُ (٢)
طِيَاعِي فَلَا طَبْعٌ يُعِينُ وَلَا فِكْرُ
وَأَحْيَيْتَنِي لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
وَأَنْشَرْتَ مَيِّتًا ضَمَّ أَشْلَاءَهُ قَبْرُ
بَاهِلٍ فَجَلَّ اللَّطْفُ وَانْقَرَجَ الصَّدْرُ
يَقِيلُ عَلَيْهَا مِنِّي الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
إِلَى أَنْ يَعُودَ الْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْوَفَرُ
يُفَكُّ بِهَا عَانَ وَيُنْعَشُ مُضْطَرُّ
فَوَيْهَاتِ يُحْصَى الرَّمْلُ أَوْ يُحْصَرُ الْقَطَرُ
وَمَنْ بَذَلَ الْمَجْهُودَ حَقَّ لَهُ الْعُذْرُ

(١) العوراء : الكلمة الفصيحة .

(٢) الوشيح : الرماح .

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض^(١)، وسداد أنحاء في التأثر لنا وأغراض،
واللهُ غالب على أمره .

انصراف
السلطان
أبي عبد الله
إلى الأندلس

[١٢٥] وفي صَبِيحَةِ يوم السبت السابع عشر من شهر شَوَّال عام اثنين وستين
وسَبْع مِئَةٍ كان انصرافه إلى الأندلس ، وقد أُلح صاحب قَشْتَالَةِ في طلبه ،
وترجَّح الرأى على قصده ، فقعَّد السلطان بِقُبَّة العَرَض من جنة المصاراة ، وبرز
الناس وقد أسمعهم البُريح^(٢) ، واستحضرت البُنود ، والطبول والآلة ، وألبس خِلعة
الملك ، وقيدت له مَراكبه فاستقلَّ ، وقد التف عليه كل من جلا عن الأندلس
من لَدُنِ الكائنة في جملة كثيفة ، ورئى من رقة الناس وإجهاشهم وعلو
أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد ، إذ كان مَظِنَّة ذلك سكوناً وعطافاً^(٣) وقرباً ،
قد ظلَّه الله برواق الرحمة ، وعطف عليه وشأج المحبة ، إلى كونه مظلوم العقد ،
منتزع الحق ، فتبعته الخواطر ، وحَمِيَتْ عليه الأنفس ، وانصرف لوجهته ؛ وهو
الآن برُنْدَة مستقل بها وبجهاتها ، ومقتنع برسم [سلطنتها^(٤)] وقد قام له برسم
الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن علي بن يوسف بن كَمَّاشَة الحضرمي ، وبكتابته
الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرَك ، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتميقظ
للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يُنكر ، كان الله له ولنا بفضله .
اتتهى كلام ابن الخطيب في اللوحة البدرية .

(١) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . وفي الأصلين : « وانتقاض » .

(٢) البريح (كلمة دخيلة وهي كما في دوزي) : بمعنى الصريح ، أو لإعلان الحرب ، أو
التهاتف بالنعبة .

(٣) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب . وفي المطبوعة والأصلين : « وعطافاً » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب . ومكان هذه الكلمة في ط : « الوزارة » .

وقد عرفت أنه في ذلك التاريخ لم يكن دخل السلطان غرناطة ، ولم يلحق به ابن الخطيب حتى دخلها .

وقد ذكر ولي الدين بن خلدون هذه الواقعة في تاريخه الكبير ، وأحسن سردها ، فقال في ترجمة أيام السلطان أبي سالم مانصه :

خبر هذه القصة
كما رواها ابن
خلدون

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة
ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين [وسبع مئة ^(١)] ونصب ابنه محمد للأمر ، واستبدَّ عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حجَّبه ببعض قصورهم ، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل بن الرئيس أبي سعيد ، فكان يدعوهم سرًّا إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان إلى بعض مُتَنَزَّهاته برياضه ، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في [بعض] ^(٢) أو شاب جمعهم من الطَّعام لثورته ، وعمد إلى دار الحاجب رضوان ، فافتحم عليه الدار ، وقتله بين حرمة وبناته ، وقرَّبوا إلى إسماعيل فرسه فركب ، فأدخلوه القصر ، وأعلنوا بيعته ، وقرعوا طُبولهم بسور الحمراء ، وفرَّ السلطان من مكانه بمتنزهه ، فلحق بوادي آش ، وغدا ^(٣) الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه ، واستبدَّ عليه هذا الرئيس ابن عمه ، نخلعه لأشهر ^(٤) من بيعته ، واستقل

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٠٦ طبعة بلاق) .

(٣) الكلام من قوله « وغدا » إلى قوله « بوادي آش » ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « نخلعه لشميرين » .

بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش ، بعد مقتل حاجبه رضوان ، واتصل الخبرُ بالسلطان المولى أبي سالم ، امتنع لمهلك رضوان ، وخلع السلطان رَغِيًا لما سلف له في جوارهم ، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب ، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب ، كانوا اعتقالوه لأول أمرهم ، لما كان رديفا للحاجب رضوان ، ورُكِّنا لدولة المخلوع ، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ؛ ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب ، وأجازَ لَدَى القعدة من سنته ، وقَدِمَ على السلطان بفاس ، وأَجَلَ قدومه ، وركب للقائه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه وعُصِّ بالمشيخة والعلمية ، ووقف وزيره ابن الخطيب ، فأنشد السلطان قصيدته الرائية يَسْتَصْرِخُه لسلطانه ، ويستجثُّه لمظاهرتة على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس ، شفقة له ورحمة .

ثم سَرَدَ وليّ الدين بن خلدون القصيدة التي قدمنا ذكرها إلى آخرها ، قال ^(١) : ثم انقض المجلس ، وانصرف ابن الأحمر إلى منزله ^(٢) وقد فُرِشت له القصور ، وقُرِّبَت الجياد بالمراكب الذهبية ، وبُعِثَ إليه بالسكس الفاخرة ، ورُتِبَت الجرايات له ولمواليه من المغلوجي ^(٣) ، وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة ^(٤) ،

(١) في ت : « ثم قام ثم انقضى ... الخ » .

(٢) كذا في ت ونفح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي ط : « منزله » .

(٣) يريد العلوجيين ، أي الموالى من النصارى . (عن تكملة المعجمات لدوزى) .

(٤) في تاريخ ابن خلدون : « الأداة » .

أدبا مع السلطان ، واستقر في مجلته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس . وارتجاع
ملكه سنة ثلاث وستين ، ما نحن نذكره .

اتهى كلام ابن خلدون ، وفيه بعض مخالفة يسيرة لكلام ابن الخطيب في
اللمحة البدرية .

ولا بد أن نسرّد كلام ابن خلدون في شأن ابن الخطيب ، إذ ذكره في ترجمة
السلطان أبي فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني بما نصه :
رواه ابن خلدون

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان
نازعا إليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لوشة ، على مرحلة من غرناطة ، في الشمال من البسيط
الذي فيه ساحتها ، المسمى بالمرّج ، على وادي شنجيل ، ويقال شنبيل^(١) ، المحترق^(٢)
في ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ، كان له بها سلف معدود في وزرائها ،
وانتقل أبوه عبد الله إلى غرناطة ، [واستخدم للملك بنى الأحمر ، واستعمل على
مخازن الطعام ، ونشأ ابنه محمد بقرناطة^(٣)] وقرأ وتادّب على مشيختها ، واختصّ
بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل ، وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرّز في
الطب ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، وامتلاّ حوض^(٤) السلطان من نظمه

(١) كذا في الأصلين وابن خلدون . وظاهر أن الكلمتين محرفتان عن « شنبيل »
وهو اسم نهر غرناطة الشهير ، وقد ولع الشعراء بوصف هذا الوادي وتفضيله على
النيل بزيادة الشين ، وهي ألف من العدد ، أى أنه يفضل النيل بألف ضعف .
(راجع نفح الطيب ج ١ ص ٩٤ طبعة أوربا والإحاطة ج ١ ص ٢٦) .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « المنحرف » .

(٣) هذه العبارة ساقطة في ط .

(٤) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين ونفح الطيب : « وامتلاّ من حول
السلطان نظمه » .

ونثره ، مع انتقاء الجيد منه ، ونبغ في الشعر والترسيل ، بحيث لا يجارى فيهما ،
وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره^(١) ، وملأ الدنيا بمدائح ،
وانتشرت في الآفاق ، فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبتته في ديوان الكتاب
ببابه ، مرءوسا بأبي الحسن بن الجيَّاب ، شيخ المُدَوِّتين في النظم والنثر ، وسائر
العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بقرنطة من لدن أيام محمد الخلوع من سلفه ، [١٢٨]
عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه ، كما مرّ في أخبارهم . فاستبد
[ابن الجيَّاب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف
سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فولّى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد]^(٢)
ابن الخطيب رياسة الكتاب^(٣) ببابه ، مُثَنِّاة بالوزارة ، ولقَّبه بها ، فاستقل
بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العُدوة ،
ثم داخله السلطان في تولية العُثمَال على يده بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ،
وبلغ به في المخالطة^(٤) إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله ؛ وسَقَر عنه إلى السلطان
أبي عِنانٍ ملك بني مرّين بالعُدوة ، معزّيا بأبيه السلطان أبي الحسن ، فجلى في
أغراض سفارته . ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه
بعض الزعانف [يوم الفطر بالمسجد]^(٥) في سجوده للصلاة ، وطعنه فأشواه ،
وفاظ لوقته^(٦) وتعاورت سيوف الموالى الملعوجي^(٦) هذا القاتل ، فمزقوه أشلاء ،

(١) هذه الكلمة : « لعصره » . ساقطة في ت وتاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الكتابة » .

(٤) كذا في ت والنسخة الخطية من نفع الطيب . وفي ط وابن خلدون والنسخة
المطبوعة من نفع الطيب : « في المخالصة » .

(٥) هذه العبارة : « وفاظ لوقته » ساقطة في ت . وفاظ : مات .

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

وبويع ابنه محمد [بالأمر] ^(١) لوقته ، وقام بأمره مولاهم رضوان ، الراسخ القدم في قيادة عساكرهم ، وكفالة الأصغر من ملوكهم . واستبد بالدولة ، وأفرد ابن الخطيب بوزارته . كما كان لأبيه ، [واتخذ لكتابته غيره] ^(٢) وجعل ابن الخطيب رديفا له في أمره ^(٣) . ومشاركاً في استبداده معه ، فجرت الدولة على أحسن حال ، وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان أبي عنان ، مستمدين له على عدوهم الطاغية ، على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفتيائها ، واستأذنه في إنشاد شعر ^(٤) قدّمه بين يدي نجواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى لنا وفي المحل كفك المطر [١٢٩]
والناس طرّا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن في غير عليك ماله وطر ^(٥)
ومن به مذ ^(٥) وصلت حبلم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهتمهم بأنفسهم فوجهوني إليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :

- (١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٢) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون . وفي ت ونفع الطيب : « رديفا لرضوان في أمره » .
(٣) في تاريخ ابن خلدون : « شيء من الشعر » .
(٤) هذا البيت ساقط في تاريخ ابن خلدون .
(٥) كذا في نفع الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « قد » .

ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ، ثم أثقل كاهلهم بالإحسان ، وردّهم بجميع ما طلبوه . وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف ، وكان معه في ذلك الوفد : لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان ، شرّكه في جدّه الرئيس أبي سعيد ، وتحيّن خروج السلطان إلى منزله خارج الحمراء ، وتسوروا دار الملك المعروفة بالحمراء ، وكبس رضوان في بيته ، فقتله ونصب الملك إسماعيل بن السلطان أبي الحجاج ، بما كان صهره على شقيقته ، وكان معتقلاً بالحمراء ، فأخرجه ، وبايع له ، وقام بأمره مستبداً عليه ، وأحسن السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ، فركب ناجياً إلى وادي آش ، وضبطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب ، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب ، وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم ، فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش ، يعدّه زبوناً^(١) [١٣٠] على أهل الأندلس ، ويكفّ به عادية القرابة المرشحين هنالك ، متى^(٢) طمحووا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحلّ مُعتقله ، فأطلق ؛ وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب سلطانه ، وقدموا على

(١) زبوناً ، أي حرباً وقوة . (انظر تكملة المعجمات لدوزي مادة زين) .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « كما » . وفي ت : « من » .

السلطان أبي سالم ، فاهتزَّ لقدم ابن الأحمر ، وركب في الموكب لتلقيه ، وأجلسه
إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر ، يستصرخ السلطان لنصره ،
فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مشواه ، وأرغد نزلَه ،
ووفر أرزاق القادمين في ركابه ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والإقطاع .
ثم استأنس^(١) واستأذن السلطان في التجوال بجهات^(٢) مراكش ، والوقوف على
آثار الملوك بها ، فأذن له وكتب إلى العمَّال بالتحافه ، فتبادروا^(٣) في ذلك ،
وحصل منه على حظ . وعند ما مر بسلا إثر قفوله من سفره ، دخل مقبرة الملوك
بشالة ، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدة على روى الراء
[الموصولة]^(٤) ، يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة ، مطلعها :

إن بان منزله وشطَّت دارُهُ قامت مقامَ عيانه أخبارُهُ
قسَمَ زمانك عِبرةً أو عِبْرَةً هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة ، فشَفَعوه ،
واستقر هو بسلا ، مُنتبذاً عن سُلْطانه طول مُقامه بالعدوة . ثم عاد السلطان محمد
الخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مُحَلِّفه بفاس من
الأهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن علي ، فاستقدم ابن
الخطيب من سلا ، وبعثهم لنظره ، فسرَّ السلطان بقدومه ، وردَّه إلى منزلته ،
كما كان مع رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن
أشياخهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه ، عندما أحسَّ بالشر من الرئيس

(١) في ط ونفع الطيب : « استأنس » .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « في التحول إلى جهات . . . الخ » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « فتبادروا » .

(٤) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى العدو ، وأقام عثمانُ بدار الحرب ، فصحبَ السلطانُ [في مشوى اغترابه هنالك ، وتقلب في [مذاهب] ^(١) خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد ^(٢) ما يتسوا من الفتح على يده ، فتحولوا عنه إلى ثغور بلادهم ، وخاطبوا [الوزير] ^(٣) عمر بن عبد الله في أن يمكّنهم من بعض الثغور الغربية ^(٤) التي لطاغيتهم ^(٥) بالأندلس ، يرتقبون منها الفتح ، وخاطبني السلطانُ الخلويع في ذلك ؛ وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله أذمة مرعية ، وخاصة متأكدة ، فوفيت ^(٦) للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله ، وحمّله على أن يرد عليه مدينة رُنْدَة ، إذ هي من ثراث سلفه ، فقَبِلَ إشارتي في ذلك ، وتسوّغها السلطانُ الخلويع ، ونزل بها وعثمانُ بن يحيى في جملته ، وهو المقدم في بطانته ، ثم غزوا منها مالقة ، فكانت ركابا للفتح ، وملكها السلطانُ ، واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة ؛ وعثمانُ بن يحيى متقدم القوم في الدولة ، عريق في الخالصة ، وله على السلطان دالة ، واستبداد على هواه . فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعادته إلى مكانه في الدولة ، من علو يده ، وقبول إشارته ، أدركته الفيرة من عثمان ، ونكّر على السلطان الاستكفاء به ، و [أراه] ^(٧) التخوف من هؤلاء الأعياض ^(٨) على ملكه ، فحذّره السلطان ، وأخذ في التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته في رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم ^(٩) المطبق ، ثم غرّبهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب

(١) زيادة عن نفج الطيب .

(٢) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « عند » .

(٣) كذا في نفج الطيب وابن خلدون . وفي الأصلين : « الغربية » .

(٤) في تاريخ ابن خلدون . « أطاعتهم » .

(٥) زيادة عن ت ونفج الطيب .

(٦) كذا في ط ونفج الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٧) في ط : « وأودعهم » .

الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ، وخلط بينه بُدَمَائِهِ وأهل خَلْوَتِهِ ، وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، [١٣٢] وعَلِقَتْ به الآمال ، وَغَشِيَ بابَه الخاصة والكافّة ، وَغَصَّتْ به بِطَانَةُ السلطان وحاشيته ، ففتننوا^(١) في السّعايات فيه ، وقد صُمّ السلطان عن قبولها ؛ ونمى الخبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمّر عن ساعده في التفويض ، واستُخْذِمَ للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ، ملك العُدوة يومئذ ، في القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يَفْلُوسَن ابن السلطان أبي عليّ ، كانوا قد نَصَبُوهُ شيخاً على الغزاة بالأندلس ، لما أجاز من العُدوة بعد ما جاسَ خلالها ، لطلب الملك ، وأضرَمَ بها نار الفتنة في كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله ، القائم حينئذ بدولة بني مرين ، فاضطُرَّ إلى الإجازة إلى الأندلس ، فأجاز هو ووزيره مسعود بن ماساي ، ونزلوا على السلطان الخلوع عام سبعة وستين ، فأكرم تُزْلُهُمْ ، وتُوَفِّيَ عليّ بن بدر الدين شيخ الغزاة ، فقدم عبد الرحمن مكانه . وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله ، ففَصَّ بما فعله السلطان الخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرّ بها في بني مرين ، فجزع لذلك ، وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن يَفْلُوسَن وابن ماساي ، وإراحة نفسه من شغبهم ، على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له العهد بخطه ، على يد سفيره إلى الأندلس وكتبه أبي يحيى بن أبي مدين^(٢) ؛ وأغرَى ابن الخطيب سُلْطَانَهُ بالقبض على ابن يفلوسن وابن ماساي ، فقبض عليهم [١٣٣] واعتقلهم ، وفي خلال ذلك استحكمت نُفُورَةُ ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة ،

(١) في تاريخ ابن خلدون : « فتوافقوا على ... الخ » .

(٢) العبارة من قوله : « فجزع » إلى هنا ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

من القدح فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قبولها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تفقد الثغور [الغربية] ^(١) ، وسار إليها في لُمة من فرسانه ، ومعه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لطَيْتَه ، فلما حاذى جبل الفتح ، فرضة الجاز إلى العدو ، مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . [وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك ، وجهز له الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سَبْتَة ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة ، وامتثال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين ، بمقامه تَمُسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه] ^(٢) ، وأحلّه من مجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبي يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر ^(٣) المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عثراته ، وإبداء ما كان كامناً في نفسه من سقطاته ، وإحصاء معايبه ، وشاع على السنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة ، أحصوها عليه ونسبوها [إليه] ^(٢) ، ورُفعت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن بن الحسن فاسترعاها ، وسَجَّل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجّلات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصمّ عن ذلك ، وأَنِفَ لذمته أَنْ تُخْفَرَ ، والجواره أَنْ يُرَكَّدَ ، وقال لهم : هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ! وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى ؛ ثم وفرّ

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن ت وابن خلدون ونفع الطيب .

(٣) في ابن خلدون : « لفظ » .

الجراية والإقطاع له ولبنيه ، ولمن جاء من أهل الأندلس في جملة . فلما هلك
السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا [١٣٤]
تلمسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي ، القائم بالدولة ، فنزل
بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن ، واغتراس
الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى ،
واتصلت حاله على ذلك ، إلى أن كان ما نذكره .

انتهى كلام ابن خلدون وأكثره بلفظه .

قلت : وقد وقفت على كتاب للقاضي أبي الحسن بن الحسن المذكور يخاطب
به ابن الخطيب ويعظه ، ويشير إلى ما اشتغل به من البنیان ، وفيه ما يبين كلام
ابن خلدون السابق وزيادة ، وما يدل على ما ذكره ابن خلدون من أنه سَجَّلَ
عليه بأمر منكرة ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وقد أسقطت بعضه اختصارا ،
ونص ما تعلق به الغرض قوله يخاطب الوزير ابن الخطيب :

كتاب القاضي
أبي الحسن إلى
ابن الخطيب

فشرعتم في الشراء ، وتشيد البناء ؛ وتركتم الاستعداد لهادم اللذات ،
هيهات هيهات ؛ تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتؤملون مالا
تدركون ؛ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مُشَيَّدة ، فأين المهرب
مما هو كائن ! ونحن إنما نتقلب في قدرة الطالب ، شرَقَمَ أو غَمَ بتم ، [والأيام
تتفاضى الدَّين ، وتنادى بالنفس الفرارة إلى أين إلى أين ! ونترك الكلام مع
الناقد] ^(١) فيما ارتكبه من تركيته نفسه ، وعدَّ ما جلبه من مناقبه ، ما عدا ما هدد
به من حديد لسانه ، خشية اندراجهِ في نَمَطٍ من قال فيه رسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين الفوسين زيادة عن ت ونفع الطيب .

وسلم : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه »^(١) . ولا غيبة فيمن أتى جلباب الحياء عن وجهه ؛ وترجمه على ما أبداه وأهداه من العيوب التي نسبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكره على طريقة نصيحة الدين ، بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : [١٣٥] « أتدرون من المُفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال : إن المُفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » . ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق ، هو الذي حملني على نصحتكم ومراجعتكم في كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله ، فإنكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتاً ، لغير شيء حصل بيدكم ، وضررتم أنفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم ، والرضا بهذه الصفة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير ما مرّة عن أطراسكم المسوذة ، بما دعوتهم إليه من البدعة ، والتلاعب بالشرعية : إن حقها التخريق والتحريق ، وإن من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم ، والله الشهيد بأنني نصحتكم وما غششتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقيلاً عليكم ، بمُخالف كل المخالفة لما ذنبتم^(٢) به من تقدم المواجهة بالملاطفة ، والمعاملة بالمكارمة ، فليست المداراة بقادحة في الدين ، بل هي محمودة

(١) الحديث كما في الجامع الصغير للسيوطي (ج ١ ص ٢٢٨) : « إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه » .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب . ولعلها محرفة عن « زنتم به » ، أي ظنتم به .

في بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بينه العلماء ، إذ هي مقارنة^(١) في الكلام ، أو مجاملة بأسباب الدنيا ، لصلاحها أو صلاح الدين ، وإنما المذموم المداهنة ، وهي بذل الدين لجرد الدنيا ، والمصانعة به لتحصيلها ؛ ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله بأخلاقه ، ونصحته مخاطبة ومكاتبة ، واستدل له بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته ، فقد سلم والحمد لله من مداهنته ، وقام لله [١٣٦] بما يجب عليه في حقكم من التحذير والإنكار ، مع الإشفاق والوجل . وأكثرت في كتابكم من المنّ بما ذكرتم أنكم صنعتم ، وعلى تقدير الموافقة لكم ، ليعتكم فعلتم فسامنا من المعرة وسلمتم ، وجلّ القائل سبحانه : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلیم » . وقلما شاركتكم أنتم في شيء إلا بأعراض حاصلة في يديكم ، أو لأعراض دنيوية خاصة بكم ، فالللام إذاً في الحقيقة إنما هو متوجه إليكم . وأما ما أظهرتم بمقتضى حرركاتكم وكلامكم ، من التندم^(٢) على فراق محلّكم ، والتعلل بأخبار قطركم وأهلكم ، فتناقض منكم ، وإن كنتم فيه بغدركم^(٣) : أتبكي على لبي وأنت تركتها فكنت كآت حنّته^(٤) وهو طائع وما كل ما ممتلك نفسك خالياً^(٥) تلاقى ولا كل الهوى أنت تابع فلا تبكين في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يديك النوازع^(٦)

(١) في النسخة الخطيبة من نفح الطيب . « مقارنة » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الشؤم » .

(٣) كذا في نفح الطيب المطبوع والخطي . وفي الأصلين : « بغدركم » .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ٢١٧ طبعة دار الكتب) . وفي الأصلين ونفح الطيب : « غيه » .

(٥) كذا في الأغاني . وفي الأصلين ونفح الطيب : « خالياً » .

(٦) البيت كما في الأغاني :

فلا تبكين في إثر لبي ندامة وقد نزعته من يديك النوازع
وهذه الأبيات من شعر لقيس بن ذريح في زوجته لبي بنت الحباب الكعبية .

وعلى أن تأسفكم^(١) لما وقعت فيه من الغدر لسلطانكم ، والخروج بالضرورة غالبية عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى التمتع لغيرها عينكم . ولو لم يكن لهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خست به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفها نغراً على ما يجاورها من سائر البلاد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه » ، وقال عليه السلام : « الرّوْحَةُ بروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها » . وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخى فراركم من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكتملة والاستغفار ، مع الانقطاع في أحد المواطن المكرمة المعظمة بالإجماع ، وهى طيبة أو مكة أو بيت المقدس ، فقد خسرتم صفقة رحلتكم ، وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم ؛ اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مئة نفس ، وسأل أعلم أهل الأرض ، فأشار عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب ، واكتسب بها العيوب ؛ فأمره آخر ، مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف^(٢) ؛ ويقال لكم من الجواب الخاص بكم : فعليكم إذاً بترك القيل والقال ، وكسر حربة الجدال والقتال ، وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الأعمال . ووقعت فى مكتوبكم كلمات أوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء ، والجهالة بمقادير الأشياء ، منها : ريح صرصر ، وهولغة القرآن ، وقاع قرقير ، وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم . ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله ، « قيل : يا رسول الله ، والبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم

(١) فى ت : « أسفكم » .

(٢) انظر القرطبي (ج ٦ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب) عند تفسير قوله تعالى :

« أو ينفوا من الأرض » .

لا يؤدى منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة يُطَحَّ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها^(١). الحديث الشهير. قال صاحب المعلم^(٢):
 يُطَحَّ لها بقاع قرقر، أى ألقى على وجهه، والقعاع: المستوى من الأرض، والقرقر: كذلك؛ هذا ما حضر من الجواب. وبقي فى مكتوبكم حشو كثير من كلام الإقذاع، وفحش بعيد من الحشمة والحياء، رأيت أن من الصواب الإضراب عن ذكره، وصون اليد عن الاستعمال فيه، والظاهر أنه إنما صدر عنكم وأتم بحال مَرَضٍ، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله، أجلكم، ومكن أمنكم، وسكن وجلكم، ومنه جل اسمه^(٣) نسأل لى ولكم حسن الخاتمة، والفوز بالسعادة الدائمة، والسلام الأتم يعتمدكم، والرحمات والبركات من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن، وفقه الله.

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مئة.

وقيد رحمه الله فى مُدْرَج طى هذا الكتاب ما نصه:

يا أخى، أصلحنى الله وإياكم، بقى من الحديث شىء، الصواب الخروج [١٣٨] عنه لكم، إذ هذا أوانه، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه، وليكن البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله، وحاصله:

أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات، وقطعتم بنسبة الأمور كلها لأنفسكم^(٤)، وأنها إنما صدرت عن أمركم وبإذنكم، من غير مشاركة فى شىء منها لكم، ثم منتقم بها المن القبيح، المبطل لعمل بركم، على تقدير

(١) ارجع إلى مسلم والبخارى فى باب الزكاة فى لفظ الحديث روايات.

(٢) لعله يريد: المعلم بفوائد مسلم، وهو شرح على صحيح مسلم للإمام أبى عبد الله محمد التيمى.

(٣) فى النسخة الخطية من نفع الطيب: «ومنه سبحانه نسأل... الخ».

(٤) فى نفع الطيب: «إلى أنفسكم».

التسليم في فعله لكم ، ورميتم غيركم بالتقصير في حاله كله ، طريقة من يبصر القذى في عين أخيه ويدع الجذع في عينه ، وأقصى ما تسقى للمحب أيام كونكم بالأندلس ، تقلد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلا أن وليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد إلا الله ، وإذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلًا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه ، من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ، ولكنّه ، جلّت قدرته ، وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه ، وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه ، وكأني بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكد^(١) من النكاية ، باستحقاقكم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمر الدينيّة ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك في جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقصّي موجباته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبي العيش المثقف^(٢) في السجن على آرائه المضلة ، التي كان منها دخوله على زوجه إثر تطلقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، لحملت أحد ناسكم تناول إخراجها من الثقاف^(٣) ، من غير مُبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه مطالبة بدم قتيل ، وسبق المدعى عليه للذبح^(٤) بغير سكين ، فما وسعني بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكمته السنة ، فأنفتم لذلك ، وسجنتم الطالب^(٥) وليّ الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يجمل بي ولا بكم

[١٣٩]

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « النكرة » .

(٢) المثقف : المسجون . (عن تكملة المعجيات لدوزي) .

(٣) الثقاف : الحبس والسجن . (عن دوزي) .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الذبيح » .

(٥) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « الطالب » .

ذكره . والمسألة الأخرى أنتم توليتم كبرها ، حتى جرى فيها القدر بما جرى من الانفصال ، والحمد لله على كل حال . وأما الرمي بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق في التكلم به ، فشيء قلما يقع مثله من البهتان ، ممن كان يرجو لقاء ربه ، وكلامكم في المدح والمجود هو عندى من قبيل اللغو الذى نمر به كراما ، والحمد لله فكثروا^(١) أو أقلوا من أى نوع شئتم ، أنتم وما ترضونه لنفسكم^(٢) ، وما فهمت لكم بما فهمت من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فذهبي غير مذهبيكم ، وعندى ما ليس عندكم .

وكذلك رأيتم تكثرون في مخاطبتكم من لفظ الرقية في معرض الإنكار لوجود نفعها ، والرمي بالمنقصة والحق لمستعملها ، ولو كنتم قد نظرت في شيء من كتب السنة ، وسير الأمة المسلمة ، نظر مصدق ، لما وسعكم إنكار ما أنكرتم ، وكعبه بخط يديكم ، فهو قاذح كبير في عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع في سورة الفلق أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بها هو وآحاد أمته ؛ وفي أمهات الإسلام الخمس أن رسول صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى رفاقه جبريل ، فقال : بسم الله يُبريك^(٣) ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شرّ حاسد إذا حسد ، [١٤٠] ومن شر كل ذي عين . وفي الصحيح أيضاً أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر ، فمروا بحجّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحجّ لذيغ أو مصاب ؛ فقال رجل من القوم : نعم ، فأتاه فراقه بفاتحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فأعطى قطيعاً من

(١) في الفسخة الخطية من نفع الطيب : « أكثروا أو قللوا » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « لأنفسكم » .

(٣) يريد : « يبرئك » فسهل .

غنى ، الحديث الشهير . قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرقية والطب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز المقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفي هذا القدر كفاية . وما رقيت قط أحداً على الوجه الذى ذكرتم ، ولا استرقيت ، والحمد لله ، وما حملنى على تبين ما بينته الآن لكم فى المسألة ، إلا إرادة الخير التام لجهتكم ، والطمع فى إصلاح باطنكم وظاهركم ، فأبى أخاف عليكم من الإفصاح بالطن فى الشريعة ، ورمى علمائها بالمنقصة ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم ، منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام ، قلما تجوز عليهم ، خَفِظَهُمُ اللهُ ، المغالطات ، فتأسركم شهادة العدول التى لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من دَرَكِ الشقاء ، وشماتة الأعداء ، وجهد البلاء .

وكذلك أحذركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجنب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد القُرَّ المحجَّلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه ثقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكورة ، يكبر فى النفوس التكلم بها ، أنتم تعلمونها ، وهى التى زرعت فى القلوب ما زرعت من بغضكم ، وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم ، لكانت الأمة المسلمة ، امتعاضاً لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خُدَّام الدول ما صدر عنكم ، من العبث فى الأبخار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال السكر والحيل والغدر فى غالب^(١) الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخديم والمخدوم ، ولو لم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة ما رضىتم به لنفسكم ، من

(١) فى ط : « فى سائر » .

الاتسام بسوء العهد ، والتجاوز الحض ، وكفران النعم ، والركون إلى ما تحصل من
الخطام الزائل^(١) ، إلا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم ، أيده الله بنصره ،
وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه ، وفي الكثير من أهل قطره ، لكفاكم وضمة
لا يغسل دَنَسها البحر ، ولا ينسى عارها الدهر ، فإنكم تركتموه أولاً بالمغرب عند
تلون الزمان ، وذهبت للكدي^(٢) ، والأخذ بمتننضي المقامة الساسانية ، إلى أن استدعاه
الملك ، وتخلصت له بعد الجهد الأندلس ، فسقطتم عليه سقوط الذباب على الجلاء ،
وضربتم وجوه رجاله بعضاً ببعض ، حتى خلا لكم الجو . وتمكن الأمر والنهي ،
فهمزتم ولمزتم . وجمعتم من المال ما جمعتم ، ثم ورَّيتم بتفتد ثغر الجزيرة الخضراء ،
مكرراً منكم ، فما بلغت أرض الجبل انحرقت عن الجادة ، وهربتم بأثقالكم الهروب
الذي أنكره عليكم كل من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر في العُدوتين ،
من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرفاتكم
حازم ، أو يثق بكم في قول أو فعل صالح أو طالح . ولو كان قد بقي لكم من العقل [١٤٢]
ما تفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها عملكم بالأندلس ، من الزيادة
في المغرم وغير ذلك ، مما لكم وزره ووزر من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة ، حسبما
ثبت في الصحيح لملككم على مواصلة الحزن . وملازمة الأسف والندم على
ما أوقعتم فيه أنفسكم الأثارة ، من التورط والتنشيب في أشطان الآمال ، ودسائس
الشیطان ، ونعوذ بالله من شرور الأنفس ، وسيئات الأعمال .
وأما قولكم عن فلان : إنه كان حشرة في قشور^(٣) اللوز ، وإن فلاناً كان

(١) كذا في نقح الطيب . وفي الأصلين : « الخطام باليد » .

(٢) كذا في نقح الطيب المطبوع . وفي النسخة الخطية : « للكذبة » . وفي

الأصلين : « للكيدة » .

(٣) في نقح الطيب : « في قلوب » .

بُرْغوثًا في تراب الخمول ، فكلام سَفَسَاف ، يقال لكم من الجواب عليه : وأنتم يا هذا ، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلاً ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم ولا استكثاراً ، وأنشأهم كما قدر أحوالاً وأطواراً ، واستخلفهم في الأرض بعد أمة أمّا ، وبعد عصر أعصاراً ، وكلفهم شرائعه وأحكامه ، ولم يتركهم هملاً ، وأمرهم ونهاهم ، ليلوهم أيهم أحسن عملاً ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، وبكل اعتبار فلا نعلم في نَمَط الطلبة تدريجاً كان أسمح في تدريجكم ، ونبدأ من كذا ، فإنه كان كذا وكذا ، وأكثر أهل زمانه تخملاً وتقللاً في نفسه بالنسبة إلى منصبه ، كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ، ولكنه حين علم رحمه الله من نشأتكم ؛ وحالتكم ما علم ، نبذ مصاهرتكم ، وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت جَزَى زوج الرهيصي معكم ، حسباً هو مشهور في بلدكم ، وذكرتم أنكم ما زلتم من أهل الغنى حيث نقرتم بذكر العَرَض [وهو بفتح العين والراء : حُطام الدنيا ، على ما حكى أبو عبيد ، قال أبو زيد : هو بسكون الراء : المال الذي لا ذهب فيه ولا فضة] ، وأى مال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج من الثَّغاف^(١) ، على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية مترايل ، ثم من العدد الذي برز قبلكم ، أيام كانت أشغال الطعام بيدكم ، على ما شهد به الجمهور من أحبابكم ؛ وأما الفلاحة التي أشرتم إليها ، فلا حق لكم فيها ، إذ هي في الحقيقة لبית مال المسلمين ، مع ما بيدكم ، على ما تقرر في الفقهيات ، والمعدوم شرعاً كالمعدوم حساً ، ولو قيل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سَقَطاتكم في القال والتيل ، ولم يُصرف إلى دفع معرفتها عنكم وجه التأويل ، لكانت مسألتكم ثانية لمسألة أبي الخير بل أبي الشر ، الحادثة أيام خلافة الحكم ، المسطورة في نوازل

(١) يريد : الحبس والسجن . (انظر تكملة المعجمات لدوزي) .

أبى الأصبغ بن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتي عايكم قديماً وحديثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ، إن وعد الله حق ، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور .

وقلتم في كتابكم : أين الخطط المتوارثة عن الآباء والأجداد ؟ وقد أذهب الله عنا ببركة الملة الحمدية غيبة الجاهلية ، في التفاخر بالآباء ، ولكنني أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى المجيب بهذا ، فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أمائل قطره . قال القاضي أبو عبد الله ابن عسكر : وقد ذكر في كتابه من سلكي فلان بن فلان ما نصه : وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر ، استعصى جده المنصور ابن أبي عامر . وقال غيره وغيره ، وبيدي من عهود الخلفاء ، وصكوك الأمراء المكتتة بخطوط أيديهم ، من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ، [١٤٤] ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد ، والمنة لله وحده . وإن كانت الإشارة إلى الغير^(١) من الأصحاب في الوقت ، حفظهم الله ، فكل واحد منهم إذا نُظر إليه بعين الحق ، وُجد أقرب منكم نسباً للخطط المعتبرة ، وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب ، أو مساوياً على فرض المسامحة لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه .

ونرجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يافلان من قومكم في عمود نسبكم فقيهاً مشهوراً ، أو كاتباً قبلكم معروفاً ، أو شاعراً مطبوعاً ، أو رجلاً نبهاً مذكوراً ، ولو كان يالوشى وكان ، لكان من الواجب الرجوع إلى التناصف

(١) في النسخة المطبوعة من نفح الطيب : « للغير » .

والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتفافع ، إن الله لا ينظر إلى صُوركم وأبدانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

وكذلك العَجَب كل العجب من تسميتكم الخَرَبَات التي شرعتم في بنائها بدار السلامة ، وهيئات هيئات ، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجَلَاء ، وعَنَاء وفناء ، ولو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت إلا موت سعيدكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقيني بما آله ، وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتهم حيث أتم من الشهوات التي ذكرتم أن منها الإكثار من الأكل والخرق ، والعود بإزاء جارية الماء على نِطْع الجلد ، والإمسك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيه من الخِسة والخبائث والخبث ، وبالجملة ، فسرور العاقل إنما ينبغي أن يكون بما يجمل تقديمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا عيش الآخرة ، فقدموا إن قبلتم وصاة الحبيب أو البغيض [١٤٥] بعضاً ، عسى أن يكون لكم ، ولا تخلفوا كيلاً^(١) يكون عليكم ، هذا الذي قلته لكم وإن كان لدى من يقف عليه من نمط^(٢) الكثير ، فهو في اعتبار المكان ، وما مر من الزمان في حيز اليسير ، وهو في نفسه قول حق وصدق ، ومُسْتَنَدٌ أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبيائه ، فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكركم به ، إذ هو مجرى النصيحة الصريحة ، يسترني الله وإياكم لليسر ، وجعلنا ممن ذُكِّر فانتفع بالذكرى ، والسلام .

انتهى كلام القاضى ابن الحسن النبأى رحمه الله .

قلت : ولعل هذا الكلام وأشباهه هو الحامل لابن الخطيب على هو القاضى

(١) كذا في ط . وفي ت ونفع الطيب : « كلا » .

(٢) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « وغط » .

ابن الحسن المذكور في الكتبية الكامنة ، حيث ذكره ولقبه بـجُعمسوس^(١) ، ووصفه بما لا يليق ذكره ، ثم ألف في ذلك تأليفاً مستقلاً ، سماه بـخلع الرّسن ، في وصف القاضي ابن الحسن ، حسبما ألفت ذلك بخط شيخ شيخنا القاضي سيدي عبد الواحد الوائشريسي رحمه الله ، ولا يخلو كلام كل واحد منهما من تحامل على صاحبه ، والله يسمح لنا ولهما بجاه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ولي الدين بن خلدون في تاريخه ، في موضع آخر ما نصه :

كان محمد بن الأحمر الخلوع قد رجع من رُنْدَة إلى ملكه بغرناطة ، في جمادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على ملكهم ، حين هرب من غرناطة إليه ، وفاءً بمعهد الخلوع ، واستوى على كرسيه ، واستقل بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ، فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه في القيام بملكه ، فاستولى عليه ، [١٤٦] وملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكناه إلى إن نزلت به آفة في رياسته ، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه ، وكان لأبناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرةً من^(٢) ولد عمهم السلطان أبي علي ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق الأمير عبد الوحمن بن أبي يفوسن بالأندلس ، اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه لـنجواه ، ورفع في الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة ، مكان بني عمه من الأعياض^(٣) ، فكانت له آثار في الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره ، واستقل بملكه ، وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاته عند سلطانه ، فـدس^(٤) إليه باعتقال عبد الرحمن

(١) الجعمسوس : القصير الدميم .

(٢) في تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٣٧ طبعة بلاق) : « علي » .

(٣) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٤) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون ونفح الطيب . وفي ت : « فأسر » .

ابن أبي يفلوسن ، ووزيره [المطاردة به] ^(١) مسعود بن ماساي ؛ وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره ، وحمل السلطان عليهما ، إلى أن سطا بهما ابن الأحمر ، واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز ؛ وتغير الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم ، وتنكر له ، فنزع عنه إلى عبد العزيز ^(٢) سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين ، لما قدّم من الوسائل ، ومهد من السوابق ؛ فقبله السلطان ، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعثهم إليه ، واستقر في جملة السلطان . ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الأحمر ، فرغب السلطان [عبد العزيز] ^(٣) في ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب ؛ ونمى ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان [عبد العزيز] ^(٣) بهدية لم يُسمع بمثلا ، انتقى فيها من متاع الأندلس وماعونها ، وبغالها الفارهة ومعلوجي ^(٤) السبي وجواريه ، وأوفد بها رسله ، يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك ونكره . ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالأمر ، تحيز إليه ابن الخطيب وداخله ، وخاطبه ابن الأحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان [عبد العزيز] ^(٣) ، فلج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد ، وانصرف رسوله إليه وقد رهب سطوته ؛ فأطلق ابن الأحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية ^(٥) ، ومعه الوزير مسعود بن ماساي ، ونهض — [يعني ابن الأحمر] ^(٣) — إلى جبل الفتوح ، فنازله بعساكره ، ونزل عبد الرحمن ببطوية .

(١) زيادة عن ابن خلدون .

(٢) العبارة من قوله « وتغير الجو » إلى قوله « عبد العزيز » ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٥) بطوية : من حصون ورباطات سفاقس ، وهي على البحر وبها منار مفرط في الارتفاع .

(عن المغرب للبكري) .

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا، تركته لطوله، وملخصه: أن الوزير أبا بكر ابن غازي، الذي كان معه^(١) ابن الخطيب، ولي ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة، خوفا عليها من ابن الأحمر، ونهض هو، أعنى الوزير، إلى منازلة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ببطوية، إذ كانوا قد بايعوه، فامتنع عليه، وقاتله أياما، ثم رجع إلى تازا^(٢)، ثم إلى فاس، واستولى عبد الرحمن على تازا، وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأي، إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم، وهو المعروف بذي الدولتين، وهذه هي دولته الأولى، وذلك أن ابن عم الوزير، وهو محمد بن عثمان، لما تولى سبتة، كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح، وأخذ بمخفقه، وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب، فاستعجب له، وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازي، من الاستغلاظ له في شأن ابن الخطيب وغيره، فوجد ابن الأحمر بذلك السبيل إلى غرضه، وداخله في [١٤٨] البيعة لابن السلطان أبي سالم، من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة، وأن يقيمه للمسلمين سلطانا، ولا يتركهم فوضى وهملات تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ، ولا تصح ولايته شرعا، وهو السعيد بن أبي فارس، الذي بايعه الوزير أبو بكر بن غازي بتلمسان حين مات أبوه، واستبد عليه، واختص ابن الأحمر أحمد ابن أبي سالم من بين أوائك الأبناء، لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من الموالاة. وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا، منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح، الذي هو محاصر له، وأن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بني مَرِين، ليكنونوا تحت حوطة، وأن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدرُوا

(١) في نفح الطيب: «الذي كان تحيز إليه ابن الخطيب».

(٢) تازا: موضع من أعمال بني العافية، في جبل منه الذهب. (عن المغرب للبكري).

عليه ؛ فانهقد أمرهم على ذلك ، وتقبل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبتة إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله ، فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها ، فقدموا وبايعوا ، وخاطب أهل جبل الفتح ، فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم . وبعث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح ، وخاطب أهله بالرجوع إلى طاعته ؛ فارتحل ابن الأحمر من مألقة إليه ، ودخله ، ومحا دعوة بني مرين ، مما وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبي العباس ، وأمدّه بعسكر من غزاة الأندلس ، وحمل إليه مالاً للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر بن غازي ، قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب إليه يؤمّه بأن هذا عن أمره ، فتبرأ من ذلك ، ولأطف ابن عمه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتل له بانعقاد البيعة لأبي العباس . وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى مارامه منه ، بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمه ، ونهض إلى تازا المحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، فاهتبل^(١) في غيبة ابن عمه محمد بن عثمان مُلْكَ المغرب ، ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة^(٢) نحو ستمائة ، وعسكر آخر من الغزاة . وبعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ، ومظاهرتة ، واجتماعهما على مُلْك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من

(١) اهتبل : غم .

(٢) الناشبة ، يريد : الرماة .

تازا ، فانفضّ معسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكُدْيَة العرائس ؛ وانتهى
السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون^(١) ، فصمد إليه الوزير بعساكره ، فاقتل
مَصَافَه ، ورجع على عقبه مفلولا ، وانتهب عسكره ، ودخل البلد الجديد البيضاء ،
وجأجا^(٢) بالعرب أولاد حسين ، فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس ، فتهض إليهم
الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشرّدهم إلى
المصحاء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بمجموعة من العرب وزناته ،
وبعثوا إلى وليّ دولتهم ونزمار بن عريف ، بمكانه من قصره الذي اختطه
بملوية^(٣) ، فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ،
فاجتمعوا بوادي النجا ، وتحالفوا ، ثم ارتحلوا إلى كُدْيَة العرائس في ذى القعدة
من سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بعساكره ، فانهزمت جموعه ، [١٥٠]
وأحيط به ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غص الريق . واضطرب معسكر
السلطان أبي العباس بكُدْيَة العرائس ، ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا
على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ؛
ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكموا الحصار ، وتحكموا في ضياع ابن
الخطيب بفاس ، فهدموها ، وعاثوا فيها . ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل
محمد بن عثمان ابن عمه الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد ، والبيعة للسلطان ،
لسكون الحصار قد اشتد به ويئس ، وأعجزه المال ، فأجاب ، واشترط عليهم الأمير

(١) الذي في المغرب للبكري : « زرهونة » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب : وجأجا : أهاب ودعا . وفي ط : « وجاء » .

(٣) ملوية : نهر كبير مشهور في المغرب الأقصى ويصب إليه نهر سبلماسة وبصيران
نهر واحد يصب في بحر الروم في شرق سبتة وجنوبها على ثلاث مئة وعشرة
أميال . (عن تقويم البلدان) .

عبد الرحمن التجاني له عن أعمال مراکش بدل سجلماسة ، ففقدوا له على كره ، وطوّوا على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس وبايعه ، واقتضى عهده بالأمان وتخلية سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد صباح الحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراکش ، واستولى عليها .

نكته ووفاته

محنة ابن الخطيب ووفاته :

ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال :

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه [فاتح] ^(١) سنة ست وسبعين ، استقلّ بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن أعراب كبير بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويغ بطنجة على نكبة ابن الخطيب ، وإسلامه إليه ، لما نعى إليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز المريني ^(٢) بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ، ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد ، فهزمه السلطان ، ولازمه بالحصار ، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد ، خوفا على نفسه . فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وطّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ؛ وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ت ونفع الطيب .

الغزاة بالأندلس ، متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز له سليمان سفيرا عن [الوزير] ^(١) عمر بن عبد الله ، ومقتضيا عهده من السلطان ، فصدده ابن الخطيب عن ذلك ، [محتجا] ^(٢) بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياض الملك من بنى عبد الحق ، لأنهم يعسوب زَنَانة ؛ فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لحل إمارته من جَبَل الفَتْح ، فكانت تقعُ بَيْنَهُ وبين ابن الخطيب مُكَاتَبَاتٌ ، يشير ^(٣) كلُّ واحد منهما لصاحبه بما يُحْفِظُهُ ، مما كَمَنَ في صدورهما . وحين بلغ خبرُ القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعثَ كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله ابن زَمْرُك ، فقدم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور ^(٤) في مجلس الخاصة ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في الحجة ^(٥) ، فعظم النكير فيها ، فوُجِّح ونكِّل ، وامْتَحَن بالعباد بمشهد ذلك الملاء ، ثم نُقِلَ ^(٦) إلى محبسه ، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه ، ودسَّ سليمانُ بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانفة جاءوا في نقيف الخدم ، مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خَنَقًا في محبسه ، وأُخرج شِلوهُ من الغد ، فدُفِن في مقبرة باب المحروق ، [١٥٢] ثم أصبح من الغد على شافة ^(٧) قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) في نفح الطيب : « ينفث » .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . والمشور : يريد مجلس المشورة . (راجع تكملة العجيات لدوزي) . وفي ط : « بالمشور » .

(٤) في ت : « بالحجة » .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب المطبوع . وفي ت والنسخة الخطية من نفح الطيب « ثل » .

(٦) كذا في الأصلين . وفي نفح الطيب المطبوع والخطي : « سافة » . وفي الإحاطة : « سافة » . ولعل الكلمة محرفة عن : « حافة » .

عليه نار ، فاحترق شعره ، واسودَّ بشره ، فأعيد إلى حفرة ، وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هَنَاتِه ، وعظم التَّكِير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفاعل لما يريد .

وكان ، عفا الله عنه ، أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت ، فتجشَّش شعره في حبسه يبكي نفسه

هوأتفه بالشعر ، يبكي نفسه ، ومما قال في ذلك :

بَعُدْنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَنْتَ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتُ
وَكُنَّا عِظَامًا فَصَرْنَا عِظَامًا وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَذَا نَحْنُ قُوتُ
وَكُنَّا شَمُوسَ سَمَاءِ الْعَالَا غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا السَّمُوتُ^(١)
فَكَمْ خَذَلَتْ ذَا الْحُسَامِ الظُّبَا وَذُو الْبُخْتِ كَمْ جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ
وَكَمْ سَمِقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِئَتْ مِنْ كُسَاهِ التُّخُوتِ
فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ فَقُلْ : يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ
انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر .

ورأيت تخميسا لبعض بنى الصباغ على هذه القطعة ، لكنّه زاد فيها بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون ، وها أنا أثبتته تقيما للفائدة ، وهو :

أَيَا جَاهِلًا غَرَّهَ مَا يَفُوتُ وَأَلْهَاهُ حَالٌ قَلِيلُ الثَّبُوتِ
تَأْمَلْ لِمَنْ بَعْدَ أَنْسِي يَصُوتُ^(٢) بَعْدَنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ
وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ

(١) السموت : الطرق ؛ الواحد : سمت . ولعله يريد : مدارات النجوم .

(٢) في ط ونفح الطيب : « يقوت » .

لقد نلتُ من دهرنا رفعةً تقضتُ كبرق مضي سرعةً
 فبهات ترجو لها رجعةً وأصواتنا^(١) سكنت دفةً
 كجهر الصلاة تلاه القنوتُ

بدالى من العز وجه شبابُ يؤمل سيني وبأسى يهابُ^(٢) [١٥٣]
 فسرعان مرق ذاك الإهابُ ومدت وقد أنكرتنا الثيابُ
 علينا^(٣) نسأجها العنكبوتُ

فأها لعز تقضى مناماً منحنا به الجاه دوماً^(٤) كراماً
 وكنا نسوس أموراً عظاماً وكنا عظاماً فصيرنا عظاماً
 وكنا نقوتُ فيها نحن قوتُ

وكنا لذا الملك حلى الطلأ فأها عليه زماناً خلا
 نعوض من جدّة باليلي وكنا شمس سماء العال
 غربن فناحت علينا السموتُ

تعودتُ بالرغم صرف الليالي وحمّلتُ نفسي فوق احتمالي
 وأيقنتُ أن سوف يأتى ارتحالي ومن كان منتظراً للزوال
 فكيف يؤمل منه الثبوتُ

(١) فيما مر : « وأنفاسنا » .

(٢) كذا في نفح الطيب . والسيب : العطاء . وفى ت : « يؤمن سيني » . وفى ط :
 « يؤمن سيني وسيني .. الخ » .

(٣) فى ط : « عليها » .

(٤) كذا فى ت . وفى ط : « قدما » . وفى نفح الطيب : « قوما » .

هو الموت يا ما له من نَبَأ^(١) يَجُوزُ الْحِجَابَ إِلَى مَنْ أُنِيَ
ويألف^(٢) أَخَذَ مِنْهُ الْحَبَا^(٣) فكم أَسْلَمَتْ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَا
وذا البخت كم جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ

هو الموتُ أَفْصَحَ مِنْ مُجْمَعَةٍ وَأَيْقَظَ بِالْوَعْظِ مِنْ نَوْمَةٍ
وسلَّى عن الحزن ذَا حُرْقَةٍ فكم سَيَقُ الْقَبْرِ^(٤) فِي خِرْقَةٍ
ففي مُلِئَتْ مِنْ كُسَاهِ التُّخُوتِ

تَقْضَى زَمَانِي بَعِيثٍ خَصِيبٍ وَعِنْدِي لَدَنْبِي انْكَسَارُ الْمُئِيبِ
وها الموتُ قَدْ صُبَّتْ مِنْهُ نَصِيبِي^(٥) فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ
وفات ومن ذا الذي لا يفوتُ

مَضَى ابْنُ الْخَطِيبِ كَمَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ يَقْتَفِي سُبُلَهُ
وهذا الرَّدَى نَاثِرُ شَمْلِهِ^(٦) فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ
فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مِنْ لَا يَمُوتُ

(١) يريد : « نَبَأ » فسهل للشعر .

(٢) كذا في نفح الطيب المطبوع . وفي الأصلين والنسخة الخطية من نفح الطيب :
« ويألف » .

(٣) كذا في النسخة الخطية من نفح الطيب ، يريد : الحباء ، وقصره للشعر . ويريد
بسنى الحباء : الشريف العزيز الممتنع في خبائه . وفي الأصلين ونفح الطيب
المطبوع : « الحبا » .

(٤) في ت (هنا) : « للموت » .

(٥) كذا في نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفي ت : « قد ضقت منه نصيب » .
وفي ط : « قد ضعت منه نصيب » .

(٦) موضع هذا الشطر في الأصلين بياض . وقد زدناه عن نفح الطيب .

هو الموتُ عَمَّ فما للعِدا يُسَرُّونَ بي حين^(١) ذُقتُ الردى
ومن فاته اليومَ يأتى غدا سَيَبْلَى الجديدُ إذا ما المدى

[١٥٤]

تتابع آحاده والشُّبوتُ

أُخِيَّ تَوَخَّ طَرِيقَ النِّجاةِ وقَدَّمْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الماتِ
وشمِّرْ بِجِدِّ لِمَا هو آتِي ولا تَغْتَرِزْ بِسَرَابِ الحِياةِ
فإنَّكَ عَمَّا قَرِيبَ تَمُوتُ

انتهى . وقد تذكّرت بقوله :

سَيَبْلَى الجَدِيدُ إذا ما المدا تتابع آحاده والسُّبوت
قول الآخر :

نَظَرِي سُبُوتًا وَأَحَادًا وَنَنَشْرُهَا ونحن في الطَّيِّ بين السَّبْتِ والأَحَدِ
فَعَدَّ مَا شئتُ من سَبْتٍ ومن أَحَدٍ لا بُدَّ أنْ يَدْخُلَ المَطْوِيُّ في العَدَدِ

شعره :

شعر ابن الخطيب

قال بعض الأعلام : شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطامع ، ولا مُعَرَّج
على شاعر بعده للأذان والمسامع ؛ فمن ذلك قوله ساححه الله :

عَسَى خَطَرَةٌ بِالرَّكْبِ يَا حَادِي الْعِيسِ عَلَى الهَضْبَةِ الشَّمَاءِ من قَصْرٍ بَادِيَسٍ^(٣)

(١) في ت : « حيث » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٨٤) . وفي ت : « نظرة » .

(٣) باديس : فرسة بينها وبين سبعة مئة ميل ، ويقابلها من الأندلس مالقة . (عن
تقويم البلدان) .

- لَنَظْفُرَ مِنْ ذَاكَ الزُّلَالِ بِعَالَةٍ وَنَنَمُ فِي تِلْكَ الظَّلَالِ بِتَعْعَرِيسٍ^(١)
 حَبَسْتُ بِهَا رَكْبِي فَوَاقًا وَإِنَّمَا عَقَدْتُ عَلَى قَلْبِي لَهَا عَقْدَ تَحْبِيسٍ^(٢)
 لَقَدْ رَسَخْتُ آيُ الْجَوَا فِي جَوَانِحِي كَمَا رَسَخَ الْإِنْجِيلُ فِي قَلْبِ قَسْيَسٍ
 بِمَيْدَانِ جَفْنِي لِلْسَّهَادِ كَتِيبَةٌ تُغَيِّرُ عَلَى سَرَحِ الْكَرَى فِي كَرَادِيسٍ^(٣)
 وَمَا بَنَى إِلَّا تَفْحُوسَةً حَاجِرِيَّةً سَرَتْ وَالِدَجِي مَا بَيْنَ وَهْنٍ وَتَغْلِيسٍ^(٤)
 أَلَا نَفْسٌ يَارِيجُ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى تُنَفِّسُ مِنْ نَارِ الْجَوَى بَعْضَ تَنْفِيسٍ
 وَيَا قَلْبَ لَا تُتْلَقِ السَّلَاحَ فَرَبَمَا تَعْذَرُ فِي الدَّهْرِ اطِّرَادُ الْمُقَايِيسِ
 وَقَدْ تُعْتَبِ الْأَيَّامُ بَعْدَ عِتَابِهَا وَقَدْ يُعْتَبِ اللَّهُ النِّعَمَ مِنَ الْبُؤْسِ
 وَلَا تَخْشَى لُجَّ الدَّمْعِ يَا خَطْرَةَ الْكَرَى إِلَى الْجَفْنِ بَلْ قَيْسَى عَلَى صَرَحِ بَلْقَيْسٍ^(٥)
 تَقُولُ سُلَيْمَى : مَا لَجَسْمِكَ شَاحِبًا مَقَالَةً تَأْنِبُ يُشَابَابَ بَتَانِيسٍ
 وَقَدْ كُنْتَ تَعْطُونَ كَمَا هَبَّتِ الصَّبَا بَرِيَّانَ فِي مَاءِ الشَّبَابِ مَغْمُوسٍ
 وَمَنْ رَاجَحَ الْأَيَّامَ يَا بَنْتَ عَامِرٍ يَجُوبُ الْفَلَاحَ رَاحَتِ يَدَاهُ بِتَغْلِيسٍ^(٦)

(١) التعريس : النزول للاستراحة آخر الليل .

(٢) الفواق (بالصم والفتيح) : ما بين الخلتين من الوقت ؛ أو ما بين فتح يدك

وقبضها على الضرع . يريد : وقتنا قصيرا .

(٣) الكراديس : القطع العظيمة من الخيل . يريد : جيوش السهادر .

(٤) حاجرية : نسبة إلى حاجر . وهو منزل من منازل الحاج . والوهن : نحو من

نصف الليل أو بعد ساعة منه . والتغليس : آخره .

(٥) لا تخش : الصواب فيه فتح الشين وإسكان الياء ، إلا أن الوزن لا يستقيم

بهذا الضبط . ويشير بصرح بلقيس إلى الآية الكريمة : « قيل لها ادخلي

الصرح » .

(٦) راجح الأيام : غالها ، يرجو أن ترجح كفته .

فلا تحسبي والصدق خير^(١) سجيّة
 وقفــــراء أما ركبها فمُضَلَّل
 سَنَحْنُهَا^(٢) بها من هُضْبَةٍ لِقَرَارَةٍ
 إذا مانهضنا عن^(٣) مَقِيلٍ غَزَالَةٍ
 أدركنا بها كَأْسًا دِهَاقًا من الشَّرَى
 وَحَانَةِ خَمَّارٍ هَدَانَا لِقَصْدِهَا
 تَطْلُعُ رَبَّانِيَّهَا من جِــــداره
 بَكَرْنَا وَقُلْنَا إِذْ نَزَلْنَا بِسَاحَةِ
 أَيَا عَابِدِ النَّاسِوتِ إِنَّا عِصَابَةٌ
 وَمَا قَصَدْنَا إِلَّا الْمَقَامَ بِحَانَةِ
 فَأَنْزَلْنَا قَوَارِءَ فِي جَنَابَتِهَا^(٤)
 بَدَرْنَا بِهَا طِينَ الْخِتَامِ بِسَجْدَةٍ
 وَدَارَ الْعَذَارَى بِأُمْدَامِ كَأْنِهَا
 وَصَارَفْنَا فِيهَا نُضَارًا بِمَثَلِهِ
 ظُهُورَ النَّوَى إِلَّا بَطُونَ النُّوَامِيسِ^(٥)
 وَمَرَبَعَهَا من آنَسٍ غَيْرُ مَأْنُوسِ^(٦)
 ضَلَالًا وَمِلْنَا من كِنَاسٍ إِلَى خَيْسِ^(٧)
 نَزَلْنَا فَعَرَّسْنَا بِسَاحَةِ عَرَّيسِ^(٨) [١٠٥]
 أَمَلْنَا بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ من الرُّوسِ
 شَمِيمُ الحُمَيَّا واصْطِكَكَ النَّوَاقِيسِ
 يُهَيِّمُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ بِتَقْدِيسِ
 عَنِ الصَّافِنَاتِ الْجُرْدِ وَالضَّمَرِ الْعِيسِ
 أَتَيْنَا لَتَثْلِيثِ بَلَى وَلِتَشْدِيدِ
 وَكَمِ الْبُيُوتِ الْحَقِّ الْمُبِينِ بِتَلْبِيسِ
 مُحَارِبِ شَتَّى لاختلافِ النُّوَامِيسِ
 أَرَدْنَا بِهَا تَجْدِيدَ حَسْرَةِ إِبْلِيسِ
 قَطًّا تَتَهَادَى فِي رِيَاشِ الطَّوَاوِيسِ
 كَأْنَا مَلَأْنَا الْكَأْسَ لَيْلًا من الْكَيْسِ

(١) في ت : « غير » . وهو تحريف .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب المخطوط والمطبوع . ولعلها محرفة عن « النواويس »

بمعنى القبور .

(٣) المربع : الموضع الذي يرنسج فيه في الربيع .

(٤) في نفع الطيب : « سجننا » .

(٥) الكناس : بيت الظي . والحيس : موضع الأسد .

(٦) في ت : « من » .

(٧) العريس : مأوى الأسد .

(٨) في نفع الطيب المخطوط والمطبوع : « فَأَنْزَلْنَا فَوَارًا عَلَى جَنَابَتِهَا » .

وَقُنَّا نَشَاوَى عِنْدَمَا ^(١) مَتَعَ الضُّحَى كَمَا نَهَضْتَ غُلْبَ الْأَسُودِ مِنَ الْخَيْسِ ^(٢)
 فَقَالَ : لِبُئْسَ الْمُسَامُونَ ضِيُوفَنَا أَمَا وَأَبْيَكَ الْحَبْرَ ^(٣) مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ ^(٤)
 وَهَلْ فِي بَنِي مَثَوَاكَ إِلَّا مُبَرِّزٌ بِحَلْبَةِ سُورَى أَوْ بِحَلْقَةِ تَدْرِيسٍ
 إِذَا هَزَّ عَسَّالَ الْيَرَاعَةِ فَاتَسَكَّأَ أَسَالَ نَجْمِيعِ الْحَبْرِ فَوْقَ الْقِرَاطِيسِ
 يَقْلَبُ تَحْتَ النَّتْعِ مُقْلَةً ضَاكًا إِذَا التَفَتَ الْأَبْطَالُ عَنْ مُقَلِّ شُوسٍ ^(٥)
 سَبِينَا عُقَارَ الرُّومِ فِي عُقْرِ خَانِنَا ^(٦) بِحِيلَةٍ ^(٧) تَعْمُويه وَخُدْعَةٍ تَدْلِيسِ
 لَئِنْ أَنْكَرْتُ شَكْلِي فَفَضَّلِي وَاضِحٌ وَهَلْ جَائِزٌ فِي الْعَقْلِ إِنْكَارُ مُحْسُوسٍ !
 رَسَبَتْ بِأَقْصَى الْغَرْبِ ذُخْرُ مَضْنَةٍ ^(٨) وَكَمْ دُرَّةٌ عَلِيَاءُ فِي قَاعِ قَامُوسٍ
 وَأَغْرَيْتِ سُومِي ^(٩) بِالْعَذِيبِ وَبَارِقٍ عَلَى وَطَنِ دَانِي الْجَوَارِ مِنَ الشُّوسِ ^(١٠)

قصيدة
لابن الخطيب
في المولد النوى

ومن ذلك قوله رحمه الله في الميلاذ النبوي على صاحبه الصلاة والسلام
يمدح مخدومه أبا عبد الله الخلو ع :

ما على القلب بعدكم من جُناح أن يُرَى طائراً بفَـجْـرِ جَنَاحِ

- (١) في ت : « بعدما » .
- (٢) متع الضحى : بلغ آخر غايته .
- (٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « الخير » .
- (٤) بالبيس : يريد : بالئس ، أى لسنا بمن يقال لهم : بئس المسامون .
- (٥) شوس ، أى تنظر بمؤخر العيون غضبا .
- (٦) في نفع الطيب : « دارها » .
- (٧) في ط ونفع الطيب : « بحيلة » .
- (٨) في نفع الطيب : « ثغر مضلة » .
- (٩) كذا في الأصلين ونفع الطيب المطبوع . والسوس (هنا) : السجبة والطبع . وفي النسخة الخطية من نفع الطيب : « موسى » .
- (١٠) العذيب وبارق : موضعان بالكوفة وفيهما يقول أبو الطيب :
تذكرت ما بين العذيب وبارق حجر عوالينا ومجرى السوابق
والسوس : كورة بالمغرب مدينتها طنجة .

وعلى الشوق أن يُشَبَّ إذا هَبَّ بأنفاسكم نسيمُ الصباحِ
 جيرة الحى والحديث شُجون والليالى تلينُ بعد الجماحِ
 أتروُن السَّلُوَّ خامرَ قلبي بعدكم ؟ لا ، وفالقِ الإصباحِ
 ولو أنى أُعْطِيَ اقتراحى على الأيامِ ما كان بُعْدُكم باقتراحى [١٥٦]
 ضايقتنى فيكمُ صروفُ الليالى واستدارت على دَوْر الوُشاحِ^(١)
 وسَقَتْنى كأسُ الفراقِ دِهاقًا فى اغتباقِ مُواصلِ واضطباحِ^(٢)
 واستباححت من جدِّتى وفتاى حَرَمًا لمَ أَخْلَهُ بالمُسْتَباحِ
 ومنها :

يأتُرَى والنفوسُ أَسْرَى أمانى ما لها من^(٣) وثاقها من سَراحِ
 هل يُباحُ الورودُ بعدَ ذِيادِ أو يُباحُ اللّقاءُ بعدَ انتزاحِ
 وإذا أعوذَ الجسومَ التّسلاقي نابَ عنه تعارفُ الأرواحِ

وهى طويلة ، ولم يحضرني منها فى هذا التاريخ سوى ما كتبته . قلت : وأظن
 أن الفقيه الكاتب أبا زكريا يحيى بن خلدون كاتب الإنشاء يتلمّسان المحروسة ،
 أيام السلطان أبى حمو^(٤) موسى بن يوسف الزّياني رحمه الله نسج على منوال
 هذه القصيدة فى قصيدة بديعة له ، ورفعها إلى السلطان أبى حمو فى مولد سنة

قصيدة
 لأبى زكريا
 ابن خلدون
 يحاكى بها
 قصيدة
 ابن الخطيب

(١) الوشاح (بالضم والكسر) : أديم مريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشعها .

(٢) الاغتباق : شرب الفبوق ، وهو شراب العشى . والاضطباح : شرب الصبوح ، وهو شراب الصبح .

(٣) كذا فى ط ونفع الطيب (ج ٤ ص ٦٠٢) . وفى ت : « عن » .

(٤) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين هنا : « حم » .

ثمان وسبعين وسبع مئة . وهذا ابن خلدون أخو ولي الدين صاحب التاريخ
المشهور ، ونص القصيدة :

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحٍ أَنْ يُرَى حِلْفُ عَبْرَةٍ وافتضح
وإذا ما المُحِبُّ عَيْلَ اصْطَبَارَا كيف يُصْنَى إلى نصيحة لاحي
يَا رَعَى اللهَ بِالْمُحَصَّبِ رَبْعَا آذَنْتُ عَهْدَهُ النَّوَى بِاتِّزَاحٍ^(١)
كَمْ أَدْرْنَا كَأْسَ الهوى فيه مَرْجَا رَبَّ جِدِّهِ مِنَ الْجَوَى فِي الْمَزَاحِ
هَلْ إِلَى رَسْمِهِ الْمُجِيلِ سَبِيلُ يَا حُدَاةَ الْمَطَى تِلْكَ الطَّلَاحِ^(٢)
نَسْأَلُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَسْقَى ذَلِكَ الرَّبْعَ بِاللُّمُوعِ السَّقَاحِ
أَيَّ شَجْوٍ عَايَنْتُ بَعْدَ نَوَاهَا مِنْ أَسَى لَازِمٍ وَصَوْبٍ مُزَاحٍ^(٣)
أَهْلٌ وَدَى إِنْ رَابَكُمْ بَرْحٌ وَجَدَى مِنْ صَبَا بَارِحٍ وَبَرْقٍ لَيَاحِ
فَاسْأَلُوا الْبَرْقَ عَنْ خُفُوقِ فَوَادَى وَالصَّبَا عَنْ سَقَامِ جِسْمِي الْمَتَاحِ
يَا أَهْيَلُ الْحَمَى نَدَاهُ مَشُوقُ مَا لَهُ عَنْ هَوَى الدُّمَى مِنْ بَرَّاحِ
طَلَمَا اسْتَعَذَبَ الْمَدَامِعَ وَزِدَا فِي هَوَاكُمُ عَنْ كُلِّ عَذَبٍ قَرَّاحِ
عَادَهُ بِالطُّلُولِ لِلشُّوقِ عَيْدُ مِنْ حَمَامٍ بَدَوُحْنِ صِدَاحِ
مَنْ لِقَلْبٍ مِنَ الْجَوَى فِي ضِرَامِ وَلِجَفْنٍ مِنَ الْبُكَاءِ فِي جِرَاحِ
وَلِصَبِّ يَهْمِجُهُ الذِّكْرُ شَوْقَا فَهُوَ سُكْرًا يَرْتَاحُ مِنْ غَيْرِ رَاحِ
وَلِيَالٍ قَضِيَتْ لِلَّهِ فِيهِمَا وَطَرَا وَالشَّبَابُ ضَافِي الْجَنَاحِ

[١٥٧]

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب . (عن معجم البلدان) .

(٢) الطلاح : الإبل التي أعيها السفر وأضناها .

(٣) مزاح : بعيد .

راكباً في الهوى ذُلُولُ تَصَابٍ^(١) . ساحباً في الغرام ذِيلَ مَرَّاحٍ
 ونجومُ المني تُنِيرُ إلى أن رَوَّعَ الشَّيْبُ سِرْبَهَا بِالصَّبَاحِ
 أَيْ مَسَرَّي حَمْدَتْ لَمْ أَخْلُ^(٢) مِنْهُ . بسوى حَسْرَةٍ وَطُولِ افْتِضَاحِ
 وَأَخْسَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ زَلَّتِي وَاجْتَرَحِي
 لَمْ أَقْدَمْ وَسِيلَةً فِيهِ إِلَّا حُبَّ خَيْرِ الْوَرَى الشَّفِيعِ الْمَاحِي
 سَيِّدِ الْعَالَمِينَ دُنْيَا وَآخِرَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي الْعَالَا وَالسَّمَاحِ
 سَيِّدِ الْكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ سِرُّهُ بَيْنَ غَايَةِ وَافْتِتَاحِ
 زَهْرَةِ الْغَيْبِ مَظْهَرِ الْوَحْيِ مَعْنَى النُّورِ كُنْهُ الْمَشْكَاةِ وَالْمِصْبَاحِ
 آيَةِ الْمَكْرُمَاتِ قُطْبِ الْمَعَالِي مُصْطَفَى اللَّهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبِطَاحِ
 أَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ تَخْصِيصِ زُلْفِي آخِرِ الْمُرْسَلِينَ بَعَثَ نَجَاحِ
 صَفْوَةِ الْخَلْقِ أَرْفَعَ الرُّسُلِ قَدْرًا وَسَرَّاجِ الْهَدَى وَشَمْسِ الْفَلَاحِ
 مَنْ لَمِيلَادِهِ بِمَكَّةَ ضَاءَتِ مِنْ قُرَيْ قَيْصَرٍ جَمِيعُ الضَّوَاحِي
 وَخَبَتْ نَارُ فَارِسٍ وَتَدَاعَتْ مِنْ مَشِيدِ الْإِيْوَانِ كُلِّ النَّوَاحِي
 مِنْ رَقِي فِي السَّمَاءِ سَبْعًا طِبَاقًا وَرَأَى آيَ رَبِّهِ فِي اتِّضَاحِ
 وَدَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْبًا ظَافِرًا فِي الْعُلَى بِكُلِّ اقْتِرَاحِ
 مِنْ هَدَى الْخَلْقِ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودٍ وَجَلَّ لِئَلَّا غَيَّبَهُمُ بِالصَّبَاحِ
 مِنْ يُجَيِّرُ الْوَرَى غَدَا يَوْمَ يُجْزَى كُلُّ عَاصٍ وَطَائِعٍ بِاجْتِرَاحِ

(١) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « تَقَاب » .

(٢) كَذَا فِي ط وَنَفْحِ الطَّيِّبِ الْخَطِيِّ وَالْمَطْبُوعِ . وَفِي ت : « لَمْ أَتْلُ » .

مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظِلِّ لَوَاهِ (١) يَلْجَأُ النَّاسُ بَيْنَ ظَلَمٍ وَضَاحِي (٢)
أَحْمَدَ الْمُجْتَبَى حَبِيبًا وَأَتَى فَوْقَ عِزِّ الْحَبِيبِ مَرْمَى طِيَّاحِ
فِي أَنَاجِيهِ لَهَ الْمَسِيحُ تَلَاهِ بِاسْمِهِ وَالْكَلِيمُ فِي الْأَلْوَاكِ
وَلَكُمْ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٌ صَدَقَ فِي سَمَاعِ أُنَى بِهِمَا وَالْتِمَاحِ
إِنَّ فِي النَّجْمِ وَالنَّبَاتِ لَأَيًّا بَهَّرَتْ وَالْجَمَادِ وَالْأَرْوَاحِ
مَعْجَزَاتٍ فَتَنَ الْمَدَارِكُ وَضَفَا وَحِسَابًا كَالزُّهْرِ أَوْ كَالصَّبَاحِ
يَا رُؤَاةَ الْقَرِيضِ وَالشَّعْرِ عَجْرًا مَا عَسَى تُنْذِرُكَونَ بِالْأَمْدَاحِ
[١٥٨] إِنَّمَا حَسَبْنَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَهِيَ لِلْفَوْزِ آيَةٌ أُسْتَفْتَحِ
يَا إِلَهِي بِحَقِّ أَحْمَدَ عَفْوًا عَنْ (٣) ذُنُوبِ جَنَيْتُهُنَّ قَبَاحِ
وَأَذِمَّ دَوْلَةَ الْخَلِيفَةِ مُوسَى ذِي الْمَعَالَى الْمُبِينَةَ الْأَوْضَاحِ
مَفْخَرُ الْمُلُوكِ مُسْتَقَرُّ الْمَزَايَا مَظْهَرُ الْلُطْفِ ذُو التَّقَى وَالصَّلَاحِ
نَاصِرُ الْحَقِّ خَاذِلُ الْجَوْرِ عَدْلًا مَلْجَأُ الْخَائِفِينَ بِحَرِّ السَّمَاحِ
يَتَلَقَّى النَّاسُ بَوَاحٍ حَيٍّ وَيُلَاقِي الْعِدَا بِيَأْسِ صِفَاحِ
وَلَهُ الْمَكْرُمَاتُ إِرْثًا وَلِبَسًا (٤) حَازَ حَمْدًا بِهَا مُعَلَّى الْقَدَاحِ
مِنْ غُلَا بَاذِخٍ وَفَخْرٍ صَمِيمٍ وَكُلَّ بِحْتٍ وَنَجْدٍ صُرَاحِ
وَأَحَادِيثَ فِي الْمَعَالَى حِسَانِ رُوِيَ عَنْهُ فِي الْعَوَالِي الصَّحَاحِ
عَاقِدَ صِفْتَةِ الْمُسْلَا كُلِّ حِينِ فَاتَزَّ فِيهِ سَعْيُهُ بِالرَّبَّاحِ

(١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « حماه » .

(٢) الضاحي : الذي يبرز للشمس ويصلي حرها .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « من » .

(٤) كذا في الأصلين ونفع الطيب . ولعلها : « كسبا » .

لَلْنَدَى وَالْهُدَى يَرْوُحَ وَيَفْدُو أَيْ مَقْدَى إِلَى الْعَلَا وَمَرَّاحِ
مَلِكُ تَشْرِيقِ الْأَسِيرَةِ مِنْهُ فِي سَمَاءِ السَّرِيرِ نُورُ صَبَاحِ
وَإِذَا مَا عَلَا بِعَالِي الْعَوَالِي صَهْوَةَ الْجُرْدِ فَهُوَ لَيْثُ الْكِفَاحِ
لَيْسَ الدَّهْرُ مِنْهُ حُلَّةٌ حُسْنُ وَتَنَى لِلشُّرُورِ عِطْفَ مِرَّاحِ
وَعَلَا عَاتِقَ الْخِلَافَةِ مِنْهُ طِرَزَ فَخْرٍ سَبَى النُّهَى بِالتَّاحِ
وَرِثَ الْمُلُكُ شَاخِحًا عَنْ سَرَاةٍ شَتَدُوا رُكْنَهُ بِأَيْدِي الصَّافِحِ
مِنْ بَنِي الْقَاسِمِ الَّذِينَ تَحَلَّوْا بِالْمَعَالِي وَاسْتَثَارُوا بِالْفَلَاحِ
فَرَعَوْا هَضْبَةَ الْخِلَافَةِ نَجْدًا رَفَعُوا سَفْفَهُ عَلَى الْأَرْمَاحِ
نَشَرُوا رَايَةَ الْمَفَاخِرِ مُحَمَّدًا خَافَقَ النُّورَ بِالرُّبَا وَالْبَطَاحِ
يَا إِمَامًا بَدَّ الْمُلُوكَ جَلَالًا وَجَّالًا فُدِّيتَ بِالْأَرْوَاحِ
أَنْتَ شَمْسُ الْكَمَالِ دُمْتَ عَلِيًّا فِي اغْتِبَاقٍ مِنَ الْمُنَى وَاضْطِبَاحِ
وَبَنُوكَ الْأَعْلَوْنَ أَنْجُمُ سَعْدٍ زَاهِرَاتُ بُنُورِكَ الْوَضَاحِ
وَأَبُو تَاشَفِينَ بَدْرٌ مُنِيرٌ زَانَهُ اللَّهُ بِالْخِلَالِ الصَّابِحِ
أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا أَشْرَفَ النَّاسَ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ
وَبِكُمْ زُيِّنَتْ سَمَاءُ الْمَعَالِي وَاهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَاحِ
قُلْتُ : قَوْلُهُ :

أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا أَشْرَفَ النَّاسَ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ

لَا يَخْلُو مِنْ قَلَّةٍ تَحْفَظُ ، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [١٥٩]
وَسَلَّمَ ، وَإِنْ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَرَادَ أَهْلَ عَصْرِهِ .

وصف ليل
مولد النبي
أيام السلطان
أبي حمو

وكان السلطان أبو حمو^(١) موسى بن يوسف المدوح في هذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ، ولا يقع منهم فيه إغفال ؛ وقد تقدم أن القرظي صاحب سبته هو الذي سنّ ذلك في بلاد المغرب ، وأتى بزُلفي تُدنيه إلى الله وتُقرّب ؛ واقتفى الناس سُنَّته ، وتقلدوا مِنَّه ؛ تعظيماً للجنان الذي [وَجِبَ] له السموات والعلو ، على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الإسراف والعلو ؛ وكل يعمل على ما كلته .

ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو^(١) المذكور ما قاله صاحب راح الأرواح^(٢) : « إنه كان يقيم ليلة الميлад النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشورة من تَلَسَّان الحروسة ، مَدْعَاة حَفِيلَة ، يحشُر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزَرَائِي مَبْثُوثَة ؛ وبُسْط مُوَسَّاه ، ووسائد بالذهب مُعْشَاه ؛ وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالمهالات ؛ ومباخر صُفُر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تَبَر [مَذَاب]^(٣) ؛ ويُفاض على الجميع أنواع الأطعمة ، كأنها أزهار الربيع المنمنمة ؛ تشبهها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حُسن رِيَّاهَا^(٤) الأرواح ويُخامر ؛ رُتَّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أُبْهَة الوقار والإجلال ؛ وبعقب ذلك يحتفل المُسَمِّعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومُكفَّرات ترغَّب في الإقلاع عن الآثام ؛ يخرجون فيها من فن إلى فن ، ومن أسلوب إلى أسلوب ؛ ويأتون من ذلك بما^(٥) تطرب له [١٦٠]

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « أبو حمو » .

(٢) صاحب راح الأرواح هو أبو عبد الله التنسي ثم التلساني .

(٣) التكهلة عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « رؤياها » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « ما » .

النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب ؛ وبالقرب من السلطان ، رضوان الله عليه ،
خزانة [المنجاة]^(١) ، قد زُخِرَتْ كأنها حُلَّةٌ يمانية ، لها أبواب مُرْتَجَّةٌ^(٢) ، على
عدد ساعات [٣] الليل الزمانيه ؛ فهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ،
وفتح عند ذلك باب من أبوابها ؛ وبرزت منه جارية صُوِّرَتْ في أحسن صورهِ ،
في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورهِ ؛ فتضعها
بين يدي السلطان بلطافهِ ، ويُسرّاهَا على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة ؛
هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادي حتى على الفلاح .
انتهى كلام صاحب راح الأرواح .

وقال^(٤) في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى ما نصه :

« وكان ، يعنى السلطان أبا حمو ، يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يُقيم مدعاة ، يحشر لها الأشراف والشوكة ،
فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزراني مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان
الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخزّ الملون ، وبأيديهم
مباخر ومرشات ، ينال كل منها بحظه ، وخزانة المنجاة ذات تماثيل الجُين
محكمة الصنعة ، بأعلاها أليكة تحمل طائرا ، قرّخاه تحت جناحيه ، ويَحْتَلِه
فيهما^(٥) أرقم ، خارج من كوة بجذرا الأليكة صُعُدا^(٦) ، وبصُدْرها أبواب مُرْتَجَّة

(١) المنجاة : آلة لرصد الوقت . (انظر تكملة المعجيات لدوزي) .

(٢) كذا في النسخة الخطية من نفح الطيب وفيما سيأتى في الأصلين . وفي الأصاين هنا
ونفح الطيب المطبوع : « موجفة » .

(٣) التكملة عن ت ونفح الطيب .

(٤) يريد أبا عبد الله التلمساني ثم التلنسي صاحب راح الأرواح .

(٥) في نفح الطيب : « فيها » .

(٦) في نفح الطيب : « صاعدا » .

بعدد ساعات الله الزمانية ، يصاقب طَرَفِها بابان كبيران ، وفوق جميعها دُوَيْنُ
رأس الخِزانة ، قرأ كمل ، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك ، ويُسامت
أول كل ساعة بابُها المرتج ، فينقُضُ من البابين الكبيرين عُقَابان ، بِفِي^(١) كل
واحد منهما صَنْجَة صُفْر ، يلقِيها إلى طَسْت من الصُّفْر مجوّف ، بوسطه ثقب يفضى
بها إلى داخل الخِزانة فيرن ، وينهش الأرقم أحد الفرخين ، فيصفِر له أبواه ، فهنا
يفتح باب الساعة الناهبة ، وتبرز منه جارية محتزِمة ، كأظرف ما أنت راء ،
بينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويُسراها موضوعة على فيها ، كالمبايعة
بالخلافة ، والمُسمِع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يُؤْتى آخر الليل بموائد كالهالات دَوْرًا ،
والرياض نُورًا ؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشبهها الأنفس ،
وتستحسنها الأعين ، وتلذّ بسماع أسمائها الأذن ، ويشهره مُبَصِّرها للقرب منها
والتناول وإن كان ليس بفرّثان ؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه
فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلّي هنالك صلاة الصبح .

على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام
دولته ، أعلى الله مقامه في عليين ، وشكر له في ذلك صنعه الجميل ، آمين .

وما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها [قصيدا]^(٢) في مدح المصطفى
صلى الله عليه وسلم أول ما يبتدىء المُسمِع في ذلك الحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلو
إنشاد من رفع إلى مقامه العلى في تلك الليلة نظما .

انتهى كلام صاحب نظم الدرر والعقيان ، وهو أتم مساقا من كلامه في
راح الأرواح .

(١) في نفح الطيب : « في يد » .

(٢) زيادة عن ت ونفح الطيب .

شعر لأبي زكريا
ابن خلدون
في المنجاة

أقول : ولا بد أن نذكر جملة من القطع التي أنشأها الكاتب أبو زكرياء
يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبي حمو المذكور ، على لسان جارية المنجاة ،
مخاطبة بما سر من الليل ، وكانت الجارية تأتي بها في يدها اليمنى ، كما ذكرناه ؛
فمن ذلك [قوله رحمه الله في مضي ساعتين من الليل :

أخليفة الرحمن والملك الذي تعزو لعزّ علاه أملاك البشر
لله مجلسك الذي يحكي عُلا بك ما لي أفاق السماء لمن نظر
أو ما ترى فيه النجوم زواجرها وجهُ الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت تُثنى عليك ثنا الرياض على المطر
لا زال هذا الملك منصوراً بكم وبلغت مما ترتجى أسنى الوطر

[١٦٢]

و] قوله رحمه الله في انقضاء ثلاث ساعات من الليل :

أمولاي يا ابن الملوك الألى لهم في المعالي سنيّ الرتب
تولت ثلاثاً من الليل أبقت لك الفخر في عُجمها والعرب
فدُم حجة الله في أرضه تنال الذي شئت من أرب

وقوله رحمه الله في مضي ست ساعات :

يا ماجدا وهو فرد تخاله في عساكر
ست من الليل وأت ما إن لها من نظائر
دامت لياليك حتى إلى المعاد نواضر

وقوله رحمه الله في مضي ثمان ساعات :

يا أكرم الخلق ذاتاً وأشرف الناس أسرة
مرت ثمان وأبقت في القلب مني حسره

فبينَ كانَ شبَّابِي أخا نعيمٍ ونَضْرَه
وَلَّى بِهَا الدَّهْرُ عَنِّي تُرَى لَهَا بَعْدُ كَرَّه
فَاللَّهُ يُبْقِيكَ مَوَلَّى يُطِيلُ فِي السَّعْدِ عُمْرَه

وقوله رحمه الله في مضي عشر ساعات :

يا مالِك الخير والخيل التي حكمتُ له بَعَزٍ عَلَى الْأَيَّامِ مُقْتَبِلِ
هَذَا الصَّبَاحِ وَقَدْ لَا حَتَّ بِشَائِرُهُ وَاللَّيْلُ وَدَعْنَا تَوَدِيعَ مُرْتَحِلِ
لَهُ عَشْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ بَاهِرَةٌ مَضَيْنَ لَا عَنْ قَلِيٍّ مَنَا وَلَا مَلِكِ
كَذَا تَمَرُّ لَيْسَالِي الْعُمْرِ رَاحِلَةٌ عَنَّا وَنَحْنُ مَعَ الْأَمَالِ فِي شُغْلِ
نُفْسِي وَنُضْبِحُ فِي لَهْوٍ نُسَرُّ بِهِ جَهْلًا وَذَلِكَ يُذْنِبُنَا مِنَ الْأَجَلِ
وَالْعُمْرُ يَمْضِي وَلَا نَدْرِي فَوَا أَسَفًا عَلَيْهِ إِذْ مَرَّ فِي الْآثَامِ وَالزَّلَلِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي غَدًا كَيْفَ الْخِلَاصِ بِهِ ^(١) وَلَمْ نُقَدِّمْ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ
يَا رَبُّ عَفْوِكَ عَمَّا قَدْ جَنَّتْهُ يَدِي فَلَيْسَ لِي بِجِزَاءِ الذَّنْبِ مِنْ قَبْلِ
يَا رَبِّ وَانصِرْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا حَمُو الرِّضَا وَأَنَّ لَهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَأَبْقِ فِي الْعِزِّ وَالتَّمَكُّنِ مَدَّتَهُ وَأَعْلِ دَوْلَتَهُ الْفَرَا عَلَى الدُّوَلِ

[١٦٣]

موشحة
للتلايلسي
يخاطب بها
أبا حو

ومن الموشحات التي خطب بها السلطان أبو حو رحمه الله في مولد سنة سبع
وستين وسبع مئة ، قولُ طبيب دولته أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهير
بالتلايلسي ، رحمه الله تعالى :

لِي مَذْمَعٌ هَتَّانُ يَنْهَلُ مِثْلَ الدَّرَزِ
قَدْ صَيَّرَ الْأَجْفَانُ مَا إِنْ لَهَا مِنْ أُنْزِ

(١) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « ياليت أن غدا » . وفي ت « ياليت غدا » .
وحا ظاهرنا التحريف .

حَقَّ لَهُ يَجْرِي	دَمًا عَلَى طُول الدَوَامِ
مُذْ جَدًّا فِي السَّيْرِ	نَاسٌ إِلَى خَيْرِ الْأَنَامِ
وَعَاقِبَتِي وَزَرِي	يَا صَاحِرَ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ
وَسَارَتِ الْأَطْعَامُ	يُحْدِي بِهَا فِي السَّحَرِ
فَاسْتَبْشَرَ الرِّكْبَانُ	بِقَرَبِ نَيْلِ الْوَطَرِ
يَا سَمْعَهُ مَنْ زَارَ	قَبْرَ النَّبِيِّ الْمَصْطَفِ
مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ	قُطْبِ الْمَعَالِي وَالْوَفَا
فِي مَدْحِهِ قَدْ حَازَ	الْخَلْقُ طُرًّا وَكُنَى
فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ	وَشَرَحِهِ وَالسَّيْرِ
فَضْلَهُ الرَّحْمَنُ	عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ
يَا حَادِيَ الرِّكْبِ	بِاللَّهِ إِنْ جِئْتَ الْبَقِيعَ
نَحِيَّةَ الصَّيْبِ	بَلَّغْ إِلَى الْهَادِي الشَّفِيعِ
غُرَبْتُ بِالْغَرَبِ	عَنْ ذَلِكَ الْمُغْنَى الرَّفِيعِ
وَلَيْسَ لِي إِمْكَانُ	يُنْهَضُنِي لِلْسَفَرِ
إِلَّا مِنَ السُّلْطَانِ	الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْمُو	إِلَى الْمَعَالَى كُلِّ حِينِ
ذَاكَ أَبُو حَمُو	الْمَوْلَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ
طَاعَتُهُ غُنْمُ	نَلْنَا بِهَا دُنْيَا وَدِينِ
أَظْهَرَ فِي الْبُلْدَانِ	مَنْ عَدْلُهُ الْمُشْتَهَرِ
وَعَمَّ بِالْإِحْسَانِ	لِلْبَدْوِ نَمِ الْحَضَرِ

قَابَلَهُ إِسْمَاعِيلُ تَكَلَّمَ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ
 قَبِيلُ عَبْدِ الْوَادِ^(١) بِهِ غَدَّتْ فِي سُلْطَنِهِ
 أَيَّامُهُ أَعْيَادُ يَالَيْتَهَا أَلْفَا سَنَةً
 مُلْكُ بَنِي زَيْبَانَ بِالْمَشْرِفِ الذَّكْرِ
 أَحْيَاهُ إِذْ قَدْ كَانَ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَبَرٍ
 تَاهَتْ تَلْسَانُ بِمَلِكِهِ عَلَى الْبِلَادِ
 صَارَ لَهَا شَانُ وَسَعْدُهَا حِلْفُ ازْدِيَادِ
 قَدْ ضَلَّ إِنْسَانُ قَالَ بِهَا يَشْكُو الشَّهَادِ
 لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ وَالْحَبَّ تَرْبُ السَّهَرِ
 وَالصَّبْرُ لِي خَوَّانُ وَالنُّومُ مِنْ عَيْنِي بَرَى^(٢)

شئ عن
السلطان
أبي حمو

وكان هذا السلطان أبو حمو رحمه الله يقرض الشعر، ويحب أهله، وله
 رحمه الله تأليف حسن في السياسة، نلخص فيه «سُلُوانُ الْمُطَاعِ» لابن ظَفَرٍ،
 وزاد عليه فوائد، وأورد فيه جملة من نظمه، وأمورا جرت له مع معاصريه من
 ملوك بني مَرَيْنٍ وغيرهم، وصنّفه برسم ولي عهده أبي تاشَفِينٍ، وسمّاه «نظم
 السلوك، في سياسة الملوك».

قصيدة
ابن الخطيب
للسلطان أبي حمو
يستعبد به

وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا
 ما يوجه إليه بالأمداح، ومن أحسن ما وجه له^(٤) قصيدة سينية فائقة، وذلك
 عند ما أحسن بتغيير سلطانه عليه، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه، لتمهيد له مشواه؛

(١) في ط: «الجواد».

(٢) كذا في ط. وفي ت: «عن».

(٣) برى: يريد: «برى» فسهل للشعر.

(٤) كذا في ط وفتح الطيب (ج ٤ ص ٢٧؛ طبعة بلاق). وفي ت: «إليه».

وتحصل له المستقر ، إذا ألجأه الأمر إلى المفرة ؛ فلم تساعد الأيَّام ، كما هو شأنها في أكثر الأعلام ؛ وهي هذه :

أُطْلَعْنَ فِي سُدْفِ الْفُرُوعِ شُمُوسًا ضَحِكَ الظَّلَامُ لَهَا وَكَانَ عُبُوسًا
وَعَطَفْنَ قُضْبًا لِلْقُدُودِ نَوَاعِمًا بُوْثُنَ أَدْوَا حِ النِّعَمِ غُرُوسًا
وَعَدَلْنَ عَنْ جَهْرِ السَّلَامِ خَافَةَ الْوِشَى فَجِئْنَ بِلَفْظِهِ مَهْمُوسًا
وَسَقَرْنَ مِنْ دَهْشِ الْوَدَاعِ وَقَوْمَهُنَّ إِلَى التَّرَحُّلِ قَدْ أَنَاخُوا الْعِيسَا
وَخَلَسْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ إِشَارَةً فَتَرَكْنَ كُلَّ حِجَالِهَا مَخْلُوسًا
لَمْ أُنْسَهَا مِنْ وَخْشَةٍ وَالْحَيُّ قَدْ زَجَرَ الْحَوْلَ وَآثَرَ التَّغْلِيسَا
لَا الْمُلْتَقَى مِنْ بَعْدِهَا كَتَبَ^(١) وَلَا عُوجُ الرِّكَاثِ تَسَامُ التَّخْيِيسَا^(٢)
فَوَقَفْتُ وَقْفَةً هَائِمٌ بُرَحَاوُهُ وَقَفْتُ عَلَيْهِ وَحُبَّسْتُ تَخْيِيسَا
وَدَعَوْتُ عَيْنِي عَاتِبًا وَعُيُونَهَا بَعَا النَّوَى قَدْ بُجَّسْتُ تَبْعِيسَا
نَافَسْتُ يَا عَيْنِي دُرَّ دُمُوعِهِمْ فَعَرَضْتُ دُرًّا لِلدُّمُوعِ نَفِيسَا
مَا لِلْحِمَى بَعْدَ الْأَحَبَّةِ مُوَحِّشًا وَلَكَمْ تَرَاءَى أَهْلًا مَأْنُوسًا
وَلِيَسْرِ بِهِ حَوْلَ الْحِمَى نَافِرًا عَمَّنْ يُحْسِنُ بِهِ وَكَانَ أُنِيسَا
وَلِظَلِّهِ الْمُرُودِ غَمْرُ قَلْبِهِ لَا يَقْتَضِي وَرْدًا وَلَا تَعْرِيسَا^(٣)
حَيِّيتُهُ فَأَجَابَنِي رَجْعُ الصَّدَى لَا فَرَقَ بَيْنَهُمَا إِذَا مَا قِيسَا
مَا إِنْ يَزِيدُ عَلَى الْإِعَادَةِ صَوْتُهُ حَرَفًا فَيَشْفِي بِالْمَزِيدِ نَسِيسَا^(٤)

(١) كَتَبَ ، أَيْ قَرِيبَ .

(٢) كَذَا فِي ط . وَالتَّخْيِيسُ : أَنْ تَدُلَّ الدَّابَّةُ وَتَرَاضَ بِالرَّكُوبِ . وَفِي ت وَنَفَحَ الطَّيْبُ : « التَّخْيِيسَا » .

(٣) الْقَلِيبُ : الْبُئْرُ . وَغَمْرُهُ : أَيْ مَأْوَاهُ الْفَاوِسُ . وَالتَّعْرِيسُ : الْخُرُوجُ آخِرَ اللَّيْلِ .

(٤) النَّسِيسُ : غَايَةُ جَهْدِ الْإِنْسَانِ .

نَصَبَ المَعِينِ وَقَلَّصَ الظِّلُّ الَّذِي ظَلْنَا وَفُوقَا عِنْدَهُ وَجُلُوسَا
 نَتَوَاعَدُ الرُّجْعَى وَنَغْتَنِمُ اللَّقَا وَنُدِيرُ مِنْ شَكْوَى الغَرَامِ كَوُوسَا
 فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَا تَسْأَلْ مُخْبِرَا وَإِذَا سَمِعْتَ فَلَا تُحَسِّحْ حَسِيسَا
 عَهْدِي بِهِ وَالدهْرُ يُتَحِفُ بِالْمَنَى وَقَدْ اقْتَضَتْ نِعْمَاهُ أَنْ لَا بُوسَا^(١)
 وَالْعَيْشُ غَضُّ الرِّيعِ وَالذَّنْبُ قَدْ أَجْمَلِيَتْ بِمَغْنَاهُ^(٢) عَلَى عَرُوسَا
 أَتَرَى يُعِيدُ الدهْرُ عَهْدًا لِلصَّبَا دَرَسَتْ مَعَانِي الأَنْسِ فِيهِ دُرُوسَا
 [أَوْطَانِ أَوْطَارٍ تَعَوَّضَ أَفْقَهَا مِنْ رَوْنَقِ البِشْرِ البَهِيِّ عُبُوسَا]^(٣)
 هِيَاهُ لَا تُغْنِي لَعَلَّ وَلَا عَسَى فِي مِثْلَهَا إِلَّا لَايَةٌ عَيْسَى
 وَالدهْرُ فِي دَسْتِ القَضَاءِ مُدَرِّسٌ فَإِذَا قَضَى يَسْتَأْنِفُ التَّدْرِيسَا
 تَفْتَنَنَّ فِي جُمْلِ الوَرَى أَبْحَاثَهُ لَا سِيَّامًا فِي بَابِ رَنَمٍ وَبَيْسَا
 وَسَجِيَّةُ الإِنْسَانِ لَيْسَ بِنَاصِلٍ مِنْ صِبْغِهَا حَتَّى يُرَى مَرْمُوسَا
 يَفْتَرُّ مَهْمَا سَاعَدَتْ أَمَالُهُ فَإِذَا عَرَاهُ الخَطْبُ كَانَ يُبُوسَا
 فَلَوْ أَنَّ نَفْسًا مُكَنَّتْ مِنْ رُشْدِهَا يَوْمًا وَقَدَّسَهَا الهُدَى تَقْدِيسَا
 لَمْ تَسْتَفِزْ رَسُوخَهَا النُّعْمَى وَلَا هَلَعَتْ إِذَا كَثُرَتْ^(٤) إِلَيْهَا البُوسَا
 قَلَّ لِلزَّمَانِ إِلَيْكَ عَنْ مَتَدَمٍّ^(٥) بَضْمَانٍ عِزٍّ لَمْ يَكُنْ لِيَخِيْسَا^(٦)

[١٦٦]

(١) لَا بُوسَا : لَا بُوسَا ، فَسْهَل .

(٢) كَذَا فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « بِمَغْنَاهُ » .

(٣) التَّكْمِلَةُ عَنْ تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ .

(٤) كَذَا فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي تَوْفِيقِ : « كَثُرَتْ » وَكَلَامُهَا تَحْرِيفٌ .

(٥) التَّنْذِيمُ : الْمُسْتَكْنَفُ .

(٦) كَذَا فِي طَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي تَوْفِيقِ : « تَبْخِيْسَا » .

فإذا استحرَّ جِلَادُهُ فَأَنَا الَّذِي اسْتَعَشَيْتُ مِنْ سَرْدِ^(١) الْيَقِينِ لَبُوسًا^(٢)
وإذا طغا فِرْعَوْنُهُ فَأَنَا الَّذِي مِنْ يَحْمَى الْحِمَى^(٣) لَبُوسًا وَيُعْلِمُ بِالزَّيْرِ الْخَيْسَا
أَسَدُ الْهَيْبِ إِذَا خَطَا قُدَمًا سَطَا لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ وَالْعَرِيْسَا
بَدْرُ الْهُدَى يَأْتِي الظَّلَالَ ضِيَاؤُهُ فَيُخَلِّفُ الْأَسَدَ الْهَزْبَرُ فَرِيْسَا
جَبَلُ الْوَقَارِ رَسَا وَأَشْرَفَ وَاعْتَلَى أَبْدًا فَيَجْلُو الظُّلْمَةَ الْخَنْدِيْسَا^(٤)
غَيْثُ النَّوَالِ إِذَا الْغَامُ حَلُوبُهُ وَسَمًا فَطَاطَتِ الْجِبَالُ رُءُوسَا
تَلْقَاهُ يَوْمَ الْأَنْسِ رَوْضًا نَاعِمًا مَثَلْتُ بِأَيْدِي الْحَالِبِينَ بَسُوسًا^(٥)
كَمْ غَمْرَةٌ جَلَّى وَكَمْ خَطْبٌ كَفَى وَتَرَاهُ بَأْسًا فِي الْهَيْبِ بَثِيْسَا
كَمْ حِكْمَةٌ أَبْدَى وَكَمْ قَصْدٌ هَدَى لِسَالِكِينَ أَبَانَ مِنْهُ دَرِيْسَا^(٦)
أَعْلَى بَنَى زِيَّانَ وَالْفَذَّ الَّذِي لَيْسَ الْكَمَالُ فَرِيْنَ الْعَلْبُوسَا
جَمَعَ النَّدَى وَالْبَاسَ وَالشِّيمَ الْعُلَا وَالشُّوْدَدَ الْمُتَوَاتَرَ الْقَدُمُوسَا^(٧)
وَالْحَلْمَ لَيْسَ يُبَايِنُ الْخُلُقَ الرُّضَا وَالْعِلْمَ لَيْسَ يِعَارِضُ النَّامُوسَا

(١) سرد اليقين : أى درع من اليقين .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « البوسا » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « مثنوى » .

(٤) الجنديس : الشديد الظلمة .

(٥) البسوس : الناقة التي لا تدر إلا على الإساس ، أى التلطف ، بأن يقال لها : بس بس ، تسكينها .

(٦) الدريس : الطريق الخفى .

(٧) القدموس : القديم .

والسعد يغنى حكمه عن نصبة تستخيرُ التربيع والتسديسا
 كم راض صعباً لا يُراضُ مُعاصيا كم خاض حرباً لا يُخاض ضروسا
 ببلغ التي لا فوقها متمهلاً وعلا الشها واستسفل البرجيسا^(١)
 يا خير من خفقت عليه سحابة للنصر تمطره أجش بجيسا^(٢)
 وأجل من حملته صهوة ساج إن كره ضعضع كره السكردوسا^(٣)
 قدماً بمن رفع السماء بغير ما عميد ورقع فوقها إدريسا
 ودحا البسيطة فوق لجج مزيد ما إن يزال على القرار حبيسا
 حتى يهيب بأهله الوعد الذي حشر الرئيس إله والمرهوسا
 ما أنت إلا ذخردهرك دمت في الصون الحرير ممتعا محروسا [١٦٧]
 لوساومته الأرض فيك بما حوت لراك مستاماً بها مبخوسا
 حلف^(٤) البرور بها أليّة صادق ويمين من عقد اليمين غموسا^(٥)
 من قاس ذاتك بالذوات فإنه جهل الوزان وأخطأ التقييسا
 لا تستوى الأعيان فضل مزية وطبيعة فطر الإله وسوسا^(٦)
 لعناية التخصيص سر غامض من قبل ذرء الخلق حص نفوسا
 من أنكر الفضل الذي أوتيته جحد العيان وأنكر المحسوسا

(١) البرجيس (بالكسر) : نجم ، أو هو المشتري .

(٢) بجيسا : غزيرا .

(٣) السكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .

(٤) كذا في نفج الطبيب . وفي الأصاين : « كلف » .

(٥) يمين : يكذب . واليمين الغموس : التي تغمس صاحبها في الإنم ثم في النار ، وهي

الكاذبة التي يتعمدها صاحبها عالماً بأن الأمر بخلافه .

(٦) السوس : الطبيعة والسجية .

من دَانَ بالإخلاص فيكَ فَعَقْدُهُ لَا يَقْبَلُ التَّمْوِيهَ والتَّلْبِيسَا
 وَالْمُنْتَمَى الْعَلَوِيَّ عَيْصُكَ لَمْ تَكُنْ لَتَرَى دَخِيلًا فِي بَنِيهِ دَسِيمًا^(١)
 بَيْتَ الْبَتُولِ وَمُنْتَمَى الشَّرَفِ الَّذِي تَخْمِي الْمَلَائِكُ دَوْحَهُ الْمَعْرُوسَا
 أَمَّا سِيَاسَتُكَ الَّتِي أَخْكَمْتَهَا فَرَمَيْتَ بِالتَّقْصِيرِ أَسْطَالِيسَا
 فَلَوْ أَنَّ كِسْرَى الْفَرَسِ أَبْصَرَ بَعْضَهَا مَا كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يُعَدَّ سَوَّوسَا^(٢)
 لَوْ سَارَ عَدْلُكَ فِي السَّنِينَ لَمَا اشْتَكَتْ بَخْسًا وَلَمْ يَكُ بَعْضُهُنَّ كَبِيسَا
 وَلَوْ الْجَوَارِي الْخُنُسُ انْتَسَبَتْ إِلَى أَقْوَامٍ عَزَّكَ مَا خَنَّسْنَ خُنُوسَا^(٣)
 قُدَّتِ الصَّعَابُ فَكُلِّ صَعْبٍ سَامِعُ لَكَ بِالْقِيَادِ وَكَانَ قَبْلُ شَمُوسَا
 تَلَقَّى اللَّيْثُ وَلِلْقَتَامِ عِمَامَةٌ قَدَحَ الصَّفِيحُ وَمِيعَهَا الْمُقْبُوسَا
 وَكَانَتْهَا تَحْتَ الدَّرُوعِ أَرَاقِيمُ يَنْظُرُونَ مِنْ خَلَلِ الْمَغَافِرِ شُوسَا^(٤)
 مَا لَبَنَ مَامَةً فِي الْقَدِيمِ وَحَاتِمُ ضَرَبَ الزَّمَانُ بِمَجُودِهِمْ نَاقُوسَا^(٥)
 مِنْ جَاءَ مِنْهُمْ مِثْلَ جُودِكَ كَلَمًا حَسِبُوا الْمَكَارِمَ كُسُوةَ أَوْ كَبِيسَا
 أَنْتَ الَّذِي افْتَتَكَ السَّفِينِ وَأَهْلَهُ إِذْ أَوْسَعْتَ سُبُلَ الْإِخْلَاصِ طُمُوسَا
 أَنْتَ الَّذِي أَمَدَدْتَ ثَغْرَ اللَّهِ بِالصَّـ دَقَاتِ تَبْلُسُ كَرَّةً إِبْلِيسَا
 وَأَعْنَتْ أُنْدُلُسًا بِكُلِّ سَبْيِكَةٍ مَوْسُومَةٍ لَا تَعْرِفُ التَّدْلِيسَا

(١) العيص : الأصل .

(٢) في نفح الطيب الطبوع والمخطوط : « بسوسا » .

(٣) الجوارى الخنس : منها زحل والمريخ والمشتري وعطارد والزهرة ؛ وخنوسها : اختفاؤها .

(٤) شوسا : ناظرة بمؤخر العين غضبا .

(٥) ابن مامة : هو كعب ، وهو من أجواد العرب .

وشحنته بالبر في سبل الرضا والبر قارب قاعها القاموسا
 إن لم تجر بها الخميس فطلما جهزت فيها للنوال خميسا
 وملأت أيديها وقد كادت على حكم القضاء تشابه التفليسا
 صدقت للآمال صنعة جابر^(١) وكفيتها التشميع والتشميسا^(٢) [١٦٨]
 والحل والتقطير والتضميد والت خمير والتضويل والتكليسا^(٣)
 فسبكت من آمالها مالا ومن أوراقها ورقا وكن طروسا
 بهتوا فلما استخبروا لم ينكروا وزنا ولا لونا ولا ملوسا
 تدبير من قلب السطور سبائكا منها ومن طبع الحروف فلوسا
 ونحوت نحو الفضل تعضد منه بال مسموع ما ألفت منه مقيسا
 وجبرت بعد الكسر قومك جاهدا تغني القديم وتطلق المخبوسا
 ونشرت راية عزيم من بعدما دال الزمان فسامها تنكيسا
 أحكت حيلة برئهم بلطافة قد أعجزت في الطب جالينوسا
 وقلت من حد الزمان وإنه أوحى وأمضى من غرار المومسا
 وشحذت حدا كان قبل مثلما ونعشت جدا كان قبل تميسا

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٢) التشميع : تليين الشيء وتصويره كالشمع . (عن مفاتيح العلوم للخوارزمي) .

(٣) الحل : أن تجعل المنعقدات مثل الماء . والتقطير : مثل صنعة ماء الورد ، وهو أن يوضع الشيء في الفرج ويوقد تحته ، فيصعد ماؤه إلى الأنبيق ، وينزل إلى القابلة ، ويجمع فيه . والتصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أن أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة . والتضويل : أن يجعل الشيء الذي يرسب في الرطوبات طافيا ، وذلك أن يصير مثل الهباء حتى يصول على الماء . والتكليس : أن يجعل جسد في كيزان مطينة ويجعل في النار حتى يصير مثل الدقيق . والشيء يكلس ثم يصول . (عن مفاتيح العلوم) .

لم تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ فِي شِدَّةٍ تُكْنِي وَجُوحَ يُوسَى
 قَدِمْتَ صُحْبًا فَاسْتَفْضَاتَ بَنُورِهِ وَوَجَدْتَ عِنْدَ الشِّدَّةِ التَّنْفِيسَا
 مَا أَنْتَ إِلَّا فَالِحٌ ^(١) مَتَيْقِنٌ بِالنُّجُحِ تَعْمُرُ مُمَرَّعًا وَيَبِيسَا
 وَمُتَاجِرٌ جَعَلَ الْأَرِيكَةَ صَهْوَةً عَرَبِيَّةً وَالْمُتَكَا الْقَرَبُوسَا ^(٢)
 مَا إِنْ تَبَايَعَ أَوْ تُشَارَى ^(٣) وَائْتَقَا بِالرَّيْحِ إِلَّا الْمَالِكَ الْقُدُوسَا
 وَالْعَزْمُ يَفْتَرِعُ النُّجُومَ بِنَاؤُهُ مَهْمَا أَقَامَ عَلَى التُّقَى تَأْسِيسَا
 وَمَقَامَ صَبْرِكَ وَاتِّكَالِكَ مُذْ كَرُّهُ بِحَدِيثِهِ الشُّبْلِيِّ أَوْ طَاوُوسَا ^(٤)
 وَمَنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَفَّقَ سَعْيَهُ فَرَأَى الْعَظِيمَ مِنَ الْخَطُوطِ خَسِيسَا
 مَا أزدَدْتَ بِالْتَمَحِيصِ إِلَّا جِدَّةً وَنَضُوتَ مِنْ خِلَعِ الزَّمَانِ لَبِيسَا
 وَلَطَالَمَا طَرَقَ الْخُسُوفُ أَهْلَةً وَلَطَالَمَا اعْتَرَضَ الْكُسُوفُ شُمُوسَا
 نِمَ انْجَلَتْ نَسَائِمُهَا عَنْ مَشْرِقِ لِلْسَّعْدِ لَيْسَ بِمَحَاذِرِ تَعْنِيسَا
 خُذْهَا إِلَيْكَ عَلَى النَّوَى سَيْنِيَّةٍ تُرْضِي الطَّبَاقَ وَتَشْكُرُ التَّجْنِيسَا
 إِنْ طُوِلَتْ ^(٥) بِالْدَّرَمِ حَوْلَ الطُّلَى يَوْمًا تَشَكَّتْ حَظُّهَا الدَّوْكَوسَا
 لَوْلَاكَ مَا أَصْغَتْ لِحْطَبَةِ خَاطِبٍ وَلَعُنَّتْ فِي بَيْتِهَا تَعْنِيسَا
 قَصَدَتْ سَلِيمَانَ الزَّمَانَ وَقَارِبَتْ فِي الْخَطُوطِ تَحْسِبُ نَفْسَهَا بَلْقِيسَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « وَالْج » .

(٢) الْقَرَبُوسُ : حَنُو السَّرَجِ .

(٣) كَذَا فِي نَفَحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَا إِنْ تَبَايَعَ أَوْ يُشَارَى » .

(٤) الشُّبْلِيُّ : هُوَ أَبُو بَكْرٍ دَافِ بْنِ جَعْدَرِ الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٣٤ هـ .

وَطَاوُوسٌ : هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو أَحْمَدَ أَبُو سَعِيدٍ الْمَالِئِيُّ الصُّوفِيُّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ

سَنَةَ ٤١٢ هـ .

(٥) كَذَا فِي ط وَنَفَحِ الطَّيْبِ . وَفِي ت : « طُوِلَتْ » .

لِي فِيكَ وَدَّ لَمْ أَكُنْ مِنْ بَعْدَ مَا أَعْطَيْتُ صَفَقَةً عَهْدَهُ لِأَخِي سَا
 كَمْ لِي بِصَحَّةِ عَقْدِهِ مِنْ شَاهِدٍ لَا يَحْذَرُ التَّجْرِيجَ وَالتَّدْلِي سَا
 يَقْفُو الشَّهَادَةَ بِالْيَمِينِ وَإِنَّهُ لَمَوْءَنْنٌ مَنْ أَنْ يُعَدَّ فَيْسَا^(١)
 لَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُ أَفْكَارِي إِلَى أَنْ أَسْتَقِرَّ لَدَى عِلَّاءِ جَلِي سَا
 وَأَرَى تُجَاهَكَ مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ لِلْقَضْدِ الَّذِي أَعْمَلْتُهُ مَعَكُمْ سَا [١٦٩]

هِيَ دِينَ أَيَّامِي فَإِنْ سَمَحْتَ بِهِ لَمْ يَبْقَ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ يُوسَى
 لَا زَالَ صُنْعُ اللَّهِ مَجْنُوبًا إِلَى مَثْوَاكَ يُهْدِي الْبَشَرَ وَالتَّائِي سَا
 مُتَابِعًا كَتَتَابِعِ الْأَيَّامِ لَا يَذَرُ التَّعَاقُبَ جُمُعَةً وَخَمِي سَا
 فَلَوْ أَنْصَفْتُكَ بِإِيَالَةِ الْمَلِكِ الَّتِي رُضْتُ الزَّمَانَ لَهَا وَكَانَ شَرِي سَا
 قَرَنْتُ بِذِكْرِكَ وَالِدَاءَ لَكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِي سَا
 الْقَلْبُ أَنْتَ لَهَا رُبُّسَ حَيَاتِهَا لَمْ تَعْتَبِرْ مَهْمَا صَلَحَتْ رُبِّي سَا
 قَالَ الْخَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّنَاسِيَّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ : هَذَا ابْنُ الْخَطِيبِ
 فِي هَذِهِ السِّينِيَّةِ حَذَّوْا بِأَبِي تَمَامٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا :
 أَقْشَيْبَ رَبِّعِهِمْ أَرَاكَ دَرِي سَا تَقْرِي ضِيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِي سَا
 وَاخْتَلَسَ كَثِيرًا مِنْ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا . انْتَهَى .

وَوَصَلَ ابْنُ الْخَطِيبِ هَذِهِ السِّينِيَّةَ بِنَثْرِ بَارِعٍ يُخَاطَبُ بِهِ السُّلْطَانُ أَبُو تَمَامٍ
 الْمَذْكُورَ ، وَنَصَهُ :

نثر له أيضا
 وصل به
 القصيدة

(١) الفيس : الأحمق الضعيف العقل . وفي ت : « قيسا » بالثقاف بدل الفاء ،
 وهو تصحيف .

« هذه القصيدة ، أبقى الله أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل المجموع ،
والثناء المسموع ، والملك المنصور الجموع ؛ نفثة من باح بسر هواه ، ولبي دعوة
الشوق العاثر بلبه ^(١) وقد ظفر بمن يهدي خبر جواه إلى محل هواه ؛ ويختلس
بعث تميمته ، إلى مثير أرميته ؛ وهي بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال ، الشاذ
عن الآمال ؛ عنوان من كتاب ، وذواق من أوقار ذات أقتاب ؛ وإلا فمن يقوم
بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ؛ أو يستقل بوصفها يراعه ،
أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه ؛ ولا مكابرة بعد الاعتراف ، والبحر لا ينفد
بالاعتراف ؛ لا سيما وذاتكم اليوم والله يُقيمها ، ومن المكارة يقيمها ، وفي معارج
القرب من حضرة القدس يُرقّيه ، يا قوته اختارها واعتبرها ، ثم بلاها بالتحميم ^[١٧٠]
في سبيل التخصيص واختبرها ، وسبيكة خلصها وسجّرها ، نخلصها بسجّره
من الشوب ، وأبرزها من لباب الذوب ^(٢) ؛ وقصرت عن هذه الأثمان ، وسرّ
بصدق دعواه ^(٣) البهرمان ^(٤) ؛ ليفاضل بين الجهام والصيّب ، ويميز الله الخبيث
من الطيب ؛ فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للعُدّة ، وعرفكم بنفسه في حال
الشدة ، ثم فسّح لكم بعد ذلك في المدّة ؛ لتعرفوه إذا دال الرّخاء ، وهبّت بعد
تلك الزعازع الرّيح الرّخاء ؛ وملاكم من التجارب ، وأوردكم من أطفاه أعذب
المشارب ؛ وتقلّكم بين إمرار الزمان وإحلاله ، ولم يسلبكم إلا حقيرا عند أوليائه ؛

(١) وردت هذه العبارة محرفة في ت هكذا : « ودعوة الشوق الثابت بلبه » .
(٢) وردت هذه العبارة في الأصلين هكذا : « وسبيكة خلصها وشجرها نخلصها
الشجيرة من الشوب وأبرزتها من ... الخ » . وفي نفع الطيب : وسبيكة خلصها
وسجّرها ، نخلصها لتسخيره من الشوب ... الخ » . والعبارة في كل ذلك قلقة ،
ولعل ما أبتناه أقرب إلى المعنى المراد . والسجّر : مصدر سجر التنوير ونحوه ،
إذا أحماه .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « دموعه » . وفي ط : « دعوته » .

(٤) البهرمان : المصفر ، وهو دون الأرجوان شدة حمرة .

وأعادكم المعاد المطهر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المعلم المشهر ؛ فأنتم اليوم بعين العناية ، بالإفصاح والكناية ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجنایه ؛ فإن كان المُلْك اليوم علما يُدرَس ، وقوانين في قوة الحفظ تُعرَس ، وبضاعة برصد التجارب تُحرَس ؛ فأنتم مالك دار هجرته المحسوبة ، وأصمعي شعوبه المنسوبة ؛ إلى ما حُزتم من أشتات الكمال ، المُربّية على الآمال ؛ فالبيت علويّ المنتسب ، والمُلْك بين الموروث والمكتسب ؛ والجود يعترف به الوجود ، والذين يشهد به الركوع والسجود ؛ والبأس تعرفه التهاشم والنجد ، والخلق يحسده الروض المجود ؛ والشعر يغترف من عذب نمر ، ويصدق من قال بُدئ بأمرٍ وختم بأمرٍ ؛ وإن مملوكم حوّم من بآبكم على العذب البرود ، فعاقه الدهر عن الورود ؛ واستقبل أفعه ليحقق الرصد ، ولكنه أخطأ القصد ؛ [١٧١]

ومن أخطأ الغرض أعاد ، ورجا من الزمان الإسعاد ؛ فربما خبي نصيب ، أو كان مع الخواطي سهم مُصيب ؛ وكان يؤمل حبة ركاب الحجاز ، فانتقلت الحقيقة منه إلى الجاز ؛ وقطعت القواطع التي لم يتلها الحساب ، ومنعت الموانع التي خلّص منها إلى الفتنة الانتساب ؛ ومن طلب الأيام أن تجري على اقتراحه ، وجب العمل على أطراحه ؛ فإنما هي البحر الزاخر ، الذي لا يُدرك منه الآخر ؛ والرياح متغايرة ، والسفينة الحائرة ؛ فتارة يتعذر من المُرسى الصّرف ، وتارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتد الطرف ؛ هذا إن سالمها عَطَبُها ، وأغنى من الوقود حطبها ؛ ولقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ، ممن ^(١) يجبر كسر القلوب ؛ فإنه مما انعقد على كماله الإجماع ، وصح في عوالي معاليه السماع ، وارتفعت في وجود مثاله الأطماع ؛ أخلاقا هذبها الكرم الوضاح ،

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « فن » .

وسجية كلف بها السكال الفضاح ؛ وحِرصا على الذكر الجميل ، وما يتنافس فيه
إلا من سمت هممه ، وكرمت ذممه ، وألفت الخلد رَمِّه ؛ إذ الوجود سراب ، وما
فوق التراب تراب ؛ ولا يبقى إلا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسَطَّر في أوراق^(١) ؛
حسبا قلت من قصيدة كتبتها على ظهر [مكتوب]^(٢) موضوع ، أشار به من
كانت له طاعة ، فوفت بمقتضاه استطاعه :

يمضي الزمان فكلّ فانٍ ذاهبٌ إلا جميلٌ الذكر فهو الباقي
لم يبق من إيوان كسرى بعد ذا لك الحفل إلا الذِّكرُ في الأوراق
هل كان للسفاح والمنصور والسمهدى من ذكرٍ على الإطلاق
أو للرشيد وللأمين وصنوه لولا شـبـاهة يراعة الوراق
رجع التراب إلى التراب بما اقتضت في كلِّ خلقٍ حكمة الخلاق [١٧٢]
إلا الثناء الخالد العطر الشذا يهْدِي حديث مكارم الأخلاق
والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ، أن يَمَكِّنَها من حُسْنِ الثاب^(٣) ؛ فتحظى
بحلول ساحته ، ثم بلمّ راحتته ؛ ثم بالإصغاء ، ولا مزيد للابتغاء ؛ إلى أن ترتفع
الوساطه ، وتغنى عن التركيب البساطه ؛ ويُنسى الأثر بالعين ، ويُحسّن الدهر
قضاء الدّين ؛ ونسأل الذي أغرى بها القريحه ، ولم يجعل الباعث إلا الحجة الصريحه ؛
أن يُبقي تلك المثابة زينا للزمان ، وذخرا مكنوفا باليمن والأمان ، مظلا برحمة
الرحمن ، بفضلهِ وكرمه . انتهى .

ومن مقطوعاته ، أي ابن الخطيب ، البديعة في مخاطبة هذا السلطان أبي حنّو
صاحب تلمسان ، قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس :

بعض مقطوعات
لابن الخطيب
في السلطان
أبي حنّو

(١) في ط : « أو ذكر جميل » .

(٢) زيادة عن نفح الطيب .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « المناب » .

لقد زار الجزيرة منك بحر
أعدت لها بعهدك عهد موسى
يُمَدِّ فليس تعرف منه جزرا
سميك فهي تتلو منه ذكرا
أقت جدارها وأفدت كنزا
ولو شئت اتخذت عليه أجرا
وقوله :

وقالوا الجزيرة قد صوّحت
إذا وكفت كف موسى بها
فقلت : غمام الندى تنتظر
غاما يعود الجنب الخضر
ومخاطبات الوزير ابن الخطيب للسلطان أبي حمو كثيرة جدا ، ولتقتصر منها
على ما ذكرناه .

ومن نظم ابن الخطيب رحمه الله :

يا إمام الهدى وأى إمام
أنت عبد الحليم حلمك نرجو
أوضح الحق بعد إخفاء رُسمه
فالمسمى له نصيب من اسمه

[وله يخاطب عبد الواحد بن زكرياء بن أحمد اللحياني أبا مالك ابن سلطان
إفريقية مودعا :
شعر له يودع به
عبد الواحد ابن
سلطان إفريقية

أبا مالك أنت نجل الملوك
ومثلك يرتاح للمكرّمات
غيوث الندى وليوث التّزال
ومالك بين الورى من مثال
عزير بأنفسنا أن ترى
وقد خبرت منك خلقا كريما
وفازت^(١) لديك بساعات أنس
ولولا تعللنا أننا
أناف على درجات الكمال
كما زار في الليل طيف الخيال
نزورك^(٢) فوق بساط الجلال

(١) كذا في نفح الطيب (ج ٤ ص ١٧٦) . وفي الأصلين : « وجازت » .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « بزورك » .

ونبلغُ فيكَ الذي نبتغي وذاك على الله سهل المنال
لما فترتُ أنفُسُ من أسي ولا برحت أدْمَعُ في انهمال
تلقّتك حيثُ احتلت السعودُ وكان لك الله في كل حال
وتوفى أبو مالك الخطّاب بهذا ببلد الجريد سنة خمسين وسبع مئة ^(١) .
ومن أبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التي أولها :
* الحق يعلو والأباطل تسفل *

قال ابن حجة في شرح بديعته ، الذي سماه بتقديم أبي بكر ، ما نصه :
« ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء ، براعة الاستهلال للعلامة إمام
المغرب ، ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وهي :

من قصيدة
« المنح الغريب »
له

الحق يعلو والأباطل تسفل والله ^(٢) عن أحكامه لا يُسأل [١٧٣]

فإنه قال : نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا ، لما انفصل
طالباً حقه بالأندلس ، قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها ^(٣) ، ووجهت بها إليه
إلى رُندة قبل الفتح ، ثم لما قدِمْتُ أنشدتها [بين يديه] ^(٤) بعد الفتح وفاء
بنذرى ، وسمّيتها : « المنح الغريب ، في الفتح القريب » ، منها قوله رحمه الله :

وإذا استحالَت حالة وتبدلت فالله عزّ وجلّ لا يتبدّل
واليسرُ بعد العُسْر موعود به والصبر بالفرج القريب مُوَكَّل
والمستعدُّ لما يؤمّل ظافر وكفاك شاهد « قيّدوا وتوكلوا »

(١) في نفع الطيب : سنة ٧٤٠ .

(٢) في شرح بديعية ابن حجة : « والحق » .

(٣) في شرح البديعية المذكور : « كان صنع الله مطابقاً لاستهلالها » .

(٤) الزيادة عن شرح البديعية لابن حجة .

أحمد والحمد منك سجية بحُلِيِّهَا دون^(١) الورى تتَجَمَّلُ
أما سُعودك فهو دون مُنازع عَقْدَ بِأَحْكَامِ الْقَضَاءِ مُسَجَّلُ
ولك السجايا العُرَى والشِّيمُ التي بغريبتها يَتَمَثَّلُ الْمُتَمَثِّلُ
ولك الوقار إذا تَزَلَّزَتِ الرُّبَا وهَفَّتْ مِنَ الرَّوْعِ الهَضَابُ الْمُثَلُّ
عوذ كمالك ما استطعت فإنه قد تنقصُ الأشياءُ مما تكُمِّلُ
تاب الزمان إليك مما قد جَنَى والله يَأْمُرُ بِالْمَتَابِ وَيَقْبَلُ
إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى بِإِسَاءَةٍ قَدْ سَرَّكَ الْمُسْتَقْبَلُ
هذا بذاك فشفع الثاني^(٢) الذي أَرْضَاكَ^(٣) فيما قد جناه الأولُ
والله قد وَّلَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ لما ارتضاكَ ولَايَةً لَا تُغْزَلُ
وإذا تَغَمَّدَكَ الْإِلَهِ بِنَصْرِهِ وقضى لك الحُسْنَى فَمَنْ ذَا يَخْذُلُ
وظعنْتَ عن أوطانٍ ملكك رَاكِبَا مَتْنٌ^(٤) الْعُبابِ فَأَيُّ صَبْرٍ يَجْمَلُ ؟
والبجر قد حُنِيتَ^(٥) عليك ضلوعه والريح تقطع للزفير^(٦) وتُرْسِلُ
ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت تختالُ في بُرْدِ الشَّبَابِ وَتَرْفُلُ
جَوَافٍ يَحْمِلُهَا وَمَنْ حَمَلَتْ بِهِ مَنْ يَعْلَمُ الْأَثَى وَمَاذَا تَحْمِلُ
صَبَّحَتْهُمْ غُرُورَ الْحِيَادِ كَأَنَّمَا سَدَّ^(٧) الثَّنِيَّةَ عَارِضٌ مَهْلَلُ

(١) في شرح البديعة : « بين » .

(٢) كذا في البديعة . وفي الأصلين : « الجاني » .

(٣) كذا في ط . وفي ت : « ارتضاك » .

(٤) كذا في البديعة . وفي الأصلين : « بين » .

(٥) كذا في نفح الطيب ، وفي ط : « خفقت » وفي ت : « خفت عليه » .

(٦) في البديعة : « تبتلع الزفير » .

(٧) كذا في البديعة . وفي ت : « كأنها بيد الثنية » أي بطريق الثنية . وفي ط :

« كأنها أسد الثنية » وهي محرفة عما أثبتناه في صلب الكتاب .

مِنْ كُلِّ مَنْجَرِدٍ أَغْرَ مُحَجَّلٌ يرمى الجياد^(١) به أغرَّ مُحَجَّلٌ
زَجَلَ الْجَنَاحَ إِذَا أَجَدَ لَغَارَةً^(٢) وإذا تَغَيَّ للصهيل قُبْلُبُلٌ
جَيِّدٌ كَمَا التَفَتَ الظَّلِيمُ وَفَوْقَهُ أُذُنٌ مَشَقَّةٌ وَطَرْفٌ أَكْحَلُ
ومنها :

[١٧٤] وَخَلِيجٌ هَنْدٍ رَاقٍ حَسَنُ صِفَانِهِ حَتَّى يَكَادُ يَعُومُ^(٣) فِيهِ الصَّيْقَلُ
غَرَقَتْ بِصَفْحَتِهِ النَّهْلُ وَأَوْشَكَتْ تَبْغِي النِّجَاةَ فَأَوْثَقَتْهَا الْأَرْجُلُ
فَالصَّرْحُ مِنْهُ مَرَّدٌ، وَالصَّفْحُ مِنْهُ مُوَرَّدٌ، وَالشَّطُّ مِنْهُ مُصْنَدَلٌ^(٤)
وَبِكُلِّ أَزْرَقٍ إِنْ شَكَتْ الْحَاظُهُ مَرَّةَ الْعُيُونِ فَبِالْعَجَاجَةِ يُكْحَلُ^(٥)
مُتَأَوِّدٌ أَعْطَافُهُ فِي نَشْوَةٍ مِمَّا يُعَلِّقُ مِنَ الدَّمَاءِ وَيُنْهَلُ
عَجَبًا لَهُ أَنْ النُّجَيْعَ بِطَرْفِهِ رَمَدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مُقْتَلُ
لِلَّهِ مَوْقِفُكَ الَّذِي وَثَبَاتِهِ وَثَبَاتُهُ مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَّلُ
وَالنَّصْلُ خَطٌّ، وَالْمَجَالُ صَحِيفَةٌ وَالسَّمَرُ تَنْقُطُ، وَالصَّوَارِمُ تَشْكُلُ
وَالْبَيْضُ قَدْ كَسِرَتْ حُرُوفُ جُفُونِهَا وَعَوَامِلُ الْأَسَلِ الْمُثَقَّفُ تَعْمَلُ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ، وَجَمِيعُهَا فَرَائِدٌ؛ وَلَمْ أَكْثَرُ مِنْهَا إِلَّا لَعَلَّمَنِي أَنْ كَلَامَ لِسَانِ الدِّينِ
ابْنُ الْخَطِيبِ غَرِيبٌ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ . اِتْمَهَى كَلَامُ ابْنِ حِجَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَمِنْ هَذِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ « وَطَرْفٌ أَكْحَلُ » :

فَكَأَنَّمَا هُوَ صُورَةٌ فِي هَيْكَلٍ مِنْ لُطْفِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ هَيْكَلٌ

(١) كَذَا فِي الْبَدِيعَةِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « الْجِلَاد » .

(٢) فِي تِ وَالْبَدِيعَةِ : « لَغَايَةٌ » .

(٣) فِي الْبَدِيعَةِ . « يَقُولُ » .

(٤) فِي طِ وَالْبَدِيعَةِ وَتَفْحُ الطَّيْبِ : « مَهْدَلٌ » .

(٥) مَرَّةَ الْعُيُونِ : خَلَوْهَا مِنَ الْكَحْلِ ، أَوْ فَسَادِهَا لِتَرْكِهِ .

ومنها ، بعد قوله : « والبيض قد كسرت » البيت ، قوله :

لله قومك عند مُشْتَجَرِ القَنَا إِذْ تَوَّبَ الدَّاعِي المُهَيَّبَ وَأَقْبَلُوا
قوم إذا لَفَحَ الهَجِيرُ وَجُوهَهُمْ حَجَبُوا برايات الجهاد وظلُّوا

من مقطوعات له
لما أشرف على
مراكش

ومن مقطوعات ابن الخطيب قوله لما أشرف على مراكش :

ماذا أُحْدِثَ عن بحر سَبَحَتْ به من البحار فلا إثم ولا حَرَجُ
دَحَاهُ مبتدع الأشياء مستويا ما إن به دَرَكٌ كَلَّا ولا دَرَجُ
حتى إذا ما المنار الفرد لاح لنا صَحَّتْ أبشري يامطايا^(١) جاءك الفرج
قَرُبْتُ من عامر داراً وَمَنْزَلَةٌ والشاهد العدل هذا الطَّيِّبُ والأرج
وقال رحمه الله :

كَأَنَّا بَتَامِسْنَا نَجُوسُ خِلَالَهَا وممدودها في سيرنا ليس يُقْصَرُ
مراكبُ في البحر الحِيطُ تَحْبَطُ ولا جهة تدرى ولا البر يُبْصَرُ

[١٧٥] قال ابن الخطيب : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا

من العدو ، واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة ، والتَّيَّه على
السلطان ، والدَّالَّة^(٢) والتَّكَبُّر على أعلى رُتَبِ الخدمة ، وتطارختُ على السلطان
في استنجاز وَعَد الرحلة ، ورغبت في تَبْرِئ^(٣) الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالجملة ،
خاطبني ، يعني أبا جعفر بن خاتمة ، بعد صدر بلغ من حسن الإشارة ، وبراعة
الاستهلال الغاية ، بقوله :

(١) هذه الكلمة ساقطة في ت .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « والدولة » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « تفدية » وفي ط : « تفويت » .

« وإلى هذا يا سيدى ومحل تعظيمى وإجلالى ، أمتع الله تعالى بطول بقائكم ، وضاعف فى العز درجات ارتقائكم^(١) ؛ فإنه من الأمر الذى لم يغب عن رأى العقول ، ولا اختلف فيه أرباب العقول ؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها ؛ وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ؛ وقلادة نحرها ، وفريدة دُرّها^(٢) ، وعقد جيدها [المنصوص]^(٣) ، وكال زينها^(٤) على العموم والخصوص ؛ ثم أنتم مدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ؛ وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب^(٥) مارستانها ؛ والذى عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ؛ فلديّه يحلّ المشكل ، وإليه يلتجأ فى الأمر المعضّل ؛ فلا غرو أن تتقيد بكم الأسماع والأبصار ، وتحقق نحوكم الأذهان والأفكار ؛ ويُزجر عنكم السائح والبارح ، ويُستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح ؛ استقراء لمرامكم ، واستطلاعاً لطالع اعتزامكم ، واستكشافاً عن مرامى سهامكم ؛ لا سيما مع إقامتكم على جناح خُفوق ، وظهوركم فى مُلتَمَع بُروق ، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق ؛ حتى تستقر بكم الديار ، ويلقى عصاه التسيار ؛ ولها العذر فى ذلك ، إذ صدّعها بفراقكم لم يندمل ، وسرورها ببقائكم لم يكتمل ؛ فلم يَبْرَ بعدُ جناحها المهيض ، ولا جَمّ ماؤها المغيض ، [١٧٦] ولا تميزت من داجيها لياليتها البيض ؛ ولا استوى نهارها ، ولا تألقت أنوارها ؛ ولا اشتملت نعاؤها ، ونسيت غماؤها ؛ بل هى كالناقة ، والحديث العهد بالمكاره ، تستشعر نفس العافيه ، وتمسح منكم باليد الشافيه ؛ فبحنانكم عليها ، وعظيم

(١) فى ط : « ارتفاعكم » .

(٢) فى ط : « دهرها » .

(٣) التكملة عن نفع الطيب .

(٤) فى نفع الطيب : « وتام زينتها » .

(٥) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « وطب » .

حرمتمكم على من لديها ؛ لا تشوبوا لها عذب المُجَاج بالأجَاج ، وتقطموها عما
 عُوِّدَتْ من طيب المزاج ؛ فالداها - وحياة قريبكم - غير طيبكم من علاج ؛ وإني
 ليخطرُ بخاطري محبة فيكم ، وعناية بما يعنيتكم ، ما نال جانبكم - صانه الله - بهذا
 الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ؛ وأن الوطن
 إحدى الحواضن الأظنار ، التي يحق لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة
 أولياء القربة وأوداء الصفاء ؛ فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنت ، وبحق
 نفسكم عن حق أوليائكم أسمع ، ولتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسبح .
 وهب أن الذر لا يحتاج في الإثبات ، إلى شهادة النحور واللِّبَات ؛ والياقوت
 غنى المكان ، عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعِيان ، وأبعد
 عن مكابرة البُرْهان ، تألقها في تاج الملك أنوشروان ؛ فالشمس وإن كانت أم
 الأنوار ، وجلاء الأبصار ، مهما أغشى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؛
 وكما في علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ؛ مواطن استقرارهم ، وأما كن
 قرارهم ، إلا برغمهم واضطرارهم ، واستبدال دار خير من دارهم ؛ ومتى توازن
 الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء
 أولياء وعُباد ، وما فوقه مرابط جهاد ، ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب
 أوتاد ؛ ثم يُبَوِّئ ولده مُبَوِّأً أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتِلاده ؛ أعيد
 أنظاركم المسددة من رأى فائل ، وسقى طويل لم يحل منه بطائل ، نحسبكم من
 هذا الإياب السعيد ، والعود الحميد . وهي طويلة .

[١٧٧]

قال ابن الخطيب : فأجبتة بقولي :

لَمْ فِي الْهَوَى الْعُذْرَى أَوْ لَا تَلَمْ فَالْمَذْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعِي
 شَأْنُكَ تَعْنِينِي وَشَأْنِي الْهَوَى كُلُّ امْرَأٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

رد ابن الخطيب
 على كتاب
 ابن خاتمة

أهلاً بِتُحَفَةِ القَادِمِ ، وَرِيحَانَةِ المُنَادِمِ ، وَذِكْرِي الهَوَى المَتَقَادِمِ ؛ لَا يُبْصِرُ^(١) اللهُ
مَسْرَاكَ ، بِمَا أَسْرَاكَ ؛ لَقَدْ جُبْتُ^(٢) إِلَى مِنْ هُمُومِي لَيْلَا ، وَجَسْتُ رَجُلًا وَخَيْلَا ،
وَوَقَّيْتُ مِنْ صَاعِ الوَفَاءِ كَيْلَا ، وَظَنَنْتُ بِي الأَسْفَ عَلَى مَا فَاث فَأَعْمَلْتُ الِاتِّفَاتَ
لَكَيْلَا ؛ فَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّ أَمْرِي اليَوْمَ بِيَدِي ، أَوْ كَانَتْ اللَّيْمَةُ السُّودَاءُ مِنْ عُذْدِي ؛
مَا أَفْلَتَ شِرَاكِي المَنْصُوبَةِ لِأَمْثَالِكَ ، حَوْلَ المِيَاهِ وَبَيْنَ المَسَالِكِ ، وَلَا عَلِمْتُ
مَا هُنَالِكَ ؛ لَكِنَّكَ طَرَقْتَ حِمِّي كَسَعَتِهِ النَّارَةُ الشَّعْوَاءُ ، وَغَيَّرْتَ رُبْعَهُ الأَنْوَاءُ ؛
نَحْمَدُ بَعْدَ ارْتِجَاجِهِ ، وَسَكَتِ أَذِينُ دَجَاجِهِ ، وَتَلَاعَبْتَ الرِّيَّاحُ الهُوجَ فَوْقَ فِجَاجِهِ ؛
وَطَالَ عَهْدُهُ بِالزَّمَانِ الأوَّلِ ، وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ؛ وَحَيَّا اللهُ نَذْبَا
إِلَى زِيَارَتِي نَذْبَكَ ، وَبَادَا بِهِ الحِكْمِيَّةُ أَدْبَكَ :

فَكَانَ وَقَدْ أَفَادَ بِكَ الأَمَانِي كَمَنْ أَهْدَى الشِّفَاءَ إِلَى العَلِيلِ

وَهِيَ شَيْمَةٌ بَوْرَكَتٍ مِنْ شَيْمِهِ ، وَهَبَةُ اللهِ قَبْلَهُ مِنْ لَدُنِ المَشِيمَةِ ، وَمِنْ مِثْلِهِ
فِي صِلَةِ رَغْنِي ، وَفَضْلِ سَعْيِي ، وَقَوْلٍ وَوَعْنِي ؟

قَسَمًا بِالكَوَاكِبِ الزُّهْرِ وَالزُّهْرِ عَاتِمِهِ

إِنَّمَا الْفَضْلُ مِثْلُهُ خَتَمْتُ بِابْنِ خَاتِمِهِ [١٧٨]

كَسَانِي حُلَّةَ فَضْلِهِ ، وَقَدْ ذَهَبَ زَمَانُ التَّجَمُّلِ ، وَحَمَلَنِي شُكْرُهُ وَكَتَدَى وَاهٍ عَنِ
التَّجَمُّلِ ، وَنَظَرَنِي بِالعَيْنِ الكَلِيلَةِ عَنِ العَيْبِ فَهَلَا أَجَادُ التَّأَمُّلِ ، وَاسْتَطْلَعَ طَلْعُ
نَتْنِي ، وَوَالِي فِي مَبْرَكِ المَعْجِزَةِ حَتْنِي ، إِنَّمَا أَشْكُو بَقْيَ :

* وَلَوْ تَرُكْتُ القَطَا لَيْلَا لَنَامَا *

(١) فِي طَوْفِ النَّفْحِ الطَّيِّبِ : « لَا يُبْصِرُ » .

(٢) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « جُبْتُ » .

وما حال شَمَلٌ وَتَدُهُ مفروق ، وقاعدته فَرُوق ، وصُواع بنى أبيه
مسروق ؛ وقلب قرحُه من عضة الدهر دام ، وجمرة حَسْرته ذات احتدام ؛ هذا
وقد صارت الصغرى ، التى كانت الكبرى ؛ لمشيب^(١) لم يدع أن هم لما
نجم ، ثم تهلل عارضه وانسجم :

لا نجمعى هَجْرًا علىَّ وغُرْبَةً فالهجر فى تَلَف الغريب سريع
نظرتُ فإذا الجنب ناب ، والنفس فريسة ظُفر وناب ، والمال أِكيلة اتهام ،
والعمر رَهْن ذهاب ، واليد صِفْر من كل اكتساب ، وسوق المَعاد مترامية
والله سريع الحساب :

ولو نُعطى الخيَار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزَّمانِ
وهب أن العمر^(٢) جديد ، وظل الأمن مديد ، ورأى الاغتياب بالوطن شديد ،
فما الحُجَّة لنفسى إذا مرت بمطارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ؛ ومثاقف قناتها ،
ومظاهر غزَّأها ومَناتها ؛ والزمان ولود ، وزناد الكون غير صلُود !
وإذا امرؤ لَدَغَتْهُ أفعى مرة تركته حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرُق
ثم إن المرغَّب قد ذهب ، والدهر قد استرجع ما وُهب ، والعارض قد اشتب ؛
وآراء الاكتساب مرجوحة^(٣) مرفوضة ، وأسماءه على الجوار مخفوضة ، والنية
مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقوده ، والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده ،
غير معترضة ولا منقوده^(٤) ؛ والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية ؛ والاقتصاد

[١٧٩]

(١) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « لمشيب » وهو تصحيف .

(٢) فى ط : « الأمر » .

(٣) فى ط : « مرجومة » .

(٤) منقودة (الأولى) : من نقد الثمن ، وهو تمجيله . و(الثانية) : من النقد ، وهو
تمييز ما فى الشيء من حسن وقبح .

قد قرت العين بصحبته ، والله قد عوض حب الدنيا بحبته ؛ فإذا راجعها مثلى
من بعد الفراق ، وقد رقي لدعتها ألف راق ؛ وجمعتني بها الحجرة . فما الذى تكون
الأجره ؟ جل شانى ، وإن رضى الوامق^(١) وسخط الشانى : إني إلى الله مهاجر ،
وللعرض الأدنى هاجر ، ولأطعان الشرى زاجر ، لنجد إن شاء الله تعالى أوحاجر ؛
لكن دعائى للهوى ، إلى هذا المولى المنعم هوى ؛ خلعت نعلى الوجود وما خلعته ،
وشوقى أمرنى فأطعته ، وغالب صبرى والله فما استطعته ؛ والحال أغلب ، وعسى
ألا يخيب المطلب ؛ فإن يسر رضاه فأمل كمل ، وراحل احتمل ، وحاد أشجى
الناقة والجل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جهم العوائق ، والتسليم بمقامى لائق ؛
ما بين غمضة عين وانتباهتها يصرف الأمر من حال إلى حال

وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، ليؤمن طيره ، وعموم خيره ؛ وبركة جهاده ،
وعمران ربه ووهاده . بأشلاء عباده وزهاده ؛ حتى لا يفضل إلا أحد الحرمين ،
فحق برئ من المين ؛ لكننى للحرمين جفحت ، وفي جو الشوق إليهما سنحت ؛
فقد أفضت إلى طريق قصدى محجته ، ونصرتنى والمنه لله حجته ؛ وقصد سيدى
أستنى قصد توخاه الحمد والشكر ، ومعروف عرف به الشكر ؛ والآمال من فضل
الله بعد تمتاز ، والله يخلق ما يشاء ويختار ؛ ودعاؤه بظهر الغيب مدد ، وعدة
وعدد ، وبره حالى الظعن والإقامة معتمل ومعتمد ، وبجال المعرفة بفضل لا يحصره
أمد . والسلام . انتهى .

وقال فى الإحاطة فى ترجمة السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المربنى ،

بعد كلام كثير ، ما نصه :

من رثاء السلطان
أبى سالم

(١) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « الموافق » .

[١٨٠]

« فلقد كان بقيّة البيت ، وآخر القوم دَمائَة وحياء ، وبعداً عن الشر ، وركونا
للعافية ، وأنشدت على قبره الذى وُوريت به جُثته بالقلّة من ظاهر المدينة ،
قصيدة أدت فيها بعض حقه ، وهى :

بنى الدنيا بَنَى لَمَعَ السَّرَابِ لِدُوا للموت وابنوا للخرابِ
انتهى المقصود منه .

شعر له فى
الرغبة إلى الله

ومن نظم ابن الخطيب فى الرغبة إلى الله تعالى :

إِلَهَىَّ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَالْمَسْعَى وَجَمَعَ إِذَا مَا الْخَلْقُ قَدْ نَزَلُوا جَمْعَا
وَبِالْمَوْقِفِ الْمَشْهُودِ يَا رَبِّ فِى مَنَى إِذَا مَا أَسَالُ النَّاسُ مِنْ خَوْفِكَ الدَّمْعَا
وَبِالْمَصْطَفَى وَالصَّحْبِ عَجَلٌ إِقَالَتِ وَأُجِجَ دُعَاؤُ فَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ يُدْعَى
صَدَعَتْ وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ جَنَابِهِ أَقِيلْ عَثْرَتِي يَا مَأْمُلِي وَاجْبُرِ الصَّدْعَا

شعر له
بعد عودته
من الرحلة
المراكشية

وقال رحمه الله عقب الإياب من الرحلة المراكشية :

أَفَادَتْ وَجْهَتِي بِنَدَاكَ مَالَا قَضَى دَيْنِي وَأَصْلَحَ بَعْضَ حَالِي
وَمَتَّعْتُ الْخَوَاطِرَ بِالنِّشْرَاحِ وَأَطْرَفْتُ النِّوَاطِرَ بِاِكْتِحَالِ
وَأَبْتُ خَفِيفَ ظَهْرِ وَالْمَطَايَا بِجَاهَاكَ تَشْتَكِي ثِقَلَ الرَّحَالِ
وَشَانِي لِلْعَالَمِ غَيْرِ شَانِي وَحَالِي بِالْمَسْكَارِمِ جِدُّ حَالِ
فَحُبُّ عُلَاكَ إِيْمَانِي وَعَقْدِي وَشَكَرُ نَدَاكَ دِينِي وَانْتِحَالِي
كَأَنَّ قَدْ صَحَّ لَهِىَ انْقِطَاعِي بِتَأْمِيْلِي جَنَابَكَ وَارْتِحَالِي
وَمَا يَبْقَى سِوَى فَعْلٍ جَمِيْلٍ وَحَالُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى بِحَالِ
وَكُلُّ بَدَايَةٍ فَإِلَى انْتِهَاءِ وَكُلُّ إِقَامَةٍ فَإِلَى ارْتِحَالِ
وَمَنْ سَامَ الزَّمَانُ دَوَامُ أَمْرٍ فَقَدْ وَقَفَ الرَّجَاءُ عَلَى الْمُحَالِ

وقال رحمه الله في الضراعة إلى مولاه :

مولاي إن أذنبت، يُنكَرَ أن يُرى منك السكّالُ ومنى النقصان ؟
والعفو عن سبب الذنوب مُسبّب لولا الجنّاية لم يَكُنْ غُفْران

[وقال سألحه الله مما كُتِبَ في حيطان المدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج : وله في مدرسة

ألا هكذا بُنِيَ المدارس للعلم وتبقى عهود المجد ثابتة الرّمـ
ويُقصد وجه الله بالعمل الرضا وتُجنى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما تقدّم خصم في الفخار إلى خصم
فأجدى إذا ضن الغمام من الحيا وأهدى إذا جنّ الظلام من النجم
فيا ظاعناً للعلم يطلب رحلة كُفيت اعتراض البيدأ وأُجج اليم
بباني حُطَّ الرحل لا تنو وجهة فقد فزت في حال الإقامة بالغنم
فكم من شهاب في سمائي ثاقب ومن هالة دارت على قمر تيم
يُفيضون من نور مبین إلى هُدَى ومن حكمة تجلو القلوب إلى حُكم
جزى الله عنى يُوسفا خير ما جرى ملوك بني نصر عن الدين والعلم

وقال ابن الخطيب مررت يوماً مع شيخنا أبي البركات ببعض مسالك غرناطة ، فأنشد من نظمه :

« غرناطة ما مثلها حَضْرَه الماء والبهجة والخُضْرَه
واستجازني رحمه الله تعالى ، فقلت » (١) :

سكانها قد أُسْكِنُوا جَنَّةً فَهَمْ يُلَقَّوْنَ بِهَا نَضْرَه (٢)

وكتب رحمه الله عن سلطانه أبي عبد الله بن نصر يخاطب الضريح المقصود ، وله يخاطب قبر الولي السبتي والمنهل المورود ، والمرعى المنتجع ، والخوان الذي يكفي الغرّي ، ويمرّض المرضى ،

(١) ما بين هذين القوسين « من نفع الطيب وهو ساقط من ت .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

[١٨١] ويقوت الزمّنى ، ويتعداهم إلى أهل الجدة زعموا والغنى ، قبر ولى الله سيدى
أبى العباس السبتي^(١) ، نفعننا الله به وجبر جالنا ببركاته النعم ، ودفع علينا النقم :

يا ولىّ الإله أنت جواد وقصدنا إلى حماك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فحشنا نرتجى من علاك حسن الصنيع
فددنا لك الأكف نرجى عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تربك الزا كي وزلّنى إلى العليم السميع
كم غريب أسرى إليك فوافى برضاً عاجل وخير سريع

يا ولىّ الله الذى جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ،
وتصرفه باقياً بعد المات ، وصدّق نقل الحكايات ظهور الآيات ؛ نفعننا الله
بنيّتى فى بركة تربك ، وأظهر على أثر توسلى بك إلى الله ربك ؛ مزّق شملى ،
وفرق بينى وبين أهلى ؛ وتعدّنى على ، وصرفت وجوه^(٢) المسكايد إلى ؛ حتى^(٣)
أخرجت من وطنى وبلدى ، ومالى وولدى ؛ ومحل جهادى ، وحقى الذى صارلى
طوعاً عن آبائى وأجدادى ؛ عن بيعة لم يحلّ عقدها الدين ، ولا ثبوت جريمة
تشن ؛ وأنا قد قرعت باب الله بتأميلك ، فالتمس لى قبوله بقبولك ؛ ورُدّنى إلى
وطنى على أفضل حال ، وأظهر على كرامتك التى تُشدّ إليها ظهور الرجال ؛ فقد
جعلت وسيلتى إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ؛ والسلام عليك أيها الولى
الكريم ، الذى يأمن به الخائف وينتصف الغريم ، ورحمة الله .

(١) أبو العباس السبتي هو الولى الصالح الشيخ أحمد بن جعفر السبتي الخزرجى ، وهو غير

أبى العباس الشريف السبتي الذى تقدم ذكره فى هذا الجزء فى صفحة ٣٢ وما بعدها .

(٢) فى ت : « وجهة » .

(٣) فى ت : « حين » .

وقال سماحه الله في معنى التورية الطبية ، بالدواء المسمى بدم الأخوين ،
في شأن سلطان الأندلس القائم عليهم وأخيه ، وشأن ذلك الدواء النفع من الجراح :

وله يورى
بدم الأخوين

باسماعيل ثم أخيه قيس تأذن هم ليلى بانبلاج
دم الأخوين داوى جرح قلبى وعالجنى وحسبك من علاج
وقال مقتبساً في غير ذلك :

وله في اقتباس

يامن بأكناف فؤادى ربيع^(١) قد ضاق بى فى حبك المتسع
ما فيك لى جدوى ولا أروعى شح مطاع وهو متبع
وقال في التورية بالطب :

شعر له في
التورية بالطب

إنى وإن كنتُ ذا اعتلال رث القوى بين الهزال
فى «عارض التيس» لى شفاء فكيف فى عارض الغزال
وقال يُخاطب الحاجبَ الفقيهَ الخطيبَ ، سيدى أبا عبد الله بن مرزوق ،
وطغاً على بيت المشاركة فى العذار :

وقال يخاطب
ابن مرزوق

[١٨٢]

أما والذى تُبلى لديه المرائر لما كنت أرضى الخسف لولا الضرائر
غدوت لضمم ابن الربيب فريسة أما ثار من قومي لنصرى ثائر^(٢)
إذا التمت كفى لديه جرايتى كائن جان^(٣) أو بقتته الجرائر
وما كان ظنى أن أنال جراية يحكم من جرائها فى جائر
متى جاد بالدينار أخضر زائفاً ودارته دارت عليها الدوائر
وقد أخرج التعنيت كيس مرائتى ورقت لبسواى النفوس الأخابر

(١) ربيع : أقام وسكن .

(٢) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « ناصر » .

(٣) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « جار » وهو تحريف .

تذكرت بيتاً في العذار لبعضهم له مثل بالحسن في الأرض سائر:
 « وما اخضر ذلك الخد نبتاً وإنما لكثرة ما شقت عليه المرائر »^(١)
 وجاه ابن مرزوق لدى ذخيرة وللشدة العظمى تعد الذخائر
 ولو كان يدري مدهاني لساء وأنكر ما صارت إليه المصائر
 وكان ابن الريب هذا من خدام السلطان أبي سالم ، وكانت جريئة
 ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لا يوفى بحقوقهم ،
 فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله
 ترجع الأمور .

شعر له في مخاطبة
 أحد الشرفاء

وقال رحمه الله يخاطب أحد الشرفاء الكرام :

أعيا اللقاء على إلا لحمة في جمل لا تقبل التفصيل
 فجعلت بابك عن يمينك نائباً أهديه عند زيارتي تقبيلاً
 فإذا وجدتك نلت ما أملت أو لم أجده فقد شفيت غليلاً^(٢)

وقال في مخاطبة السلطان أبي سالم رحمه الله في سبيل الشكر ، عند ما خلصه من الورطة بشفاعته التي قدمنا ذكرها :

وقال يشكر
 السلطان أبا سالم
 على تخليصه إياه

سمى خليل الله أحييت مهجتي وعاجلني منك الصريح على بُعد
 فإن عشت أبلغ فيك نفسي عذرها وإن لم أعش فالله يجزيك من بعدى

قال : وقلت في التغزل ، وما أبعد عني في الوقت ، والحمد لله :

وله في التغزل

(١) هذا البيت لعيسى بن سنجر المعروف بالحاجري المتوفى سنة ٦٣٢ هـ من قصيدة مطلعها :

على دمع عيني من فرائك ناظر يرفقه لث لم ترفقه المحاجر

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « فاه » .

أصبح الخلد منك جنة عدن مجتلى أعين وشم أنوف
ظلتها من الجفون سيوف جنة الخلد تحت ظل السيوف
وخاطب صاحب الأشغال أبا عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين يهنته
بتقلد الخطه من رسالة :

من رسالة له
في تهنته ابن أبي
مدين بتقلد الخطه

تعود الأمانى بعد انصراف ويعتدل الشيء بعد انحراف
فإن كان دهرك يوما جنى فقد جاء ذا خجل واعتراف
طلع البشير ، أبقاك الله ، بقبول الخلافة المربنيّه ، والإمامة السّنيه ^(١) ،
خصّها الله بنيل الأمانيه ؛ على تلك الذات التي طابت أرومتها وزكت ، وتأوّهت
العلياء لتذكر عهدا وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث
الذي تركت ؛ فلو العذر الذي تأكّدت ضرورته ، والممانع الذي ربما تقرّرت
لديكم صورته ؛ لكنت أول مُشافه بالهناء ، ومُصارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ،
فمنقول والحمد لله والثناء . وهي طويلة .

وقال يخاطب السلطان أبا سالم عند انقطاعه بضريح والده بشالة سلا ، حيث
مدفن ملوك بني مرين :

رسالته إلى
السلطان
أبي سالم
مستعينا به

عن باب والدك الرضا لا أبرحُ يأسو الزمان لأجل ذاك ويبحر ^(٢)
ضربتُ خيامي في حماه فصبيتي تجني الحميم ^(٣) به وبهمي تشرح
حتى يُراعى وجهه في وجهي بعناية تشفي الصدور وتشرح
أيسوغ عن مشواه مسيرى خائبا ومنابر الدنيا بذكرك تصدح

(١) في ط : « السريه » :

(٢) في ط : « لأجل ذا أو يبحر » .

(٣) كذا في الأصلين والسلاوى ، ولعلها مصحفة عن « الحميم » وهو النبت الكثير .

يريد أنهم في بسطة من العيش .

أنا في حماه وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
في مثلها سيف الحمية يُنتضى في مثلها زُند الخفيضة يُقدح
وعسى الذى بدأ الجميل يُعيدُه وعسى الذى سد المذاهب يفتح

[١٨٤] ومما كتب به إلى السلطان أبى سالم من مدينة سلا ، بعد عودته من
مراكش .

مولاي المرجو لإتمام الصنعة ، وصلة النعمة ، وإحراز الفخر ، أبقاكم الله
تُضرب بكم الأمثال في البر والرضا ، وعلو الهمة ، ورغى الوسيلة .

مقبّل موطئ قدمكم ، المنقطع إلى تربة المولى والدكم ابن الخطيب ، من
الضريح المقدس بشالة ، وقد حطّ رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتيمّم^(١) بالترربة
الزكية ، وقعد بإزاء لحد المولى أبيكم ، ساعة إيا به من الوجهة المباركة ، وزيارة الرُّبُط
المقصودة ، والترّب العظيمة ، وقد عزم ألا يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم ،
والدخيل المرعى ، حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى ،
العزیز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر سهل عليكم ، لا يجر
إنفاذ^(٢) مال ، ولا اقتحام خطر ، إنما هو إعمال^(٣) لسان ، وخط بنان ، وصرف
عزم ، وإحراز نخر وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم ،
أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان المقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ،
ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ، ما يتلقى عنه من الجواب . وقال لى صدر
دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدى الخطيب ، سئى الله أمله ، من

(١) كذا في السلاوى (ج ٢ ص ١١٥) . وفي الأصلين : « وتدم » .

(٢) في السلاوى : « إنفاذ » .

(٣) في ت : « عمل » .

سعادة مقامكم ، وطول عُمركم : يا فلان ، أنت والحمد لله ممن لا يُنكَر عليه الوفاء
بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والإنعام ما صدر ، جزاكم
الله جزاء المحسنين . وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله
إلى التربة الزكية عنكم ، حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد
الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أني لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملأ
الكبير ، والجم الغفير ، أ كبت على اللحد الكريم ، داعياً ومخاطباً ، وأصغيت [١٨٥]
بأذني نحو ^(١) قبره ، وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنني به
يقول لي : قل لمولائك : يا ولدي ، وقرة عيني ، الخصوص برضاي وبري ، الذي
ستر حريمي ، ورد ملكي ، وصان أهلي ، وأكرم صنائي ، ووصل عملي ، أسلم
عليك ، وأسأل الله أن يرضى عنك ، ويُقبل عليك ؛ الدنيا دار غرور ، والآخرة
خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وابن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل
يقتضى العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك من ذكر فتذكر ،
وعُرف فما أنكر ؛ وهذا ابن الخطيب [قد] ^(٢) وقف على قبري ، وتهتم بي ، وسبق
الناس إلى رثائي ، وأنشدني ومجّدي ، وبكأنني ودعا لي ، وهنأني بمصير أمري
إليك ، وعقر وجهه في تربتي ، وأملني لما انقطعت مني آمال الناس ، فلو كنتُ
يا ولدي حياً لما وسعني أن أعمل معه إلا ما يليق بي ، وأن أستقل فيه الكثير ،
وأحتقر العظيم ، لكن لما عجّزتُ عن جزائه ، وكَلَّتُهُ إليك ، وأحَلَّتْه يا حبيب
قلبي عليك ، وقد أخبرني أنه سَلِب المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد
ظهر في عَدَم ^(٣) نشاطه أثر السن ، وأمل أن ينقطع بجواري ، ويستتر بدخيلي

(١) كذا في السلاوى . وفي الأصلين : « عند » .

(٢) التكملة عن السلاوى .

(٣) في ط : « في عظيم » .

وخدمتي ، وِرَدَّ عليه حقُّ بحرمتي ، ووجهي ووجوه من ضاجعني من سلفي ،
ويعبد الله تحت حرمتك وحرمتي ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه في الحياة ،
حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة ، أبو عبد الله
ابن مرزوق ، فسله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا
الرجل خديمي بعد المات ، إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله ورحمته التي وسعت
[١٨٦] كل شيء ، وله يا ولدي ولد نجيب يخدم ببابك ، وينوب عنه في ملازمة بيت
كتابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مرتبته ودرجته ، فيكون
الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتى منك ، وحاجتي
إليك . واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويُتحدث به في الدنيا ، وبين
أيدي الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك نفعه ، ويتخذ ذكره ، وقد أقام
مجاوراً ضريحى ، تالياً كتاب الله على ، منتظراً ما يصله منك ، ويقرؤه على ،
من السعى في خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره ، وإجراء ما يليق
بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله يا إبراهيم ، اعمل ما يُسمع عنى
وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . [انتهى] (١) .

والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ،
ولتعلموا وتحققوا أنى لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الأموال ، وسفكت الدماء ،
وأخذت حسائف (٢) الملوك الأعززة ممن وراء النهر من التتر ، وخلف البحر من
الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله منى من غير عهد ، بعد أن
بلغهم تدمي بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ، ما وسع أحداً
منهم من حيث الحياء والحشمة من الأموات والأحياء ، وإيجاب الحقوق ، التي

(١) التكملة عن السلاوى .

(٢) الحسائف : العداوات ، جمع حسيقة .

لا يغفلها الكبار للكبار، إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل، والعفو الذي لا تقسده
المؤاخذه، فضلا عن سلطان الأندلس، أسعده الله بموالاتكم، فهو فاضل، وابن
ملوك أفاضل، وحوله أكياس، ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم، لاسيما مولاي
والدكم، الذي أتوسل به إليكم وإليهم، فقد كان يتبنّى مولاي أبا الحجاج، ويشمله
بكنفه، وصارخه بنفسه، وأمده بأمواله، ثم صير الله ملكه إليكم، وأنتم من [١٨٧]
أنتم ذاتا وقيلا، فقد قرّت يا مولاي عين العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي،
من وفور حشودكم، وكثرة جنودكم، وترادف أموالكم وعددكم، زادكم الله من
فضله. ولا شك عند عاقل، أنكم إن انحلت عروة تأميلكم، وأعرضتم عن ذلك
الوطن، استولت عليه يد عدوه، وقد علّم تطارحي بين الملوك الكرام، الذين
خضعت لهم التيجان، وتعلّق بثوب الملك الصالح، والد الملوك [الكرام] ^(١)،
مولاي والدكم، وشهرة حرمة شالة معروفة، حاش الله أن يضيعها أهل الأندلس،
وما تؤسّل إليهم قطّ بها إلا الآن، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة،
وأملى منكم أن يتعين من بين أيديكم خديم، بكتاب كريم، يتضمن الشفاعة
في رد ما أخذ لي، ويخبر بمشواي متراميا على قبر والدكم، ويقرر ما لزمكم بسبب
هذا الترامى، من الضرورة المهمة، والوظيفة الكبيرة، عليكم وعلى قبيلكم حيث
كانوا، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة، ومن المعلوم أني لو طلبت
بهذه الوسائل من طيب ^(٢) ما لهم، ما وسعهم بالنظر العقلي إلا حفظ هذا الوجه مع
هذا القبيل وهذا الوطن، فالحياء والحشمة يبيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة،
وإذا تم هذا الغرض، ولا شك في إتمامه بالله، تقع صدقتكم على القبر الكريم

(١) التكملة عن السلاوى .

(٢) في ت : « صلب » .

بى ، وتعينوننى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقدته ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره ، وبين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا ، مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتى بالأندلس ذمة بهذا الرباط المبارك ، يرثها ذريتي ، وقد ساومتُ فى شىء من ذلك ، منتظرا ثمنه ، مما يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هذا ، أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وهأنا أرتقب جوابكم ، بما لى عندكم من القبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب ، وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض ، والله يطلع من مولاي على ما يليق به . والسلام .

وكتبه فى الحادى عشر من رجب ، عام أحد وستين وسبع مئة .

وفى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

فابذل من البر المقدر فيكا	مولاي هأنا فى جوار أبيكا
والله يسمعك الذى يرضيكا	أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى
تهدى إليك النصر أو تهديكا	واجعل رضاه إذا نهدت كتيبة
وتطالع الفتح المبين وشيكا	واجبر لجبرى قلبه تنل المنى
وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا	فهو الذى سن البرور بأمه
وبما تؤمل نيـــــله يأتيكا	وابعث رسولك منذرا ومحذرا
وأخاف مملوكا به ومليكا	قد هز عزهمك كل قطر نازح
فغضونه ثمر المــــنى تجنيكا	فإذا سموت إلى مرام شاسع
لما جعلتك فى الثواب شريكا	ضمنت رجال الله منك مطالبي

فلئن كَفَيْتَ وُجُوهَهَا فِي مَقْصِدِي وَرَعَيْتَهَا بِرَكَاتِهَا تَكْفِيكَ
وَإِذَا قَضَيْتَ حَوَائِجِي وَأَرَيْتَنِي أُمِّلِي فَرْبِكَ مَا أَرَدْتَ يَرْبُكَ
وَاشْدُدْ عَلَى قَوْلِي يَدَا فَهُوَ الَّذِي بَرَهَانَهُ لَا يَقْبَلُ التَّشْكِيكَ
مَوْلَايَ مَا اسْتَأْثَرْتَ عَنْكَ بِمُهْجَتِي أَنِّي وَمُهْجَتِي الَّتِي تَفْدِيكَ
لَكِنْ رَأَيْتَ جَنَابَ شَالَةٍ مَغْنَمًا يُضْفِي عَلَى الْعِزِّ فِي نَادِيكَ
وَفَرُوضَ حَقِّكَ لَا تَقُوتُ فَوْقَهَا بَاقٍ إِذَا اسْتَجَزَيْتَهُ يَجْزِيكَ
وَوَعْدَتِي وَتَكَرَّرَ الْوَعْدَ الَّذِي أَبْتَ الْمَكَارِمَ أَنْ يَكُونَ أَفِيكَ
أَضْفِي عَلَيْكَ اللَّهُ سِتْرَ عَنَايَةٍ مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ الطَّرِيقِ يَقِيكَ
بِبَقَائِكَ الدُّنْيَا تُحَاطُ وَأَهْلُهَا فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يُبْقِيكَ

ولما وصل هذا السلطان أبا سالم رحمه الله راجعه بما نصه ، بعد البسملة [١٨٩]
والصلاة :

رد السلطان
أبي سالم على
ابن الخطيب

من عبد الله المستمعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ،
ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، [أبي الحسن ، ابن مولانا
أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين] ^(١) أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين
المجاهد في سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ،
وأعزَّ نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعزَّ الأحظي ، الأوجه الأنوه ،
الصدر الأحفل ، المصنف البليغ ، الأعراف الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ
الأجل الأعزَّ الأسنى ، الوزير الأرفع الأنجد ، الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور
أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله عزَّته ، ووالى نعمته ^(٢) .

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وعن السلاوى .

(٢) في ت : « رفعتة » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام ، وأئمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلى العزيز المنصور المستعيني ، بالنصر الأعز ، والفتح الأسنى .

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بلوغ الأمل ، ونُجَح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد ، بضعة وادى ملويه ، يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومثله جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المسكنة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة^(١) برعى الوسائل ، ذلكم لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى العلوى ، جدد الله عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم إلينا ، من التقرب [١٩٠] لدينا ، بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حُرْمته السامية المظاهر ، وإلى هذا وصل الله حظوتكم ، وإلى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل بالإسعاف المستعذب وردّه ، فوقفنا على ما نصّه ، واستوفينا ما شرحه وقصّه ، فأثرنا حسن تلطّفكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفى الحين^(٢) عيّنا لسكّال مطلبكم ، وتمام مأربكم ، والتوجه بخطابنا فى حقكم ، والاعتماد بوقفكم ، خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء بن فرقاجة ، أنجدهما الله وتولاها ، وأمس تاريخه انفصلا مودعين إلى الغرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وإنا لنرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم ، وبرء اعتلالكم ، والله سبحانه يصل

(١) فى ت : « المتكفلة » .

(٢) فى ت : « فى الحسن » ، وهو تحريف .

مَبرَئكم ، ويتولى تكريمكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبع مئة .

فراجع ابن الخطيب بما نصه :

رد ابن الخطيب
على السلطان أبي
سالم شاكرا

مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة
والرحمة ، ببرهان وحكمة ، أبقاكم الله على الدرجة في المنعمين ، وافر الحظ عند
جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع
الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الآليم من أراد في مثابكم بالحاد .
عبدكم الذي ملككم رقةً ، وآوَيْتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنتم رزقه ،
وجبرتم قلبه ، يُقبَل مَوْطِيءُ الأخص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة
بفضل الله لموقف النصر ، الفارعة هُضبة العز ، المعلة الخطو في مجال السعد^(١) ،
ومسير^(٢) الحظ ، ابن الخطيب من شألة التي تَوَكَّد بملككم الرضى احترامها ،
وتجدد برعيكم عهدا ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، [١٩١]
وقد ورد على العبد الجواب المولوى ، البر الرحيم ، المنعم المحسن ، بما يليق بالملك
الأصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القعساء ، من رعى الدخيل ،
والنصرة^(٣) للذمام ، والاهتزاز^(٤) لبر الأب الكريم ، فتاب الرجاء ، وانبعث
الأمل ، وقوى العُضد ، وزار اللطَف ، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يديكم
الكريمة ، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين ، المتوسِّل إليكم أولا بقبورهم

(١) في ط : « السعة » .

(٢) كذا في السلاوى . ذا الأصلين : « وميسر » .

(٣) في ت : « والمرة » .

(٤) في ت : « والاعتزاز » .

ومتعبداتهم ، و تراب أجدانهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين ،
الذى تسبب فى وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب
الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهياتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة ،
بعد طول المدى ، وانفساح البقاء ، وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات
عن العرب ، من النصرة^(١) عن طائر داست أفراخه ناقة فى جوار رئيس
منهم ، وما انتهى إليه الامتناع لذلك ، مما أهينت فيه الأنفس ، وهلك
الأموال ، وقُصارى من امتنع لذلك أن يكون كبعض خدامكم ، من
عرب تامِسنا ، فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم [ابن الكريم]
فيمن لجأ أولاً إلى حماكم بالأهل والولد ، عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم
الحرية على بذلها ، ثم فimen حَطَّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم ،
دامع العين ، خافق القلب ، دامى القرحة^(٢) ، يتغطى بردائه ، ويستجير بعلبائه ،
كأننى تراميتُ عليه فى الحياة أمام الذعر الذى يُذهل العقل ، ويحجب عن
التمييز ، بقصر داره ، ومضجع رقادته ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة :
يا ليعقوب ، يا لمَرين ، نسأل الله ألا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ،
ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب
الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعت به أزاره ، وقلت : يا مولاي ، يا كبير
الملوك ، وخليفة الله ، وبركة بنى مَرين ، صاحب الشهرة والذكر فى المشرق
والمغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المتراعى بين يدي قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى
وليك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولديك ما يابى بمقامه ، من رعى وجهك ،
[والتقرب إلى الله برعيتك] ، والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من

(١) كذا فى ط والسلاوى . وفى ت : « النمرة » .

(٢) فى السلاوى بدل هذه العبارة : « دامى القرحة » .

أتم ، من إذا صنع صنعة كملها ، وإذا بدأ منة تممها ، وإذا أسدى يدا أبرزها
طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك ،
وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ، ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ، ويطمئن
إلى مأمك قلبى .

ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بينى وبينكم [تلاوة] كتاب الله منذ أيام ،
ومناسبة النحلة ، وأخوة التألف بهذا الرباط المقدس ، والسكنى بين أظهركم ،
فأتمنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم ، واندفعت فى الدعاء والتوسل ، الذى
نرجو أن يتقبله الله ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكرًا لنعمته ، مُشيدًا
بصنيعته ، مسرورا بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطارح شأنه ، حتى يكمل القصد ،
ويتم الغرض ، معمور الوقت بخدمة يرفعها ، ودعاء يردده ، والله المستعان .

وفى يوم الخميس سابع عشر من شعبان ، من العام المؤرخ ، ورد كتاب فتح
تلمسان ، فأصدر ابن الخطيب إلى باب السلطان أبى سالم ما نصه : [١٩٣]

تهنئته للسلطان
أبى سالم
بفتح تلمسان

مولاي فتاح الأقطار والأمصار ، فائدة الزمان والأعصار ، أثير هبات الله
الآمنة من الاعتصار ، قدوة أولى الأيدى والأبصار ، ناصر الحق عند قعود
الأنصار ، وهى طويلة ، انظرها فى الرياحنة ، وبعدها قصيدة بديعة مطلعها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان

ومن مخاطباته للحاجب ابن مرزوق .

من مخاطباته
لابن مرزوق

سيدى ، بل مالكى ، بل شافعى ، ومنتشلى من المفوة ، ورافعى وعاصمى
عند تجويد حروف الصنائع ، ونافعى الذى بجاهه أجزأت المنازل قراى ، وفضلت
أولاي ، والمنة لله أخراى ، وأصبحتُ وقول الحسن هجراى :

عَلَقْتُ بِحَبْلٍ مِنْ حَبَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ
تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

وصلت مكناسة ، حرسها الله تعالى ، تحت غيثٍ حَدَانِي حَدْوِ نَدَاكَ ، وسحائب
لولا الخصال المبرة قُلْتُ يَدَاكَ ، وكأن الوطن لاغتباطه بجواري ، وما رآه من
انتياب زُوَّارِي ، أو غر إلى بهت يقطع الطريق ، وأطلق يده على التغريق ،
وأشراق القوافل مع كثرة الماء بالريق ، فلم يسع إلا المُقَامُ أَيَّامًا ، فَعُودَا فِي الْبَرِّ
وقياما ، واختيارا لضروب الأنس واعتياما ، ورأيت بلدةً معارفها أعلام ،
وهواؤها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها ألسنة وأقلام ، فحيا الله سيدي ، فلکم
من فضل أفاد ، وأنس أحياء وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذخر والعتاد ، كما
مَلَكَه زِمَامُ الْكَمَالِ فَاقْتَادَ ، وأنا أنطرح عليه في صلة تفقده ، وموالاته يده ، بأن
يسهمني في فرض مخاطباته مهما خاطب ، معتبرا في هذه الجهات ، ويصحبني من
مناصحتي بكنوس مسرة ، يعمل فيها هاك وهات ، فالعز بعزه معقود ، والسعد بوجوده
موجود ، ومتهل المرور بسروره مورود ، والله عز وجل يبقيه ببقاء الدهر ،
[ويجعل حبه وظيفة السر ، وحمده وظيفة الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه
زين الدهر] ويصل لنا تحت إيلته العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين . انتهى .
وقال رحمه الله :

شيء من صراحة
ابن الخطيب في
مجلس السلطان
أبي عنان

حضرت يوما بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه ، لغرض
الرسالة ، وجرى ذكر بعض أعدائه ، فقلت ما اعتقدت في اطراء ذلك العدو ،
وما عرفته من فضله ، وأنكر على بعض الحاضرين ، ممن لا يحطُّب إلا في جبل
السلطان ، فصرفت وجهي وقلت : أيدكم الله ! تحقير عدو السلطان بين يديه

ليس من السياسة في شيء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالبا
عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه
العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشد للحسرة ، وأوكد للفضيحة . فوافق رحمه الله
على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض . انتهى .

ومن نظمه رحمه الله :

شعره في
مكناسة

مكناسةٌ جُمِعتَ بها زُمُرُ العِدا فدى بريدٍ فيه ألف بريد
من واصلٍ للصوم لا لرياضة أو مدمن للجوع غير مُريد
فإذا سلكت طريقها متصوفا فابن السلوك بها على التجريد

ولما دخل رحمه الله مدينة آتني ، ومر منها على دار عظيمة ، تنسب إلى والي
جبايتها « عبو » من بني الترجمان ، قارون قومه ، وغنى صنفه ، قال :

شعره في
مدينة آتني

قد مررنا بدار « عبو » الوالي وهي تَكَلَّى تشكوصروف الليالي
أَقْصَدْتُ ربهَا الحوادث لما رشقته بصائبات نبال
كان بالأمس واليا مستطيلا وهو اليوم ما له من وال

ومن نظمه رحمه الله في الشيخ ابن بطان الصنهاجي :

شعره في
ابن بطان

لله درك يا ابن بطان فما لشهير جودك في البسيطة جاحد
إن كان في الدنيا كريم واحد يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريت فضلك جعفرا يحيا به ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا في مُفرد ولد كما شاء العلاء ووالد
وهي الليالي لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

شعر له
في البرغوث

زَحَفْتُ إِلَى رِكَائِبِ الْبُرْغُوثِ نَمَّ الظَّلَامُ بِرَكْنِهَا الْحَثُوثِ
بِالْحَبَّةِ السُّودَاءِ قَابِلَ مَقْدَمِي اللَّهُ أَيُّ قِرْصَى أَعَدَّ خَبِيثِ
كَسَحَتْ بَيْنَ ذَبَابٍ سَرَحَ تَجَلْدِي ^(١) لَيْلًا فَحَبَّلَ الصَّبْرَ جِدُّ رَثِيثِ
إِنْ صَابَرْتَ نَفْسِي أَذَاهُ تَعَبَّدَتْ أَوْ حِجَّتْ مِنْهُ أَنْفَتُ مِنْ تَحْنِثِي
جَيْشَانِ مِنْ لَيْلٍ وَبُرْغُوثِ فَهَلْ جَيْشُ الصَّبَاحِ لَصَرَخَتِي بِمُغِيثِ

شعر له
في ابن روح

[ومن نظمه رحمه الله في عثمان بن يحيى بن عمر بن روح :

أَسْمَى ذِي النُّورَيْنِ وَجْهَكَ فِي الْوَغَى شَمْسُ الضُّحَى حَلَّتْ بَلِيْثَ عَرِينِ
إِنْ تَفْتَخِرَ بِمَرِّينَ أَرْضِ الْعُدُوَّةِ الْقُصُوصِ أَنْتَ نَفْرَ مَرِّينَ ^(٢)

شعر له صدر
به رسالته إلى
ابن حسون

وقال يخاطب الوالي محمد بن حشون بن أبي العلاء ، وصدر بها رسالة :
لَمْ يُبْقِ لِي جُودَ الْوَلَايَةِ ^(٣) حَاجَةً فِي الْأَمْنِ أَوْ فِي الْجَاهِ أَوْ فِي الْمَالِ
بَعْدَ اللَّقَاءِ أَوْ لَوْ الْفَضَائِلُ بَغِيَّتِي وَرَأَيْتُ هَذَا الْقَصْدَ شَرْطَ كَمَالِ
أَجَلْتَهُ وَتَشَوَّفْتُ لَبِيَّانَهُ هِمٌّ فَكُنْتُ مَفْسِرَ الْإِجْمَالِ
وَخَصَصْتُ بِالْإِلْعَاءِ غَيْرَكَ غَيْرَةً وَجَعَلْتُ ذِكْرَكَ شَاهِدَ الْأَعْمَالِ
أَلَيْسَتْ ^(٤) يَا بْنَ أَبِي الْعَلَاءِ قُشْبُ الْمَلَا وَتَرَكْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ فِي أَسْمَالِ
إِنْ دَوَّنَ الْفُضْلَاءُ فَضْلًا مُعْلَمًا فَلَقَدْ أَتَيْتَ عَلَيْهِ بِالْإِكْمَالِ
تُثْنِي عَلَيْكَ رَعِيَّةَ آمَالِهَا فِي أَنْ تَفُوزَ يَدَاكَ بِالْأَمَالِ

(١) كذا في نفح الطيب والساوى . وفي الأصلين : « به ديباج » . وهو محرف عما أثبتناه .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٣) في الأصلين : « الخلافة » . وقد أثبتنا رواية نفح الطيب لملائمتها السياق .

(٤) في نفح الطيب : « للبيت » .

أَزْعَيْتَهَا هَمًّا فَلَمْ يَطْرُقْ لَهَا بِمَنْعِ سُورِكَ طَارِقُ الْإِهْمَالِ
 مِنْ كُنْتَ وَالِيهِ تَوَلَّيْتَهُ الْعُمْلَا وَمِنْ أَطْرَحْتَ فَمَا لَهُ مِنْ وَالِي
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى مَرَاكَشٍ ، وَاعْتَبَارِهِ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا ^(١) :

شعر له في تدب
 مراكن بعد
 الموحدين

بَلَدٌ قَدْ غَزَاهُ صَرْفُ اللَّيَالِي وَأَبَاحَ الْمَصُونِ مِنْهُ مُبِيحُ
 فَالَّذِي خَرَّ مِنْ بِنَاهِ قَتِيلِ وَالَّذِي خَرَّ مِنْهُ بَعْضُ جَرِيحِ
 وَكَأَنَّ الَّذِي يَزُورُ طَبِيبُ قَدْ تَأْتَى لَهُ بِهَا النُّشْرِيحِ
 أُعْجِمْتَ مِنْهُ أَرْبُعَ وَرُسُومِ كَانَ قَدْ مَّا بِهَا اللِّسَانُ الْفَصِيحِ
 كَمْ مَعَانٍ غَابَتْ بِتِلْكَ الْمَغَانِي وَجِهَالٍ أَخْفَاءُ ذَلِكَ الضَّرِيحِ
 وَمُلُوكٍ تَعَبَّدُوا الدَّهْرَ لَنَا أَصْبَحَ الدَّهْرُ وَهُوَ عَبْدٌ صَرِيحِ
 دَوَّخُوا نَازِحَ الْبَسِيطَةِ حَتَّى قَالَ مَا شَاءَ ذَابِلِ وَصَفِيحِ
 حَيْثُ ^(٢) شَبَّتْ لَهُمُ مِنَ الْبَاسِ نَارِ ثُمَّ هَبَّتْ لَهُمُ مِنَ النَّصْرِ رِيحِ
 أَثَرُ يَنْسُدُّبُ الْمُؤَثِّرَ لَنَا طَالَ ^(٣) بَعْدَ الدَّوْرِ مِنْهُ التُّزُوحِ
 سَاكِنُ الدَّارِ رُوحَهَا كَيْفَ يَبْقَى جَسَدٌ بَعْدَ مَا تَوَلَّى الرُّوحِ

وَقَالَ يَخَاطَبُ عَمِيدَ مَرَاكَشٍ ^(٤) ، الْمُتَمَيِّزُ بِالرَّأْيِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْهَمَّةِ ، وَإِفَاضَةِ
 الْعَدْلِ ، وَكَفِّ الْيَدِ ، وَالتَّجَافِي عَنْ مَالِ الْجَبَايَةِ ، عَامِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ الْهَنْتَانِي :
 تَقُولُ لِي الْأُطْعَانُ وَالشُّوقُ فِي الْحَشَى لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَاهٍ وَأَمْرِ
 إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدَ أَصْبَحْتَ فَارِعَا نَحْيِمُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرِ

شعر له يخاطب به
 عامرا الهنتاني

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَفِي نَفْحِ الطَّبِيبِ . وَفِي السَّلَاوِي زِيَادَةٌ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ يَتَضَحُّ بِهَا
 الْمَقَامُ ، قَالَ : « وَلَمَّا وَقَفَ عَلَى مَصَانِعِ مَرَاكَشٍ وَقُصُورِهَا وَقَصَبَتِهَا وَاعْتَبَرَ
 مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا بَعْدَ الْمُوَحِّدِينَ قَالَ » .

(٢) فِي ط : « حِينَ » .

(٣) فِي ط : « كَانَ » .

(٤) فِي السَّلَاوِي : « عَمِيدُ الْبِلَادِ الْمَرَاكِشِيَّةِ » .

وَرُزُّ تربة المعلوم بِمَزَارِهَا هو الحجُّ يُفِضِي نَحْوَهُ كُلُّ ضَامِرٍ
سَتَلْقَى بِمَثْوَى عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ثَغُورُ الْأُمَانِي مِنْ ثَنَائِيَا الْبِشَائِرِ
وَلِلَّهِ مَا تَبْلُوهُ مِنْ سَعْدِ وَجْهَةٍ وَلِلَّهِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ يُمْنِ طَائِرِ
وَتُسْتَعْمَلُ الْأَمْثَالُ فِي الدَّهْرِ مِنْكَ بِخَيْرِ مَزُورٍ أَوْ بِأَغْبَطِ زَائِرِ

تعريف
بعامر المهنات

أقول : عامر بن محمد هذا ، هو قريع^(١) هَنْتَاتة ، وكانت له مع أبي الحسن
المريني في الوفاء أحاديث ، صحَّحت عند أبي عَنان وغيره مُتَاتة ، ولم يزل في رياسته
مدة أبي عَنان وَمَنْ بعده من ملوك بني مَرِّين ، إلى زمن أبي فارس عبد العزيز
ابن أبي الحسن ، فنأزله بجنوده ، وحاصره بمعتقله ، حتى استولى عليه وقتله .
وقد ساق أصره ابنُ خَلْدُون واستوفاه ، ومنعني من الإتيان به ما حصل
من التطويل في هذه الترجمة ، وقد أشار إليه ابن الأحرار في « نثير فرائد الجُحَان »
عند ما ذكر الشريف الشبوكي ، ونصه :

شيء عن الشريف
الشبوكي

[١٩٧] « صاحبنا الفقيه ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ، يُسَكَّنِي أبا
عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، رأيتُه وصحبته ، ونُسِبَتُهُ حَسْبَمَا نقلته من خطه على
متن كتاب ، وأخبرني هو به ، وسمعتُه أيضا بفاس ، من بعض الناس ، وهو محمد
ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن
شعيب بن علي بن أبي محمد بن حَيَّان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد
ابن محمد بن الحسن^(٢) بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، ويعرف بالشبوكي .
وشبوكة : قرية بينها وبين مدينة فاس ثلاثة أميال^(٣) ؛ وأخبرني أن جده عبد الرحيم

(١) القريع : السيد الرئيس .

(٢) في ط : « الحسين » .

(٣) في ت : « أيام » .

أتى من المشرق إلى المغرب ، واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ؛ ويوسف أبوه كان رحمه الله جميل الوجه جدا ، شاعرا مجيدا فقيها ، وبرّز عدّلا في صباط شهود فاس ، واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان المريني شاهدا في دار صناعته ؛ وأحمد والد يوسف كان فقيها صوفيا ؛ ومحمد والد أحمد كان فقيها صالحا ؛ ويوسف والد محمد كان فقيها عالما صالحا مكاشفا مجاب الدعوة ، من أهل الطبقة العليا في الصلاح ؛ وأبو عبد الله هذا كتب الوثيقة بشهود فاس .

شعر للشبوكي في مدح أبي فارس والتحريض على الهنتائي

هاله أكرم الله : هو فارس القريض ، وحامل لوائه الطويل العريض ، وله وجه وسيم ، وحياء جسيم ، وسموّ همته لم يبلغها إنسان ، ولم يُسمع بمثله في صالفة الأزمان ، ويؤثر غزاة نفسه على هواه ، ويختار مهّيج السمو على ما سواه ، وأنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني ، بعد قتله لوزيره المتغلب على أمره ، عمر بن عبد الله بن علي اليباني ، ويحرضه على قتال الشيخ [١٩٨] أبي ثابت عامر بن محمد بن علي الهنتائي ، صاحب جبل هنتاتة ، من حوز مراکش ، حين خرج عليه به ، بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد بن أخى السلطان عبد العزيز هذا :

أبان في حبّـه ما قال عاذله	دمعُ جرى فوق صفّح الخلد هامله
فبات من وطأة التفريق ذا وجل ^(١)	يستنجد الصبر عونا وهو خاذله
صَبَّ إذا ما بدا بالرقّتين له	ومبيض برق الحمى هاجت بلابله
يبكى لمنزل أنس بان آهـله	وظاعن عنه قد شطّت منازلـه
يا حسن عصر بهم قضيته زمنا	رقت حواشيه إذ رقت أصائله

(١) في ط : « في وجل » .

كأنَّ صوبَ دموعي بعد بُعْدِهِمْ
 عبد العزيز الذي عنزت بدولته
 وأصبح الملك في أمن وفي دعة
 عادت بعيدي لنا منه نضارته
 كالروض باكره ظلّ على ظمأ
 هو الإمام الذي من أمّ ساحته
 ومن تخلف جهلا عن إجابته
 قلّ للذي عنه أقصته جرائمه
 زُرَ حضرة الملك الميمون طالعه
 فطبعه الصفح والمعروف شيمته
 أبلغ جميع العدا أن سوف يشملهم
 هذا الملك أتاها في كتابه
 بكل خرق طويل الباع مُتَّئِد
 وجعل فيهِ سُمُ الخَط مُشْرَعَة
 سيعلم العُمَر عُقْبَى ما جنّاه إذا
 وحاط بالجليل البحر المحيط ولا
 فانهض إليهم أمير المسلمين فقد
 من ذا يُنازل جيشاً أنت قائده

سيب الملك إذا وافاه سائله
 مراتب الحق والتاحت دلائله
 من الذي كان غالته غوائله
 فعاد يافعه واشتد كاهله
 وجاده بعد ذاك الطلّ وابله
 جادت عليه بجذواها أنامله
 سارت إليه على علم صواوله
 وعقلته عن العليا معاقله
 تحفظ بما أنت في دنياك آمله
 والحلم والصّون والتقوى شمائله
 من الظبّي كلّ ماضى الحد فاصله
 لنسخ آجالهم تُنْفِى رَواحله
 مقصّر عمرٍ من تلقى مناصله^(١)
 قد حجبت أنجم الشعري قساطله
 كلّت مواضيه وانقضت كلاله
 حت فوق أروسهم منه جداوله
 أعطيت كل المني فيما تحاوله
 يوم الكريهة أو من ذا يُناضله

[١٩٩]

(١) المناصل : السيوف ؛ الواحد : منصل (بضم الميم وسكون النون مع ضم الصاد وفتحها) .

ألا ترى المارق الرَّعِيدَ حين عتا وأضمر المكر صَادَتُهُ حِبَائِلُهُ
ظَنَّ الضنين بأن يسمو ويعلو في دنيا سَمَتْ وعلت فيها بواطله
فمادرتَه الصَّعَادَ الزُّرْقَ مُنْجَدِلًا فوق الصَّعِيدِ تُنَادِيهِ جَنَادِلُهُ
دنياه تَضْحَكُ مِنْ أحواله عجبا به وفي الحى تَبْكِيهِ أرامِلُهُ
فليهن دين الهدى من بعد مدته أَنْ أَنْتِ يَا ذَا الْمُحْيَا الطَّلُقَ كَافِلُهُ
لم ينتصب قَطُّ في الدنيا لواه عَلا إِلَّا وَمِنْ آلِ عَبْدِ الْحَقِّ حَامِلُهُ
مولاي مولاي دُمَ مَاعَشْتُ مُصْطَحِبَا عَلا وَغَرَا وَغَرَا لَا تَزَالُهُ
إن سار جيشك فالتأييد يَقدِّمُهُ والنصر عاجله يتفوه آجلُهُ
اتهى كلام ابن الأحمر .

وأقارب هذا الشريف الشبوكي لم يزالوا إلى الآن ، ولهم مصاهرة مع ولينا
الفقيه المحدث ، الحاج الزَّحَالِ البرَّكة ، القدوة الصالح الناصح ، أبي عبد الله سيدي
محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر بن محمد ، صاحب الدِّلا^(١) ، أبقى الله علامه ،
وأعانهم على ما أولاهم .

ولنرجع إلى ابن الخطيب فنقول :

وقال رحمه الله ، وقد شاهد بجبل هَنْتَانَةِ محل وفاة السلطان أبي الحسن
المريني ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذي فَصَلَ الخُطَّةَ ، وأصمت الدَّعْوَةَ ،
ورفع المنازعة ، وعاینه مَرْفَعًا^(٢) عَنِ الْإِبْتِذَالِ بالسكنى ، مَفْتَرَشًا بالحصباء ،
مَقْصُودًا بِالْإِبْتِهَالِ والدعاء ، فلم يبرح يومَ زيارة محل وفاته أن قال :

شعر لابن الخطيب
على قبر السلطان
أبي الحسن المريني

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصلين ، ولم نفهم المراد منها ، ولم نعثر على مرجع

آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحمر ، لنعارض به هذا النص .

(٢) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « مرفعا » .

يا حسنًا من أربُع وديار أضحت لباغى الأمن دارَ قرارٍ
وجبال عزٍّ لا تذِلْ أنوفُها إلا لعز الواحد القهار
ومقر^(١) توحيدٍ وأُسْ خلافة آثارها تنبئ عن الأخبار
ما كنت أحسب أن أنهار الندى تجرى بها في جملة الأنهار
ما كنت أحسب أن أنوار الحجا تلتاح في قُننٍ وفي أحجار
مجتَّ جوانبها البرود وإن تكن شَبَّتْ بها الأعداء جَذوة نار
هدت بناها في سبيل وفائها فكأنها صرعى بغير عُقار
لما توَعَّدها على المجد العدا رَضِيتْ بغيث النار لا بالعار
عمرت بِجِلَّة^(٢) عامر وأعزَّها عبد العزيز بمُرْهَفٍ بَتَّار
فرسارِهان أحرزا قَصَبَ الندى والبأسَ في طَلَقٍ وفي مِضمار
ورثنا عن النَّذْب الكبير أبيهما محضَ الوفاء ورفعة المِقدار^(٣)
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة بالأصل في وَرَقٍ وفي أثمار
أزرت وجوه الصِّيد من هنتاتة في جوِّها بمطالع الأقار
لله أَى قبيلة تركت لها النظراء دَعَوَى الفخر يوم نِخار
نصرت أميرَ المسلمين^(٤) وملكه قد أسلمته عزائمُ الأنصار
وآرت عليًا عندما ذهب الرَّدَى والروعُ بالأسماع والأبصار
وتخاذل الجيشُ اللهم وأصبح الأبطال بين تقاعد وفِرار

[٢٠٠]

(١) في ط : « ومحل » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين والساوى : « بجلة » . ويريد بعامنه :
عامر بن محمد الهنتاني .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأقدار » .

(٤) في ط : « المؤمنين » .

كُفِرَتْ صنائعه فيعم دارها مُسْتَظَهَرًا منها بعز جوار
وأقام بين ظهورها لا يتقى وقع الردى وقد ارتقى بشرار
فكأنها الأنصار لما آنست فيما تقادم^(١) غربة المختار
لما غدا لحظًا وهم أجفانه نابت شِفاهم عن الأشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم فأجاب مُتَمَثِّلًا لأمر البارى
لو كان يُمنع من قضاء الله ما خلصت إليه نوافذ الأقدار
قد كان يأمل أن يكافئ بعض ما أولوه لولا قاطع الأعمار
ما كان يقنعه لو امتد المدى إلا القيام بحققها من دار
فيعيد ذاك الماء ذائب فضة ويعيد ذاك التراب نَبْر^(٢) نصار
حتى تفوز على النوى أوطانها من ملكه بجلائل الأوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههم أثر العناية ساطع الأنوار
ويُسَوِّغُ الأمل القصي كرامها من غير ما تُثْنِي ولا استعصار^(٣)
ما كان يَرْضَى الشمس أوبدر الدجى عن درهم فيهم ولا دينار
أو أن يتوَّج أو يقلد هاهنا ونحوها بأهـالة ودَرارى
حق على المولى ابنه^(٤) إشار ما بذلوه من نصر ومن إشار
فلعلها دُخِرَ الجزاء ومثله من لا يُضَيِّع صنائع الأحرار
وهو الذى يقضى الديون وبره يَرْضِيهِ فى عِلَن وفى إسرار

(١) فى ط ونفع الطيب : « تقدم » .

(٢) فى نفع الطيب والساوى : « ذوب » .

(٣) الثنيا : الاستثناء . والاستعصار : استفعال من العصر بمعنى المنع . ولم ترد صيغة « استفعال » من العصر فى المعاجم التى بأيدينا .

(٤) يريد بالمولى : ابنه السلطان أبا سالم بن أبى الحسن المربى .

[٢٠١] حتى تُحَجَّ مَحَلَّةً رَفَعُوا بِهَا عِلْمَ الْوَفَاءِ لِأَعْيُنِ النَّظَارِ
 فيصير منها البيتُ بيتاً ثانياً للطائفين إليه أى يدار
 تغني قلوب القوم عن هدى به ودموعهم تكفى لرمي حجار
 حَيِّتٍ من دار تكفل سعيها المحمود بالزُّننِ وعُقبى الدار
 وضفت عليك من الإله عناية ما كَرَّ ليلُ فيك إثر نهار

شعر
 لابن الخطيب
 على قبر المعتمد

وقال رحمه الله ، حين زار بخارجِ أغماتِ قبر المعتمد بالله أبي القاسم
 ابن عَبَّاد ، أميرِ حَصِ^(١) وقُرطبة والجزيرة ، وما إلى ذلك الصُّقع الغربي ،
 ونص كلامه الذى رتبته فى ذلك أنه قال :

وقفت على قبر المعتمد بالله بمدينة أغمات ، فى حركة راحة أعملتها إلى
 الجهات المراكشية ، باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار عام واحد وستين
 وسبع مئة ، وهو بمقبرة أغمات ، فى نشز من الأرض ، قد حَفَّت به سِدرة ، وإلى
 جنبه قبر اعتماد حَظِيَّتِهِ مولاة رَمِيك ، وعليهما هيئة^(٢) التغرب ، ومعاناة الجول
 من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت فى الحال :

قد زُرت قبرك عن طوع بأغمات رأيتُ ذلك من أولى المهماتِ
 لمْ لا أزورك يا أندى الملوك يداً ويا سراجَ الليالى المدلهِماتِ
 وأنت منْ لو تخطى الدهرُ مَصْرَعَهُ إلى حياتى لجادت فيه أبياتى
 أناف قبرك فى هَضْبٍ يميّزه فتننتحيه حَفِيَّاتِ التَّحِيَّاتِ
 كَرُمْتَ حياً وميتاً واشتهرت عللاً فأنت سلطانُ أحياء وأموات

(١) يريد بحمص (هنا) : مدينة إشبيلية بالأندلس ، لأن العرب الذين نزلوها عند الفتح

أسموها باسم بلدٍهم فى الشرق .

(٢) فى نفح الطيب : « أثر » .

مارى^(١) مثلك في ماضٍ، ومُعتَقدي أن لا يُرى الدهر في حالٍ ولا آتي
وقال رحمه الله مخاطباً أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي أبي محمد
صالح النائم في ظل صديته ، رحمه الله :

شعر له
في مخاطبة
ابن يوسف

يا حفيد الولي يا وارث الفخر الذي نال في مقال^(٢) وحال
لك يا أحمد بن يوسف جُبنا كل قفر^(٣) يعي أكف الرجال
ولما خرج رحمه الله من آسفي^(٤) سار إلى منزل ينسب لأبي خذو^(٥) ؛ فيه [٢٠٢]
رجل من بني المنسوب إليه ، اسمه يعقوب ، قال في نقاضة الجراب ، فألطف
وأجزل وآنس في الليل ، وطلبني بتذكرة تثبت عندي معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوب نجل أبي خذو فعرّفنا الفضل الذي ماله حدٌ
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى فلم يبق لحم لم ننله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد
وقال يخاطب السلطان :

وله في مخاطبة
السلطان

أنت للمسلمين خير عماد وملاذ وأنى حرزٍ حرزٍ
لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمرُ الفاضل ابن عبد العزيز
لجزى ملكك المبارك خيرا وقضى بالشفوف^(٦) والتبريز
فاشكر الله ما استطعت بفعل وبقول مطوّل أو وجيز

(١) رى : أصله (رنى) بالبناء للمجهول ، قدمت اللام على العين .

(٢) في ت : « مقام » .

(٣) في نفع الطيب : « قطر » .

(٤) آسفي : من الثغور المراكشية .

(٥) في نفع الطيب : « خذو » .

(٦) يريد بالشفوف (هنا) : الزيادة .

كل مَلِكٍ يُرَى بِصُخْبَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ بَاءَ بِالْحُلِّ الْعَزِيزِ
فَإِذَا مَا ظَفَرَتْ مِنْهُمْ بِأَكْسِيرِ مَلَأَتِ الْبِلَادُ مِنْ إِبْرِيْزِ
وَالْبَرَايَا تَبِيدُ وَالْمُلُوكُ يَفْنَى أَيْنَ كَسْرَى الْمُلُوكِ مَعَ أَبْرَوِيزِ

وقال : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني ،
حيث [جرابته ووظيفته ، وانجر حديث] ^(١) ما فُقِدَ بغرناطة في شجون الكلام :

وله في مخاطبة
ابنه وقد وصل
لزيارته

يَا بَنِيَّ عَبْدَ الْإِلَهِ احْتَسَابًا عَنْ أَثَاثٍ وَمَنْزِلٍ وَعَقَارِ
كَيْفَ يَأْتِي عَلَى خَسَارَةِ جِزْءٍ مِنْ يَرَى الْكُلَّ فِي سَبِيلِ الْخَسَارِ
هَدَفَ لَا تَنَى سِهَامُ اللَّيَالِي عَنْ سَبَاقِ تَجَاهِهِ وَبِدَارِ
وَاحِدِ طَائِشٍ وَثَانٍ مُصِيبٍ لَيْسَ يَنْجِي مِنْهَا اشْتِمَالُ حِذَارِ
غَيْرِ ذِي الدَّارِ صُرِفَ الْهَمُّ فِيهَا فَمَنَّاخِ الرِّحِيلِ لَيْسَ بِدَارِ

وقال : أنشدته وأمرته بحفظه ، والتأدب به ، واللَّهَجَ بحكمته :

إِذَا ذَهَبَتْ يَمِينُكَ لَا تُضَيِّعْ زَمَانَكَ فِي الْبُكَاءِ عَلَى الْمَصِيبَةِ
وَيُسْرَاكَ اغْتَنِمْ فَالْقَوْسَ تَرْمِي وَمَا تَدْرِي أَرَشَقَتْهَا قَرِيبِهِ
وَمَا بِغَرِيبَةٍ نُوِبَ اللَّيَالِي وَلَكِنَّ النَّجَاةَ هِيَ الْغَرِيبَةِ

[٢٠٣]

وقال رحمه الله :

يَا أَهْلَ هَذَا الْقَطْرِ سَاعِدِ الْقَطْرِ بَلِيَتْ فَذُلُّونِي لِمَنْ يُرْفَعُ الْأَمْرُ
تَشَاغَلْتُ بِالْدُنْيَا وَنَعْتُ مَفْرَطًا وَفِي شُغْلِي أَوْ نَوْمِي سُرِقَ الْعَمْرُ
وقال رحمه الله :

مَالِي أَهْدَبُ نَفْسِي فِي مَطَالِبِهَا وَالنَّفْسُ تَأْنَفُ تَهْذِيبِي وَتَهْذِي بِي

بعض
مقطوعات له

(١) ما بين القوسين تكملة عن ت .

إذا استعنتُ على دهرى بتجربة تأبى المقاديرُ تجريبي وتجري بي
وقال رحمه الله مَوْرِيَا حين أكل مُشْرِف الدار القابض^(١) ، أى أخذ ماله :
مُشْرِف دار الملك ما باله منتفخ الجوف شكاً نافضاً
فقليل لى ليس به علة لكنه قد أكل القابض
وقال رحمه الله :

وله فى مشرف
الدار حين أكل
القابض

يا نفس لا تُصغى إلى سَلْوَةٍ كم أخلف الموعدَ عُقُوبُ
وأنت يا قلبي وَصَّاك إبراهيم بالحزن ويعقوب
قال : وقلت فى رأس الغادر بالدولة حين عرض على :
فى غير حفظ الله مِنْ هامة هام بها الشيطان فى كل وادٍ
ما تركتُ حمداً ولا رحمة فى فم إنسان ولا فى فؤادٍ
وقال رحمه الله :

وله فى رأس
الغادر بالدولة

يا كوكبَ الحسن يا معناه يا قمرَةً يا روضه المتناهى الرِّيع يا ثمرَةً
أمرتني بِسُلُوءٍ عنك ممتنع مأمور حسنك لَمَّا يَقْضِ ما أمره
[وقال رحمه الله فى السعيد أبى بكر ابن السلطان أبى عنان :
أميراً كأن قُمْير الدجى أفاض الضياء على صفحتيه
تملاً قلبي من حبه غداة نظرت بعينى إليه
فلا بسط الدهر كفَّ الردى لذاك الشَّخِصَ وذاك الوَجْهَ]^(٢)

وله فى الغزل

شعر له فى
السعيد أبى بكر

(١) القابض : من الألفاظ الأندلسية ، وهى هنا بمعنى المال المأخوذ .

(٢) ما بين القوسين ساقط فى ت .

وله في توديع
ابنه لما انصرف
عنه إلى فاس

وقال عندما انصرف عنه ابنه إلى مدينة فاس ، لإقامة رسمه من الخدمة ،
قال : وأشجاني انصرافه لوقوع قرحه على قرح ، والمستعان الله :

بان^(١) يوم الخميس قرّة عيني حسبي الله أي موقف بين !
لوجني موقف النوى حين حيّ حان يوم الوداع والله حين
ضايقتني صروف هذى الليالي وأطالت همي وألوت بدني
وطن نازح وشمل شتيت كيف يبقى مُعذّب بين ذين ؟
يا إلهي أدرك بلطفك ضعفي إن ما أشتكيه ليس بهين [٢٠٤]

وله في السيادة
الخطيبية

قال : وخاطبت السيادة الخطيبية^(٢) مع طيفور طعام :
تعلّم طيفوري خلال سميّه^(٣) وإن كان منسوباً إلى غير بسطام
وجاء فقير الوقت لابس خرقه فليس براض غير صحبة صوّام
فديتك لا تردده عنك مخيّبا ودّرّسه يا مولاي قصّة بلعام^(٤)
قال : وكتبت إلى السيادة الخطيبية ، ووصل ولدها إلى سلا ، ومنعني عن
لقائه عذر من مرض ، وكان نزوله بزاوية النساك :

صدّني عن لقاء نجلك عذر يمنع الجسم عن تمام العبادة
واختصرت القرى لأن حطّ رحلا في محل الغنى ودار الزّهاده

(١) في ت : « فات » .

(٢) يريد بالسيادة الخطيبية ، الخطيب ابن مرزوق حاجب الدولة الفرناطية .

(٣) طيفوري : يريد طبقاً عليه مأ كول . وسميه : يريد به القطب طيفور بن عيسى
ابن سروشان ، المكنى بأبي يزيد البسطامي ، شيخ الصوفية ، وصاحب الأحوال
المشهورة . (انظر شرح القاموس) .

(٤) لعله يريد بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، وله قصة
مشهورة .

وَلَوْ أَنِّي احْتَفَلْتُ لَمْ يُعِينِ الدَّفْعُ وَلَا نِلْتُ بَعْضَ بَعْضٍ أَرَادَهُ
وعلى كل حالة فقُصُورِي عادة إذ قُبُولُكَ العِذْرَ عَادَهُ
لا عَدَمَتِ الرِّضَا مِنْ اللَّهِ وَالْحُسْنَى كَمَا نَصَّ وَحْيُهُ وَالزِّيَادَةُ
وَقَالَ يَخَاطِبُهُ مِنْ ضَرِيحِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ بِشَاةً ، لَاسْتِنْهَاضِ غَرِيمَتِهِ
فِي قِضَاءِ غَرَضِهِ :

بَرِئْتُ لِلَّهِ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ حَيْلِي أَصْبَحْتُ مَالِيٍّ مِنْ عَطْفِ أَوْمَلِهِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ أُزْمِيَ بِقَاصِيَةِ مَنْ بَعْدَ مَا خَلَصْتُ نَحْوَى الشَّفَاعَةِ مَا
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ بِأَهْلٍ لِلَّذِي طُمَحْتُ فَكَيْفَ يُلْغَى وَلَا تُرْعَى وَسِيَلَتُهُ
مِنْ بَعْدِ مَا اشْتَهَرَتْ حَالِي بِهِ وَسَرَّتْ وَالرَّسْلُ تَتَرَى وَلَا تَخْفَى نَتَائِجُهَا
وَلَا لِلْيَلِيِّ مِنْ صُبْحِ أَطَالَعِهِ لَوْ أَنَّي بَابَنَ مَرْزُوقٍ عَقَدْتُ يَدِي
لَكَانَ كَرْبِي قَدْ أَفْضَى إِلَى فَرْجِ أَلَمْتُ^(٢) بِالْعَتَبِ لَمْ أَحْذَرْ مَوَاقِعَهُ
وَلَسْتُ أَجِدُ مَا خُوِّلْتُ مِنْ نِعَمٍ وَلَسْتُ أَيَّاسُ مَنْ وَعَدَ وَعِدَتْ بِهِ
إِنْ نَامَ عَنِّي وَرَيْيَ فَهَوَ خَيْرٌ وَلِي مِنْ غَيْرِهِ فِي مُهِمَّاتٍ وَلَا بَدَلٍ
لِلْهَجْرِ أَقْطَعُ فِيهَا جَانِبَ الْأَمَلِ بَيْنَ الْفَلَا^(١) وَالذَّجِيِّ وَالْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
إِلَيْهِ نَفْسِي وَأَهْوَى نَحْوِهِ أَمَلِي دَخِيلُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلِيٍّ
بِهَا الرِّكَائِبُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ عِنْدَ التَّأَمُّلِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
كَأَنَّ هَمِّي قَدْ مَدَّ الدُّجْنَ لِي وَكَانَ مُحْتَكِمًا فِي خِيَرَةِ الدُّوَلِ
وَكَانَ حُزْنِي قَدْ أَوْفَى عَلَى جَدَلٍ «أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ»
لَكِنَّمَا النَّفْسُ لَا تَنْفَكُ عَنْ أَمَلٍ وَإِنَّمَا «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ»

[٢٠٠]

(١) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « الْعَلَا » .

(٢) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « الْأَحْت » .

وقال رحمه الله يخاطب السلطان أبا الحجاج :

وله في مخاطبة
السلطان
أبي الحجاج

أمولاي إن الشعرَ ديوانُ حكمةٍ يفيد الغنى والعزَّ والجاهَ مَنْ كانا
وقد وُجِدَ المختارُ في الحفلِ مُنصِتًا له وَحِبَا كَعَمْبَا عليه وَحَسَانَا
وفيما رواه الناقلون وأثبتوا بذلك ديوانًا صحيحًا فديوانا
بأن أبا بكر خليفته الرضا وفاروقه الأدنى إليه وعثمانا
وأن عليا قدس الله جمعهم وكرمنا بالتقرب منهم وَحَيَّانَا
لهم في ضروب القول إِذْهُمْ خَوَاهُ خطاب وشِعْرٌ يستقرَّان تَبْيَانَا
وفاض على أهل القريض نوالهم فِرْوَاضَ رَوْضِ القولِ سَحَا وَتَهْنَانَا
وأنتَ أَحَقُّ الناس أن تفعل التي بهَا^(١) فعل المختار دِينًا وإِيمَانَا
فما زلتَ تَهْدِي في البرية هديَه وتقضى بما يُرْضِيهِ سِرًّا وإِعْلَانَا
وإن قيل قدر المرء ما هو محسنٌ فصنعة نظم القول أرفعُه شَانَا

وله في التورية

وقال رحمه الله في فن التورية :

بنفسي حبيب في ثنایاه « بارق » ولكنّها للواردین عِذابُ
إذا كان لي منه عن الوصل « حاجر » فدمعى « عقيق » بالجنون مُذابُ
وقال :

عَذَّبَتْ قلبي بالهوى فقيامه في نار هجرِكَ دائماً وقُعودُه
ولقد عَهَدْتُ القلب وهو موحدٌ فعَلامُ يُقْضَى في العذابِ خلُوده
وقال في التجنيس :

وله في التجنيس

دَعَوْتُكَ للود الذي جَنَبَاتِه تداعتُ مبانِها وهَمَّتْ بأن تهَيَّ

(١) في نفع الطيب : « الذى به » .

وقلتُ لعهْدِ الوصل والقرب بعد ما تناءى أسلو عن حياتي^(١) وأنت هي
ومن شام من جو الشيبية بارقا ولم تنه عنه النهى كيف ينتهى ؟
وقال أيضاً :

ناديتُ دمعى إذ جدَّ الرحيلُ بهم والقلبُ من فَرَقِ التوديع قد وجَّبا
سَقَطَتْ يادمعُ من عيني غداة نأى عنى الحبيبُ ولم تقض الذى وجبا
وقال مُورِّياً :

وله في التورية
أيضاً

كُتِبَتْ بدمع عيني صفحَ خدِّى وقد مَنَعَ الكرى هجرُ الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا كتاب « العين » ينسب للخليل
وتذكرت بهذا قول الشيخ أبي حيان :

سبقَ الدمع بالسير المطايا إذ نوى من أحب عني نُقله
وأجاد السطور في صفحة الخدِّ ولم لا يجيد وهو ابن مُقله
والبيت الثاني أردت ، ولكن ابن الخطيب قد قصد تورية أخرى لم يقصدها
أبو حيان ، وكلاهما قد أحسن في توريته .

وقال ابن الخطيب :

بعض شعره

ولما رأت عزمي حثيثاً على الشرى وقد رابها صبرى على موقف البين
أنت بصحاح الجوهرى دموعها فعارضت من دمعى بمختصر العين
وقال أيضاً :

بحق ما بيننا يا ساكني القصبه رُدُّوا على حياتي فهى مغتصبه
ماذا جنيتم على قلبي بَيْنِكُمْ وأنتمُ الأهلُ والأحباب والعصبه

(١) في نفع الطيب : « وهل أسلو حياتي » .

وقال عفا الله عنه :

مَضْجَعِي فِيكَ عَنْ قَتَادَةَ يَرَوِي وَرَوَى عَنْ أَبِي الزِّنَادِ فَوَادِي
وَكَذَا النُّومُ شَاعِرُ فِيكَ أَمْسَى مِنْ دُمُوعِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي
وقال رحمه الله :

حِينَ سَارُوا عَنِّي وَقَدْ خَنَقْتَنِي عَبْرَاتٍ قَدْ أُعْرِبْتُ عَنْ وَلُوعِي
صَحْتُ مِنْ يَنْصُرِ الْغَرِيبِ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ نَاصِرًا بَلَغْتَ دُمُوعِي
وقال عفا الله عنه :

قَالَ لِي وَالِدُ الدُّمُوعِ تَهَلَّلْ سُحْبًا فِي عِرَاضٍ^(١) مِنَ الْخُدُودِ مُحُولٍ
بِكَ مَا بَنَى فَقُلْتُ مَوْلَايَ عَافَا لَكَ الْمَعَايَ مِنْ عَبْرَتِي وَنُحُولٍ
أَنَا جَفَنِي الْقَرِيحُ يَرَوِي عَنْ الْأَعْمَشِ وَالْجَفْنُ مِنْكَ عَنْ مَكْحُولٍ
وقال ، وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جَلَسَ الْمَوْلَى لِتَسْلِيمِ الْوَرَى وَتَفْصُلِ الْبَرْدِ فِي الْجَوِّ احْتِكَامٍ
فَإِذَا مَا سَأَلُوا عَنْ يَوْمِنَا قُلْتَ هَذَا الْيَوْمُ بَرْدٌ وَسَلَامٌ
وقال رحمه الله تعالى :

[٢٠٧]

بِأَبِي بَدْرٍ^(٢) غَزَانِي مَسْتَبِيحًا مَرْحَاحًا^(٣) صَدْرِي
فَأَنَا الْيَوْمَ شَهِيدُ الْحَبِّ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ

وقال :

أَشْكُو لِمَا بَسِمَهُ الْحَرِيقَ وَقَدْ حَمَى عَنِّي لَمَاءَ الشَّهْتَى وَرَحِيقَهُ
يَا رَيْقَهُ حَيَّرْتَنِي وَمَظَلَّتْنِي مَا أَنْتَ^(٤) إِلَّا بَارِدٌ يَا رَيْقَهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفَحَ الطَّيْبُ ، وَنَبِيلٌ إِلَى أَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُحَرَّفَةٌ عَنْ «عِرَاضٍ»
بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، فَهِيَ أَلْيَقُ بِهَذَا الْمَقَامِ .

(٢) كَذَا فِي نَفَحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « ظِي » .

(٣) كَذَا فِي ت . وَالسَّرْحُ : فَنَاءُ الدَّارِ . وَفِي ط : « صَرَح » . وَالصَّرْحُ : الْقَصْرُ .

(٤) فِي ط : « مَا كُنْتُ » .

وله في جلوس
السلطان في يوم
برد للسلام

وله في الغزل

أبيات له
في الخانات
البدعية

وقال فيمن ركب البحر وماد :
ركب السفينة واستقل بأفتها فكأنما ركب الهلال الفرقد
وشكوا إلى بئديهم فأجبتهم^(١) لا غرو أن ماد القضيب الأملد
وقال أيضاً :

يا مالكي بخلال تهدي إلى الفكر^(٢) حيرة
أضمرت قلبي نارا يا مالك بن نؤيرة
وقال عند ما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس
اطلب حقه :

ولما حثت السير والله حاكم
حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى
لملكك في الدنيا بعز وفي الأخرى
يُنْقَل من بيضاء إلا إلى حمرا
وقال رحمه الله تعالى :

تعجلت وخط الشيب في زمن الصبا
فهما رأيتم شيبة في مفارق^(٣)
نحوضي غمار الهم في طلب المجد
فلا تنكروها إنها شيبة الحمد
وقال رضى الله عنه :

يا من تقلد للعلاء سلوكا والفضل أضحي نهجه مسلوكا
كاتبتي متفضلاً فلكتني لازلت منك مكاتبا مملوكا

(١) كذا ورد هذا الشطر في ط . وفي ت : « وشكا إلى بئديه فأجبتهم » ؛ وفي هـ
الطيب : « وشكوا إليه بئديهم فأجبتهم » .
(٢) في نفع الطيب : « القلب » .
(٣) في نفع الطيب : « فوق مفرق » .

وقال عفا الله عنه :

أجاد يراع الحسن خطَّ عذارِه وأودعه السرَّ المصون الذي يدري
ولم يفتقر فيه لختم وطابع فبسمه أغناه عن طابع السر
[٢٠٨] وقال في رجل حلف وأقسم أنه ذو مال وأمانة ، وطالب من السلطان الخدمة :
حلفت لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر في اليمين
ليستندوا إليك بحفظ مال فتأكل باليسار وباليمين
وقال في الفخر :

ما ضرتني أن لم أكن^(١) متقدما فالسبق يُعرف آخرَ المضمارِ
والئن غدا رُبَّع البلاغة بَلَقعا فربَّ كنز في أساس جدار
وقال في مديح السلطان أبي الحجاج :

في مصر قلبي من خزائن يوسف حَبَّ وعيرُ مدائحى تمتازُه
حليت شعري باسمه فكأنه في كل قطر حله ديناره
وقال يخاطب ابنه السلطان أبا عبد الله :

قالوا لخدمته دعاك محمد فكرهتها وزهدت في التنويه
فأجبتهم أنا والمهمين كاره في خدمة المولى مُحِب فيه
ومن قوله في غرناطة :

أحبك يا مغنى^(٢) الكمال بواجب^(٣) وأقطع في أوصافك الغرَّ أوقاتي
تقسّم منك التربة قومي وجيرتي ففي الظهور أحيائي وفي البطن أمواتي

(١) كذا في الأصلين ؛ وفي نفع الطيب : « أن لم أجي » .

(٢) في نفع الطيب : « أحبيك يا مغنى » .

(٣) الواجب : القلب .

وقال في غرض ينحوبه نحو المشاركة :

رَمَوْا بالسُّلُو حليف الغرامِ وأدمعه كالحيا الهاطلِ
أعوذُ بعزك يا سيدي لئلا من دَعوة الباطلِ
وقال أيضاً :

يا ليلُ طُلْتَ ولم تجدِ بتبسمٍ وأريتني خُلُقَ العَبُوسِ النادمِ
هلاً رحمتَ تغرُّبِي وتفرِّقِي لله ما أفساك يا ابن الخادمِ

وقال في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج رحمه الله :

لِي الفضلُ أنْ شاهدتني واختبرتني على كل مصقول الغرارين مُرْهَفِ
كفاني نَحْراً أنْ تراني قائماً بسنة إبراهيم في كف يوسف

وله في سكين
الأضاحي

وقال في مروحة سلطانية :

كأنني قوس^(١) الشمس عند طلوعها وقد قدمت من قبلها نسمة الفجرِ
وإلا كما هبت بمحتدم الوسخي بنصرٍ ولكن من بنود بني نصر^(٢)

وله في مروحة
سلطانية

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب :

بين السَّهَامِ وبين كُتُبِكَ نسبة فيها يُصاب من العدو المَقْتُلُ
وإذا أردت لهما زيادة نسبة هذى وهذى في السَّكَنَةِ تُجَعَلُ

وله يخاطب
ابن الجياب

وقال يتغزل ، وفيه معنى غريب :

إنَّ الأَجاظَ هي السيوفُ حقيقةً ومن استرابَ فحجتي تكفيه
لم يُدْعُ غمدُ السيفِ جَفْناً باطلاً إلا لشبه اللحظِ يُعَمَدُ فيه

وله في الغزل

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إنَّ العيونَ التُّجَلَّ أَمْضَى موقعا من كل هندی وكل يمانِ

(١) في ت : « ظل » .

(٢) بنو نصر : هم بنو الأحر ملوك غرناطة .

فضل العيون على السيوف بأنها^(١) قَتَلْتُ ولم تخرُج من الأجفان
وأصل ما قال ابن الخطيب قول الآخر :

بين السيوف وعينيهِ مشاركة^(٢) من أجلها قيل للأعماد أجفانُ

وقال ابن الخطيب أيضا في البراغيث :
وله في البراغيث أيضا

بِتْنَا نَكَابِدُ هَمْ الْقَحْطُ لِيَلْتَنَا وَأُنْجِدَ الشَّهْدَ وَالْكَرْبَ الْبِرَاغِيثَا^(٣)
وَكَانَ يُحْمَلُ مَا كُنَّا نَكَابِدُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ الْبِرَاغِيثَا^(٤)

وقال في خالد البلوي صاحب الرحلة ، وقد استكثر من سرقة كتاب
« البرق الشامي » للعماد الأصهباني :

خَلِيلِيَّ إِن يُلَفَّ اجْتِمَاعُ بِخَالِدَ فَقُولَا لَهُ قُولَا وَلَنْ تَعْدُوا الْحَقَّا
سَرَقَتِ الْعِمَادُ الْأَصْبَهَانِيَّ بَرْقَهُ وَكَيْفَ تَرَى فِي شَاعِرٍ سَرَقَ الْبَرْقَا ؟

وقال في المنجانة :
وله في المنجانة

تَأْمَلِ الرَّمْلَ فِي الْمَنْجَانِ مَنْقُطَعًا يَجْرِي وَقَدَّرَهُ عَمْرًا مِنْكَ مِنْتَهِيَا
وَاللَّهِ لَوْ كَانَ وَادِي الرَّمْلِ يُنْجِدُهُ مَا كَانَ^(٥) كَامِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا

وقال :
وله في النزل

أَقُولُ لِعَاذِلِي لِمَا نَهَانِي وَقَدْ وَجَدَ الْمَقَالَةَ إِذْ جَفَانِي
عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مُرُّ التَّجْنِي وَفَاتَكَ أَنَّهُ حُلُوُّ اللِّسَانِ

(١) في ت : « لأنها » .

(٢) في ط : « بين اللحاظ وعينيهِ مناسبة » .

(٣) رواية هذا البيت في نفع الطيب :

بِتْنَا نَطَارِحُ هَمْ الْقَحْطُ لِيَلْتَنَا وَأَيْدِ الْهَمِّ وَالسَّهْدِ الْبِرَاغِيثَا

(٤) البري : التراب . ورسمت (البري) بالألف ليتم الجناس بين البيتين . وغيت :
أصابه الغيت .

(٥) في ت : « ما طال » .

وله في التصوف

وقال في غرض صوفي :

لا تنكروا أن كنتُ قد أُحِبَّتْكُمْ أو أنني استولى على هواكمُ
طوعاً وكرهاً ما ترونُ فإني طُفْتُ الوجود فما وجدتُ سواكم

[٢١٠]

وله في المدح
موريا

وقال يمدح وفيه تورية :

وإن نظرتَ إلى الألاءِ غُرَّتْهُ يوم الهياج رأيت الشمس في الأسدِ
ونسب إليه الحافظ أبو عبد الله التنسي رحمه الله ، قصيدة يخرج منها أكثر
من ثلاث مئة بيت ، ونسبها غير التنسي إلى بعض المشارقة ، فالله أعلم ، وهي :

شعر له يشك
أنه للمشارقة

دائم نوى بفؤادي شفه سقم^(١) لمحنني من دواعي الهم والسكمد
بأضلعي لهب تذكرو^(٢) شرارته من الضنى في محل الروح من جسد^(٣)
يوم النوى حل في قلبي له ألم^(٤) وخرقتي وبلائي فيه بالرصد
توجعي من جوى شبت حرارته مع العنا قد رنى لي فيه ذو الحسد
أصل الهوى ملبسي وجدا به عدم لمهجتي من رشاً بالحسن منفرد
تنبهي وجه^(٥) من تزهو نصارته إذا انثنى قاتلي عمداً بلا قود
مهدى الجوى مولع بالهجر منتقم ما حيلتي قد كوى قلبي مع الكبد
لمصرعي معتد تحلو مزارته يا قومنا^(٦) آخذ نحو الردى بيدي
قلبي كوى ملك في النفس محتكم لقصتي فهو سؤلى وهو معتمد
مروعي قرآسي إشارة إذا رنا ساطع الأنوار في البلد

(١) في ت هنا : « ألم » .

(٢) في ط : « تبدو » .

(٣) في ت هنا : « ... الروح والجسد » .

(٤) في ت : « يوم النوى ظل في قلبي به ألم » .

(٥) في ت : « وجد » .

(٦) في ط : « يا قومنا » .

هَدَّ الْقُوَى حَسَنَ كَالْبَدْرِ مَبْتَسِمٍ لِفَتْنَتِي مُوَهِنَ عِنْدَ النَّوَى جَلَدِي
مُودَّعِي النَّارَ قَدْ شَبَّتْ زِيَارَتُهُ لِمَا جَنَى مُورَثِي وَجَدًا مَعَ الْأَبَدِ
قلت : وعندي أنها بعيدة من نفس ابن الخطيب ، مع أن الحافظ التَّنَسِيَّ
نسبها له ، وغيره نسبها لبعض المشاركة ، وذكر التَّنَسِيَّ أنه يخرج منها ثلاث مئة
بيت ونيف وستون بيتاً^(١) ، والله ولي التوفيق .

ثم وقفت بعد هذا على كراسة من بعض تأليف الصَّفَّادِي بخطه ، عبر^(٢) فيها
أنها لبعض المشاركة ، وأورد القطعة مع تقديم وتأخير ، فأردت أن أذكره إتماماً
للفائدة ؛ ونصه :

صالح بن أحمد بن عثمان صلاح الدين القَوَّاس الشاعر الخِلاطِي ثم البعلبكي ،
توفي سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، كان رجلاً خيراً متواضعاً ، صحب
[٢١١] الفقراء ، وسافر الكثير ، وكان يعبرُ الرؤيا ؛ قال الصَّفَّادِي : أنشدني من
لفظه الشيخ الحافظ الذهبي ، قال : أنشدني المذكور قصيدته السائرة ذات
الأوزان ، وهي :

دَائِمَ نَوَى بِفَوَادِي شَفَّهَ سَقَمُ لِمِحْنَتِي مِنْ دَوَاعِي الِهِمِّ وَالْكَدِ
بِأَضْلَعِي لَهَبٍ تَذْكُو شَرَارَتَهُ مِنَ الضَّنَى فِي مَحَلِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
يَوْمَ النَّوَى ظَلَّ فِي قَلْبِي بِهِ أَلَمٌ وَحُرْقَتِي وَبِلَائِي فِيهِ بِالرَّصَدِ
تَوَجَّعِي مِنْ جَوَى شَبَّتْ حَرَارَتُهُ مَعَ^(٣) الْعَنَا قَدْ رَنَى لِي فِيهِ ذَوُ الْحَسَدِ
أَصْلُ الْمَوَى مُلْبَسِي وَجَدًا بِهِ عَدَمٌ لِمُهْجَتِي مِنْ رَشَا بِالْحَسَنِ مِنْفَرَدِ

(١) طريقة ذلك أن يؤخذ اشطر الأول من كل بيت كما هو أو مع تغيير في بعض كلماته ،
ثم يوضع مع ما يناسبه معنى من الشطور الثواني في القصيدة كلها ، فتخرج من ذلك
صور كثيرة للبيت الواحد .

(١) في ت : « عين » .

(٢) في ط : « من » .

تتبعى وَجْهَهُ^(١) من تزهو نضارته لما جنى مُورنى وجدا مع^(٢) الأبد
 هَدَّ القوى حَسَنَ كالبدر مبتسم لِفَتْنَتِي مُوهِن عند النَّوى جَلَدِي
 مُودَعِي قَمَر تَسْبِي إِشارته إذا رنا ساطع الأنوارِ في البَلَدِ
 مُهْدِي الجوى مُوَلِّع بالهجر مُنْتَقِم ما حيلتي قد كوى قلبي مع الكَبَدِ
 لمصرعي مُعْتَدِي تحلو مرارته يا قومنا آخذ نحو الردى ييدى
 قلبي كوى مَلِكٌ في النفس محتكم لقصتي وهو سُؤْلِي وهو معتمدى
 موَلِّعِي النار قد شَطَّتْ^(٣) زيارته لما اثنتى قاتلى عمداً بلا قَوَدِ
 قال الصَّفْدَى : قلت : هذه القصيدة تقرأ على ثلاث مئة وستين وجهاً .

[وقال في المشيب :

وله في المشيب

إِنِّي لُمُبْلَى بالهوى من بعد ما للوخط بالقودين أى ديب
 لَبَسَ البياضَ وحلَّ ذِرْوَةَ مِنبر منى ووالى الوعظَ ففعل خطيب
 وكتب ببعض الحيطان لما أجاز بِسَبْتَةِ :

وله وقد أجاز
بسبته

أَقْنَا بُرْهَةً ثم ارتحلنا كذاك الدهرُ حالا بعد حال
 وكل بداية فإلى انتهـاء وكل إقامة فإلى ارتحال
 ومن سام الزمانَ دوامَ أمر فقد وقف الرجاء على المُحال
 وقد قَدَّمْنَا بعض هذه المقطوعة على غير هذا الوجه [٤] .

وقال مما يكتب في طاق الماء بباب القبة :

وله في طاق الماء

أَنَا طاق تزهو بِيَ الأيامُ تَعِبْتُ في بدائعي الأفهامُ

(١) في ت : « متبعى وجد » .

(٢) في ت : « وجدى مدى » .

(٣) في ت : « مروعى سار لا شطت » .

(٤) ما بين القوسين جاء متأخراً في ط بعد قوله : « قلبي الثانى » .

وتبذيت للنواظر محرا بآ كآن الإناء في إمام^(١)
واقف للصلاة حتى إذا ما جئت للشرب حان مني السلام
وقال في ذلك أيضاً :

يا صانعى الله ما أحكمته فلأنت بين العالمين رئيس
أحكمت تاجي يوم صغت رقوشه فصبت إليه مفارق وروس
وأقت في محرابه فكأنه مجلى^(٢) إناء الماء فيه عروس

بين ابن الجباب
وابن الخطيب

وكتب إليه شيخه ابن الجباب بقوله :

أيا كتابي إذا ما جئت ما لقة دار المكارم من ثني ووحدان
فلا تسلم على ربع بذى سلم بها وسلم على ربع لسمان
فأجابه ابن الخطيب بقوله :

[٢١٢]

يا ليت شعري هل يقضى تألفنا ويثنى الشوق عن غاياته الثانى
أو هل يحى على نفسى معذبها أو هل يرق لقلبي قلبي الثانى
وقال رحمه الله :

بعض أبيات له

عدّ عن كيت وكيت ما عليها غير ميت
كيف ترجى حالة البقياسيا لمصباح وزيت
وقال رحمه الله :

والله ما جان على ماله أوجاهه من ذاد عن عرضه^(٣)

(١) في ط : « الإمام في قيام » .

(٢) في ط : « يحكى » .

(٣) في ط : « من حاط من عرضه » .

والناس في خير وفي^(١) ضده هم شهداء الله في أرضه
وقال رحمه الله : ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون ،
وطمس الآن رسمها :

موشحة له في مدح
السلطان يوسف
أبي الحجاج

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ وَنَجُومِ السَّمَاءِ لَمْ تَذَرِ
حَفَظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى
أَيُّ شَمَلٍ مِنَ الْهَوَى جَمَعَا
غَفَلَ الدَّهْرُ وَالزَّوْجُ مَعَا
لَيْتَ نَهَرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرِ حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ
عَلَّ النَّفْسُ يَا أَخَا الْعَرَبِ
بِحَدِيثِ أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ
فِي هَوَى مَنْ وَصَالَهُ أَرَبِي
كَلَّمَا مَرَّةً ذَكَرْتُ مِنْ تَذَرِي قُلْتُ يَا بَرْدَهُ عَلَى صَدْرِي
صَاحِ لَا تَهْتَمِّمْ بِأَمْرِ غَدٍ
وَأَجِزْ صِرْفَهَا يَدَا بَيْدٍ
بَيْنَ نَهْرٍ وَبَلْبَلٍ غَرَدٍ
وَعُصُونُ تَمِيدُ مِنْ سُكْرِ أَغْلَنْتُ يَا غَمَامُ بِالشُّكْرِ
يَا مِرَادِي وَمَنْتَهَى أَمَلِي
هَاتِهَا عَسْجَدِيَةِ الْحُلَلِ
حَلَّتِ الشَّمْسُ مَنْزِلَ الْحَمَلِ
وَبُنُودِ الرَّبِيعِ فِي نَشْرِ وَالصَّبَا عَنْبَرِيَةِ النَّشْرِ

[٢١٣]

(١) في ت : « وإن » .

غُرَّةُ الصَّبَحِ هَذِهِ وَضَحْتُ
 وَقِيَانُ الْفُصُونِ قَدْ صَدَحْتُ
 وَكَأَنَّ الصَّبَا إِذَا نَمَحَتْ
 وَهَفَا طَيِّبَهَا عَنْ الْخَضِرِ مِدْحَةٍ فِي غُلَا بَنِي نَصْرِ
 مُمْهُمْ مَلُوكُ الْوَرَى بَلَا ثُنْيَا
 مَهَّدُوا الدِّينَ زَيْنُوا الدُّنْيَا
 وَحَمَى اللَّهُ مِنْهُمْ الْعُلْيَا
 بِالْإِمَامِ تَرْفَعُ الْخَطَرِ وَالنَّعَامُ الْمُبَارَكُ الْقَطَرِ
 إِنَّمَا يُوسِفُ إِمَامٌ هُدَى
 حَازَ فِي الْمَعْلُومَاتِ كُلِّ مَدَى
 تَمَنَّيْتُ لِدَهْرِ بَيْلِكَ سَعِدَا
 افْتَخِرْ جَمَلَةً عَلَى الدَّهْرِ كَافَتْخَارِ الرِّبْعِ بِالزَّهْرِ
 يَا عِمَادَ الْعِلَاءِ وَالْمَجْدِ
 أَطْلَعَ الْعَيْدُ طَالِعَ السَّعْدِ
 وَوَفَى الْفَتْحُ فِيهِ بِالْوَعْدِ
 وَتَجَلَّتْ فِيهِ عَلَى الْقَصْرِ غُرَّرٌ مِنْ طَلَائِعِ النَّصْرِ
 قَتَمْنَا مِنْ حُسْنِهِ الْبَهْجِ
 بِحَيَاةِ النُّفُوسِ وَالْمُؤَبَّجِ
 وَاسْتَمَعْنَا وَدَعَّ مَقَالَ شَجِي
 قَسَمًا بِالْمُحَوَى لِلدِّيِّ حَجَرٍ مَا لَيْلِ الشُّوقِ رَنْ فُجْرِ
 وَمَنْ بَدِيعَ مَوْشِحَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ :

كَمْ لِيَوْمِ الْفِرَاقِ مِنْ غُصَّةٍ فِي فُؤَادِ الْعَمِيدِ
 تَرْفَعُ الْأَمْرَ فِيهِ وَالْقِصَّةُ لِلْوَلِيِّ الْحَمِيدِ

رحل الركب يقطع البيدا بسفين النِّياقِ
كل وَجْناهُ تُتْلَعُ الجيدا وتَبْـسُـذُ الرِّفاقِ
حَسِبْتُ لَيْلَةَ اللقا عيدا فهى ذات اشتياقِ
صائمات لا تقبل الرخصة قبل فِطْرٍ وعيدِ
فهى مذ أَمَلْتَه مَحْتَصه بجهاد جهيدِ
ومنها وهو آخرها :

يا إمام العُـمـلا والفَخْرِ ذا السَّـنـا الأبهجِ
هاكها لا عَدِمَتْ فى الدهرِ آمِـلًا يَرْـنـجـي
عارَضَتْ قول بائع التمر بمقـال شـجـرِ
غَرَبوكِ الجالُ يا حَفْصَه من مكان بعيدِ
من سِجْلـاسـة ومن قَفْصَه وبلاد الجَرِيدِ

ومن بديع نظمه رحمه الله فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة المشهورة وهى :

وله فى مدح
النبي صلى الله
عليه وسلم

سَلْ ما لِسَلَمَى بنار الهجر تَكْوِينِ وحبُّها فى الحَشى مِنْ قَبْلِ تَكْوِينِ
وفى مُناها تَمَنَّيْتُ المُنَى فَعَدَا قلبى كَثِيبًا بَبَلُواهُ يَنـاجِـي
وفى قِباب قَبَا قَامَتْ لَنَا بَقَا طرازُها مُذْهَبٌ فى حُسْنِ تَزْيِينِ
لَمَّا انْتَشَتْ فى الحَلِى تَزْهُو بِهَـجَّتْها وبالغـزالـة تَزُرِّى والسَّـراحـينِ
لَمَّا تَفَنَّنَتْ فى أَفْئان قَامَتْها تَفَنَّنَتْ بِفُنُون الصَّدِّ تَفْنِينِ
ويَحْسَبُ الصَّبُّ يُسَلِّينى مَحَبَّتْها هيهات لو أن جَمَّ النار يُصَلِّينِ
النارُ فى كَبْدى والشَّوْقُ يُقْلِقْنى والقُرْبُ يَنْشُرْنى والبُعْدُ يَطْوِينِ

وَرُكْنُ صَبْرِي تَخَلَّى فِي الْغَرَامِ وَقَدْ
 وَقَدْ رَأَيْتُ مَسِيرِي غَرَّ مَطْلَبِهِ
 نَصَبْتُ حَالِي لِرَفْعِ الضَّمِّ مَنْجُزِمٍ
 يَأْصَحُ عُنْجُ الْحَمَى وَانْزِلْ بِهِمْ سَحَرًا
 وَفَوْقَ سَفْحِ عَمِيقِ الدَّمْعِ عُنْجٌ لَتَرَى [٢١٥]
 وَمِلْ عَلَى أَثْلَاطِ الْبَنَانِ مُنْعَطِفًا
 نَمَّ أَتٍ جَزْعًا وَجُزْءًا عَنْ حَيٍّ كَاطِمَةٍ
 مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْخِتَارُ مَنْ ظَهَرَ
 مَنْ خَصَّه اللَّهُ بِالْقُرْآنِ مَعْجَزَةً
 وَمِنْ شَهَابٍ بَدَأَ مِنْ نُورِهِ رُجَمَتْ
 وَفَوْقَ رَاحَتِهِ ضَمُّ الْحَمَى نَطَقَتْ
 وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْبَارِي وَأَرْسَلَهُ
 إِنْ سَارَ فِي الرَّمْلِ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرُ
 كَأَنَّ بَارِئًا مَلَّ مَا بِالصَّخْرِ مِنْ جَلَدٍ
 وَفِي الصَّحَائِحِ أَنْ الْجِدْعَ حَنَّ لَهُ
 وَقَدْ سَمِعْنَا بَأْنَ الطَّيْرِ خَاطِبِهِ
 وَالظَّبْيِ وَالضَّبِّ جَاءَ يَشْهَدَانِ بَأْنَ
 فَكَيْفَ أَحْسَنَ مَدْحًا فِي مُحَاسِنِهِ
 أَقْبَلَ الْأَرْضَ إِجْلَالًا لِهَيْبَتِهِ
 وَقَدْ أَقُولُ ابْنَ حَمْدَانَ الْغَرِيبُ أَتَى
 يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ عُرَبٍ وَمِنْ نَحْمٍ

تَمَكَّنَ الْحَبُّ فِي أَيْ تَمَكَّنَ
 وَالطَّرْفَ وَالطَّرْفَ يُكْفِينِي وَيَكُونِي
 بِالْكَسْرِ عَلَّ بِرَشَفِ الضَّمِّ تُحْيِينِي
 وَانْظُرْ لِمُعْجَبِ أَثْلَاطِ الْبَسَاتِينِ
 جَاذِرِ الْحَيِّ بَيْنَ الْخُرَدِ الْعَيْنِ
 وَحَيٍّ سَلَعًا وَسَلًى عَنْ حَالِ مَسْكِينِ
 وَاقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى خَيْرِ النَّبِيِّينِ
 آيَاتِهِ قَتَسَلَى كُلُّ مُحْزُونٍ
 مَا نَالَهَا مُرْسَلٌ قَدْ جَاءَ بِالْدِينِ
 شُهْبُ الدِّيَاجِي رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ
 وَالْمَاءِ مِنْ كَفِّهِ يُزْرِى بِمُحِيطُونَ
 بَرًّا رَءُوفًا رَحِيمًا بِالْمَسَاكِينِ
 وَإِنْ عَلَا الصَّخْرَ عَادَ الصَّخْرُ كَالطَّيْنِ
 شَوْقًا وَبِالصَّخْرِ مَا بِالرَّمْلِ مِنْ لَيْنِ
 وَالْعَذْقُ أَنْ إِلَيْهِ أَيْ تَأْنِينِ
 فِي مَنْطِقِ مُفْصِحٍ مِنْ غَيْرِ تَلَكُّينِ
 لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْ طِهِ وَيَسِينِ
 لَكِنَّ لِي قَبُولًا مِنْهُ يَكْفِينِي
 وَالنِّمُّ التُّرْبَ عَلَّ الْوَصْلَ بِمُحِيدِنِي
 مُنَادِيًا بِفَوَادٍ مِنْهُ مُحْزُونِ
 وَأَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَتَزِينِ

إِنِّي أَتَيْتُكَ فَاقْبَلْنِي وَخُذْ بِيَدِي
 وَقَدْ مَدَحْتُكَ فَارْحَمْنِي وَجُدْ فَعَسَى
 وَكُنْ شَفِيعِي مِنَ النَّيِّرَانِ يَا أُمِّي
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا صَدَحَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا غَرَدَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا وَفَدَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا هَطَلَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا ضَحَكَتْ
 وَأَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ لَا نَفَادَ لَهَا
 عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ قَاطِبَةً
 وَآلِكَ الْغُرِّ وَالْأَصْحَابِ كُلِّهِمْ
 مَا عَطَّرَ الرَّوْضَ فِي الْأَسْجَارِ عُرْفَ صَبَا
 وَمَا شَدَّ مُنْشِدٌ صَبُّهُ لِقَرْطِ جَوَى
 [وقال رحمه الله :

وله في الرجوع
إلى الله

لَبَسْنَا فَلَمْ نُبَلِّ الزَّمَانَ وَأَبْلَانَا
 وَنَعْتَرُ بِالْأَمَالِ وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي
 وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَنْظُرَ الدَّهْرُ مَا عَسَى
 جَزَيْنَا صَنِيعَ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ
 فَيَارَبِّ عَامِلُنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 انتهى .

(١) يريد : « أجرني » .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

وَمِنْ لَهَيْبِ لَطْفِي جِرْنِي ^(١) وَسَجِّينِ
 مِنْ هَوْلِ يَوْمِ اللَّقَا وَالْحُشْرِ تَنْجِيْنِي
 لَعَلَّ أَحْظَى بِأَجْرِ غَيْرِ مَمْنُونِ
 قُمْرِيَّةٌ فَوْقَ أَفْئَانِ الرِّيَاحِينَ
 حَمَامٌ فَوْقَ أَغْصَانِ الْبَسَاتِينِ
 نُورِيَّةٌ لِحِمَى الْأَطْلَالِ تَبْرِينِي
 مَدَامِغِ السَّحَبِ أَوْ عَيْنِ الْحَبَّيْنِ
 مَبَاسِمِ الزَّهْرِ فِي ثَغْرِ الْأَفَانِينِ
 مضروبة في ثمان ألف تسعين [٢١٦]
 وَأَلْفُ أَلْفِ سَلَامٍ فِي ثَمَانِينَ
 وَتَابِعِيهِمْ لِيَوْمِ الْحُشْرِ وَالذِّينِ
 وَفَاحِ نَشْرِ خُزَامِي مِنْهُ نَسْرِينَ
 سَلِّ مَا لِسَلَمِي بِنَارِ الْهَجْرِ تَكْوِينِي

يُتَابِعُ أَخْرَانَا عَلَى الْغَى أُولَانَا
 فَمَا كَانَ بِالرُّجْمَى إِلَى اللَّهِ أُولَانَا
 فَمَا انْقَادَ لِلزَّجْرِ الْحَثِيثِ وَلَا لَانَا
 فَلَمْ نَزْعِ مَا مِنْ سَابِقِ الْفَضْلِ أُولَانَا
 مِنْ الْعَفْوِ وَاجِبُ صَدْعِنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ^(٢)

ولنقتصر من نظمه على هذا القدر ، فإنه طويل عريض ، وإنما أظلت
النفس في ترجمة ابن الخطيب ، رحمه الله ، علماً متى بأن الذين رغبوا في تأليف
هذا الموضوع ، لهم تشوف إلى أنباء ابن الخطيب ، وكلامه وجلية أحواله ليست
عندهم ، وإنما يحفظون بعض نظمه ونثره ، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهاءه ،
وقد حكى غير واحد أنه رى رحمه الله بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟
فقال : غفر لي بسبب بيتين ، وهما :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
أروم مخلوق ثناءك بعد ما أثنى على أخلاقك الخلاق

تخميس للفناني
على بيتين
لابن الخطيب

وقد رأيت على هذين البيتين تخميساً لا بأس به ، لأبي عبد الله بن جابر
الفناني المكناسي ، رحمه الله ، وهو :

يا سائراً لصريح خير العالم يُنهي إليه مقال صب هائم
بالله نادٍ وقل مقالة عالم يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق
بشأنك قد شهدت ملائكة السما والله قد صلى عليك وسلماً
يا مجتبي ومعظماً ومكرماً أروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلاق

اتهي .

أولاد
ابن الخطيب

وأولاد ابن الخطيب رحمه الله ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلي . وكلهم
حدث عن أبيه وعن ابن الجيّاب ، وعلي منهم هو صاحب السلطان أحمد المريني
الملقب بالمستنصر . [٢١٧]

على بن الخطيب
والمستنصر
في بستان

وحُكي أنه حضر معه في بستان ، سَحَّ فيه ماء المذاكرة الهَتَّان ؛ وقد
أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزَمَعَ النهار لما قَدِمَ الليلُ على الفرار ؛
فقال المستنصر ^(١) لما لان جانبه ، وسالت بين سَرَحات البستان جداوله
ومَذانبه :

يا فاسُ إِنِّي وَأَيْمُ اللَّهِ ذُو شَغَفٍ في كُلِّ رِبعٍ لَهُ مَعْنَاهُ يَسْبِينِي
وقَدْ أَنَسْتُ بِقُرْبِ مَنْكَ يَا أُمْلَى ونَظَرَةُ فَيْكُمْ بِالْأَنْسِ تَحْيِينِي
فأجابه على بن الخطيب بقوله [العذب المصيب] ^(٢) :

لَا أَوْحَشَ اللَّهَ رَبْعًا أَنْتَ زَائِرُهُ يَا بَهْجَةَ الْمُلْكِ وَالْدُنْيَا مَعَ الدِّينِ
يَا أَحْمَدَ الْحَدِّ أَبْقَاكَ الْإِلَهَ لَنَا نَخِرَ الْمُلُوكَ وَسُلْطَانَ السُّلَاطِينِ

وأما عبد الله فقد كتب بالعدوتين ، عن ملوك الحضرتين . وأما محمد فقد
نال حظًا من التصوف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف .

شيء عن
عبد الله ومحمد
ابن الخطيب

ولا بد أن نُلِمَّ بوصية ابن الخطيب ، رحمه الله ، لأولاده المذكورين ، لما
فيها من الحِكم والوصايا النافعة لمن عمل بها ، وهي :

وصية
ابن الخطيب
لأولاده

الحمد لله الذي لا يروعه الحِمَامُ المرقوب ، إذا شَمَّ نَجْمَهُ المُنْتَوَب ، ولا يَبْغِيهِ
الأَجَلُ المَسْكُوتُ ، ولا يَفْجُوهُ الفِراقُ المَعْتَوَب ، مُلْهِمُ الْهُدَى الذي تَطْمَئِنُّ بِهِ
الْقُلُوبُ ، ومَوْضِحُ السَّبِيلِ الْمَطْلُوب ، وجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ في قِسْمِ الْوَجُوب ،
لَا سِيَّامًا لِلْوَلِيِّ الْمَحْبُوب ، والوَلَدِ الْمَنْسُوب ، القَائِلُ في كِتَابِهِ الْمَعْجَزِ الْأَسْلُوب ، « أَمْ
كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ » ، « وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بُنْيَاهُ وَيَعْقُوبُ » ؛ وَالصَّلَاةُ

(١) في ط : « السلطان » .

(٢) زيادة عن ت .

والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرْتُ على نوره جُيُوب الغيوب ،
[٢١٨] وأشرف من خُلِمَتْ عليه خُلَل المهابة والعصمة ، فلا تقحمه العيون ولا تصمه^(١)
العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ،
والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل المرغوب ، والعز والأمن من اللُغوب .

وبعد ، فإنى لما علانى المشيب بغمته^(٢) ، وقادنى الكبر فى رُمته ، وادّكرتُ
الشباب بعد أُمّته ؛ أسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، ونَدِمْتُ بعد الفِطَام على ما رَضِعْتُ ؛
وتأكّد وجوب نصْحى لمن لزمْنى رَغْبِيهِ ، وتعلّق بسَعْبِي سَعْبِيهِ ، وأملت أن تتعدّى
إلى ثمرات استقامته ، وأنا رهين قَوات ، وفى برزخ أموات ؛ ويأمن^(٣) العثور
فى الطريق التى اقتضت عِثَارِي ، إن سلك — وعسى ألا يكون ذلك — على
آثارى ؛ فقلت أخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ؛ بعد الضراعة إلى الله
فى توفيقهم^(٤) ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ؛ وأن يَمُنَّ علىّ فيهم بحسن
الخلف ، والتلافى من قبل التّلف ، وأن يرزق خَلْفهم التمسك بهدى السّلف ؛
فهو ولى ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم مَنْ بأنواره يهتدى الضلال ، وبرضاه تُرفع الأغلال ، وبالتماس
قربه يحصل السّكّال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها
الشّمال ؛ أنى مودعكم وإن سالمنى الردى ، ومُفارقكم وإن طال المدى ، وما عدا

(١) كذا فى نفح الطيب ؛ وفى ط : « ولا تصفه » ، وهو تحريف .

(٢) فى ط : « الهرم » .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وليأمن » .

(٤) فى ط : « تفضيلهم » .

(٥) فى نفح الطيب : « هداكم الله تعالى الذى بأنواره ... الخ » .

مما بدا^(١) ؛ فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومنادى الرحيل يُسمع ؛ ولا أقل للحبيب المودّع من وصية محتضّر ، وعُجالة مقتصر ؛ ورثيمة تُعقد في خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واعٍ ومُبصر ؛ تتكفل لكم بحُسن العواقب من بعدى ، وتوضح لكم في الشفقة والحنو قصدى ، حسباً تضمن وعدُ الله من قبل وعدى ؛ فهى أربكم الذى لا يتغيّر وقفه ، ولا ينالكم المكروه ما رَفَ عليكم سَقْفه ؛ وكأنى [٢١٩] بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ؛ وبنشاطكم قد كسل ، واستبدل الصاب من العسل ، ونُصول الشيب ترُوع بأسل ، لا بل [السام]^(٢) من كل حَدَب قد نَسَل ، والمعاد اللحد ولا تسَل ؛ فبالأمس كنتم فراخ حَجَر ، واليوم آباء^(٣) عَشكر حَجَر ، وغدا شيوخ مَضِيعَة وهَجَر ؛ والقبور فاغره ، [والنفوس عن المألوفات صاغره]^(٤) ؛ والدنيا بأهلها ساخره ، والأولى تعقبها آخره ؛ والحازم من لم يُتَعِظ به فى أمر ، وقال : بيدى لا بيد عمرو ؛ فاقتنوها من وصيته ، ومَرَامٍ فى النصيح قصيه ؛ وخصّوها بها أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ؛ وحسبى وحسبكم الله الذى لم يخلق الخلق هملاً ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ؛ ولا رضى الدنيا منزلاً ، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلاً ؛ ولتلقنوا تلقينا ، وتعلموا علماً يقينا ؛ أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبى ، ويفترش التراب جنبى ؛ ويسح انسكابى ، وتهرول عن المصلّى ركابى ؛ أحرص منى على سعادة إليكم تجلب ، أو غاية كمال بسببكم تُرتاد وتطلب ؛ حتى لا يكون فى الدين والدنيا أُوَرَفَ

(١) ماعداً مما بدا : أى ما الذى يصرف الإنسان عن إتمام ما بدا منه . يريد أنه لا يمنعه

من الرحيل عن هذه الدنيا مانع .

(٢) زيادة عن نفح الطيب . والسام (بتخفيف الميم) : الموت .

(٣) فى نفح الطيب : « أبناء » .

(٤) زيادة عن نفح الطيب .

منكم ظلاً ، ولا أشرف محلاً ، ولا أغبط نهلاً وعلاً ؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تُصيخوا إلى قولي الآذان ، وتلهجوا صُبْحِ نصحي فقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » . [٢٢٠]

وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل ، حسبما تضمّنه محكم تنزيله : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » . والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفّاه ، وقرّره مصطفاه ، من قبل أن يتوفّاه ، إذا أُعْمِلَ فيه افتقاد ، فهو عمل واعتقاد ؛ وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ؛ والعقل متقدّم ، وبنائه مع رفض أخيه متهدم ؛ فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ؛ تنزّه عن المكان والزمان ، وسبق وجوده وجود الأكواف ؛ خالق الخلق وما يعملون ، والذي لا يُسأل عن شيء وهم يُسألون ؛ الحى العليم المدبّر القدير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد^(١) إلى النجاة من الشقاء ، وتوجّه^(٢) الحجة في مصيرهم

(١) في ط : « توجب » .

(٢) في نفح الطيب : « الناس » .

إلى دار البقاء ، مؤيَّدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ؛ ثم ختم ديوانهم بنبيٍّ ملقنا المرعية للهمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخَّصت الطاعة ، وتبينت ^(١) له الإمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعه ؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشرا ، وترك دينه يضم من الأمة نَشرا ؛ فمن اتبعه لحق به ، ومن حاد عنه تورَّط في مُنتَسَبِه ^(٢) ، وكانت نجاته على قدر سببه .

روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم ^(٣) تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتي ، فعصوا عليهما بالنواجذ » . [٢٢١]

فاعملوا يا بنيَّ بوصيةٍ من ناصح جاهد ، ومُشفق شفقة والد ؛ واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وعُوا مرآشد هديه فيافوز واعيه ؛ وصلُّوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجالا [أو مفصلا] ^(٤) على حَسَبِه ، وأوجبوا التجلَّة لصحبته ؛ الذين اختارهم الله لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ؛ واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ؛ وتبرءوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع ، ولا تع التشاجر بينهم أذنُ واع ؛ فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملل ، وأتمتها الجلب ؛ فهم صَقَلَة نصولهم ، وفروع ناشئة عن أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ؛ واعلموا أني قطعت في البحث زمانى ، وجعلت النظر شانى ، منذ برانى الله وأنشاني ، مع نبيل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ؛ فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ؛ ولا

(١) كذا في ط . وفي ت : « نيقنت » . وفي نفح الطيب : « تعينت » .

(٢) كذا في الأصلين . وفي نفح الطيب : « ومن تركه نوط عنه في منسبه » .

(٣) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « لن تضلوا » .

(٤) زيادة عن نفح الطيب .

نازع خِطام ، ولا متكلف فِطام ، ولا مقتحم بحر طَام ؛ إلا وغايته التي يقصدها
 قد فضلتها الشريعة وسبقها ، وفرّعت ثنيتها وارقتها ؛ فعليكم بالتزام جادتها
 السابله ، ومصاحبة رفقتها الكافله ^(١) ، والاهتداء بأقارها غير الآفله ؛ والله يقول وهو
 أصدق القائلين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ » ؛ وقد علت ^(٢) شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ؛ فلا تستنزلكم
 الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع مَتَاعُ بعد الخلود
 في النار أبد الأبدن ، ولا يضرّ مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ،
 [٢٢٢] ومتاع الحياة الدنيا أخسّ ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت ، فأنت
 خير الشاهدين ؛ فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعى شوه
 الوجوه ونُضج الجلود ؛ واستعيذوا ^(٣) برضا الله من سُخْطه ، وارثوا بنفوسكم عن
 غمطه ؛ وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمّدوا على
 جيفة العَرَض الزائل اثلافكم ؛ واقنعوا منه بما تيسّر ، ولا تأسّوا على ما فات
 وتعدّر ؛ فإنما هي دُجّة ^(٤) ينسخها الصباح ، وصفقة يتعقبها الخسار والرباح ؛
 ودونكم عميدة الإيمان ، فشدّوا بالنواجز عليها ، وكفّفوا الشّبه أن تدنو إليها ؛
 واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خَرَق لا يرفّؤه عمل ، وكل ما سوى الراعى
 هَمَل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أَمَل ؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوه ،
 واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوه ؛ وتذكروا في آياته ومعانيه ، وامتنلوا
 أوامره واتهموا عن مناهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلّوا فيه ؛ وأشربوا قلوبكم حب

(١) في نفح الطيب : « السكاملة » .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « علت » .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « واستعنبوا » .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « دجّة » .

من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواث حبه ؛ وصونوا شعائر الله صَوْنَ المحترَم ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم .

الله الله في الصلاة ذريعة التجلّه ، وخاصة المله ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدَم ؛ وأم العباد ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ؛ والناهية عن الفحشاء والمنكر مهما^(١) عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأمارة سماءها وأرضهما ؛ والوسيلة إلى بلّ الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ؛ وضابطة^(٢) حسن العشرة من الجار ، وداعية المسالمة

من الفُجّار ؛ والواسمة بسمة السلامه ، والشاهدة للعقد برفع الملامه ؛ وغاسول الطبع [٢٢٣] إذا شانه طبع ، والخير الذي كل خير له تبع ؛ فاصبروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعاده ، [فالخير عاده] ^(٣) ؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنيه ، [وتؤثروا على العلية الدنيّه] ^(٤) ؛ فإن أوقات المعينة بالانفلات تنبّس^(٥) ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ؛ وإذا قرنت^(٦) بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل ؛ والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت ، من حق الحي الذي لا يموت ؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما أطقتموها ؛ فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحقّق^(٧) الكمال ،

(١) كذا في الأصلين . وفي نفح الطيب : « وإن » .

(٢) في نفح الطيب : « ضامنة » .

(٣) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٤) زيادة عن نفح الطيب .

(٥) تنبّس : تسرع .

(٦) في ط : « قورنت » .

(٧) في نفح الطيب : « استحققت » .

ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ؛ وثابروا^(١) عليها في الجماعات ، وبيوت الطاعات ؛ فهو أرفع للامام ، وأظهر لشرائع الإسلام ؛ وأبرّ بإقامة الفرض ، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض .

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطها محصل ؛ فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ؛ والجُبول والغُرر فأطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ؛ فالبناء بأساسه ، والسيف برئاسه^(٢) . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطُهور ، وذَكَر مجهور وغير مجهور ؛ تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ؛ فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقل ، وكان في درجة الرجولة ذا انتقال^(٣) ، واستعاض صدأه بصقال ؛ وإن تراخى تفهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القربة ؛ مفتاح السباحة بالعرض الزائل ، وشُكران المسئول على الضد من درجة السائل ؛ وحق الله في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعَنَاه ؛ من غير استحقاق مَلء يده وإخلاء يد أخيه ، ولا علة القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ؛ فاسمحوا بفرقتها للحاضر لإخراجها ، واختيار عرضها ونتاجها ؛ واستحيوا من الله أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عدل ؛ واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرون أين تسلكون ؛ فوهب وأقدر ، وأورد

(١) العبارة عن قوله : « وثابروا » إلى قوله : « وأبر » ساقطة في نفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « بمراسه » .

(٣) هذه الجملة ساقطة في نفع الطيب .

بفضله وأصدر ؛ ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ؛ فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زُلْفَى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ؛ والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ؛ وإن وسَّع الاعتكاف فهو من سننه [المرعيه ، ولواحقه]^(١) الشرعيه ؛ فبذلك تحسُن الوجوه ، وتحصل النفوس من الرقة على ما ترجوه ؛ وتهذب الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل إلى الله الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ؛ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسَمَّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنة .

ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ؛ فكونوا ممن يسمع نفيده ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عمُد الإسلام وفروضة ، ونقود مَهْره وعروضه ؛ فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيّعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أنّ بالعلم تُستكمل وظائف هذه الألقاب ، وتُجلى محاسنها من بعد الانتقاب ؛ فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي الشافع ؛ فالعلم مفتاح هذا [٢٢٥] الباب ، والموصل إلى اللباب ؛ والله عز وجل يقول : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » . والعلم وسيلة النفوس

(١) التكملة عن ت ونفع الطيب .

الشريفه ، إلى الطالب المُنِيفه ، وشرطه الخشية لله والخيفه ؛ وخاصة الملائ
الأعلى ، وصفه الله في كتبه التي تُتلى ؛ والسبيل في الآخرة إلى السعادة ،
وفي الدنيا إلى التجلّة عاده ؛ والذخر الذي قليله يشفع وينفع ، وكثيره يُعْلِي
ويرفع ؛ لا يغصبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال ،
ولا يستأثر به البحر إذا هال ؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل
وإن جَمَّ ماله ؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ؛ فالتمسوه
لبنيكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ؛ وأحلوهم على جمعه ودرسه ،
واجعلوا طباعهم تُرعى لغرسه ؛ واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر يهجر
له الجفن كراه ؛ تعقدوا لهم ولاية عز لا تُعزل ، وتجلّوهم مثابة رفعة لا يحط فارعا
ولا يستنزل ؛ واختاروا من العلوم التي يُنْفِقُها الوقت ، ما لا يناله في غيره المقت ؛
وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابها العريضة ؛ من علوم لسان لا تستغرق
الأعمار فصولها^(١) ، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها ؛ فإنما هي آلات لغير ،
وأسباب إلى خير منها وخير ؛ فمن كان قابلا منها لازدياد ، وألنى فهمه ذا انقياد ؛
فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ؛
ثم الشروع في أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المنه ، المَهْدِي كُنُوز الكتاب
والسُنَّة ؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح
الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الملة ؛ ومن قصّر إدراكه عن هذا المرعى ،
وتقاعد عن التي هي أسمى ؛ فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ،
وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ؛ وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون
المهجورة الذميمة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا ركيكا ؛ ولا يثمر في

(١) في ط : « فصولها » .

العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ؛ وتطويق الاحتقار ، وسممة الصغار ،
وخمول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ؛ وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ،
وأوفق^(١) من قطع العمر في الجدال ؛ هذا ابن رشد قاضى المصر^(٢) ومفتيه ، وملتمس
الرشد ومؤتبه ؛ عادت عليه بالسخطه الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ؛ فلا سبيل
إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخلطوا سامكم بحامها ؛ إلا ما كان من
حساب ومساحه ، وما يعود بمجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم
براحه ؛ وما سوى ذلك فمحجور ، وضرم مسجور ، ومقوت مهجور .

وأمرؤا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وإنهؤا عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقاً ،
واغبطوا من كان من سنة الغفلات مُفِيقاً ، واجتنبوا ما تُهون عنه حتى لا تسلكوا
منه طريقاً ؛ وأطيعوا أمر من ولّاه الله من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة
جوراً ، ولا تداخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء السنة البنين ؛
وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به . وإياكم والكذب
فهو العورة التي لا توارى ، والسوءة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتّارى ؛ وأقل
عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ، ألا يُقبل صدقه إذا
صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق قد نطق .

[٢٢٧]

وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم ، وفي وجه الديانة كلوم ؛ ومن الشريعة التي

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأشفق » .

(٢) كان ابن رشد قاضى الجماعة بقرطبة .

(٣) يقال : أضره بالشيء إذا أضره به وعوده إياه ، وكأنه ضمن الفعل معنى : صرّنه
على الشيء .

لا يُعَذَّرُ بِجَهْلِهَا ، أداء الأمانات إلى أهلها ؛ وحافظوا على الحِشْمَةِ والصِيَانَةِ ، ولا تَجْزُوا من أقرضكم دين الخِيَانَةِ ؛ ولا توجدوا للغدر قَبُولًا ، ولا تقروا عليه طبعًا مجبولا ؛ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولًا ؛ ولا تستأثروا بكنز ولا خَزَن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سَهْلٍ ولا حَزَنٍ ، ولا تَبْخَسُوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن ؛ والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ؛ واعلموا أن الإنسان في فُسْحَةٍ ممتدَّة ، وسبيل الله غير منسدَّة ؛ ما لم يَنْبِذْ إلى الله بأَمَانِهِ ، ويعمس في الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سَنَنًا قويمًا ، وجَلَى من الجهل والضلال ليلا بهيما : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرم طباعه ، وامتد في سبيل السعادة بآع ، ولو لم تتلق^(١) نور الله الذي لم يهد^(٢) شعاعه ، فالخلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فلينظر هل يجب أن يُزَنَى بأهله ؟ والله قد أعد للزاني عذابًا وبيلًا ، وقال : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » .

والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ؛ والله لم يجعله الله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أغنى عنه بالخلال الذي سَوَّغَ وأعطى ؛ وقد تركها [٢٢٨] في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة

(١) في ط : « تتلو » .

(٢) في ت : « يهده » .

الأجساد ، والله قد جعلها رَجَسًا محرماً على العباد ، وَقَرَنَهَا بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ فِي مَبَايِنَةِ السَّدَادِ .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين . ولا تأكلوا مال أحد [بغير حق يبيحه] ^(١) ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ؛ والتمسوا الحلال يسمى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يَكِلِ اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تَلَجُّثُوا إِلَى الْمُتَشَابِهِ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِهِ ؛ فهو في السلوك إلى الله أصل مشروط ، والمحافظة عليه مغبوط .

وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر لله بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصَّحاح الحِسان ؛ والنميمة فساد وشنات ، لا يبق عليه مُتَات ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة قَتَات » . واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير عنها مسدود ، والبخل فما رُئِيَ البخل وهو مودود ^(٢) ؛ وإياكم وما يُعتذر منه ، فواقف الخزي لا تستقال عثراتها ، وَمَظَنَّاتِ الْفَضَائِحِ لَا تُؤْمِنُ غَمَرَاتُهَا ؛ وَتَفَقَّدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ فِي الطَّرِيقِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرَقُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجَرُوا مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُرْجَحُكُمْ فِي الْبُضَاعَاتِ ؛ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَادْكُرُوا الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمُ الْمَوَائِدَ ؛ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ؛ وَارْزَعُوا حَقَقِ الْجَارِ ، [٢٢٩]

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) كذا في نفع الطيب وفي الأصلين : « إلا وهو مردود » .

واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ؛ وتعاهدوا أولى الأرحام ، والشائج البادية
 الالتحام ؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ؛
 والزَّشَا فإنها تحطُّ الأقدار ، وتستدعى المذلة والصغار ؛ ولا تساحوا في عُقبة
 قَمَرٍ ، ولا تشاركوا أولى البطالة في أمر ؛ وصونوا المواعد من الإخلاف ،
 والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله من الازدراء والاستخفاف ،
 ولا تلهجُوا بالآمال العجاف ، ولا تَكْلَفُوا بالكهانة والإرجاف ؛ واجعلوا العمر
 بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله بمرصاد ، وأن الخلق
 بين زرع وحصاد^(١) ؛ وأقلُّوا بغير الحالة الباقية المموم ، واحذروا القواطع عن
 السعادة كما تحذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ؛
 وقابلوا بالصبر أذية المؤذنين ، ولا تقارضوا^(٢) مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِيَ
 عليه خير الناصرين ؛ ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا^(٣)
 للأمراض إذا أغضلت ؛ فكل منقرض حقير ، وكل منقضي وإن طال
 فقصير ؛ وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله الأرج ؛ وأوسعوا بالرجاء
 الجوانح ، [واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبداً إليه جانح]^(٤) ،
 وتضرعوا إلى الله بالدعاء ، والجنُّوا إليه في البأساء والضراء ؛ وقابلوا نعم الله
 بالشكر الذي يقيّد منها الشارد ، ويُعذب الموارد ؛ وأسهموا منها للمساكين ،
 وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسنى جوار

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأن الخلق زرع حصاد » .

(٢) في نفع الطيب : « ولا تعارضوا » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تضجروا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

نِعَمَ اللهُ ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » . ولا تُطْفِئِمْ النعم فتقصروا في^(١) [٢٣٠] شكرها ، وتلفكم الجهالة بسكرها ؛ وتقهوهوا أن سعيكم جلّ بها ، وجِدَّكم حلّ بها ؛ فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين . والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذهَبوا بذهابه زَيْنُكُمْ ؛ وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ؛ بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة في علانية وسر ؛ وللإنسان مزية لا تُجْهَل ، وحق لا يُهْمَل ؛ وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصلُّوا التعاهد والتزاور ؛ تُرَغِّمُوا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ؛ ولا تنافسوا في الحظوظ السخيفة ، ولا تَهَارَشُوا تَهَارُشَ السباع على الجيفة ؛ واعلموا أن المعروف يُكَدَّرُ بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ؛ فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمرا فاحتقروه ؛ والله الله لا تنسوا مقارضة سَجَلِي ، وبرُّوا أهل مودتي من أجلى ؛ ومن رُزِقَ منكم ما لا بهذا الوطن القَلِقِ المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ؛ فلا يستهلكه أجمع في العَقَار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعيا لنفسه إن تغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ؛ ومُعَوِّقا عن الانتقال ، أمام الثوب الثقال ؛ وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ؛ وازهدوا جُهدكم في مصاحبة أهل الدنيا ، خفيها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يفي بضرها ؛ وأعقاب من تقدم شاهده ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ؛ ومن يُبْلِ منكم بها فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، ويحذر مُعاداة الرجال ، ومزلات الإذلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ؛ وإفشاء الأسرار ، وسكر الاغترار^(٢) ؛ [٢٣١]

(١) في نفح الطيب : « ولا تطفئوا في النعم فتقصروا عن شكرها » .

(٢) في نفح الطيب : « وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دأب الفر » .

وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ؛ وليقف في التماس أسباب الجلال ، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال ، فمابعد الكمال غير النقصان ، والزارع تسالم اللذن اللطيف من الأغصان . وإياكم وطلب الولایات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الحظوظ^(١) وغلاباً ؛ فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضح^(٢) والعار ؛ ومن امتحن منكم بها اختياراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإشاراً ؛ فليتلق وظائفها بسعة صدره ، وليبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ؛ فالولایات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ؛ وهى بين إخطاء سعادته ، وإخلال بعاده ؛ وتوقع عزل ، وإدالة رخاء بأزل ، وبيع جد من الدنيا بهزل ؛ ومزلة قدم ، واستنباع ندم ؛ ومآل العمر كله فوت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ؛ جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدركتها ؛ فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ؛ وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ؛ اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ؛ وبقدر ما أضعتم من لآلئها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ؛ ومهما سئتم إطالتها ، واستغزرتهم مقالاتها ؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلكم الحساب ، وضابط هذا الباب ؛ كان الله خليفتي عليكم فى كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ؛ فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ؛ [٢٣٢]

(١) فى نفع الطيب : « الخطوب » .

(٢) فى نفع الطيب : « الفضيحة » .

جعلها^(١) الله من وراء خُطة^(٢) النجاء ، ونَفَقَ بضائعها المُرْجاء ، بلطائفه المرتجاء ؛
والسلام عليكم من حبيبكم المودّع ، والله يَلْأُمُهُ^(٣) حيث شاء من شمل متصدّع ؛
والدِّم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته .

انتهت الوصية ، وهي غريبة في معناها .

قلت : ولأجل ذلك كان شيخ شيخنا الفقيه الإمام القاضي العلامة سيدي
عبد الواحد الوائشريشي رحمه الله ، كثيراً ما يُدْخِلُ منها في خطبه ، على ما لا
يُخْفَى على من طالعها ، وإلى الله ترجع الأمور .

وإذ بلغنا في ترجمة ابن الخطيب إلى هذا الحد الذي يستطيله الناظر فيه ،
وهو والله لا يتم التعريف بابن الخطيب ولا يوفيه ، فلنذكر القاضي النبأه
والسكاتب ابن زَمْرَك ، اللذين كان لهما مع ابن الخطيب أول الأمر مصافاة
ومُتَنَات ، ثم استحالتا إلى ما علمت من العداوة ذات البتات .

انتهى الجزء الأول من أزهار الرياض في أخبار عياض
ويليه الجزء الثاني ، وأوله : أخبار القاضي النبأه

(١) في ط : « جعله » ، وفي نفح الطيب : « جعل » .

(٢) في نفح الطيب : « خطته » .

(٣) كذا في نفح الطيب . ولأم الصدع من باب منع : أصله . وفي الأصلين : « يله » .

فهارس الكتاب

٣٤٨ — ٣٣٩	١ — فهرس الأعلام
٣٥٠ — ٣٤٩	٢ — فهرس الشعراء
٣٥٢ — ٣٥١	٣ — فهرس القبائل
٣٥٧ — ٣٥٣	٤ — فهرس الأماكن
٣٦١ — ٣٥٨	٥ — فهرس الكتب
٣٦٦ — ٣٦٢	٦ — فهرس القوافي
٣٦٧	٧ — فهرس أنصاف الأبيات
٣٧١ — ٣٦٨	٨ — فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

(١)

ابن الحسن النباهى : ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٢٣ ،

٣٦٦ ، ٢٢٤

ابن حيان : ٣٤

ابن خاتمة أبو جعفر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦٥

ابن الخطيب : ٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢

٣٣ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٩

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧

٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٩

٣٢٠ ، ٣٦٦

ابن خلدون الحضرمى : ٢٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٢

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

٢٩١

ابن خلكان : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧

ابن داود (الإمام) : ١٠٣

ابن الدراج = أبو على الصدقى

ابن دراج القسطلى : ١٢٠

ابن دنون = ابن دنون

ابن دنون : ١٢٢

ابن ذى يزن : ٤٧

ابن الربيب : ٢٧٥

ابن رشيد : ٣٥

ابن رضوان عبدا لله : ١٢٤

آدم (عليه السلام) : ٢ ، ٨٨

إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلى : ١٧١

إبراهيم الموصلى : ٩

أبرويز : ٢٩٩

ابن الأبار : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

ابن أبي الأحوس : ١٨٨

ابن أبي دينار : ٣٧

ابن أبي عامر = المنصور محمد بن أبي عامر

ابن أبي العيش : ٢١٧

ابن أبي يفلوسن = عبدالرحمن بن أبي يفلوسن

ابن الأجر : ٢٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

٢٩١ ، ٣٠٦

ابن أخلى : ١٢٤

ابن بشكوال : ٢٧

ابن بطان الصنهاجى : ١٢٣ ، ٢٨٨

ابن ثروان : ٨٥

ابن جابر : ٢٧

ابن جماعة = أبو الفضل بن جماعة

ابن الجياب = أبو الحسن بن الجياب

ابن الحاج السلى = أبو البركات بن الحاج

البلقيع السلى

ابن حجر العسقلانى : ٢٥

ابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٤

ابن الحسن = أبو الحسن بن الحسن (القاضى)

ابن الحسن المستقى : ٦٣

- ابن الزبير : ٢١٧
 ابن زرزار : ٦٢
 ابن زمرك = أبو عبد الله بن زمرك
 ابن سبعين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم : ١٢٤
 ابن سعيد : ٣٠
 ابن سكرة = أبو علي الصدقي
 ابن سيدة : ٢٧
 ابن شجاع : ١٢٣
 ابن الصباغ العقيلي : ١٩٢ ، ١٩٣
 ابن صفوان : ١٩٠
 ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم
 ابن عمر : ٣٦
 ابن غازي : ٢٢٥
 ابن الغرديس التغلبي : ٢٤
 ابن فتوح = إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي
 ابن قزمان : ١٢٣
 ابن قنفذ : ٢٤
 ابن ماساي = مسعود بن ماساي
 ابن مامة كعب : ٩٥ ، ٢٥٤
 ابن ماهان علي بن عيسى : ١٢٠
 ابن مرائة : ٣٧
 ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
 ابن الملجوم أبو القاسم : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧
 ابن نصر الخزرجي = أبو الحجاج يوسف
 ابن إسماعيل بن نصر الخزرجي
 ابن هذيل : ٢١٩
 أبو إسحاق = إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال = الصابي
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال
 أبو الأصبع بن سهل : ٢٢٢
 أبو البركات بن الحاج البليقي : ٤١ ، ١٨٨
- أبو بكر بن أبي عنان : ٣٠٠
 أبو بكر دلف بن جعفر الصوفي = الشبلي
 أبو بكر بن أبي عبد الله بن الحكيم : ١٨٨
 أبو بكر بن شيرين : ١٨٨
 أبو بكر الصدقي : ٣٠٣
 أبو بكر بن عاصم : ١٧٣
 أبو بكر بن غازي : ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
 أبو بكر بن قزمان = ابن قزمان
 أبو بكر بن منظور : ١٨٨
 أبو تاشفين : ٢٤٢ ، ٢٤٩
 أبو ثابت عاصم بن محمد الهنتاني = عاصم بن محمد الهنتاني أبو ثابت
 أبو ثور : ٢١٩
 أبو جعفر = ابن خاتمة أبو جعفر
 أبو جعفر بن جابر : ١٨٨
 أبو جعفر بن الزبير : ١٩٠
 أبو جعفر الطنجالي : ١٨٨
 أبو الحجاج المنتشافي : ١٨٨
 أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن نصر الخزرجي : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
 أبو الحسن التلمساني : ١٨٨
 أبو الحسن بن الجياب : ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٩
 أبو الحسن بن الحسن (القاضي) : ٢١١ ، ٢١٢
 أبو الحسن بن سمعة : ١٤٥
 أبو الحسن الشاري : ٣٦
 أبو الحسن علي (القاضي) : ٤٢
 أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي : ١٩
 أبو الحسن علي بن الحسن = ابن الحسن النباهي

أبو الحسن علي بن محمد = أبو حنون
أبو الحسن علي النضري : ٦٨
أبو الحسن علي بن يوسف بن كاشة الحضرمي :
٢٠١
أبو الحسن الفيجاطي : ١٨٧
أبو الحسن المربني : ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢٩١ ،
٢٩٤ ، ٣٠٢
أبو حنون : ٧٨
أبو حمو موسى بن يوسف : ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ،
٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
أبو حنيفة : ٢١
أبو حيان : ٣٠٤
أبو خندو : ٢٩٨
أبو الخير : ١١٨
أبو دواد : ٩٥
أبو زكريا يحيى بن هذيل : ١٨٩ ، ٢٠٤ ،
٢٠٩
أبو زيد : ٢٢١
أبو سالم بن أبي الحسن المربني : ٦٥ ، ٦٦ ،
١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦
أبو سعيد : ٢٠٧ ، ٢٨٢
أبو الشرف رفيع : ٤٢
أبو الظاهر : ٤٢
أبو الطيب أحمد بن الحسين = المتنبي
أبو الطيب
أبو العباس أحمد بن أبي سالم : ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسني
(القاضي) : ٥٩
أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي :
٢٧٣

- أبو عبيد البكري : ٦٠
 أبو عثمان بن ليون : ١٨٨
 أبو علي : ٢٢٤
 أبو علي حسن بن يوسف : ١٨٨
 أبو علي حسين بن محمد الصدقي : ٢١
 أبو عمرو بن أبي جعفر : ١٨٨
 أبو عنان فارس المري : ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
 أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المري : ١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
 أبو الفضل بن جاعة : ١٣٤
 أبو الفضل الشيرازي = الشيرازي أبو الفضل
 أبو الفضل محمد : ٢٩٢
 أبو القاسم التلساني الشريف : ٢٠٣ ، ٢٠٧
 أبو القاسم بن جزي : ١٨٧
 أبو القاسم الجنيد : ٢١
 أبو القاسم الحسن بن الحسين = الواساني
 أبو القاسم الحسن بن الحسين
 أبو القاسم بن سراج : ١٤٥
 أبو القاسم بن سامون : ١٨٨
 أبو القاسم بن محمد الفسائي : ٤٥
 أبو القاسم الملاحي : ٢٣
 أبو القاسم بن الملجوم = ابن الملجوم
 أبو القاسم
 أبو مالك = عبد الواحد بن زكريا أبو مالك
 أبو محمد بن أيوب المائي : ١٨٨
 أبو محمد بن الخطيب : ٢٨٢
 أبو محمد بن سلمون : ١٨٨
 أبو محمد صالح : ٢٩٨
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم = ابن سبعين
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم
- أبو عبد الله بن عبد الولي القواد : ١٨٧
 أبو عبد الله بن عسكر : ٢٢٢
 أبو عبد الله بن الفخار : ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف = المواق أبو
 عبد الله محمد بن يوسف
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٢٩٤
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي النصري : ٦٧
 أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكيلي : ٣٥
 أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي : ١٠٣
 أبو عبد الله محمد أبي محمد المقيلي : ١٠٣
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي
 آشي : ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١٨٦ ، ١٧١
 أبو عبد الله محمد التيمي : ٢١٦
 أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي : ٢٣
 أبو عبد الله محمد بن حمادة البرنسي : ٣٦
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي =
 ابن الأبار
 أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج : ١٤٦
 أبو عبد الله محمد بن عباس : ٢٤ ، ٢٧
 أبو عبد الله محمد المقرئ : ٥ ، ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل
 الحزرجي = أبو عبد الله بن الأحمر
 أبو عبد الله بن مرزوق : ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله المنتوري : ١٤٥
 أبو عبد الله بن نصر = أبو عبد الله بن الأحمر
 أبو عبيد : ٢٢١

أشج بن مروان = عمر بن عبد العزيز
أليان : ١٢٠
أصرؤ القيس : ٧٤ ، ٩٠ ، ١٧٤
الأمين : ١٢٠ ، ٢٦٠
أندلس بن يافت : ٢٩ ، ٣٠
أنو شروان : ٢٦٧
الوطاسي : ٧٢
أويس بن عامر القرني : ٨٩
إياس بن معاوية : ٨٩

(ب)

بايزيد = أبو يزيد خان العتافي
بجير بن الحارث : ٩٥
برصيص : ١١٧
برقان : ١٢١
بر بن قيس : ٩٧
بسطام (بن قيس) : ١١٩
البسطي = أبو عبادة محمد بن أبي الفضل
البسطي
بلعام بن باعوراء : ٣٠١
بلقيس : ٢٥٦
بوران بنت الحسن بن مهمل : ١٢٢
البوصيري : ٨٣
بنت جزي : ٢٢١

(ت)

التنسي = أبو عبادة التنسي

(ج)

جابر بن حيان الصوفي : ١٧١ ، ٢٥٥
الجاحظ : ٣٧
جارية بن الحجاج = أبو دواد

أبو محمد بن عبد المهيمن : ١٨٨
أبو مسلم الخراساني : ١١٩
أبو الوليد اسماعيل بن يوسف = ابن الأحمر
أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم : ٥٠ ، ٥٥
١٦٣ ، ١٤٥ ، ١١٦ ، ٦٠ ، ٥٨
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٦

أبو يحيى بن أبي مدين : ٢١٠ ، ٢١١
أبو يزيد البسطامي = طيفور بن عيسى
أبو يزيد خان العتافي : ١٠٨ ، ١٠٩
أبو يوسف : ١٢٠

أبو يوسف = يعقوب عليه السلام
أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني : ٦١
أحمد بن أبي سالم = أبو العباس أحمد بن
أبي سالم

أحمد بن جعفر السبتي = أبو العباس السبتي
أحمد بن حرشون : ١٣٣
أحمد بن الحسين = المتنبي
أحمد (بن حنبل) : ٢١٩

أحمد بن علي الأنصاري = ابن خاتمة
أحمد بن محمد أبو سعيد الماليني = طاووس
أحمد بن محمد الأندلسي = أبو العباس أحمد
الدقون

أحمد المريني : ٣١٩ ، ٣٢٠
أحمد النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي
صلى الله عليه وسلم

أحمد بن يوسف : ٢٩٨
إدريس (عليه السلام) : ٢٥٣
أرسطوطاليس : ٣٥٤
إسحاق (عليه السلام) : ١٤٢
إسحاق الموصلي : ٩
إسماعيل (عليه السلام) : ١٤٢
إسماعيل بن أبي الحجاج = ابن الأحمر
الأسود بن قنان : ٩٥

داود (عليه السلام) : ٣٠
دن بطرة : ٦٢
دن جانجة : ٦١

(ذ)

الذهبي : ٣١١
ذوالدولتين = أبو العباس أحمد بن أبي سالم
ذو الودعات = ابن ثروان

(ر)

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد
النبى صلى الله عليه وسلم
الرشيد : ١٢٧ ، ٢٦٠
رضوان (الحاجب) : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
الرضى (الشريف) : ٤١
رقاش : ٥
الرهصى : ٢٢١

(ز)

زهير بن أبي سلمى : ٨٢
زياد = النابغة الذبياني

(س)

ساسان : ٤٧ ، ١١٩
سبت بن سام بن نوح : ٢٩ ، ٣٦
سبت بن يافث : ٢٩
سراقة بن مالك الكناني : ١٤١
سمادة : ١٢٠
سعد بن عباد : ١٦٧

جالوت : ٣٠

جالينوس : ٢٥٥

جبريل (عليه السلام) : ١٤٢ ، ٢١٨
جذيمة : ٥

جعفر بن عثمان الحاجب المصحف : ١٩٣
جليان = أليان

(ح)

حاتم : ١٧١ ، ٢٥٤
الحاجب (ملك سبتة) : ٣٧
الحارث الأكبر الغساني : ٥٣
الحارث بن عباد : ٩٥
حبيب بن أوس الطائي : ١٧٥
الحجاج : ٨٦ ، ٨٧
الحجارى : ٢٩
الحريرى : ١٢٥
الحسن بن سهل : ١٢٢
حسين الزرويلى : ٢٤
حنظلة بن الشمرى الإيادى = أبو دواد

(خ)

خالد البلوى : ٣٠٩
خالد بن يزيد بن معاوية : ١٧١
الخطيب بن مرزوق = أبو عبد الله بن
مرزوق

خليل (بن إسحاق المالكي) : ١٣٠
خيران الصقلى : ١٢٠

(د)

دارا : ٤٧

(ض)

الضليل = امرؤ القيس

(ط)

طارق بن زياد : ٦١

طاهر بن الحسين : ١٢٠

طاووس : ٢٥٦

طيفور بن عيسى : ٣٠١

(ع)

عاد : ٤٧

عاصر بن محمد بن علي الهنتاتي أبو ثابت :

٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢

عائشة : ٣٣٣

العباس (عم النبي) : ١١٣

العباس بن مرداس : ٤١

عبد الحميد الكاتب : ١١٩

عبد الرحمن بن أبي يفلوسن : ٢١٠ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

٢٢٩

عبد الرحيم بن نوح : ٢٩٢ ، ٢٩٣

عبد العزيز بن أبي الحسن = أبو فارس

عبد العزيز بن أبي الحسن المربني

عبد الله (أبو لسان الدين بن الخطيب) : ٢٠٤

عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب : ٢٩٩ ،

٣١٩ ، ٣٢٠

عبد الواحد بن زكرياء أبو مالك : ٢٦١ ،

٢٦٢

عبد الواحد الوائشريس : ٢٢٤ ، ٣٣٦

عجو : ٢٨٨

عتيبة بن الحارث : ١١٩

عثمان بن عفان : ١٢١ ، ٣٠٣

السعيد بن أبي فارس : ٢٢٦

السفاح : ١١٩ ، ٢٦٠

سفيان (بن سعيد بن مسروق الثوري) :

٩٦

سليمان (عليه السلام) : ٤٨ ، ٢٥٦

سليمان بن داود بن أعراب : ٢٢٩ ، ٢٣٠

سليمان بن عبد الملك : ٨٦ ، ٨٧

السوءل : ٧٤

سوسان : ١٢٣

سيف بن ذي يزن = ابن ذي يزن

(ش)

الشافعي (الإمام) : ٢١٩

الشبلي : ٢٥٦

الشبوكي محمد بن يوسف : ٢٩١ ، ٢٩٤

شداد : ٤٧

شرف الدين بن المقرئ : ١٥٨

الشريف = أبو العباس أحمد بن محمد

السبتي الشريف

شمس الدين = أبو عبد الله محمد بن جابر

الوادي آشي

شمس الدين البغدادي : ٢٦

شمس الدين بن جابر : ١٨٨

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي =

ابن حجر العسقلاني

شبية : ١١٤

الشيرازي (أبو الفضل) : ٩٤

(ص)

الصائبي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال : ١١٩

الصفدي : ٣١١ ، ٣١٢

(ق)

- الفادر (الحليفة) : ٩٣
قارون : ٤٧
القاسم (بن موسى بن عباس) : ٢٨
قحطان : ٤٧
الققعاق بن شور : ٩٦
القصاصى : ١٣٣

(ك)

- كثير : ه
كعب = ابن مامة كعب
كليب : ٩٥
الكندى = المتنبي

(ل)

- لبنى (بنت الحباب الكعبية) : ٢١٤
لدريق : ١٢٠
لسان الدين = ابن الخطيب
لقمان : ٣٢٣

(م)

- المأمون = ابن ذنون
المأمون بن الرشيد : ٢١ ، ١٢٠ ، ١٢٢
مارية بنت ظالم : ٥٣
مالك (الإمام) : ٣٦ ، ٢١٩
مالك بن المرحل : ٣٢
الماوردى : ٢١
المتنبي : ٧٤ ، ١٢٠ ، ١٧٥
محمد المخلوع = أبو عبد الله بن الأهر
محمد بن إبراهيم = أبو عبد الله الصران
محمد (بن أبي الحجاج) = أبو عبد الله بن الأهر

- عثمان بن يحيى بن عمر : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩

- العربى = أبو عبد الله محمد أبى محمد العقيلي
العزفى = أبو العباس العزفى
هزة : ه

- عضد الدولة بن بويه : ١١٩ ، ١٢٠
على بن أبى طالب : ٣٠٣
على بن بدر الدين : ٢١٠
على بن عيسى بن ماهان = ابن ماهان على ابن عيسى

- على بن لسان الدين : ٣١٩ ، ٣٢٠
الحامد الأصفهانى : ٣٠٩
عمر (بن الخطاب) : ١٤١ ، ٣٠٣
عمر (الفقيه) : ١٣٢
عمر بن عبد العزيز : ٨٥ ، ٨٩
عمر بن عبد الله بن على : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢١٠

- عمر بن عبد الله اليبانى : ٢٩٢
عمر المالى : ١١٦
عمرو بن العاص : ١٢٩
عمرو بن عدى : ه
عمرو بن موسى : ٢٣
عنزة : ١٢٣

- عياض بن موسى : ١٢ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٤
عيسى (بن موسى بن عياض) : ٢٨

(ف)

- الفاروق = عمر بن الخطاب
الفتح بن خاقان : ١١٩
الفرزدق : ه
فرعون موسى : ٢٥٣
الغفس : ٦٢

صلى الله عليه وسلم
 المعلى : ٧٤
 الملك الضليل = امرؤ القيس بن حجر
 المنتورى (أحمد) : ٢١
 المنذر بن ماء السماء : ٧٤
 المنصور (أبو جعفر) : ٢٦٠
 المنصور محمد بن أبي عامر : ٢٨ ، ١٢٠ ،
 ١٩٣
 المهدي : ٢٦٠
 مهلهل : ٩٥
 ميار (الديلمى) : ٤١
 المواق أبو عبد الله محمد بن يوسف : ٢١
 موسى (عليه السلام) : ٨٨ ، ٢٥٢
 موسى بن يوسف = أبو حمو موسى بن
 يوسف
 موسى بن نصير : ٦١
 ميون : ١٢١

(ن)

النايفة الذبياني : ٧٨
 نافع : ٣٦
 النباهى = ابن الحسن النباهى
 النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي
 صلى الله عليه وسلم
 النوار : ٥
 نوح (عليه السلام) : ٢٩ ، ١٤٢

(هـ)

هامان : ١١٩
 هبنقة القيسى يزيد بن ثروان = ابن ثروان
 هراقة أبو شانجة = دن جانجة
 هرم بن سنان : ٨٢
 هشام بن الحكم : ٢٨

محمد بن أبي عبد الرحمن : ٦٢
 محمد بن أبي عبد الله : ٦٨
 محمد بن الأحمر = أبو عبد الله بن الأحمر
 محمد بن إسماعيل : ٢٠٢
 محمد بن حسون بن أبي العلاء : ٢٨٩
 محمد بن الحكيم : ٢٠٥
 محمد بن الخطيب : ٢٢٤
 محمد بن عبد الله = ابن الخطيب
 محمد بن عبد الله بن موسى بن عباس : ٢٤
 محمد بن عثمان : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩
 محمد بن الفرديس = ابن الفرديس التغلبي
 محمد بن فرج : ١٤٦
 محمد بن لسان الدين : ٣١٩
 محمد بن محمد بن عاصم القيسى = أبو يحيى
 ابن أبي بكر بن عاصم
 محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ٢ ، ٨٣ ،
 ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ،
 ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
 ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،
 ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،
 ١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،
 ٣٢١
 محمد بن يوسف = الشبوكة محمد بن يوسف
 محمد بن يوسف بن إسماعيل = أبو عبد الله
 ابن الأحمر

مدغليس : ١٢٣

مروان بن محمد : ١١٩
 المستنصر = أحمد المربى
 مسعود بن ماساى : ٢١٠ ، ٢٢٥
 المصحفى = جعفر بن عثمان الحاجب
 المصطفى صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

يحصب بن مدرك : ٢٧	الهنثاني = عامر بن محمد الهنثاني أبو ثابت
اليحصبي : ٢٧	(و)
يحيى بن هذيل = أبوزكريا يحيى بن هذيل	الوادي آشي = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
يزدجرد : ١٢٠	الحذاء الوادي آشي
يزيد بن أبي مسلم : ٨٦	الوادي آشي = أبو عبد الله محمد بن جابر
يسار : ٩١	الوادي آشي
يعقوب : ٢٩٨	الواساني أبو القاسم الحسين بن الحسين : ١٢٣
يعقوب : (عليه السلام) : ٨٤ ، ٩	الوانثريشي (عبد الواحد) : ٦٦
يليان = أليان	ولي الدين بن خلدون = ابن خلدون الحضرمي
يوسف (عليه السلام) : ٩	ونزمار بن عريف : ٢٢٨
يوسف بن أبي عبد الله : ٦٨	(ي)
يوسف بن إسماعيل = أبو الحجاج يوسف	ياث بن نوح : ٢٩
ابن إسماعيل	
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني :	
١٢٠	

فهرس الشعراء

(١)

ابن الجياب = أبو الحسن بن الجياب
ابن الحاج السلمي = أبو البركات البليقي
ابن حجاج : ٩٤
ابن الخطيب : ٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٨٧ ،
١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،
٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ،
٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣

ابن دراج القسطل : ١٢٠
ابن عاصم = أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم
أبو البركات البليقي : ٤١ ، ٢٧٢
أبو تمام : ٢٥٧

أبو الحجاج المنصفي : ٣٥ ، ٣٦
أبو الحسن بن الجياب : ١١٥ ، ١٩٢ ، ٣١٣
أبو الحسن التهامي : ١٣٧
أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي : ١٩
أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٩
أبو حيان : ٣٠٤

أبو زكريا يحيى بن خلدون : ٢٣٨ ، ٢٤٦
أبو سعيد الخزومي : ٩٩
أبو الطيب = المتنبي

أبو الطيب صالح بن شريف الرندي : ٤٧
أبو العباس أحمد الدقون : ١٠٤
أبو العباس الشريف : ٣٨ ، ٤١
أبو عبد الله = الشبوكي محمد بن يوسف
أبو عبد الله بن جابر : ٣١٩

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج = ابن حجاج
أبو عبد الله بن الخطيب السلمي = ابن الخطيب

أبو عبد الله الشران : ١٣٣ ، ١٣٤
أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة : ٢٤٧
أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكميلي
٣٥
أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي : ٧٢ ،
١٠٣
أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي =
أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي
أبو العتاهية : ٢١ ، ٨٧
أبو نواس : ٢٦
أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم : ١٤٦ ،
١٧٩
أحمد المربني : ٣٢٠

(ت)

التلايبيسي = أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة

(ج)

جروول = الخطيئة

(ح)

الحاجري = عيسى بن سنجر
الحارث بن عباد : ٩٥
حسان بن ثابت : ٩٧
الخطيئة : ٩٧

(د)

الدقون = أبو العباس أحمد الدقون

(ف)	(ر)
الفرزدق : ٥	الرندي = أبو الطيب صالح بن شريف الرندي
(ق)	(ش)
قيس بن ذريح : ٢١٤	الشبوكي محمد بن يوسف : ٢٩٢
قيس بن عاصم : ٩٨	الفران = أبو عبد الله الفران
(م)	الشريف الرضي : ٩٣
مالك بن المرحل = أبو الحكم مالك بن المرحل	(ص)
المتني : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ٢٣٧	صالح بن أحمد بن عثمان : ٣١١
المستنصر = أحمد المربني	صالح بن شريف الرندي = أبو الطيب صالح
المنصفي = أبو الحجاج المنصفي	ابن شريف الرندي
(ن)	الصمة القشيري : ٣
النايفة الديباني : ٧٨ ، ٩٨	(ع)
(و)	العربي = أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي
الواساني : ١٢٣	عمر المالقي : ١١٦ ، ١٢٥
(ي)	عياض : ٣٤
يحيى بن خلدون = أبوزكريا يحيى بن خلدون	عيسى بن سنجر : ٢٧٥
يزيد بن عبد المدان : ٩٩	

فهرس القبائل

(أ)

- آل شيبان : ١١٩
 آل عامر : ١٩٣
 آل عبد الحق : ٢٣٠ ، ٢٩٤
 آل محمد صلى الله عليه وسلم : ١١٣
 آل يعقوب : ١٩٧
 إرم : ٨٠
 الأسبان : ٢٨
 أشيب : ٩٦
 الأنصار : ٢٩٦
 أهل الأندلس : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩
 ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٨٨ ،
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤
 أهل الجزيرة = أهل الأندلس
 أهل حمص : ٤٨
 أهل رندة : ١٨٨
 أهل سبتة : ٢٩
 أهل الصفة : ١١٧
 أهل غرناطة : ٦٩
 أهل المشرق : ٢٥ ، ١٢٢
 أهل المغرب : ٢٥
 أهل المرية : ١٨٨
 أولاد حسين : ٢٢٨
 أولاد عبد الله المهدي = الفاطميون

(ب)

- البربر : ٣٠ ، ٣٦ ، ٧٧
 البرجلونين : ١٩٦
 برنس : ٣٦

بكر : ٩٥

- بنو الأحر = بنو نصر
 بنو إسرائيل : ١١٧ ، ١٢٩ ، ٣٠١
 بنو بويه : ١١٩
 بنو الترجان : ٢٨٨
 بنو تميم : ٧٤ ، ٩٨ ، ١١٩
 بنو جريد : ١٢
 بنو الحارث بن ثعلبة : ١٢
 بنو داود : ٧١
 بنو ذى النون : ١٢٢
 بنو زيان : ٢٥٢
 بنو الصباغ : ٢٣١
 بنو العافية : ٢٢٦
 بنو عبد الحق = آل عبد الحق
 بنو عبيد : ٢٨
 بنو العزقي : ٤٥
 بنو عسكر : ٢٢٩
 بنو القاسم : ٢٤٢
 بنو مرين : ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ،
 ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ،
 ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
 بنو نصر : ٥٠ ، ٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨
 بنو والبة : ١٢

(ت)

- التنار : ٨٩
 الترك : ١٠٩
 تغلب : ٩٥
 تميم = بنو تميم

(ط)	(ث)
الطوائف : ١٢٢	نور : ٩٦
(ع)	ثمود : ١٠٠
عاد : ٨٠ ، ١٠٠	(ح)
عامر : ٢٩٥	حمير : ٢٢
عبس : ١١٨	(خ)
العجم = الفرس	الخزرج : ١٦٧
العرب : ١ ، ١٢ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٨٧ ،	(د)
١٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٣١٧	الديلم : ١٠٩
عوف : ٩٦	(ذ)
(غ)	ذيان : ١١٨
الغساسنة : ٧٨ ، ٩٧	(ر)
(ف)	الرباب : ٩٦
الفاطميون : ٢٨	الروم : ١١٠
الفرس : ٤٧ ، ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ،	(ز)
٣١٧ ، ٢٤٠	زناقة : ٢٢٨ ، ٢٣٠
فزارة : ١٢	(س)
(ق)	سعد : ٩٨
قريش : ١٤١ ، ٢٤٠	(ش)
القوط : ١٢٠	شيبان : ١١٩
(م)	(ض)
مريين = بنو مريين	ضبة : ٩٦
المشاركة = أهل المشرق	
الملثمون : ٧٧	
منقر : ٩٨	
(ي)	
اليمن : ٤٧	

حزوى : ١٠
الحراء : ٦٧ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ٢٠٢ ،
٢٠٧
حمص = إشبيلية
الحمة : ٦٦

(خ)

خراسان : ١١٩

(د)

دار ابن الفرديسى الثقلي : ٢٤
الدار البيضاء : ٥٩
دار السلام : ١٢٧
دار الكتب المصرية : ٢١ ، ٩٧ ، ٩٩ ،
١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥
دار همدان : ١٢١
دانية : ٢٤
دجلة : ٧
الدهناء : ١٠ ، ١٢١
الديار المصرية = مصر

(ر)

رابطة الفصال : ٤٢
ربض البيازين : ٦٨
رضوى : ١٢
رندة : ٦١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤
رومة : ١١٣

(ز)

زاوية المحروق : ١٢١

تلمسان : ٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
١٢٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ،
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠
تهامة : ٩٢
التوتة : ٣٦

(ث)

ثهران : ٤٨

(ج)

جبل الفتح : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٢٣٠
جبل موسى : ٣٥
الجريد : ٢٦٢
الجزائر : ٦ ، ٢٤
الجزيرة = الأندلس
جمع : ٢٧١
جنان العريف : ١٢٨ ، ١٩٥
جنة الحافة : ٣٣
جنة العريف = جنان العريف
جنة المصاراة : ٢٠١
جيان : ٢٨ ، ٤٨
جيرون : ١٢٣

(ح)

حاجر : ٢٣٥
حبيبة أم يحيى : ٧
الحجون : ٩

(ط)

طليلة : ٤٦ ، ٢٢٢
طنجة : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧

(ع)

عالج : ١٢١
العدوة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ٢٠٩
العذيب : ٢٣٧
المراق : ٥٥
العقاب : ١٢٢

(غ)

الغيطة : ١١٩
غرناطة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ،
٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٤ ،
١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ،
١٦١ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ،
٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ،
٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩٩ ،
٣٠٨ ، ٣٠٧
غمدان : ٤٧

(ف)

فارس : ٧ ، ١٢٠
فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٧ ،
٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٠ ،
١٢١ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ،
٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١

زرهون : ٢٢٨

زقة حجامه : ٢٤

الزيتون : ٢٢٨

(س)

سببة : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ،
٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٥ ، ٤٦ ، ٤٦ ، ١٤٦ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢١٢ ،
سجلداسة : ٢٢٨ ، ٢٢٩
سفاقس : ٢٢٥
سلا : ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧
سلم : ٣١٧
السوس : ٢٣٧

(ش)

شاطبة : ٤٨
شالة : ٢٠٨ ، ٣٠٢
شالة سلا : ٢٧٦
الشام : ٤٨ ، ٥٥
شبوكة : ٢٩١ ، ٢٩٢
شعب بوان : ٧ ، ١٢٠
شقييل = شنييل
شنجيل = شنييل
شنييل : ٢٠٤

(ص)

الصفا : ٩
الصفارين : ٤٣
صقيلة : ٤٢

١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٧ ،
٢٩٠ ، ٢٩٢
مريلة : ١٩٦
المرج : ٢٠٤
مرسية : ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٦
المرية : ٢٣ ، ٤١ ، ١٢٠
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم : ١١٧
المشارف : ٤٧
مصر : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
٦١ ، ٨٢ ، ٣٠٧
المطبعة الأزهرية : ٧٥
مطبعة الفتوح : ٨٧
المعرة : ١٧٥
المغرب : ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ،
٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٦ ، ١٢٠ ،
١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،
٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢
مقبرة أنعمات : ٢٩٧
مقبرة باب الحروق : ٢٣٠
مكناسة : ٢٨٧ ، ٢٨٨
مكة : ٩ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٦٧
ملوية : ٢٢٨
مليانة : ٦٦
مليلة : ٦٧
المنارة : ٢٨
منصف : ٣٥
مني : ٢٣٩
منيافة : ١١٤
المنية : ٣٧
منية العبا : ٣٣

فج خير : ٦٣
فلسطين : ٣٠
فيد : ١١٩

(ق)

قبر السلطان أبي الحسن : ٢٠٨
قبر المعتمد بالله أبي القاسم بن عباد : ٢٩٧
قبة العرض : ٢٠١
قرطبة : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٩٧
قسنطينية : ١٠٩
قشتالة : ٦٢ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١
القيروان : ٢٨

(ك)

كدية العرائس : ٢٢٨
كندة : ١٢٠ ، ١٧٥
الكوفة : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٥ ، ٢٣٧

(ل)

لمطة : ٥٤
لوشة : ١٨٦ ، ٢٠٤

(م)

مالقة : ٤١ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ،
٣١٣
المحصب : ٢٣٩
المدرسة اليوسفية : ٥٥
المدينة : ١٢ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٦٧
مراكش : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٩ ،

وادی النجا : ٢٢٨	(ن)
الواسطة : ٧٠	نجد : ٩٢ ، ٣
وانفریش : ٦٦	(هـ)
وحرا : ١١٤	هنتاة : ٢٩٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩١
(ی)	الهند : ٤٩
یثرب = المدينة	(و)
الیمامة : ١٢١	وادی آش : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
الین : ٩٥ ، ٤٧	٢٠٧

فهرس الكتب

(١)

آداب الدين والدنيا = أدب الدنيا والدين

أبيات الأبيات لابن الخطيب : ١٩٠

الإحاطة لابن الخطيب : ٥٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ١٤٥ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ،

٢٣٠ ، ٢٧٠

أخبار الحقي والمغفلين لابن الجوزي : ٨٥

أخبار حى بن يقظان = أسرار الحكمة
المشرقية

أدب الدنيا والدين : ٢١

الأربعين النووية : ٨٨

الاستبصار فى عجائب الأمصار : ٣١ ، ٣٤

أسرار الحكمة المشرقية : ١٢٤

الاستقصا للسلوى : ٦١ ، ٦٢ ، ٧٨

استنزال اللطف الموجود فى سر الوجود

لابن الخطيب : ١٩٠

إعمال الأعلام فى من يبيع من ملوك الإسلام

لابن الخطيب : ١٩٠

الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني : ٢١٤

الإكليل الزاهر لابن الخطيب : ١٩٠

الإكمال لكتاب المعلم للقاضى عياض : ٢

الأمالي للقالى : ٩٧ ، ٩٩

أنباء الغمر : ٢٥ ، ٢٦

(ب)

بدء ابن سبعين = بدء العارف

بدء العارف لابن سبعين : ١٢٤

بدعية العميان : ٢٣

البرق الشامى للعماد الأصفهاني : ٣٠٩

بستان الدول لابن الخطيب : ١٩٠

البستان لابن مريم : ٢٤ ، ٣٣

بغية الرائد لما تضمنه حديث أبى زرع من

الفوائد للقاضى عياض : ٢

بغية المنتمس للضبي : ٢١

البيان والتبيين للجاحظ : ٨٧

البيزرة لابن الخطيب : ١٨٩

البيطرة لابن الخطيب : ١٨٩

(ت)

تاج العروس : ٢٠ ، ٤١ ، ٩٦ ، ٩٧ ،

١١٩ ، ٣٠١

التاج المحلى فى مساجلة القدر المحلى لابن

الخطيب : ١٨٩

تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان المبتدأ

والخير

تخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب

لابن الخطيب : ١٩٠

تقديم أبى بكر لابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤

تقرير الشبه وتحرير الشبه لابن الخطيب :

١٩٠

تقويم البلدان : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٦٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤

تكملة كتاب الصلاة : ٦٦

تكملة المعجيات لدوزى : ٣٦ ، ٥٤ ، ٦١

(ج)

جامع البيان والتحصيل : ١٢٩

رجز السياسة لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز الطب لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز في أصول الفقه لابن الخطيب : ١٩٠
 الرجز في عمل الترياق لابن الخطيب : ١٨٩
 الرد على أهل الإباحة لابن الخطيب : ١٩٠
 رسالة تكون الجنين لابن الخطيب : ١٨٩
 رسالة الطاعون : ١٨٩
 رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب : ١٩٠
 الروض الأريض : ٥٨ ، ٦٠ ، ١٤٥ ، ١٧١
 الروض المعطار في أخبار الأفتكار لأبي عبادة
 الحمري : ٢
 ريحانة الكتاب ونجمة المتأثر لابن الخطيب :
 ٢٨٦ ، ١٨٩

(ز)

الزبدة المخفضة لابن الخطيب : ١٩٠
 زهر الرياض : ١٢٤

(س)

السحر والشعر لابن الخطيب : ١٨٩
 سد الذريعة في تفضيل الشريعة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 سراج المريدين لابن العربي : ٢
 سلوان المطاع لابن ظفر : ٢٤٩
 سند المهتدين : ٢١ ، ٢٢

(ش)

شرح بدعية ابن حجة = تقديم أبي بكر
 شرح الشاطبية : ٢٧
 شرح الشفاء للشهاب : ٢٧
 شرح القاموس = تاج العروس
 شرح المواهب اللدنية للزرقاني : ١٤١

الجامع الصغير للسيوطي : ٢١٣
 جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى
 لابن عاصم : ٥٠ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ،
 ١٧١
 جيش التوشيح لابن الخطيب : ١٩٠
 الجواهر المعاة : ١٢١

(ح)

الحلل المرقومة لابن الخطيب : ١٨٩
 حل الجمهور على السنن المشهور لابن الخطيب :
 ١٩٠

(خ)

خطرة الطب في رحلة الشتاء والصيف
 لابن الخطيب : ١٩٠
 خلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن لابن
 الخطيب : ١٩٠

(د)

الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 دوزى = تكملة المعجمات
 ديوان الصباية : ١٢٤

(ذ)

الذخائر والأعلاق لأبي عبد الله الأشبيلي : ٢

(ر)

راح الأرواح لابن الخطيب : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥
 رجز الأغذية لابن الخطيب : ١٨٩

(ق)

القاموس : ١٢٥ ، ٣٥ ، ٥٠
القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : ٢١٥
قلائد العقيان : ١١٩

(ك)

كتاب حجاب : ١٢٤
كتاب السياسة لابن الخطيب : ٧١
كتاب الوزارة لابن الخطيب : ١٩٠
الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة :
١٨٩

كشف الدك وإيضاح الشك : ١٢٣
كشف الظنون لحاجي خليفة : ١١٧ ، ٢٦ ، ١٥٨

كناسة الدكان لابن الخطيب : ١٩٠
كنز العارفين : ٢

الكواكب الوقادة : ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٣

(ل)

لسان العرب : ٣٥ ، ٩٩ ، ٩٢
اللمحة البصرية لابن الخطيب : ١٨٩ ،
٢٠٤ ، ٢٠١ ، ١٩٤

(م)

المبائر الطبية في المفاخر الخطيبية لابن
الخطيب : ١٩٠
مثلى الطريقة في ذم الوثيقة لابن الخطيب :
١٨٩

مجلة المجمع الملكي للغة العربية : ٤٦
مجم الأمثال للسيداني : ٥
الحكم لابن سيده : ٢٧
مختارات ابن الشجري : ٩٨

الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٩٥
شمس المعارف اللبوني : ١٢٣

(ص)

صبح الأعشى للقلقشندي : ٥٤ ، ٤٦
صحيح البخاري : ٨٨ ، ٣٧
صحيح مسلم : ٢١٦ ، ١٢٩
الصلة لابن بشكوال : ٢٧ ، ٢١
الصيب والجهام والماضي والكهف لابن
الخطيب : ١٨٩

(ط)

طرفة العصور في دولة بني نصر لابن الخطيب :
١٩٠

(ع)

عائد الصلة لابن الخطيب : ١٩٠
العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٢٠٢ ، ٢٦ ،
٢٠٣

العقد الفريد : ١١٩
عمل من طب لمن حب لابن الخطيب : ١٩٠
عنوان الصرف الوافي : ١٥٨

(غ)

غمر أخبار ملوك الفرس : ١٢٠
الغنية للفاضل عياض : ٣٦ ، ٢
الغيرة على أهل الحيرة لابن الخطيب : ١٩٠

(ف)

فتات الحوان ولقط الصوان لابن الخطيب :
١٩٠
فهرسة ابن غازي : ٧١

منية الطالب لأعر المطالب : ٢
الموطأ للإمام مالك : ٢
المونس في أخبار إفريقية وتونس : ٣٧

(ن)

تثير فرائد الجمان : ١٨٦ ، ٢٩١
نزهة المشتاق للادريسي : ٣٠
نظم الدرر والعقيان : ٢٤٤ ، ٢٤٥
نظم السلوك في سياسة الملوك : ٢٤٩
نفاضة الجراب لابن الخطيب : ١٨٩ ، ٢٩٨
نفع الطيب : ٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠... الخ
النهاية لابن الأثير : ٩٢
نيل الابتهاج بتطريز الديباج : ١٠٤ ،
١٣٣ ، ١٣٥

(و)

الوصول لحفظ الصحة في الفصول لابن
الخطيب : ١٨٩
وفيات الأعيان : ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٩

(ي)

يتيمة الدهر للثعالبي : ٩٤
اليوسنى في الطب لابن الخطيب : ١٨٩

مختصر خليل : ٧١
المختصر في فقه المالكية : ١٣٠
مزية المربة على غيرها من البلاد الأندلسية :
٢٣ ، ٢٥

مسالك الأبصار للعمري : ٣٠
المسائل الطبية لابن الخطيب : ١٨٩
المسهب : ٢٩
المصباح : ١٢٣
المضاف والمنسوب للثعالبي : ٨٥ ، ٩٢ ،
٩٥ ، ٩٦
مطعم الأنفس : ١١٩
معجم أصحاب الصدفى : ٢٣
معجم البلدان : ٢٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ١٨٦ ،
٢٣٩

معجم دوزى = تكملة المعجم لدوزى

معجم ما استعجم : ١٢
المعلم لفوائد مسلم : ٢١٦
معيار الاختيار لابن الخطيب : ١٨٩
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ٣١ ،
٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
مفاتيح العلوم للخوارزمي : ٢٥٥
مفاضلة مائة وسلا لابن الخطيب : ١٨٩
مقامة السياسة لابن الخطيب : ١٩٠
المقتبس في أخبار المغرب والأندلس : ٣٦
مقدمة تاريخ ابن خلدون : ٧١
المنتقى : ٢

فهرس القوافي

طويل	سلام — خليفة : ١٠٩
»	أحبك — أوقات : ٣٠٧
بسيط	قد — المهمات : ٢٩٧
مجزوء الرمل	عد — ميت : ٣١٣
متقارب	بعدنا — صموت : ٢٣١
»	آيا — الثبوت : ٢٣١

(ث)

بسيط	بتنا — البراغيتا : ٣٠٩
كامل	زحفت — المحثوث : ٢٨٩

(ج)

بسيط	ماذا — حرج : ٢٦٥
وافر	بإسماعيل — بانبلاج : ٢٧٤
خفيف	قلت — احتجاجا : ١٤٤

(ح)

كامل	عن — ويجرح : ٢٧٦
سريع	حييت — يروح : ٢٩
خفيف	بلد — مبيع : ٢٩٠
»	ما — جناح : ٢٣٧
»	ما — وافتضاح : ٢٣٩

(د)

طويل	أوثلك — شدوا : ٩٧
»	أما — وده : ١٤٦
»	نزلنا — حد : ٢٩٨

(ب)

طويل	بنفسى — عذاب : ٣٠٣
»	ومن — معايبه : ١٠٤
»	سلام — صحابي : ٦
»	بعثت — مرقوب : ١٤٤
»	حملنا — العصائب : ١٣
»	أمولاي — الرتب : ٢٤٦
بسيط	مالي — بي : ٢٩٩
»	قوم — السكرابا : ٩٨
»	سبحان — وجبا : ١٧٩
»	ناديت — وجبا : ٣٠٤
»	بحق — مقتصبه : ٣٠٤
مخلع البسيط	بليونش — عقاب : ٣٥
»	الطب — النجاة : ١٨٧
وافر	بنى — للخراب : ٢٧١
»	إذا — المصيبة : ٢٩٩
كامل	يا — ويطيب : ٥
»	إلى — ديب : ٣١٢
مجزوء الكامل	فيقول — انتسب : ٣
سريع	يا — عرقوب : ٣٠٠
»	انظر — كاعب : ٣٦
»	فعالة — بالشارب : ٣٧
مجنث	وثقت — حسي : ٣٨
متقارب	سلام — يثرب : ٢٩

(ت)

طويل	ألا — سبت : ٩
------	---------------

(س)

طويل	عسى — باديس : ٢٣٤
كامل	أهلا — أنسيه : ١٢٣
»	يا — رئيس : ٣١٣
»	أطلعن — عبوسا : ٢٥٠
»	أقشيب — ورسيا : ٢٥٧

(ض)

وافر	سلام — الرياض : ١٨
»	أمفتي — الرياض : ١٩
كامل	والله — عرضه : ٣١٣
مجزوء الكامل	سرح — الرياض : ١٨
سريع	مغرف — نافضا : ٣٠٠

(ط)

طويل	رأيتي — يحاط : ١٤٤
بسيط	بأهل — الغلط : ٤٦
مخلع البسيط	بليونش — النباطا : ٣٤

(ع)

طويل	جري — متوزع : ١١
»	أتبكي — طائع : ٢١٤
»	إلهي — جمعا : ٢٧١
كامل	لا — سريع : ٢٦٩
»	يا — دعا : ١٤٥
سريع	انظر — اللامع : ٣٧
»	لم — أسماعي : ٢٦٧
خفيف	يا — المنيع : ٢٧٣
»	حين — ولوعي : ٣٠٥
متقارب	يا — المتسم : ٢٧٤

(غ)

مجزوء الرجز	هذا — وبني : ١٩٢
»	وأظهر — في ارتقا : ١٩٢

(ف)

طويل	فينا — ننتصف : ٩١
»	لى — مرهف : ٣٠٨
كامل	والزهر — صافي : ٨
رجز	سبحان — لا تخفى : ١٧١
سريع	فكل — يسرف : ٣٦
خفيف	أصبح — أنوف : ٢٧٦
»	ربما — عفوفا : ١٢٦
متقارب	تعود — انحراف : ٢٧٦

(ق)

طويل	كان — زرق : ٨
»	عقيدة — مخلوق : ١٣٢
»	تذكرت — السوابق : ٢٣٧
»	خليلي — الحقّا : ٣٠٩
مخلع البسيط	غمرناطة — العراق : ٥٥
كامل	عطفا — لا تتفرق : ٩٣
»	ولذا — يفرق : ٢٦٩
»	يا — أغلاق : ٣١٩
»	وترنمت — أشواق : ٩
»	يمضي — الباقي : ٢٦٠
»	أشكو — ورحيقه : ٣٠٥

(ك)

كامل	مولاي — فيكا : ٢٨١
»	يا — مسلوكا : ٣٠٦

»	إلى — المزال : ٢٧٤
»	قد — اللبالي : ٢٨٨
»	يا — وحال : ٢٩٨
»	قال — محول : ٣٠٥
»	سبق — نقله : ٣٠٤
مجت	تناثر — الوصل : ١٥٥
متقارب	أبا — التزال : ٢٦١
»	رموا — الهاطل : ٣٠٧

(م)

طويل	وليس — وأسهم : ٩٩
»	ألا — الرسم : ٢٧٢
»	تعلم — بسطام : ٣٠١
مدید	ندد — أحكمها : ١٠٣
بسيط	مولى — الذمير : ٧٢
»	هم — والتم : ٧٨
مجزوء البسيط	ما — الأليم : ١٥٦
كامل	لا — هواكم : ٣١٠
»	يا — النادم : ٣٠٨
»	يا — هائم : ٣١٩
مجزوء الكامل	لى — حيله : ١٤
رمل	جاس — أحكام : ٣٠٥
سريع	لى — التمام : ١٤٤
خفيف	أنا — الأفهام : ٣١٢
»	يا — رسمه : ٢٦١
مجزوء الخفيف	قسما — عاتمه : ٢٦٨

(ن)

طويل	وما — الحيوان : ١٥
»	وكانت برهائين : ٢٨
»	تعال — الجديدان : ١١٧
»	أطاع — نلسان : ٢٨٦

(ل)

طويل	بلاد — شمول : ٤
»	إلى — صالى : ١٢٥
»	فلا — مومل : ١٣٣
بسيط	أبان — هامله : ٢٩٢
»	لا — حارل : ٢١
»	قاضى — الدول : ٢٦
»	كذا — آمال : ٤١
»	ماذا — وترحال : ٤١
»	لا — وجل : ٩٩
»	أمنت — وأحوال : ١٠٤
»	يا — مقتبل : ٢٤٧
»	برئت — ولى : ٣٠٢
»	مال — حال : ٢٧٠
»	لكن — حملا : ١٥
مخلع البسيط	بليوانش — الجبال : ٣٥
»	وإذا — لا يتبدل : ٢٦٢
»	الحق — لا يسأل : ٢٦٢
»	كم — منزل : ٦
»	وما — الرجل : ٩٢
»	لك — مؤجل : ١٤٣
»	فكان — العليل : ٢٦٨
»	أفادت — حالى : ٢٧١
»	لم — المسال : ٢٨٩
»	أقنا — حال : ٣١٢
»	كتبت — الخليل : ٣٠٤
»	أعيا — التفصيلا : ٢٧٥
كامل	بين — المقتل : ٣٠٨
مجزوء الكامل	والناس مثاله : ١٤
سريع	دوام — حال : ١٣٤
»	ما — النكال : ١٥٥
منسرح	بأهل — الجمل : ١٢٣
خفيف	قربا — حيارى : ٩٥

علفت — الحدثان : ٢٨٧	طويل	مولاي — التقصان : ٢٧٢	كامل
ولما — البين : ٣٠٤	د	حيا — المكنون : ٧	د
أمولاي — كانا : ٣٠٣	د	أسمى — عرين : ٢٨٩	د
لسنا — أولانا : ٣١٨	د	إن — المكنون : ٣٠٨	د
رب — فن : ٨	مديد	بليونس — شانسا : ٣٤	د
لكل — إنسان : ٤٧	بسيط	أخطر — حسنه : ٢٩	سريع
بين — أجفان : ٣٠٩	د	عاب — وشين : ١٤٤	خفيف
روعت — وجيرانى : ١١	د	بان — بين : ٣٠١	د
أيا — ووحدان : ٣١٣	د	(ه)	
يا — الثانى : ٣١٣	د	ندم — شكواه : ١٤	طويل
سل — تكويى : ٣١٦	د	لهى — لهى : ١٤٤	د
لا — الدين : ٣٢٠	د	دعوتك — نعى : ٣٠٣	د
يا — يمينى : ٣٢٠	د	قالوا — فى التنويه : ٣٠٧	كامل
تناثر — الثمين : ١٥٣	مخلع البسيط	إن — تكفيه : ٣٠٨	د
مضت — يدان : ١٤	وافر	خير — وأجلاه : ١٠٣	منسرح
وأنتى — البنان : ١٢٠	د	(ي)	
ولو — الزمان : ٢٦٩	د	أبى — ثنيا : ١١٥	طويل
حلفت — فى اليمين : ٣٠٧	د	أمل — منتها : ٣٠٩	بسيط
أقول — جفانى : ٣٠٩	د	أميرا — صفحته : ٣٠٠	متقارب
نسائل — ما عنيكنا : ١٠	د		
لا — فطن : ٩٨	كامل		
إنى — أفن : ٩٨	د		

فهرس أنصاف الآيات

(ل)	(ا)
لك الحير قد أوفى لعهدك خيران : ١٢٠ طويل	إذا عبروا قالوا مقادير قدرت : ٨٧ طويل إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر : ٨٧ رجز
(هـ)	(س)
هي المقادير فلمنى أو فذر : ٨٧ رجز	سم العداة وآفة الجزر : ٩٧ رجز
(و)	(ش)
وطود موسى لها تاج على الراس : ٣٥ بسيط ولو ترك القطا ليلا لنا : ٢٦٨ وافر	شم الأنوف من الطراز الأول : ٩٧ كامل

فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
دواة أبي عنان وشعر مكتوب عليها ... ٤٠	روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد
رجع إلى ذكر الشريف	نسب عياض ... ٢٣
شئ من كرم الشريف وشعره ... ٤١	عند الوادى آتى ... ٢٣
أشراف سبقة ... ٤٢	عند ابن الأبار ... ٢٣
دخل الشريف من مضرب الميناء وما كان ... ٤٢	عند ابن خاتمة ... ٢٣
ينفقه فيه ... ٤٢	عند ابن الملجوم ... ٢٣
حفاوة ملوك بني مرين ... ٤٤	نزوله بدار ابن الفرديس ... ٢٤
سبب تعريف المؤلف بهذا الشريف ... ٤٤	عند ولده محمد ... ٢٤
استيلاء العدو على سبقة ... ٤٥	عند ابن خلكان ... ٢٥
رثاء طليطلة ... ٤٦	عند ابن خاتمة أيضا ... ٢٥
قصيدة الرندي في رثاء الأندلس ... ٤٧	شئ من ابن خلكان وابن خلدون ... ٢٥
ابن عاصم وبعض ما جاء في كتابه عن ... ٥٠	الكلام في ضبط اليحصي ... ٢٧
انحلال أمر الأندلس ... ٥٠	محمد بن عياض يخبر عن موطن أجداده ... ٢٧
ذكر غرناطة ... ٥٥	شئ من سبقة ... ٢٩
تقريظ لابن عاصم على كتاب الإحاطة ... ٥٦	وصف ابن الخطيب لسبقة ... ٣٠
نبذة من كتاب الروض لابن عاصم عن ... ٥٨	الشريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب ... ٣٢
ابن يوسف ... ٥٨	شعر لابن الخطيب في بليوناش ... ٣٤
مثال من حرص ابن الخطيب على العوائد ... ٥٩	شعر لعياض فيها أيضا ... ٣٤
اضطراب أمر الأندلس بالخروج على ... ٦٠	وصف ابن حيان لها ... ٣٤
القواعد ... ٦٠	شعر للمنصف فيها أيضا ... ٣٥
وصف البكرى للأندلس ... ٦٠	شعر السكيلي فيها ... ٣٥
وصف ابن الخطيب للأندلس ... ٦١	شعر المنصف فيها ... ٣٦
أبو يوسف المري وذن جانجه ومثل من ... ٦١	مثل من كرم الشريف أبي العباس ... ٣٧
عز الإسلام ... ٦١	تناء أبي الحسن النباهي على الشريف ... ٣٨
تعقيب لابن الخطيب على قصة أبي يوسف ... ٦٢	وشئ منه ... ٣٨
بعض ما كتب في استنهاض الهمم ضد ... ٦٣	شعر الشريف ... ٣٨
النصاري ... ٦٣	حفاوة أبي عنان بالشريف أبي العباس ... ٣٩
لابن زمرك ... ٦٣	ومنزله في سبقة ... ٣٩
لابن الخطيب ... ٦٤	وصف أحد كتاب الشريف له ... ٤٠

- سقوط غرناطة في يد العدو والخلاف ٦٥ { في تاريخ ذلك
خروج أمير الحمراء ابن أبي الحسن إلى ٦٧ { فاس
وفاته وشيء عنه وعن عقبه ... ٦٨
حال المسلمين بعده بالأندلس ... ٦٨
رسالة في ذكر ما جرى للمسلمين في ٦٩ { الأندلس
تنكيل طاغية قشتالة وأرغون بالمسلمين ٧٠
بعض من خرج من علماء الأندلس ٧١
كتاب ابن الأحمر لصاحب دس ... ٧٢
أبو عبد الله العربي وشيء من نظمه ١٠٣
قصيدة الدقون في ندب الجزيرة ... ١٠٣
مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى يزيد ١٠٨
بلاغة أهل الأندلس ... ١١٥
مقامة نفقيه حر : تصريح النصال إلى ١١٦ { مقاتل الفصال
شيء من نظمه ... ١٢٥
مقامة في أمر الوباء ... ١٢٥
بعض مقطوعاته ... ١٣٢
تعريف بالقرآن ... ١٣٣
شيء من نظمه ... ١٣٣
طريقة لابن جماعة وقد تولى الشران ١٣٤ { مكانه
شعر للشران يعاتب ابن جماعة على ١٣٤ { إهمال دعوته إلى إغذار
قصيدته النامية ... ١٣٤
بعض شعر له ... ١٤٣
تعريف بالرئيس ابن عاصم ... ١٤٥
قصيدة له تلد بنتين فوشحتين في مدح ١٤٦ { السلطان أبي الحجاج
البنات الأولى ... ١٥٣
الموشحة الأولى ... ١٥٤
البنات الثانية ... ١٥٥
الموشحة الثانية ... ١٥٦
- موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان ١٥٨ { الشرف الشامي
مختار من كتابه جنة الرضى ... ١٥٨
شيء من كلام ابن عاصم عن ابن فتوح ١٧١
منشور سلطاني بتولى ابن عاصم القضاء ١٧٢
تخصيص لابن عاصم ... ١٧٩
تعريف بابن الخطيب ... ١٨٦
أوليته ونسبه ... ١٨٦
نشأته وشيوخه ... ١٨٧
مؤلفاته ... ١٨٩
رأى ابن الأحمر فيه ... ١٩١
توليه الكتابة ... ١٩١
كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة ١٩٢ { بديته
أيام ابن الخطيب مع السلطان أبي عبد الله ١٩٣
تفصيل لشكبة السلطان أبي عبد الله ١٩٤ { وذهابه إلى فاس
قصيدة ابن الخطيب بين مدى السلطان ١٩٦ { أبي سالم يستصرخه لمولاه
انصراف السلطان أبي عبد الله إلى ٢٠١ { الأندلس
خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون ٢٠٢
شيء عن أحوال ابن الخطيب كما ٢٠٤ { رواها ابن خلدون
كتاب القاضي أبي الحسن إلى ابن الخطيب ٢١٢
نكبتة ووفاته ... ٢٢٩
شعر له في محبة يبكي نفسه ... ٢٣١
تخميس لبعض بني الصباغ ... ٢٣١
شعر ابن الخطيب ... ٢٣٤
قصيدة لابن الخطيب في المولد النبوي ٢٣٧
قصيدة لأبي زكريا بن خلدون يحاكى ٢٣٨ { بها قصيدة ابن الخطيب
وصف ليالى مولد النبي أيام السلطان ٢٤٣ { أبي حمزة
شعر لأبي زكريا بن خلدون في المنجاة ٢٤٦

- ٢٨٦ ... من مخاطباته لابن مرزوق ...
- ٢٨٧ { ... من صراحة ابن الخطيب ...
... في مجلس السلطان أبي عنان ...
- ٢٨٨ ... شعر له في مكناسة ...
- ٢٨٨ ... شعر له في مدينة آني ...
- ٢٨٨ ... شعر له في ابن بطان ...
- ٢٨٩ ... شعر له في البرغوث ...
- ٢٨٩ ... شعر له في ابن روح ...
- ٢٨٩ ... شعر له صدر به رسالته إلى ابن حسون ...
- ٢٩٠ ... شعر له في نذب مراکش بعد الموحدين ...
- ٢٩٠ ... شعر له يخاطب به عامرا الهنتاني ...
- ٢٩١ ... تعريف بعامر الهنتاني ...
- ٢٩١ ... شيء عن الشريف الشوكي ...
- ٢٩٢ { شعر للشوكي في مدح أبي فارس ...
... والتعريض على الهنتاني ...
- ٢٩٤ { شعر لابن الخطيب على قبر السلطان ...
... أبي الحسن المريني ...
- ٢٩٧ ... شعر لابن الخطيب على قبر المعتمد ...
- ٢٩٨ ... شعر له في مخاطبة ابن يوسف ...
- ٢٩٨ ... وله في مخاطبة السلطان ...
- ٢٩٩ ... وله في مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته ...
- ٢٩٩ ... بعض مقطوعات له ...
- ٣٠٠ ... وله في مشرف الدار حين أكل القابض ...
- ٣٠٠ ... وله في رأس الفادر بالدولة ...
- ٣٠٠ ... وله في الغزل ...
- ٣٠٠ ... شعر له في السعيد أبي بكر ...
- ٣٠١ { وله في توديع ابنه لما انصرف عنه إلى ...
... فاس ...
- ٣٠١ ... وله في السيادة الخطيبية ...
- ٣٠٣ ... وله في مخاطبة السلطان أبي الحجاج ...
- ٣٠٣ ... وله في التورية ...
- ٣٠٣ ... وله في التجنيس ...
- ٣٠٤ ... وله في التورية أيضا ...
- ٣٠٤ ... بعض شعر له ...
- ٢٤٧ موشحة للتاليسي يخاطب بها أبو حو ...
- ٢٤٩ ... شيء عن السلطان أبي حو ...
- ٢٤٩ { قصيدة ابن الخطيب للسلطان أبو حو ...
... يستعين به ...
- ٢٥٧ ... نثر له أيضا وصل به القصيدة ...
- ٢٦٠ { بعض مقطوعات لابن الخطيب في السلطان ...
... أبي حو ...
- ٢٦١ { شعر له يودع به عبد الواحد بن ...
... سلطان إفريقية ...
- ٢٦٢ ... من قصيدة المنح الغريب له ...
- ٢٦٥ { من مقطوعات له لما أشرف على ...
... مراکش ...
- ٢٦٥ ... كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب ...
- ٢٦٧ ... رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة ...
- ٢٧٠ ... من رثاء السلطان أبي سالم ...
- ٢٧١ ... شعر له في الرغبة في الله ...
- ٢٧١ ... شعر له بعد عودته من رحلة المراكشية ...
- ٢٧٢ ... وله في مدرسة ...
- ٢٧٢ ... وله في غرناطة ...
- ٢٧٢ ... وله يخاطب قبر الولي السبي ...
- ٢٧٤ ... وله يوري بدم الأخوين ...
- ٢٧٤ ... وله في اقتباس ...
- ٢٧٤ ... شعر له في التورية بالطب ...
- ٢٧٤ ... وقال يخاطب ابن مرزوق ...
- ٢٧٥ ... شعر له في مخاطبة أحد الشرفاء ...
- ٢٧٥ { وقال يشكر السلطان أبا سالم على ...
... تخليصه إياه ...
- ٢٧٥ ... وله في التغزل ...
- ٢٧٦ { من رسالة في تهنئة ابن أبي مدين ...
... بتقلد الخطبة ...
- ٢٧٦ ... رسالته إلى السلطان أبي سالم مستعينا به ...
- ٢٨٢ ... رد السلطان أبي سالم على ابن الخطيب ...
- ٢٨٤ { رد ابن الخطيب على السلطان أبي سالم ...
... شاكرًا ...
- ٢٨٦ ... تهنئة لسلطان أبي سالم بفتح تلمسان ...

٣١٢	وله في المشيب	٣٠٥	وله في جلوس السلطان في يوم برد للسلام
٣١٢	وله وقد أجاز بسبقة	٣٠٥	وله في الغزل
٣١٢	وله في طاق المساء	٣٠٦	أبيات له في المحسنات البدعية
٣١٣	بين ابن الجياب وابن الخطيب	٣٠٨	وله في سكن الأضاحي
٣١٣	بعض أبيات له	٣٠٨	وله في مروحة سلطانية
٣١٤ {	موشحة له في مدح السلطان	٣٠٨	وله يخاطب ابن الجياب
٣١٤ {	يوسف أبي الجراح	٣٠٨	وله في الغزل
٣١٦	وله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٩	وله في البراغيت أيضا
٣١٨	وله في الرجوع إلى الله	٣٠٩	وله في خالد البلوي
٣١٩	تخميس للفسان على بيتين لابن الخطيب	٣٠٩	وله في المنجاة
٣١٩	أولاد ابن الخطيب	٣٠٩	وله في الغزل
٣٢٠	على بن الخطيب والمستنصر في بستان	٣١٠	وله في التصوف
٣٢٠	شئ عن عبد الله ومحمد ابني الخطيب	٣١٠	وله في المديح موريا
٣٢٠	وصية ابن الخطيب لأولاده	٣١٠	شعر له يشك أنه للمشاركة

تصويب أخطاء مطبعية

خطأ	صواب	ص	س
محمد بن الخلفاء	محمد ابن الخلفاء	٥٨	٤
لسان العربى	لسان العرب	٩٢	١٧
الأسود ابن قنان	الأسود بن قنان	٩٥	١٠
نظم بن صفوان	نظم ابن صفوان	١٩٠	١٣
ابن يفلوسن	ابن أبى يفلوسن	٢١٠	١٧
آسفى	آسفى	٢٩٨	٩